معجم
الفروق الدلالية
فى القرآن الكريم

لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة
المعنى، والصيغ والأساليب المتشابهة



دكتور محمد محمد داود



معجم الفروق الدلاليَّة
فى القرآن الكريم

لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة
المعنى، والصيغ والأساليب المتشابهة

د . محمد محمد داود



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية.

داود، محمد محمد.

معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ محمد محمد داود . – القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ .

٦٧٦ص ؛ سم

تدمك: ٦ – ٩٩٩ – ٢١٥ – ٩٧٧

١ – القرآن – المحكم والمتشابه – معاجم

أ – العنوان

٢٢٦,٦٣٠٣

الـكـتـاب : معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم

المؤلـف : د. محمد محمد داود

رقم الإيداع : ٨٦٣١ / ٢٠٠٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 999 - 6

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٢٥٩٠٢١٠٧ – ٢٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول

ت ٢٢٧٣٨١٤٢ – ٢٢٧٣٨١٤٣

www.darghareeb.com

إهداء

إلى من منحنى بحكمته أنبل زادٍ للحياة

أستاذى المهندس / محمد يونس لاشين

الوفاء لك دينٌ لا يقضيه كتابٌ يُهدى ولا ثناءٌ يُقدَّم

وحسبك ما عند اللَّه مِن ذِكر ، فذِكر اللَّه للعبد أوفى وأبقى

محمد داود ،

مُقَدِّمَة

- هذا معجم للفروق الدلالية بين الكلمات القرآنية متقاربة المعنى والأساليب المتشابهة، يعتمد فى مادته على القرآن الكريم .
- والاهتمام بالفروق الدلالية وإن كانت له أصول قديمة فى العربية إلّا أنَّ الدرس اللغوى الحديث قد أسهم من خلال نظرية التحليل التكوينى فى تحديد الملامح المميزة بصورة دقيقة بين دلالة الكلمات متقاربة المعنى .
- وتقتضى الأمانة العلمية أن أقرر أن استنباط الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى لون من الاجتهاد يخطئ فيه المجتهد ويصيب، فما كان من صواب فهو من فتح اللّه العليم وتوفيقه . وما كان من خطأ فهو منِّى أستغفر اللّه منه، وأعتذر للقارئ الكريم عنه .
- وأرجو من ربى - تبارك وتعالى - ألّا أُحرَم ثواب الاجتهاد ، وأن ينفع بهذا الجهد المتواضع، وأن يجعله باكورة لمعاجم موسوعية شاملة للفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى فى العربية، وأن يكون هذا المعجم فاتحة خير لدراسات تتوفر لهذا الجانب المهم فى المعجم العربى .

كما أرجو أن ينال هذا المعجم اهتمام اللغويين فيتناولوه بالنقد البناء؛ حتى تكون الخطوة التالية لى أو لغيرى أكثر نضوجًا وقربًا من الهدف المنشود .

- ولا يفوتنى أن أعلن عن متعتى الخاصة فى رحلتى مع الفروق الدلالية بين الكلمات والأساليب القرآنية، فإن اكتشاف الملمح المميز الفارق بين

دلالة كلمتين أو أكثر أشبه باكتشاف كنز يزيدك سرورًا وبهجة ورضا .

- أيضًا ستسهم رسائل القراء الكرام من مستخدمى هذا المعجم فى اكتمال العمل فى الطبعات التالية .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

د . محمد محمد داود

Email: dr.mohameddawood@yahoo.com

بين يدى هذا المعجم

● الفروق الدلالية من القديم إلى الحديث :

○ فى القديم :

برزت فكرة الفروق الدلالية على أيدى علماء العربية منذ البواكير الأولى للبحث اللغوى عند العرب، ونرى ذلك الحسَّ اللغوى المرهف عند علمائنا الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه والأخفش والكسائى والمبرد والفراء، وغيرهم .

ولعل معجم العين للخليل بن أحمد شاهد قوىٌّ على وضوح فكرة الفروق الدلالية بين كلمات العربية فى عقل هذا العالم الفذِّ، الذى استطاع أن يُخضِع اللغة بكل ما فيها من ثراء هائل وتنوُّع ضخم لمنهج عقلى رياضىّ صارم، ولكنه - فى الوقت نفسه - لا يُهْدِر الملامح الدلالية المميِّزة لكل كلمة من كلمات العربية . ذلك أن منهج الخليل فى معجم العين يقوم على أن ثمة محورًا جذريًّا لكل مجموعة من الكلمات، وهذا الجذر هو محلُّ الدلالة المركزية، ثم تتفرَّع عن هذا المركز الدلالى معانٍ أخرى تحمل ملامح وظلالًا دلالية تميِّز كل لفظ عن الألفاظ الأخرى .

وعلى مستوى التراكيب اللغوية نجد فى كتاب سيبويه تبصُّراتٍ لغوية عظيمة، ماثلة فى ترتيب أبواب (الكتاب)، وفيما أورده فى ثناياه من تفريق بين التراكيب اللغويَّة المختلفة .

هذه إشارات عابرة إلى تجلِّيات الجهود اللغوية الفذَّة لعلمائنا الأقدمين، ولعلَّ أبرز مثال لهذا الجهد على المستوى المعجمى كتاب "الفروق اللغوية" لأبى هلال العسكرى، الذى يكشف عن نظرة ثاقبة لمفهوم التقارب الدلالى (وليس الترادف)، يقول أبو هلال فى مقدمته:

"ما رأيت نوعًا من العلوم وفنًّا من الآداب إلّا وقد صُنِّف فيه كتبٌ تجمع أطرافه وتنظم أصنافه، إلّا الكلام فى الفروق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها، نحو: العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة، والغضب والسخط، والخطأ والغلط، والكمال والتمام، والحسن والجمال، والفصل والفرق، والسبب والعلَّة، والعام والسنة، والزمان والمدة، وما شاكل ذلك . فإنِّى ما رأيت فى الفرق بين هذه المعانى وأشباهها كتابًا يكفى الطالب ويقنع الراغب، مع كثرة منافعه فيما يؤدى إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه؛ فعملت كتابى هذا مشتملًا على ما تقع الكفاية به من غير إطالة ولا تقصير، وجعلت كلامى فيه على ما يعرض منه فى كتاب الله، وما يجرى فى ألفاظ الفقهاء والمتكلمين وسائر محاورات الناس، وتركت الغريب الذى يقل تداوله؛ ليكون الكتاب قصدًا بين العالى والمنحطّ، وخير الأمور أوسطها . وفرقت ما أردت تضمينه إيّاه من ذلك فى ثلاثين بابًا"(١) .

وعلى المستوى الصرفى نجد علماء العربية قد فرَّقوا بين الصيغ الصرفية المختلفة، وقد تنبَّه أبو هلال فى كتابه (الفروق اللغوية) لما تُحدِثه الأبنية الصرفية المختلفة من آثار فى المعنى، ومثَّل لذلك بقوله:

"ولا يجوز أن يكون فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد، إلّا أن يجىء ذلك فى لغتين، فأمّا فى لغة واحدة فمُحالٌ أنْ يختلف اللفظان والمعنى واحد . . . وقال المحققون من أهل العربية: لا يجوز أن تختلف الحركتان فى الكلمتين ومعناهما واحد، فإذا كان الرجل عُدَّة للشىء قيل فيه: مِفْعَل، مثل: مِرْحَم ومِحْرَب، وإذا كان قويًّا على الفعل قيل: فَعُول، مثل: صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتًا بعد وقت قيل: فعّال،

(١) الفروق الدلالية (بين النظرية والتطبيق)، د . عمر عبد المعطى أبو العينين، الإسكندرية: منشأة المعارف، د .ت .- ص ٢٠ .

مثل: علّام وصبّار، وإذا كان ذلك عادة له قيل: مِفْعال، مثل: مِعْوان ومِعْطاء ومِهْداء . ومَن لا يتحقق المعانى يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط، وليس الأمر كذلك، بل هى - مع إفادتها المبالغة - تفيد المعانى التى ذكرناها . وكذلك قولنا: فَعَلْت، يفيد خلاف ما يفيد أفْعَلْت، فى جميع الكلام، إلّاَ ما كان من ذلك لغتين، فقولك: سَقَيْت الرجل، يفيد أنك أعطيته ما يشربه، أو صببتَ ذلك فى حلقه . وأَسْقَيْته، يفيد أنك جعلت له سقيًا أو حظًّا من الماء . وقولك: شَرَقت الشمسُ، يفيد خلاف غربت، وأشرقت يفيد أنها صارت ذات إشراق . ورَعَدت السماءُ: أتت برعد، وأَرْعَدت: صارت ذات رعد . فأمّا قول بعض أهل اللغة إن الشَّعْر والشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر، بمعنى واحد، فإن ذلك لغتان"[١] .

كما تنبَّه أبو هلال للفروق الدلالية الناشئة عن التركيب اللغوى، وفى ذلك يقول:

"وإذا كان اختلاف الحركات يُوجِب اختلافَ المعانى، فاختلاف المعانى أنفسها أولَى أن يكون كذلك . ولهذا المعنى أيضًا قال المحققون من أهل العربية : إن حروف الجر لا تتعاقب، حتى قال ابن درستوريه: فى جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس . . . ولهذا المعنى قال المبرد: الفرق بين (أَبْصَرْتُه) و(بَصُرْتُ به) على اجتماعهما فى الفائدة: أن (بَصُرْتُ به) معناه : أنك صِرْتَ بصيرًا بموضعه، وفَعُلْتُ، أى انتقلت إلى هذا الحال . وأما (أَبْصَرْتُه) فقد يجوز أن يكون مرَّة ويكون لأكثر من ذلك . وكذلك (أَدْخَلْتُه) و(دَخَلْتُ به)، فإن قلت: أَدْخَلْتُه، جاز أن تُدخِله وأنت معه، وجاز ألّا تكون معه . ودَخَلْتُ به: إخبار بأن الدخول لك وهو معك بسببك"[٢] .

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكرى، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .- ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٣ .

وخلص أبو هلال إلى أن الفروق الدلالية تُعْرَف بطرق كثيرة، منها :

١) اختلاف ما يُستعمل عليه اللفظان اللذان يُراد الفرق بين معنَيَيْهِما .

٢) اعتبار صفات المَعْنَيين اللذين يُطلَب الفرق بينهما .

٣) اعتبار ما يؤول إليه المَعْنَيان .

٤) اعتبار الحروف التى تُعَدَّى بها الأفعال .

٥) اعتبار النقيض .

٦) اعتبار الاشتقاق .

٧) ما توجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يُقارِبُه .

٨) اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما فى أصل اللغة[١] .

● الفروق الدلالية فى البحث اللغوى الحديث:

يقرِّر علم اللغة الحديث أن وقوع الترادف فى اللغة لا يعنى التساوى التام بين معنى مفردتين، وإنما يكون ذلك بمعنى تقارب الدلالة، فليس فى اللغة لفظ ينوب عن آخر أو يقوم مقامه إذا أردنا الدقة فى التعبير، بل هناك مجموعة ألفاظ **(متقاربة الدلالة)**، نحو: (كبير - ضخم - عظيم)، (صغير - ضئيل - حقير)، (الثناء - الحمد - الشكر- المدح) . . . إلخ .

وما من شك أن نظرية التحليل التكوينى أسهمت بشكل دقيق وواضح فى تحديد الفروق الدلالية والظلال المرهفة بين الكلمات، من خلال تحديد الملامح الدلالية المميزة بين مجموعات الكلمات متقاربة المعنى، الَّتى وإن صحَّ وقوع الترادف بينها فى سياقات مختلفة، فإنَّ هذا لا يعنى **(التساوى)** بين دلالات الألفاظ المختلفة، وإنما هو وجه من وجوه **تقارب المعنى** .

---

(١) الفروق الدلالية ، أبو هلال العسكري ، ص١٤ .

وإن كانت المكتبة اللغوية المعاصرة لا تخلو من بحوث جادة فى دراسة الفروق الدلالية دراسة نظرية، إلّا أنها تفتقر فى الجانب المعجمى التطبيقى إلى معاجم تسدُّ هذا النقص .

● أهمية معجمات الفروق الدلالية:

ما من شك أن تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى له فوائد أهمُّها:

○ الارتقاء بالقدرة اللغوية ودقة التعبير اللغوى وإحكامه عند الكُتّاب والمتحدثين .

○ مساعدة المتلقى على دقة الفهم وعدم الوقوع فى متاهة الغموض .

○ الوضوح وأمن اللَّبس .

● أنواع الفروق الدلالية فى هذا المعجم:

يتضمَّن هذا المعجم ثلاثة أقسام، هى:

(١) القسم الأول: الفروق الدلالية بين معانى الكلمات:

وترجع الفروق الدلالية فى هذا القسم إلى فروق فى الملامح الدلالية:

○ من حيث توسيع المعنى (تعميم المعنى):

نحو : (الخشية - الخوف)؛ حيث تمتاز الخشية بملمح العلم بموجبات الخوف، وأن فيها انقيادًا وامتثالًا ، بينما الخوف معنى عام ليس فيه هذان الملمحان .

○ من حيث تضييق المعنى (تخصيص المعنى):

وذلك كالفرق بين (الغيث والمطر) فى الاستعمال القرآنى؛ حيث إنهما فى

الاستعمال اللغوى العادىّ مترادفان، بينما خَصَّص القرآن الحكيم (الغيث) فى سياقات النفع والخصب والخير، وخَصَّص (المطر) فى سياقات العذاب والنكال .

○ **من حيث انتقال المعنى من مجال لآخر:**

ومن ذلك تفريق القرآن الكريم بين معنى كلمة (الصِّهْر)، وكلمة (النَّسَب)، ففى الاستعمال اللغوى العادى ترد كلمة (النَّسَب) بمعنى القرابة من ناحية الأب، وترد كلمة (الصِّهْر) بمعنى القرابة من ناحية الأم . أمّا الاستعمال القرآنى فقد نقل دلالة كل منهما إلى معنى اصطلاحى إسلامىّ خاص، هو:

- النَّسَب: ما لا يحلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .
- الصِّهْر : ما يحلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .

○ **من حيث التضاد :**

فقد تُدْرَك الفروق الدلالية بين مفردة وأخرى عن طريق التضاد ، نحو الفرق بين التمام والكمال ، فالتمام يأتى لنفى ضدِّه وهو النقص ، ويأتى الكمال لنفى ضدِّه وهو العيب .

(١) القسم الثانى: الفروق الدلالية بين الأبنية الصرفية المتشابهة:

قد تكون الفروق الدلالية ناشئة عن اختلاف الصيغ الصرفية للكلمات، مثل: (قَسَطَ، أَقْسَطَ)، فصيغة الفعل المجرد (قَسَطَ) تعنى الظلم، بينما تُستعمل صيغة الفعل المزيد بالهمزة (أَقْسَطَ) بمعنى العدل .

وكالفرق بين صيغة المفرد وصيغة الجمع فى المفردتين (ريح - رياح)، حيث يُستعمل المفرد فى سياقات الرحمة والعذاب، بينما اقتصر استعمال القرآن الكريم لصيغة الجمع على سياقات الخير والرحمة .

- وكالفرق بين الصيغ الصرفية المختلفة، نحو: (سِخريًّا - سُخْريًّا)، فالسِّخْرىُّ بالكسر: السُّخْرِيَة والهُزْء . والسُّخْرِىُّ بالضم: السُّخْرة

والاستعباد . . . إلى آخر تلك الفروق الناشئة عن اختلاف الصيغ الصرفية للكلمات القرآنية .

(٢) القسم الثالث: الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة:

مثل تركيب الفعل مع حرف الجر، ومن ذلك: (أنزل إلى)، (أنزل على)، والمتأمِّل للسياقات القرآنية التى ورد فيها التركيب (نزل/ أنزل - على) يجد أن الخطاب موجه للنبى ﷺ، والقرآن أُنزل (عليه) من جهة العُلُوّ . أما التركيب (نزل/ أنزل - إلى) فسياقاته إمّا فى خطاب الأمة كلها، أو خطاب للنبى ﷺ مقترنًا بالتبليغ، أى تبليغ آيات اللّه ﷻ (إلى) الناس، ويكون ذلك من جميع الجهات، وهو ما يناسبه حرف انتهاء الغاية (إلى) . ومثل ذلك التركيب: (فَرَّ من)، والتركيب (فرَّ إلى)؛ حيث يُستعمل (فرَّ من) بمعنى الخوف، بينما يستعمل (فرَّ إلى) بمعنى اللجوء إلى مصدر الأمن .

. . . إلى آخر صور التنوُّع التركيبى فى النظم القرآنى الحكيم .

● ترتيب مادة المعجم :

اقتضى الأمر أن يكون الترتيب فى القسمين الدلالى والصرفى ترتيبًا هجائيًّا بحسب الكلمة الأولى من كل مجموعة من مجموعات الكلمات .

وقد تكون المجموعة من كلمتين أو من ثلاث أو أكثر، وتُرتَّب كل مجموعة داخليًّا ترتيبًا هجائيًّا .

● وقد يتساءل البعض:

لماذا لم توضع كل مجموعة متقاربة دلاليًّا تحت مجال دلالى تُسمَّى باسمه؟

- وهذا لا يناسب ؛ لأننا لا نستوفى ألفاظ المجال الدلالى بالكامل؛ حيث إننا نقتصر على المقارنة بين الألفاظ متقاربة المعنى جدًّا حتى يُظَنَّ أنْ لا مجال للتفريق بينهما .

- كما أننا هنا فى إطار معجم يهدف إلى بيان الفروق الدلالية بين الكلمات المتقاربة المعنى، ولسنا فى إطار دراسة لغوية، والفرق بينهما واضح لا يخفى على الباحث اللغوى .

- كما أن التركيز فى بيان الملامح الدلالية يكون على الملامح المميِّزة الفارقة بين لفظين أو بين مجموعة من الألفاظ متقاربة المعنى .

- وعلى أيَّة حال فهذه رؤية من بين رؤى متعددة يمكن أن يكون عليها معجم الفروق الدلالية، وقد يروق للبعض غيرها .

- أيضًا اقتصرتُ فى إيراد الشواهد على نماذج منها، ولم أورد كل الشواهد، وإنما أشير إلى تعددها وكثرتها؛ وذلك تخلصًا من ضخامة حجم المعجم .

أمّا فى القسم التركيبى (الخاص بالأساليب):

فقد رتبتُ بحسب الظاهرة التركيبية التى ينتمى إليها تعبيران أو مجموعة من التعبيرات المتشابهة، على النحو التالى :

(١) الفواصل القرآنية متشابهة المعنى .

(٢) تنوع أساليب النظم القرآنى (بين التذكير والتأنيث - بين التعريف والتنكير - بين الفعل والوصف - بين المركب الوصفى والمركب الإضافى - بين الحذف والذكر . . . إلخ) .

(٣) التقديم والتأخير .

● سبب اختيار النص القرآنى مادة لهذا المعجم:

يرجع اختيار النص القرآنى مادة لهذا المعجم إلى أنَّ القرآن العظيم نص محكم دقيق، وهذا يُسَهِّل مهمَّة الباحث فى تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات؛ ويرجع ذلك إلى دقة المفردة القرآنية وإحكامها، بحيث لا يُستَطاع استبدال لفظة بأخرى، وأيضًا إلى إحكام تراكيبه ودقتها، بحيث لا يمكن تقديم ما أخَّره البيان القرآنى ولا تأخير ما قدَّمه، ولا يمكن حذف شيءٍ مما ذُكِر فيه، ولا إضافة شيء لم يذكره، على نحو ما سنراه فى ثنايا الدراسة التطبيقية .

● يشتمل هذا المعجم على :-

(١٣٥) مادة ، (٥١٢) كلمة ، (٣٥٠) تركيبًا.

● قمت بعمل كشاف تحليلى بالكلمات الواردة في المعجم مرتبة ترتيبًا هجائيًّا بحسب جذورها لتيسير الوصول لأية كلمة بالمعجم .

● كيف تستخدم هذا المعجم:

من خلال الكشاف التحليلى فى نهاية المعجم يمكنك أن تصل إلى أى مفردة تريد أن تبحث عنها، فمثلًا: كل المفردات الخاصة بحرف الألف تجدها تحت حرف الألف وأمامها رقمان:

- الرقم الأول: يمثل الحرف الأول لجذر الكلمة .
- ثم شرطة مائلة هكذا : / .
- والرقم الثانى: يمثل ترتيب المفردة داخل الحرف ، فمثلًا :

٧/ ٤ ختم - طبع :

الرقم (٧) يمثل الترتيب الأبجدى للحرف الأول من (ختم)، وهو الخاء،

وترتيبه فى الحروف الهجائية يأخذ الرقم (٧)، والرقم (٤) يمثل ترتيب الكلمتين ضمن الكلمات التى تبدأ بحرف الباء .

● الحروف الهجائية أخذت مايقابلها من رقم مسلسل بداية من حرف الألف (١): وحتى حرف الياء (٢٨).

- ثم أخذت أسماء القرآن رقم (٢٩).
- وأسماء الجنة رقم (٣٠) .
- وأسماء القيامة رقم (٣١).
- وأخذت الصيغ الصرفية رقم (٣٢) .
- وأخذت الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة رقم (٣٣) .

رموز المعجم:

● بداية فقرة (كلام جديد) .

﴿ ﴾ قرآن كريم .

هـ سنة هجرية .

م سنة ميلادية .

❑ لتحديد مدخل جديد ، مثل : ❑ ٢/ ١٣ بسر - عبس .

أولًا

الفروق الدلالية
بين معانى الكلمات القرآنية

عدد المواد (١٣٥)

الحرف	العدد	الحرف	العدد
أ	٢٥	ب	٢١
ت	٣	ث	٣
ج	٩	ح	١٠
خ	٩	د	٢
ذ	١	ر	٦
ز	١	س	١١
ش	٢	ص	٦
ض	٢	ط	١
ظ	-	ع	٨
غ	١	ف	٤
ق	١	ك	-
ل	٣	م	-
ن	١	هـ	-
و	-	ى	-

حرف الألف (١)

(١)	أَبَقَ، فَرَّ، هَرَبَ	(٢)	الأَب، الوالد
(٣)	آتَى، أَعْطَى	(٤)	أَثاث، مَتاع
(٥)	أَثَر، عَلامة	(٦)	الإيثار، التَّفْضيل
(٧)	الإِثْم، الجُناح، الحُوب، الخطيئة، الذَّنْب، الزَّلَل، السَّيِّئَة، الفاحِشة، الفحشاء، المنكر، الوزر	(٨)	الأَجْر، الثَّواب
(٩)	إدّ، إِمْر، نُكْر	(١٠)	اسْتَأْذَنَ، اسْتَأْنَسَ
(١١)	الأَسَف، الأَسَى، البَثّ، الحُزْن، الحَسْرَة، الغَمّ	(١٢)	الأَشَر، البَطَر
(١٣)	أَفَكَ، صَرَفَ	(١٤)	الإِفْك، الكَذِب
(١٥)	آلَى، ائْتَلَى، أَقْسَم، حَلَفَ، يمين	(١٦)	أَمْت، عِوَج
(١٧)	الأَمَل، الرَّجاء، الطَّمَع	(١٨)	التَّأَمُّل، التَّدَبُّر، الاعتبار، التفكُّر
(١٩)	الأُمّ، الوالِدة	(٢٠)	الأَمْن، الطُّمَأْنينة، السكينة
(٢١)	الأَنام، البَشَر، النّاس	(٢٢)	الإيمان، التَّصْديق
(٢٣)	آنسَ، أَحَسَّ، شَعَر	(٢٤)	الأَوْبة، التَّوْبة، الإِنابة
(٢٥)	التأويل، التفسير .		

❑ ١/١ أَبَقَ - فَرَّ - هَرَبَ :

● الإباق فى اللغة: هروب العبد من سيِّده مستترًا مستخفيًا[١] .

● والفرار فى اللغة: الانكشاف والرَّوَغان والهروب[٢] .

● والهرب فى اللغة: الاشتداد والجِدُّ فى الذهاب بعيدًا فى حالٍ من الذُّعْر[٣] .

وقد وردت كلمة (أَبَقَ) فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى سورة الصافات:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ .

والمعنى أن يونس عليه السلام هرب بعيدًا عن البلد الذى أُوحىَ إليه فيه قاصدًا بلدًا آخر، تخلُّصًا من إبلاغ رسالة اللَّه إلى أهل (نِينَوى)، خوفًا من بأسهم . وفى الاستعمال القرآنى للفعل (أَبَقَ) استعارة تمثيلية، فقد شُبِّهَتْ حالة خروجه من البلد الذى كلَّفه ربُّه فيه بالرسالة - تباعدًا من كلفة ربِّه - بإباق العبد (هروبه) من سيِّده الذى كلَّفه عملًا[٤] .

وقد عَبَّر القرآن الكريم بلفظ (أَبَقَ) هنا على سبيل المجاز؛ لأن يونس عليه السلام خرج من غير إذن ربِّه، فَشُبِّه فعله بهروب العبد من سيِّده[٥] .

● فالملامح الدلالية التى تميِّز الفعل (أَبَقَ) فى الاستعمال القرآنى كما يتبين من هذه الآية الكريمة:

○ أن الإباق: تباعُد .

---

(١) مفردات الأصفهانى، مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، المحكم، اللسان (أ ب ق) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف ر ر) .

(٣) اللسان (هـ ر ب) .

(٤) التحرير والتنوير٢٣/ ١٧٣ .

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٣، البحر المحيط ٧/ ٣٧٥ .

○ وأنه مرتبط بخروج العبد وإفلاته من سيِّده .

○ وأنه بدون إذن .

○ ويراد به التخلُّص من التكليف .

○ وفيه استخفاء واستتار .

○ وفيه خوف .

● أمّا الفرار فالملاحظ فى الاستعمال القرآنى له فى عدة مواضع أنه يجمع بين معانى الخوف، والذهاب بعيدًا عن مصدر الخوف، ويختصُّ به التركيب (فرَّ + مِنْ)، واللجوء إلى مصدر الأمن والنجاة، ويختصُّ به التركيب (فرَّ + إلى)، وذلك كما يظهر من العرض التالى:

١- فَرَّ مِنْ: كما فى الآيات التالية:

- ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف :١٨ .

- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ الشعراء: ٢١ .

- ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ الأحزاب .

١- فرَّ إلى: كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ الذاريات .

وقد أجمل بعض الباحثين ما يميِّز الاستعمال القرآنى للفظ الفرار فى ثلاثة ملامح دلالية هى: الانكشاف، فالخوف، فالهرب، واستدل على ذلك ببعض آيات القرآن التى ورد فيها اللفظ، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف : ١٨ .

فهاهنا اطِّلاع أى (انكشاف أمرهم)، فخوف ورعب، فإسراع بالهرب إلى مكان آمن، وكذا قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ المدثر .

فالحُمُر انكشف لها الأسد، فخافت، فهربت بسرعة إلى مكان بعيد آمن[١] .

وأمّا الاستعمال القرآنى للفظ (الهرب) ففيه معنى التباعد، والاستتار، والجِدُّ فى ذلك . وذلك فى قول اللّه ﷻ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ الجن .

فالجنُّ تعلن عجزها عن الإفلات من قبضة اللّه ﷻ سواء بقوا فى الأرض أم حاولوا التباعد منها، وإن جَدُّوا فى ذلك واشتدُّوا فى التخفِّى والاستتار، حتى لو أرادوا بلوغ السماء[٢] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للألفاظ الثلاثة (أَبَقَ - فَرَّ - هَرَب) متقارب الدلالات، إذ يجمع هذه الألفاظ ملامح مشتركة هى:**

١- الحركة ٢- السرعة ٣- الخوف ٤- التباعد عن مصدر الخطر

وتتمايز هذه الألفاظ بملامح دلالية فارقة لكل منها، على النحو التالى:

● **أَبَقَ: يختص بالعبد دون الحرّ، والرغبة فى التخلص من المشقة .**

● **فَرَّ: يختص بملمح الانكشاف، وهذا عند تركيب الفعل مع حرف ابتداء الغاية (مِنْ)، ويختص بملمح اللجوء إلى مصدر الأمن، وهذا عند تركيب الفعل مع حرف انتهاء الغاية (إلى) .**

● **هَرَب: يختص بملمح الجِدّ والاشتداد فى التباعد عن مصدر الخطر .**

وملمح الاستتار والتخفِّى موجود فى الإباق والهرب، أمّا الفرار فقد يكون خُفْيَةً وقد يكون جهرًا، والأكثر أن يكون علانيةً لا سرًّا .

******

(١) الترادف فى القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، محمد نور الدين المنجّد، دار الفكر المعاصر: بيروت، دار الفكر: دمشق، ط١، ١٩٩٧، ص١٣٧، ١٣٨ .

(٢) انظر: البحر المحيط ٨/ ٣٥٠ .

❑ ٢/١ الأب - الوالِد:

• الأب فى اللغة: سبب وجود الشىء، أو إصلاحِه، أو ظهوره[١]، وسُمِّىَ الأبُ أبًا؛ لأنه يقوم على إصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء[٢].

• والوالد فى اللغة: الأب المباشر، الذى هو سبب وجود الابن[٣].

فالوالد خاصٌّ، والأب عامٌّ.

والاستعمال القرآنى للفظين يُراعِى ما لكلٍّ منهما من ملامح دلالية خاصة، فالأبُ يُطْلَق على الأب المباشر كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يوسف: ٤.

كما يُطْلَق على الجدِّ وإن علا، نحو قوله ﷻ:

- ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الحج: ٧٨.

وورد مجموعًا للدلالة على سلسلة الأجداد، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ البقرة: ١٧٠

- ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الشعراء.

وهذا الاستعمال القرآنى مرتبط باتِّساع الأصل اللغوى لكلمة (أب) وشمولها لكل ما كان سببًا فى وجود الشىء أو رعايته أو ظهوره.

أمّا (الوالد) فى الاستعمال القرآنى فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذى هو سبب وجود الابن، وفى أكثر المواضع جاء فى صيغة المثنى إيماءً إلى أن الأنثى هى الوالدة على الحقيقة، وأُلحِقَ بها الأبُ[٤]؛ لأنه السبب

---

(١) مفردات الأصفهانى (أ ب ا).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ ب و).

(٣) انظر: اللسان، مفردات الأصفهانى (و ل د).

(٤) انظر: خصائص التعبير القرآنى، د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى ٢٨٣/١

المباشر فى وجود الابن، ومن ذلك قول اللّه ﷻ:

- ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣ .

واستقراء الآيات التى ورد فيها لفظ (الوالد - الوالِدَيْن) يدلنا على دقة التعبير القرآنى؛ حيث إن الوالد - وهو الأب الأدنى (أى المباشر) دون غيره - قد استُعمِل فى سياقات تقتضى قوة الرابطة والعاطفة، نحو قول اللّه ﷻ:

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ؛ حيث المقام هنا مقام صلة روحية وعاطفية بين الوالد وولده، وقد نبَّه القرآن الكريم على قوة هذه الرابطة العاطفية فى قوله ﷻ:

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لقمان: ٣٣ .

فقد تضمَّنت الآية نفى النفع والشفاعة بأبلغ وجه، فكأنه قيل: إن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنَى الذىُ وِلِدَ منه لم تُقْبَل شفاعته، فضلًا عن أن يشفع لمن فوقه[(١)] .

ولم يرد الوالد مجموعًا فى القرآن الكريم، وفى هذا قرينة على أن هذا اللفظ مقصور على الأب المباشر دون غيره .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن القرآن الكريم راعَى فى استعمال هذين اللفظين (الأب - الوالِد) الملامح الدلالية المشتركة بينهما ، وهى:**
- **كونهما بمعنى السبب .**
- **دلالتهما على القرابة .**

وقد ميَّزَ الاستعمال القرآنى كلا اللفظين بملامح دلالية فارقة، فالملامح الدلالية الفارقة المميزة للأب:

---

(١) الترادف فى القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ص١٤٢؛ فروق اللغات، نور الدين الجزائرى، ص٦٢ .

● **دلالته على الأجداد .**

● **دلالته على الرعاية والتربية .**

بينما تَميَّز (الوالد) فى الاستعمال القرآنى بملامح فارقة هى:

● **دلالته على الأب المباشر أو الأدنى .**

● **وهذا بدوره يعنى: قوة الرابطة والصلة العاطفية .**

******

❑ ١/٣ آتى - أَعْطَى:

● الإيتاء والإعطاء فى اللغة مترادفان، فقد فسرت المعاجم الإيتاء بالإعطاء[١] .

وأمّا فى الاستعمال القرآنى للكلمتين فثَمَّة فروق دقيقة بينهما نلمحها من المقارنات التالية:

● لم يُستعمل الإيتاء إلّا للشىء الكثير والعظيم الشأن، كالمُلْك والحكمة والرحمة والخير والقرآن العظيم، ومن ذلك الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ البقرة: ٢٥١ .

- ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ .

- ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ آل عمران: ١٤٨ .

- ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ هود: ٢٨ .

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ الحجر .

● بينما قد يكون الإعطاء للشىء القليل، نحو قوله ﷺ:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ ت ى) .

- ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ النجم .

ولم يرد العطاء دالًّا على الشيء الكثير إلّا مقيَّدًا بما يدل على الكثرة، كما في قول اللَّه ﷻ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ الإسراء .

فإضافة العطاء إلى اللَّه ﷻ ونفى الحظر عنه - يُفيد كثرة هذا العطاء، وكذا قول اللَّه ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ الضحى، حيث أُسْنِدَ فعلُ الإعطاء إلى اللَّه ﷻ، كما وُصِفَ المُعْطَى بالرضا بهذا العطاء، ونحو ذلك يقال فى قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ الكوثر .

حيث صرّح بالشيء المُعْطَى وهو أكثر من الكثير (الكَوْثَر)، كما أن الفعل أُسند إلى اللَّه ﷻ، والمخاطَب به النبى ﷺ، وكل هذا يفيد أنه عطاء كثير وافر .

قال بعض المفسرين فى تعليل إيثار لفظ الإعطاء هنا على لفظ الإيتاء: لأن بعد الكوثر منازل أعلى، حيث يكون الانتقال إلى ما هو أعظم منه فى الجنة[١] .

● الإيتاء فيه قوّة ليست للإعطاء؛ لأن الإعطاء يتوقف على القبول، بينما الإيتاء لا يتوقف على القبول؛ ولذلك أُمر المسلمون بـ (إيتاء) الزكاة فى كثير من الآيات، نحو قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء: ٧٧، النور: ٥٦، المجادلة: ١٣، المزمل: ٢٠) .

بينما عُبِّر عن الجزية بـ (الإعطاء) فى قوله ﷻ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ التوبة .

وذلك لأن الجزية موقوفة على قبول مِنّا .

● الإيتاء يكون عن طيب قلبٍ، بينما قد يكون الإعطاء عن كُرْهٍ؛ ولذلك عُبِّر

---

(١) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى ٤/ ٨٥ .

عن إخراج الزكاة بالإيتاء؛ لأن المؤمن يعطى الزكاة عن طِيب قلب، بينما عُبِّر عن الجزية بالإعطاء؛ لأن الذمِّيَّ لا يعطى الجزية راضيًا، بل مُكْرَهًا[١].

• **ونخلُص مما سبق إلى أن الكلمتين (آتى - أَعْطى) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى معنى بذل الشىء، لكن يختص كل منهما بملامح دلالية تميِّزه:**

○ **فالإيتاء لا يكون إلا للشىء الكثير والعظيم، بينما قد يكون الإعطاء للشىء القليل أوالزهيد إلا إذا قُيِّد بما يدل على الكثرة.**

○ **والإيتاء فيه قوة؛ لأنه لا يتوقف على قبول، بينما الإعطاء يتوقف على القبول.**

○ **والإيتاء لا يكون إلّا عن رضا وطيب نفس، بينما قد يكون الإعطاء عن كُرْه.**

****

❑ ١/ ٤ أَثاث - مَتاع:

• الأَثاث فى اللغة: الكثرة والعِظَم من كل شىء. وقال الخليل: هو اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر، ومنه: شعر أَثيث، أى كثير، ويوصف به النبات الملتفّ[٢].

• والمتاع فى اللغة: ما يستمتع به الإنسان من حوائجه[٣].

وقد ورد اللفظان معطوفين بالواو فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ النحل.

وبين اللفظين عموم وخصوص، فالمتاع: كلُّ ما يُنتفَع به من أكل ولبس

---

(١) البرهان ٤/ ٨٥، معترك الأقران ٣/ ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٢) اللسان (أ ث ث) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ت ع) .

وحياة وحديث ، وأنس وغير ذلك[١] .

والأثاث: الكثير من المتاع، كما يتضح من التفسير اللغوى للفظ .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظ (أثاث - متاع) بينهما خصوص وعموم؛ حيث إن المتاع: كل ما يُتمتَّع به ، والأثاث: الكثير من المتاع .**

******

❑ ١/ ٥ الأَثَر - العَلامة:

● الأَثر فى اللغة: ما بَقِىَ من الشىء[٢].

● العلامة فى اللغة: السِّمَة المميِّزة للشىء[٣] .

وفى ثنايا التعريف القاموسى للفظين تفرقة دلالية دقيقة بينهما، حيث إنَّ الأثر: ما بقى بعد غياب الشىء أو معظمه؛ وعلى ذلك فقد يكون ظاهرًا، وقد يكون خفيًّا يحتاج إلى بحث وفحص للوقف عليه . أمّا العلامة ففيها ملمح الظهور المميِّز .

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذا الفارق الدلالى بين اللفظين، ولنتأمل الآيات التالية:

- ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ طه: ٩٦ .

أى: قبضة من آثار أقدام فرس جبريل عليه السلام عندما هبط ليأخذ موسى عليه السلام ، فقبض السامرىُّ قبضة من آثار الأقدام . . . وهذا الأثر ليس له وجود الآن، فالملمح المميِّز له إذن هو عدم الظهور . . وقد يكون ظاهرًا مثل أثر السجود

---

(١) تهذيب اللغة (م ت ع)، القرطبى ١/ ٣٢١ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ ث ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ع ل م) .

كما فى قول اللّه ﷻ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الفتح: ٢٩ .

وأثر السجود علامة تكون ظاهرة بالمداومة على الصلاة، وبقلّة الصلاة أو عدمها يذهب هذ الأثر ويختفى .

إذن فالأثر قد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًّا . أمّا العلامة فلابد فيها من الظهور والتميُّز، كما فى سورة النحل: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

قال المفسِّرون: "علامات" هى معالم الطرق وكل ما يَستدِلُّ به السائر من جبل ومنهل وغير ذلك[١] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن اللفظين (أثر - علامة) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث إنهما يشتركان فى معنى عام هو التدليل على الشىء والإشارة إليه .**

إلّا أن العلامة تختص بملمح الظهور والتميُّز، بينما قد يكون الأثر ظاهرًا، وقد يكون خفيًّا .

****

❑ ٦/١ الإيثار - التفضيل:

- (الإيثار) فى اللغة: تقديم الشىء واختصاصه بالفضل[٢].
- و(التفضيل) فى اللغة: الزيادة فى الفضل والخير[٣].

وقد راعَى القرآن الكريم السمات الدلالية الخاصة لكلا اللفظين، فاستعمل الإيثار بمعنى: تقديم الشىء على غيره، سواءٌ استحق التقديم أو لم يستحق، فمِمّا يستحق التقديم استعماله فى قول اللّه ﷻ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٤، البحر المحيط ٥/ ٤٨٠ .

(٢) اللسان (أ ث ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ف ض ل) .

ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يوسف: ٩١ .

ومما لا يستحق التقديم، ما ورد فى قوله ﷻ:

- ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ النازعات .

فهذا من تقديم الأدنى على الأعلى .

• أمّا التفضيل فقد استُعمل - حيثما ورد فى القرآن الكريم - بمعنى الزيادة فى الفضل والخير، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ البقرة : ٢٥٣ .

- ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ النساء .

• ونخلُص مما سبق إلى أنَّ الاستعمال القرآنى للفظين (آثَر - فَضَّل) قد فَرَّق بينهما ومَيَّزَ كُلًّا منهما بملامح دلالية خاصة، وإنْ تقارَبَ المعنيان واشتركا فى بعض الملامح الدلالية، فالملمح الدلاليُّ المشترك بينهما: التقديم .

واختص التفضيل بتقديم الأعلى على الأدنَى .

بينما الإيثار يُستعمل فى تقديم الأعلى على الأدنَى، وأيضًا فى تقديم الأدنَى على الأعلى .

******

❑ ١/ ٧ الإِثْم - الجُناح - الحُوب - الخطيئة - الذَّنب - الزَّلل - السيئة - الفاحشة والفحشاء - المنكر - الوِزر:

• الإثم فى اللغة: البُطْءُ والتأخُّر عن الخير، مأخوذ من قولهم: ناقة آثمة،

أى متأخِّرة فى سيرها ، لأنَّ ذا الإثمِ بطىءٌ عن الخير متأخِّر عنه[١] .

• والجُناح فى اللغة: المَيْل إلى الإثم والجناية والجُرم[٢] .

• والحُوب فى اللغة: بمعنى الإثم[٣]، وقيل: الإثم العظيم[٤] .

• والخطيئة: بمعنى الذَّنْب، وأصلها من خطا يَخْطُو، أى تعدَّى الشىءَ وذهب عنه، ويقال لمَنْ تعدَّى الخير وتركه: أخطأ وخَطِئَ خَطَأً وخطيئة؛ لهذا القياس[٥]. وفرَّق ابن منظور بين الخَطَأِ والخطيئة ، فنقل عن بعض اللغويين: الخطأ : ما لم يُتَعَمَّدْ. والخِطْءُ والخطيئة: الذَّنْب على عمد[٦].

• والزَّلَل فى اللغة: الخطأ والذنب؛ لأن المُخْطِئَ قد زَلَّ (أى انزلق) عن نهج الصواب[٧] .

• والذَّنْب فى اللغة: الجُرْم والمعصية[٨].

• والسَّيِّئة فى اللغة: الذَّنْب القبيح[٩] .

• والفاحشة فى اللغة: الذَّنْب القبيح الذى جاوز الحَدَّ فى القبح والشناعة، ومثلها الفُحْش والفحشاء[١٠] .

---

(١) مقاييس اللغة (أ ث م) .

(٢) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ج ن ح) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ح و ب) .

(٤) اللسان، النهاية (ح و ب) .

(٥) مقاييس اللغة (خ ط و) .

(٦) اللسان (خ ط أ) .

(٧) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ز ل ل) .

(٨) مقاييس اللغة، اللسان (ذ ن ب) .

(٩) مقاييس اللغة، اللسان (س و أ) .

(١٠) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ف ح ش) .

● والمُنْكر فى اللغة: ضد المعروف، وهو ما ينكره القلب ولا يسكن إليه[١] .

● الوِزْر فى اللغة: الثِّقَل، ومنه سُمِّى الذَّنْبُ وِزْرًا؛ لأنه يثقل صاحبه[٢] .

ومما سبق يتضح لنا أن الاستعمال اللغوى العادىَّ - كما أوردت المعاجم - لم يفرِّق بين أربعة من هذه الألفاظ، وجعل بينها ترادفًا تامًّا، وهى: الإثم، والخطيئة، والذَّنْب، والزَّلَل .

بينما خُصِّصت السَّيِّئةُ فى الاستعمال اللغوى بصفة القبح، وأشدُّ منها الفاحشة والفحشاء؛ وذلك لأنهما خُصِّصا بوصف آخر هو الشدة: شدة القبح والشناعة .

واخْتُصَّ المُنْكر فى الاستعمال اللغوى بملمح دلالى آخر هو: إنكار القلب له وعدم سكون النفس إليه، فالنفوس تنكره كأنها لا تعرفه، وكأنما فُطِرَتْ على خلافه فهى تأباه ولا تكاد تعرفه .

واخْتُصَّ الجُناح بملمح دلالى آخر، وهو كونه (مَيْلًا) إلى الإثم، وليس اقترافًا له .

واخْتُصَّ الوِزْر بملمح الثِّقَل .

والآن لننظرْ إلى الاستعمال القرآنى الحكيم لكل لفظ من هذه الألفاظ التى بدت فى الاستعمال اللغوى العادىِّ مترادفة تمامًا، أو بينها شبه ترادف، لنرى كيف تميَّز الاستعمال القرآنىُّ فى وضع كلِّ لفظ من هذه الألفاظ فى موضعه المناسب له بحيث لا يصلح غيره (مما يقاربه فى المعنى) بديلًا عنه .

● **الإِثْم:**

وردت كلمة (إِثْم) فى مواضع عديدة من الكتاب الكريم، ومن ذلك

(١) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ن ك ر) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (و ز ر) .

الآيات التالية:

- ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ البقرة: ٨٥ .

- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء .

- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ النساء .

- ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ المائدة .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الأعراف .

- ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ﴾ النجم : ٣٢ .

قال أبو حيان فى تفسير آية البقرة رقم (٨٥):

"الإِثْم فيه قولان: أحدهما أنه الفعل الذى يستحقُّ عليه صاحبه الذَّمَّ واللوم . والثانى: أنه الذى تنفر منه النفس ولا يطمئن إليه القلب" .

ودلَّت عبارته بعد ذلك على ترجيحه للمعنى الثانى؛ حيث ساق حديث النبى ﷺ: "الإثم ما حاك فى صدرك"[1] .

ونحن نذهب إلى ترجيح الوجه الذى رجَّحه أبو حيان فى تفسيره للإثم؛

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٩١، والحديث فى: صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب البر والصلة، باب تفسير الإثم والبر، رقم ٤٦٣٢، مسند أحمد : رقم ١٦٩٧٣، ١٧٢١٣، ١٧٣١٥، ١٧٣٢٠، ٢١١٧٤ .

لأن النبى ﷺ فسَّره، والسُّنَّة مُبَيِّنة للقرآن بلا نزاع . وقال النووى: معنى (حاكَ فى صدركَ) أى: تَحرَّكَ فيه وتَرَدَّدَ، ولم ينشرح له الصَّدر، وحصَل فى القلب منه الشَّكُّ وخوف كونه ذنبًا[١] .

وفى الإثم معنى التعمُّد كما يتضح من الشاهد الثانى، حيث فُسِّر الجَنَفُ بالميل عن الحق على سبيل الخطأ، والإثم بتعمُّد الجور والظلم والأذى[٢] .

وتشير الآية الثالثة (النساء : ٤٨) إلى عظم وجسامة الإثم ؛ حيث جعل الشِّرك باللَّه - وهو أعظم الذنوب - إثمًا عظيمًا .

وفى الآية الرابعة (النساء: ١١٢) عُطِف الإثم على الخطيئة بأو، وعلى البهتان بالواو، والعطف بـ(أو) يدل على المغايرة فى المعنى بين الإثم والخطيئة، وللمفسرين فى ذلك أقوال عديدة، فبعضهم جعلهما بمعنى واحد، وأكثرهم رجَّح أن المراد بالخطيئة: صغائر الذنوب، وبالإثم: كبائر الذنوب . . . وثمة أقوال أخرى غير ذلك، على أن الأرجح من بين هذه الأقوال كما يوحى به نَظْمُ الآية الكريمة - حيث العطف يوجب المغايرة، وفى ضوء استقراء النصوص الأخرى التى ذُكِرَ فيها الإثم - أن المراد بالخطيئة: المعصية الصغيرة، والمراد بالإثم: المعصية الكبيرة . وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[٣] .

وفى الآية الخامسة (المائدة: ٦٢) يتعاظم معنى الإثم، حتى فسَّره البعض فى هذه الآية بكلمة الشرك[٤] . على أن التفسير الذى اعتمده الزمخشرى وغيره للإثم هنا هو: الكذب، بدليل قوله ﷻ فى الآية التالية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، الموضع السابق .

(٢) الكشاف ١/ ٣٣٤، البحر المحيط ٢/ ٢٣ .

(٣) انظر: الكشاف ١/ ٥٦٣، البحر المحيط ٣/ ٣٤٦، التحرير والتنوير ٥/ ١٩٦، التفسير الوسيط ٣/ ٤٠٠ .

(٤) انظر: الكشاف ١/ ٦٢٦ .

وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المائدة .

والإثم فى الآية السادسة (الأعراف : ٣٣) : عامٌّ فى كل ذنب[1]، وكذا فى الآية السابعة (النجم : ٣٢)[2] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن (الإثم) فى الاستعمال القرآنى يتميز بملامح دلالية خاصة، هى أنه:**

١) فعل قبيح يستوجب الذمَّ واللوم .

٢) تنفر منه النفوس ولا تطمئن إليه القلوب .

٣) لفظ عام يشمل صغائر المعاصى وكبائرها، وغلب استعماله فى الكبائر .

٤) فيه تعمُّد .

● **الجُناح:**

تكرَّر ذكر الجُناح فى مواضع كثيرة من كتاب اللَّه الحكيم، ومن ذلك الآيات التالية :

- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ﴾ النور: ٢٩ .
- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ الأحزاب: ٥ .

أول ما يُلاحظ فى الاستعمال القرآنى لهذه الكلمة أنها وردت منفية فى جميع مواضعها (٢٤ موضعًا)، وهذا يعنى الإباحة لكل ما ذُكِرَ فى تلك المواضع، فنفى الجُناح تخييرٌ بين الفعل والترك[3] .

ومعنى الجُناح حيثما وقع فى القرآن الكريم: المَيْل إلى الإثم، كما فى

---

(١) الكشاف ٢/ ٧٧، التحرير والتنوير ٨/ ١٠٠، ابن كثير ٢/ ٢١١ .

(٢) الكشاف ٤/ ٣٢، البحر المحيط ٨/ ١٦٤، التحرير والتنوير ٢٧/ ١٢١ .

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٥٧، الكشاف ١/ ٣٢٤ .

اشتقاقه فى اللغة؛ إذ هو مشتقٌّ من (جَنَحَ) أى مال[١] . ولكن الاستعمال القرآنى للفظ يجعله أعمَّ من الإثم ؛ لأن الإثم يقتضى العقاب، أمّا الجُناح فيُستعمَل فيما يقتضى العقاب وفيما يقتضى الزجر دون العقاب[٢] .

● والملامح الدلالية المميزة للجُناح كما يُستفاد من الآيات التى ورد فيها :

١- عموم معناه، فهو أعم من الإثم والذَّنْب .. وغيرهما ؛ لأن الجُناح قد يقتضى العقاب، أو ما دون العقاب كالزجر .

٢- فيه معنى الميل إلى المعصية وإن لم يقع فيها .

٣- كما يُلاحَظ أنه استُعْمل منفيًّا فى جميع مواضعه من القرآن الكريم، وهذا يعنى التخيير بين الفعل والترك .

● الحُوب:

وردت هذه الكلمة فى موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ النساء .

والحُوب هنا: الذَّنْب العظيم الكبير[٣]. قال الزمخشرى فى سرِّ استعمال هذه الكلمة هنا:

"فإن قلتَ: قد حُرِّمَ عليهم أكْلُ مال اليتامَى، فلِمَ وَرَدَ النهى عن أكله مع أموالهم؟ قلتُ: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم اللَّه من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها، كان القبح أبلغَ والذمُّ أحقَّ . . .

(١) مفردات الأصفهانى (ج ن ح) .

(٢) انظر: البحر المحيط ٢/ ٩٤ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٥٣ .

والحُوب: الذَّنْب العظيم[١]" .

وذكر أبو حيان ثلاثة معانٍ للحُوب: الإثم، والظلم، والوحشة[٢] .

واللفظ يحتمل المعانى الثلاثة معًا، إذ هو إثم على فاعله، وظلم لِمَنْ وقع عليه، ووحشة بينهما، وكل هذا يجعل الحُوب ذنبًا كبيرًا؛ لما فيه من ظلم وجلب للوحشة والجفاء، وإضاعة للحُرمة والحقوق ؛ ويشهدا لهذا قول النبى ﷺ لأبى أيوب لمّا أراد طلاق أمّ أيوب رضى اللّه عنهما : "إن طلاق أمّ أيوبَ لَحُوبٌ" ، أى: لَوَحْشَةٌ وإثم[٣] .

● الخَطَأ والخطيئة والخِطْءُ:

وردت كلمة (خَطَأ) فى القرآن الكريم مرتين فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ﴾ النساء: ٩٢ .

والخطأ هنا كما أوضح أبو حيان فعلٌ غير اختيارى، والمعنى : ما ينبغى للمؤمن أن يقتل مؤمنًا متعمّدًا، ولكن يقع ذلك منه خطأً .

وأما الخطيئة فتكرر ورودها فى القرآن الكريم مفردة، ومجموعة (خطايا - خطيئات)، ومن ذلك قول اللّه ﷻ:

- ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ النساء

(١) الكشاف ١/ ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٦١

(٣) الحديث وشرحه فى: النهاية لابن الأثير ١/ ٤٥٥ .

- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ طه: ٧٣ .
- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ الشعراء .
- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ الأعراف : ١٦١ .

وقد سبق الكلام على الخطيئة عند الكلام على الإثم، وأن المراد بالخطيئة: صغائر الذنوب .

ولعلَّ الآيات الأخرى المذكورة هنا توضِّح بجلاء هذا المعنى، ففى آية البقرة (٨١) جُعِلَ مَنْ أحاطت به خطيئته من أهل النار؛ لأن مَنْ كان هذا شأنه فلا يكون مؤمنًا؛ إذ إن المؤمن لا تحيط به خطيئته، بل لا يخلو من عمل صالح، وبذلك تَعَيَّنَ أن المراد بتخليد مَنْ أحاطت به خطيئته فى النار كونُه كافرًا، قد تجرَّأ على كل الخطايا حتى أحدقت به فلم تترك له منفذًا[١] .

وفى آية الشعراء (٨٢) أُضيفت الخطيئة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، مما يقطع بأنها صغيرة؛ لأن الأنبياء - صلوات اللّه وسلامه عليهم - معصومون من الكبائر .

● **وهكذا يتضح أن الخطيئة تعنى: الذَّنْب الصغير، وأكثر استعمالاتها فيما لا يكون مقصودًا لنفسه، بل يكون القصد سببًا لتولُّد ذلك الفعل منه، كمن رمى صيدًا فأصاب إنسانًا[٢] .**

● **وأمّا الخِطْءُ فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:**

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ الإسراء : ٣١ . **أى: ذَنْبًا عظيمًا[٣]، وفيه عمد[٤] .**

---

(١) التحرير والتنوير ١ / ٥٨١ .

(٢) مفردات الأصفهانى (خ ط أ) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨ .

(٤) التحرير والتنوير١٥/ ٨٨ .

● **الذَّنْب :**

وردت كلمة (ذَنْب) مفردة ومجموعة فى العديد من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ آل عمران .

يتضح من هذا الشاهد أن الذنب يشمل ما تقدَّم من الفاحشة وظلم النفس؛ فالفاحشة الفعلة متزايدة القبح، وظلم النفس من الصغائر[1]، أو من الكبائر التى يقتصر ضررها على النفس ولا تتعدَّى إلى الغير[2] .

● **فالذَّنْب : أعم ألفاظ هذا الباب ؛ لأنه يشمل الصغائر والكبائر ، كما يشمل كل ما لا تحمد عُقْباه؛ ولذلك قال موسى عليه السلام : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ الشعراء . فجعل لهم عليه ذَنْبًا، أى جناية تُسْتَوْخَم عُقْباها عندهم[3]، والذَّنْب - فى الأعم الأغلب - يكون بين الإنسان وربِّه .**

● **الزَّلَل :**

ورد مشتقات هذا اللفظ فى القرآن الكريم أربع مرات، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ البقرة .

ورد فى تفسير (زَلَلْتُمْ) هنا عدَّة تفسيرات، منها : عصيتم، كفرتم، أخطأتم، ضللتم .

---

(١) الكشاف ١/ ٤٦٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٤/ ٩٢ .

(٣) مفردات الأصفهانى (ذ ن ب) .

ورجَّح أبو حيان أنها بمعنى كفرتم، نقله عن ابن عباس، قال: "وهو الظاهر؛ لقوله ﷻ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ : أى الإسلام، ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ : عن الدخول فيه . . . وأصل الزَّلَلِ للقدم، يقال: زلَّتْ قدمه، ثم يُستعمل فى الرأى والاعتقاد"[1] .

ولعل عبارة الراغب الأصفهانى تكشف بعض غموض المعنى فى الزلل، قال: "الزَّلَّةُ فى الأصل: استرسال الرِّجْلِ من غير قصد، وقيل للذَّنْب من غير قصدٍ: (زَلَّةٌ) تشبيهًا بزَلَّة الرِّجل . . . وقوله ﷻ:

- ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ آل عمران: ١٥٥ .

أى: اسْتَجَرَّهم الشيطان حتى زلُّوا، فإنَّ الخطيئة الصغيرة إذا ترخَّص الإنسان فيها تصير مسهِّلة لسُبُل الشيطان على نفسه"[2] .

وعلى هذا يكون المراد بقول اللَّه ﷻ: ﴿زَلَلْتُم﴾ فى سورة البقرة: اتَّبعتم وَسْوَسة الشيطان وتزيينه الصغائر حتى انزلقتم وأخطأتم .

● ومجمل القول أن المراد بالزَّلَل فى الاستعمال القرآنى: الخطأ الصغير غير المقصود، الذى يَجُرُّ فاعلَه إلى ما هو أعظم .

● **السَّيِّئة:**

وردت كلمة (السَّيِّئة) فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، مفردة، ومجموعة، ومن ذلك الآيات التالية: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ النساء .

---

(١) البحر المحيط ٢/ ١٢٣ .

(٢) مفردات الأصفهانى (زل ل) .

والسيئة فى الاستعمال القرآنى: الفعلة القبيحة، وهى ضد الحسنة، والحسنة والسيئة ضربان:

○ أحدهما بحسب اعتبار العقل والشرع نحو المذكور فى قول الله ﷻ:

- ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١٦٠﴾ الأنعام: ١٦٠ .

وحسنة وسيئة باعتبار الطبع وما يستقبله[1]، كما فى قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ الأعراف: ١٣١ .

ومن الشواهد السابقة يتَّضح أن السيئة فى القرآن الكريم هى: الذَّنْب القبيح الذى يسوء صاحبه، ويسوء فى عيون الناس، أى يُسْتَقْبَح، وهو المعنى اللغوى للفظ، ولكن غلب استعماله فى القرآن الكريم للدلالة على ما يكون بين الإنسان والناس .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظ (السَّيِّئة) فى الاستعمال القرآنى يتميز بملامح دلالية خاصة، هى أنه:**

١- فعل قبيح .

٢- بين الإنسان والآخرين .

٣- تشين صاحبها .

● **الفاحشة - الفحشاء:**

لفظ الفاحشة يدلّ فى أصل معناه على ما عظُم قبحه من الأفعال والأقوال، أو كما قال ابن فارس: "الفاء والحاء والشين كلمة تدل على

---

(١) مفردات الأصفهانى (س و أ) .

قبح فى شىء وشناعة"[١] .

وقد تفرَّع عن هذا المعنى العام جملةُ معانٍ قرآنية حدَّدها السياق اللغوى أو سياق الموقف؛ فهى تارة تعنى اللواط، كقوله تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ النمل .

- وتارةً تعنى الزنا كقوله تعالى : ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ النساء: ١٥ .

وتارة تعنى مطلق العقل القبيح، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ آل عمران .

وقد سبق فى المعنى اللغوى أن الفحشاء هى: ما يتجاوز الحد فى القبح من المعاصى والذنوب .

● **وهى كذلك حيثما وردت فى القرآن الكريم؛ وعلى ذلك فالملامح الدلالية لهذين اللفظين المترادفين، هى:**

- **الفعل القبيح .**
- **شدة الاستهجان .**
- **التعمُّد .**
- **شدَّة الاستنكار والنفور .**

● المُنْكَر:

تكرر ذكر المُنْكَر فى القرآن الكريم، ولعل أوضح شاهد لتفسير معناه هو قول اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

المُنْكَر: كل فعلٍ تحكم العقول الصحيحة بقبحه[٢]، وهو عام فى كل

(١) مقاييس اللغة (ف ح ش) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ن ك ر) .

مكروه تنفر منه القلوب وتأباه النفوس المعتدلة[١]، كأنها لا تعرفه من شدة قبحه وبُعْدِه عن السلوك السوىِّ المستقيم .

وعلى هذا فالمُنْكَر: أشد الذنوب وأفظعها بعد الفاحشة التى هى اسم جامع لكل عملٍ تستفظعه النفوس لفساده، من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق . . . إلخ[٢] .

● **الوِزْر:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة، منها قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ الأنعام: ١٦٤ .

والمشار إليه بالوِزْر فى القرآن الكريم: حال صاحب الذَّنْب، وما يتحمله من عِبءٍ وثقلٍ يرهقه ويؤذيه .

● **فكأن الوِزْرَ هو الإحساس المصاحب للذنب ووطأته على نفس صاحبه .**

● **ونخلُص مما سبق إلى دقة الاستعمال القرآنى لتلك الكلمات، إلى حدٍّ يعجز عنه البشر .**

فهذه كلمات تقاربت معانيها فى العربية إلى حدِّ الترادف أو التطابق التامِّ، لكن لكل منها فى الاستعمال القرآنى الحكيم ملامح وسمات خاصة لا نجدها فى الخطاب العادى . وسبحان اللَّه الذى فصَّل آياته وأحكمها، هذا الإحكام الذى تذهل له العقول، وتخشع له القلوب، وتخضع الأعناق .

فكل هذه الألفاظ تدل على فعل يستوجب اللوم والذمَّ، لكن لكل منها سياقه الذى لا يصح فيه غيره ولا يغنى عنه فيه مُقارِبُه.

○ فالإثم عام فى كل الذنوب، وإن غلب استعماله فى الكبائر .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

○ والجُناح أعمُّ من الإثم؛ لأنه يشمل الوقوع فى المعصية، كما يشمل الميل إليها دون مقارفتها .

○ والحُوب: إثم وظلم ووحشة وجفاء .

○ والخطيئة: ذنب صغير ليس فيه عَمْدٌ، والخِطْءَ ذنبٌ فيه عمد .

○ أما الذَّنْب فيشمل كل جُرم تُسْتَوْخَم عاقبتُه فى الدنيا والآخرة .

○ والزَّلَل: الانزلاق إلى الذنوب والمعاصى، مما يجرّ الإنسان من الصغيرة إلى الكبيرة .

○ والسَّيِّئة: الذنب القبيح الذى يسوء صاحِبَه ويراه الناس سيِّئًا، ففيه معنى المجاهرة .

○ والفاحشة: ما اشتدَّ قبحه وتجاوز الحدَّ فى الشناعة من المعاصى والذنوب، وتستنكره النفوس وتأباه الفِطْرة السليمة .

○ والمُنْكَر: ما تُنكره القلوب وتستفظعه النفوس، ولكنه أخفُّ من الفاحشة التى لا يخفى على أحد قبحها وشناعتها .

○ والوِزْر: ثِقَل الذنب على فاعله، فهو منظور فيه إلى شعور مقترفِه، وبخاصة يوم القيامة حين يحمل كل إنسان ما كسب من خير أو شرٍّ، فيكون للشر ثقله ووطأته التى هى بمنزلة حمل ثقيل يحمله فوق ظهره . . فسبحان مَنْ هذا كلامه!!

******

❑ ٨/١ الأَجْر - الثَّواب:

● **الأَجْر فى اللغة له معنيان: جزاء العمل، وجَبْرُ العظْم المكسور .**

ويجمع بين المعنيين أن أُجْرة العامل بمنزلة تعويض يتلقّاه جزاء ما بذله من

كَدٍّ وجهد، فهذا التعويض كأنه شيءٌ يُجْبَرُ به كما يُجْبَر العظم المكسور[١] .

● والثواب فى اللغة: العَوْدُ والرجوع، يقال: ثاب يَثُوب إذا رَجَع[٢]، ومن هذا المعنى أخذ الثواب بمعنى الجزاء على العمل؛ إذ الجزاء لونٌ من رجوع أثر العمل على فاعله .

والاستعمال القرآنى للكلمتين يَقِفُنا على استقلال كلٍّ منهما بملامح دلالية تميِّزه .

فالأجر فى القرآن الكريم لابُدَّ أن يسبقه عمل وجهد وبذل، سواءٌ أكان الأجر فى الآخرة، كما فى قول اللَّه ﷻ: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾**﴾ البقرة .

- ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ (يونس: ٧٢، هود: ٢٩، سبأ: ٤٧) .

أو كان هذا المقابلُ دنيويًا، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء: ٢٤ .

سُمِّى مهر الزوجة أجرًا؛ لإثبات أحقيَّته .

- ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ القصص: ٢٥ .

وقد يكون الأجر من اللَّه ﷻ، كما قد يكون من الناس، ولا يكون الأجر إلّا بالخير كما فى جميع المواضع من الكتاب الحكيم .

أمّا الثواب فى الاستخدام القرآنى فقد يكون بالخير، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ آل عمران .

---

(١) مقاييس اللغة (أ ج ر) .

(٢) مقاييس اللغة (ث و ب) .

وهذا هو الغالب، لكن قد يكون بالشر كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

وذلك لأن الثواب - كما سبق - مشتق من الرجوع، والجزاء رجوع على المرء بما فعل إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، أما الأجر فهو تعويض يُعْطَى مقابل جهد أو بَذْلٍ؛ ولذلك لا يكون شرًّا قط .

كما أن الثواب لا يكون إلّا من اللّه ﷻ .

• ونخلُص مما سبق إلى أن الكلمتين (أَجْر - ثواب) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى ملمحين دلاليين هما:

• المكافأة .

• كلاهما قد يكون فى الدنيا أو فى الآخرة .

بينما اختص الأجر بملامح فارقة هى:

• أن يسبقه جهد أو بذل .

• قد يكون من اللّه ﷻ ، أو من الإنسان .

• لا يكون إلّا بالخير .

على حين تميز الثواب بالملامح الفارقة الآتية:

• أنه لا يكون إلّا من اللّه ﷻ .

• قد يُستعمَل فى الشرّ .

****

❏ ٩/١ إِدّ - إِمْر - نُكْر (نُكُر):

لا تسعفنا المعاجم اللغوية بفارق واضح بين هذه الألفاظ، كما يلى:

• الإدُّ في اللغة: الأمر العظيم الشديد العجيب الفظيع[١] .

• والإمْر في اللغة: المنكر العظيم الشنيع[٢] .

• والنُّكْر في اللغة: الأمر الشديد[٣]؛ لأن القلب لا يسكن إليه فكأنه يُنكره ولا يعرفه[٤] .

وقد ورد لفظ (الإدّ) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ مريم .

أي: شيئًا عظيمًا منكرًا فظيعًا، حتى إنَّ السماوات والأرض والجبال تستعظمه لشدَّة هوله وفظاعته ونكره[٥]، فقد بلغ من فظاعة هذا القول أن يؤثِّر في الجمادات ويُغيِّر كيانها[٦].

وأمّا كلمة (إمْر) فجاءت في القرآن الكريم مرة واحدة أيضًا، في قول اللَّه ﷻ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ الكهف .

أي: شيئًا عظيمًا، والإمْر مأخوذ من قولهم: أَمِرَ الأمْرُ، أي عَظُمَ[٧] .

أما كلمة (نُكْر) فتكررت في القرآن الكريم أربع مرات:

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ د د) .

(٢) اللسان (أ م ر) .

(٣) المحكم، اللسان (ن ك ر) .

(٤) مقاييس اللغة (ن ك ر) .

(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٥ .

(٦) التحرير والتنوير ١٦/ ١٧١ .

(٧) الكشاف ٢/ ٤٩٣ .

- ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ الكهف : ٧٤ .
- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ الكهف .
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ القمر .

اختلف فى النُّكر: هل هو أشدُّ من الإمْر أَمْ أخفُّ منه؟ فقيل: النُّكر أشدُّ؛ ولذلك وُصِف به فِعْلُ القتل الذى حدث فعلًا ولا يمكن تدارُكه، بينما وُصِف خَرْق السفينة بالإمْر؛ لأن خرقها يمكن تدارُكه بالسَّدِّ .

وقيل: بل الإمْر أشدُّ؛ ولذا وُصِف به خرق السفينة، بينما وُصِف قتل الغلام بالنُّكر؛ لأن قتل نفس واحدة أهوَنُ من إغراق أهل السفينة[١] .

والذى يبدو لنا أن النُّكْر أشدُّ من الإمْر؛ لأن الإمْر يُوصَف به الشىء العظيم سيِّئًا كان أم حسنًا، أمّا النُّكر فلا يُوصَف به إلّا ما تنكره القلوب وتستقبحه العقول .

وأشدُّ منهما (الإدُّ)؛ لأن فيه معنى العجب والفظاعة والنكارة والشدَّة .

• ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ (إدّ - إمْر - نُكْر) متقاربة المعانى؛ حيث تشترك جميعها فى العِظَم والعجب والفظاعة، لكن هذه الألفاظ تتدرَّج فى التعبير عن هذا:

• فأوَّلُها وأشدُّها الإدُّ؛ ولذا ورد فى التعبير عن فظاعة الشرك بالله .

• ثم النُّكْر، وهو وسط بينهما؛ ولذلك جاء فى التعبير عن فظاعة القتل .

• ثم الإمْر، وهو أقلُّها؛ ولذلك استُعْمِل فى التعبير عن خَرْق السفينة، وهو أمْرٌ قد يُفْضِى إلى إغراقها ومَنْ فيها، ولكن يمكن تدراكه بسدِّ الخرق .

****

---

(١) الكشاف ٢/٤٩٣ ، ٤٩٤، البحر المحيط ٦/ ١٥٠ ، ١٥١ .

❑ ١/ ١٠ الاستئذان - الاستئناس:

• الاستئذان فى اللغة: طلب الإذن . وأصل الإذن: الإعلام بالشىء[١]، وجاءت صيغة الاستفعال للدلالة على الطلب، كأنه يطلب سماعَه والسماح له بما يطلبه .

• والاستئناس فى اللغة: طَلَبُ الأُنْس وعدم الوحشة والنفور . والأُنْس: كل شىءٍ خالف طريقة التوحُّش[٢] .

وقد راعَى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى اللطيف بين اللفظين، فجاء الاستئذان بمعنى طلب الإذن بالشىء والترخيص فيه، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ النور: ٥٨ ، ٥٩ .

والآية تقرِّر حكمًا شرعيًا؛ لذا جاء لفظ الاستئذان مقصودًا، إذ المراد طلب الأمر وإباحة الشىء، وليس إزالة الوحشة أو النفور .

على حين جاء الاستئناس فى مقام الأدب وتعليم خُلُق المعاشرة والمخالطة بين الناس وتأليف قلوبهم، وذلك فى قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ النور: ٢٧ .

وإنْ كان المقام هنا مقام تشريع واجب الاتِّباع، فإن فيه - علاوة على ذلك - تعليم أدبٍ رفيع للمؤمنين، فليس المراد طلب الإذن فحسب، ولكن

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (أ ذ ن) .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (أ ن س) .

يُرادُ أيضًا إزالة الوحشة والنفور . ففى لفظ الاستئناس هنا كناية لطيفة عن الاستئذان، أى أن يطلب الداخل إذنًا من شأنه ألّا يكون معه استيحاش، وفى التعبير بلفظ الاستئناس إيماءٌ إلى عِلَّةِ مشروعيَّةِ الاستئذان، وذلك عَوْنٌ على توفُّر الأُخُوَّة الإسلامية[١] .

• **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (الاستئذان - الاستئناس) فى القرآن الكريم بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى معنى طلب السَّماح، وينفرد الاستئناس بملمح زوال الوحشة والتلطُّف فى الطلب .**

******

❑ ١١/١ الأَسَف - الأَسَى - البَثّ - الحزن - الحسرة - الغَمّ:

• الأَسَف فى اللغة: المبالغة فى الحزن والغضب[٢] .

• والأَسَى فى اللغة: الحزن[٣] .

• والبَثُّ فى اللغة: تفريق الشىء وإظهاره، ومنه سُمِّىَ الحُزْنُ؛ لأنه شىءٌ يُشْتَكَى ويُبَثُّ ويُظْهَر[٤] .

• والحُزْنُ فى اللغة: نقيض الفرح[٥]، مأخوذ من الحَزْن، وهو ما غَلُظَ من الأرض وخَشُنَ[٦] .

• والحَسْرَة: التلهُّف على أمرٍ فات، مأخوذة إمّا من قولهم: حَسَرَ عنه ثيابه

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/١٩٧ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ س ف) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (أ س ا) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ب ث ث) .

(٥) اللسان (ح ز ن) .

(٦) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ح ز ن) .

أو دِرْعَه، أى: أزاله وخلعه فانكشف؛ وذلك لأن شدَّة التلهف والندم فيها كشف لحال صاحبها، فيظهر أمره جليًّا عليه .

وإمّا أن تكون مأخوذة من قولهم: حَسَرَت الناقةُ أو الدابَّةُ، إذا انقطع سيرُها ولم تعد تَقْوَى على السَّيْر، وحَسَر البصرُ إذا كَلَّ؛ لأن الحسرة حزن وندم شديدان تجعل صاحبها حسيرًا أى كَليلًا ضعيفًا لا يقوَى على احتمال ما هو فيه من حال الحزن والندم، إعياءً وضعفًا كالدابة الحَسْرَى(١) .

• والغَمُّ فى اللغة: الكَرْب الشديد الثقيل، وأصله بمعنى التغطية والإطباق، يقال: غَمَمْت الشيءَ أى غطَّيتُه، ومنه: غُمَّ الهلالُ، أى لم يتبيَّن وحالَ دون رؤيته غيمٌ يحجبه(٢) .

ومما سبق يتضح أن هذه الألفاظ متقاربة المعانى، فأعَمُّها الحزن، ويرادفه الأَسَى، وبقية الكلمات لها ملامح دلالية تميِّزها:

- فالأسَى: يميزه الامتزاج بين الحزن والغضب، بالإضافة إلى ملمح الشدَّة .

- والبَثّ: يميِّزه ملمح الظهور والإفضاء بمكنون النفس إلى الآخرين .

- والحَسْرَة: تجمع بين الحزن، واللهفة، والندم، والضعف، بالإضافة إلى تعلُّقها بما فات، مع ملمح الشِّدَّة أيضًا .

- والغَمُّ: يميِّزه ملمح الإطباق، أى ثقل الحزن على نفس صاحبه حتى يشمله فيكاد أن يغطيه .

وقد راعَى القرآن الكريم ما بين هذه الكلمات من ملامح دلالية فارقة، على النحو التالى:

---

(١) مقاييس اللغة، النهاية، مفردات الأصفهانى، اللسان (ح س ر) .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (غ م م) .

● الأَسَف:

وردت هذه الكلمة فى خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ الأعراف: ١٥٠ .

- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ الكهف .

اختلف المفسِّرون فى معنى الأَسَف، فقال بعضهم:

الأسف: أشد الغضب .

وقال بعضهم: الحُزْن .

وقال بعضهم: الجَزَع .

وقال بعضهم: التلهُّف[١] .

واحتجَّ القائلون بأن الأسف هو الغضب بقول اللّه ﷻ:

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الزخرف .

أى: لَمّا أغضبونا .

واحتجَّ القائلون بأن الأَسَف هو الحُزْن بحديث عائشة رضى اللّه عنها قالت: « إنَّ أبا بكر رجلٌ أَسِيف » . أى حزين[٢] .

وجمع الواحدىُّ بين الغضب والحزن فى معنى الأسف فقال: والقولان متقاربان؛ لأن الغضب من الحزن، والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضِبت، وإذا جاءك ممَّن هو فوقك حزِنت، فتُسَمَّى إحدى هاتين الحالتين غضبًا، والأخرى حزنًا[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٨، الكشاف ٢/ ١١٨، البحر المحيط ٤/ ٣٩٤ .

(٢) تفسير الرازى (مفاتيح الغيب) ٤/ ٣٠٢ .

(٣) نقله أبو حيان فى: البحر المحيط ٤/ ٣٩٤، والرازى فى تفسيره: ٤/ ٣٠٢ .

وفسَّر الزمخشرى الأسف بأنه أشد الحزن والحسرة والجزع، مع دوام تلك الحال بصاحبها واستمرارها وإن تقادم عهدها[١]، وذلك فى كلامه على قول اللّه ﷻ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ يوسف.

والقول ما قال الزمخشرى؛ فسياق الآيات يؤكِّد هذا المعنى، فإن حزن يعقوب على يوسف - عليهما السلام - كان حزنًا شديدًا تطاول عهده، وبلغ به الجزع أن كُفَّ بصره . . إلى آخر ما هو معروف من قصة يوسف عليه السلام.

أمّا قول اللّه ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الزخرف، فقد نُقل فيه تفسيران لابن عباس: أحدهما: أغضبونا، والثانى: أحزنوا أولياءنا المؤمنين[٢].

فالأسف هنا يحتمل المعنيين: الغضب والحزن.

ولذلك يمكننا أن نقول: إن الأسف فى القرآن الكريم يجمع بين عدة معانٍ: الحزن، والغضب، والجزع، ودوام هذه الحال وشدَّتها.

● **الأَسَى:**

وردت هذه الكلمة فى أربعة مواضع من القرآن الكريم:

- ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ المائدة.
- ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ المائدة.
- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ الأعراف.
- ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ الحديد: ٢٣.

---

(١) الكشاف ٢/٣٣٨.

(٢) البحر المحيط ٨/٢٣.

والمفسِّرون - فى معظمهم - على أن الأَسَى مرادف للحزن، أو الحزن الشديد[١] .

وزاد الزمخشرى فى تأويل آية الحديد: المنهىُّ عنه هنا: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر اللَّه ورجاء ثواب الصابرين[٢].

وهذا الذى ذكره الزمخشرى هو الأقرب لسياق الآيات؛ فكل المواضع التى استُعمل فيها الأسى ارتبط بما فات، كما أن فيها نهيًا أو استنكارًا، والحزن وحده لا يُستنكر، فلا بد أن يكون "الأسى" شيئًا آخر أو نوعًا من الحزن يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر اللَّه .

ونخلُص من ذلك إلى أن الأسى فى الاستعمال القرآنى: حزن شديد فيه جزع وذهول، وهو مستنكر .

● البَثُّ:

وردت كلمة (البَثّ) - بمعنى مقارب لمعنى الحزن - فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦ .

قال أكثر المفسرين: البَثُّ أشد الحزن؛ سُمِّىَ بذلك لأنه من صعوبته لا يطيق حمله فيبثه أى ينشره[٣] .

وعطف البَثّ على الحزن قرينة على اختلاف معناهما، والملمح المميِّز للبَثّ - بالإضافة إلى الشدة والصعوبة - هو: الإفضاء به وإظهاره .

---

(١) الكشاف ١(٦٠٦، ٦٣١)، ٢ (٩٧)لله البحر المحيط ٣ (٤٥٩، ٥٣١)، ٨ (٢٣٥)لله التحرير والتنوير ٦(١٦٨، ٢٦٧)، ٩ (١٥) .

(٢) الكشاف ٤/٦٦ .

(٣) البحر المحيط ٤/٣٣٩، الكشاف ٢/٣٣٩ .

● الحُزْن:

وردت مادة (الحُزْن) فى القرآن الكريم ٤٢ مرة، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:
﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة .

وتكررت جملة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فى عدَّة مواضع من كتاب اللَّه ﷻ: (البقرة: ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، المائدة: ٦٩، الأنعام: ٤٨، الأعراف: ٣٥، يونس: ٦٢، الأحقاف: ١٣) .

ويتضح من الآيات التى تكررت فيها هذه الجملة القرآنية الارتباط بين الخوف والحزن، وفى هذا يقول أبو حيان:

"قدّم عدم الخوف على عدم الحزن؛ لأن انتفاء الخوف فيما هو آتٍ آكَدُ من انتفاء الحزن على ما فات" .

ثم ساق أبو حيان عدة أقوال للمفسرين فى تفسير هذه الجملة، يُفهَم منها أن الخوف متعلِّق بالمستقبل، بينما يتعلَّق الحزن بالماضى والحال، أى لا يخافون العذاب الذى ينتظره العصاة فى الآخرة، ولا يحزنون لفوات المرغوب فى الماضى والحال[1] .

ومِمّا يُقَوِّى هذا التفسير وكون الحزن مرتبطًا بالماضى والحال دون المستقبل قول اللَّه ﷻ: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

ثم إن (الحزن) مفهوم عامٌّ يشمل الثقيل منه والخفيف، وما يذهل الإنسان وما لا يذهله؛ ولذلك نفى اللَّه ﷻ عن المؤمنين أن يصيبهم الحزن، أىّ حزن كان .

---

(١) البحر المحيط ١/ ١٧٠ .

● **الحَسْرَة:**

وردت كلمة (الحَسْرَة) ومشتقاتها - بمعنى الحزن - فى القرآن الكريم تسع مرات، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ البقرة: ١٦٧ .

- ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ آل عمران: ١٥٦ .

فُسِّرت الحسرة بعدَّة عبارات:

- التلهُّف[١] . - أشدّ الندم[٢]. - الحزن الشديد[٣].

- أشدّ درجات الندم والغمِّ على ما فات[٤]. - انكشاف حال الندامة[٥].

وقال الراغب الأصفهانى:

- الحسرة: الغم الشديد المنهك المنكشف حال صاحبه على ما فرط[٦] .

وجمع الدكتور محمد سيد طنطاوى هذه المعانى جميعًا للحسرة فقال بعد أن أورد كلام الراغب الأصفهانى المذكور:

"فالحسرة هى الهمُّ المُضْنى الذى يُلقِى على النفس الحزن المستمر والألم الشديد"[٧] .

ويؤخذ مما سبق أن الحسرة: أشد الحزن، ويصحبها الندم، وانكشاف

---

(١) القرطبى ٢/٢٠٦ .
(٢) العمدة فى غريب القرآن، ص٦٨ .
(٣) التحرير والتنوير ٤/ ١٤٢ .
(٤) التفسير الوسيط ١/ ٤٤٤ .
(٥) تفسير الرازى ٤/٢٣٨ .
(٦) مفردات الأصفهانى (ح س ر) .
(٧) الوسيط ٣/ ٤١٤ .

الحال، والضعف والإعياء، مع ملمح الدوام .

● **الغَمّ:**

وردت كلمة (الغمّ) فى القرآن الكريم ست مرات، منها قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ الحج .

والآية الأولى تفيد أن الغَمَّ أشدُّ من الحزن؛ ذلك أن الغَمَّ اتصل بهم وشغلهم بأنفسهم طلبًا للنجاة من الموت، فصار ذلك الغم المتصل بهم - من جهة خوف القتل - سببًا لانتفاء الحزن على فائت، كأنما قيل: صاروا فى حالة من الغمِّ والهمِّ بحيث لا يخطر لهم ببالٍ حزنٌ على شىء فائت ولا مُصابٍ وإنْ جَلّ[١] .

كما تشير الآية الثانية إلى عِظَمِ الغَمّ؛ لأنه جاء فى وصف حال أهل النار، أعاذنا اللّه من النار وغمِّها .

وعلى ذلك فالغم: حزن شديد ثقيل يذهل صاحبه ويُطْبِق عليه .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن بين هذه الألفاظ تقاربًا فى المعنى، فبينها ملامح دلالية مشتركة هى: الشعور بالحزن - الارتباط بالماضى أو بالحال دون المستقبل والشدة . ولكل منها ملامح دلالية فارقة، على النحو التالى:**

● **الأسف: يتميز بالملامح التالية:**

- **الجزع (عدم القدرة على الاحتمال) .**

- **دوام الحزن واستمراره . - تجدُّده وإن تقادم عهده .**

- **الجمع بين الحزن والغضب .**

(١) البحر المحيط ٣/ ٨٥ .

● **الأَسَى: يتميز بالملامح الدلالية التالية:**

- **الجزع .**
- **الذهول .**
- **الاستنكار .**

● **البَثّ: يتميز بالملامح الدلالية التالية:**

- **عدم القدرة على الاحتمال .**
- **الإفضاء به وإظهاره .**

● **الحزن: أعمُّ الألفاظ المذكورة .**

● **الحَسْرَة: تتميز بالملامح الدلالية التالية:**

- **الشدة .**
- **الجمع بين الحزن والندم .**
- **الضعف والإعياء .**
- **انكشاف الحال .**
- **الدوام .**

● **الغَمّ: يتميز بالملامح التالية:**

- **الثقل .**
- **الشمول والإطباق .**
- **الذهول .**

******

❑ ١٢/١ الأَشَر - البَطَر:

● الأَشَر في اللغة: الحِدَّة، من ذلك قولهم: هو أَشِرٌ، أي بَطِرٌ مُتَسَرِّع ذو حِدَّة[١] .

وقد أورد اللغويون عدَّة معانٍ أخرى للأَشَر، جاء في اللسان:

---

(١) مقاييس اللغة (أ ش ر) .

الأَشَر: المَرَح، والأشر: البَطَر .

وفى حديث الزكاة وذكر الخيل: "ورَجُلٌ اتَّخَذَها أَشَرًا ومَرَحًا" .

الأَشَر: البَطَر، وقيل: أشَدُّ البَطَر[١] .

وقال الراغب: الأَشَر: شدة البَطَر[٢] .

• والبَطَر فى اللغة: الطغيان عند النعمة، وفى الحديث: "الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ"، وقيل: الدَّهَشُ والحيرة[٣] .

وجمع الراغب الأصفهانى بين هذه المعانى فقال: البَطَر دَهَشٌ يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلَّة القيام بحقِّها، وصرفها إلى غير وجهها[٤] .

وقد وردت كلمة (أَشِر) فى القرآن الكريم مرتين مقترنة فيهما بالكذب، وذلك فى قول اللَّه ﷻ: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ القمر .

الأشِر هنا: الذى يريد العُلُوَّ على الناس والتعاظم والتكبر عليهم بما ادَّعاه مِن كَذِب[٥] . واقتران الوصفين (كذّاب - أَشِر) يوحى بوجود ارتباط معنوى بينهما، وذلك أن الكذّاب - فى مثل هذه الدعوى - يريد التعاظم والتكبُّر على الناس . فالأَشَر إذن: طغيان وتكبُّر وتعاظُم، فهو أشدُّ من البطر .

وأمّا البطر فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

---

(١) النهاية، اللسان (أ ش ر) .

(٢) مفردات الأصفهانى (أ ش ر) .

(٣) النهاية، اللسان (ب ط ر) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ب ط ر) .

(٥) الكشاف ٤/ ٣٩، البحر المحيط ٨/ ١٨٠ .

- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأنفال: ٤٧ .

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ القصص .

البطر: سوء احتمال النعمة، وهو أن لا يحفظ حَقَّ اللَّه فيها[1] .

وسياق الآيتين فى ذكر من أساءوا التصرف فى نعمة اللَّه ووجَّهوها فى غير حقها، طغيانًا وكبرًا[2] .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (الأَشَر - البَطَر) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: الطغيان عند النعمة، والتكبُّر .**

- **إلّا أن (الأَشَر) أشدُّ من البَطَر، وكأنَّ الأشِرَ من شدة طغيانه عند النعمة قد دهش وتحيَّر؛ فلم يحفظ هذه النعمة، وراح يصرفها فى غير وجهها فى حِدَّة ونشاط عارم .**

******

❑ ١/ ١٣ أَفَكَ - صَرَفَ:

- أَفَكَهُ عن الشيء يأفِكُهُ أَفْكًا: صَرَفَهُ عنه وقَلَبَهُ[3] .

- وصرفه عن الشيء: رَدَّه عن وجهه[4] .

فالكلمتان مترادفتان فى الاستعمال اللغوى، إلّا ما ذكره ابن منظور فى مادة (أ ف ك) حيث ذكر المعنى المتقدِّم، ثم عقَّب بقوله: وقِيلَ: صَرَفَهُ بالإفك .

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٦ .

(٢) الكشاف ٢/ ١٦٢، ٣/ ١٨٦ .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (أ ف ك) .

(٤) اللسان (ص ر ف) .

فعلى هذا يكون الأَفْكُ نوعًا من الصرف والتحويل، ولكن باستخدام الإِفْك (أى الكذب) وسيلة لذلك . والاشتقاق يؤيِّد هذا المعنى الذى ذكره ابن منظور، وإن أورَدَه بعبارة (وقيل . . .) الدالة على أنه قولٌ ضعيف .

والمتأمِّل للسياقات القرآنية التى وردت فيها كلمة (أَفَكَ) يرى أنها جاءت فى ذمِّ الكُفّار والمكذِّبين، كما فى الآيات التالية:

- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المائدة .

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ الذاريات .

وتكررت جملة ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فى عدة مواضع أخرى .

وجاء مرةً واحدة على لسان الكُفّار مخاطِبين نبى اللَّه هودًا عليه السلام وذلك فى قول اللَّه ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الأحقاف .

وذلك لأنهم كانوا يُكَذِّبونه، بدليل ختام الآية: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

فجميع السياقات التى وردت فيه كلمة (الأَفْك) بالفتح فى القرآن الكريم مرتبطة بمعنى (الإِفْك) بالكسر، أى الكذب، وهذا يؤيِّد ما أورده ابن منظور كما تَقَدَّم .

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت: ٦١ ، معناه: كيف يُصْرَفون عن الحق فى الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق فى المقال إلى الكذب، ومن

الجميل فى الفعل إلى القبيح . وقوله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ ، استعملوا الإفْك فى ذلك لَمّا اعتقدوا أن ذلك صرفٌ من الحقِّ إلى الباطل ومن الصدق إلى الكذب[(١)] .

بينما استعمل الصَّرْف فى القرآن الكريم لمُطْلَق التحويل والرَّد، وجاء مسندًا إلى اللَّه تعالى، كما فى قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ آل عمران .

- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ التوبة .

- ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يوسف .

- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ الفرقان.

وفى جميع هذه المواضع لا يجوز (أَفَكَ) بدلًا من (صَرَفَ)؛ لأن المعنى: رَدُّ الشىء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره[(٢)]، وليس فيه تقييد بوصف الكذب كما فى الآيات التى ورد فيها (أَفَكَ) .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (أَفَكَ - صَرَفَ) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: ردّ الشىء من حالة إلى أخرى أو تغييره .**

● **ويتميَّزُ (الأَفك) بملمح دلالىٍّ فارق: أن وسيلته هى الكذب . فالأَفْك أخصُّ من الصَّرف .**

****

(١) مفردات الأصفهانى (أ ف ك) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ص ر ف) .

❑ ١٤/١ الإفْك - الكَذِب :

● الإفك في اللغة : صرف الشيء عن وجهه المستحق له، ثم استُعمل للقول الذي لا وجود له في الحقيقة، فهو مبالغة في تصوير الباطل في ثوب الحق[١] .

● والكذب في اللغة : نقيض الصِّدق[٢] .

فالمعنيان متقاربان، يجمعهما معنى : الخُلُوّ من الحقيقة، وعدم الصدق .

وقد راعى القرآن الكريم الأصل اللغوي للكلمتين، فاستعمل الإفك بمعنى : الكذب والإثم العظيم، كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ النور .

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ﴾ الفرقان : ٤ .

والإِفْك في الآيتين : اسمٌ يدلُّ على كذب لا شُبْهَةَ فيه، فهوُ بُهتانٌ يَفْجَأُ الناسَ، وهو مشتقٌّ من الأَفْك (بفتح الهمزة) وهو قلب الشيء، ومنه سُمِّى أهل سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم (قرى قوم لوط) : أصحاب المؤتفكة ؛ لأن قُراهم ائتفكت، أي قُلبت وخُسِف بها فصار أعلاها أسفلها، فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلبًا له عن حقيقته ؛ فسُمِّى إفكًا[٣] .

أمّا الكذب فقد ورد في مواضع كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك قوله ﷻ :

- ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ البقرة .

---

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (أ ف ك) .

(٢) اللسان (ك ذ ب) .

(٣) التحرير والتنوير ١٨/ ١٦٨ .

- ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنعام .

والكذب هنا: نقيض الصدق، ولكنه أقلُّ من الإفك؛ لأن الإفك كذبٌ وإثم عظيم، وصَرْفٌ للحقِّ بتحويله إلى باطل، أو بتحويل الباطل إلى حقٍّ .

• ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (الإفك - الكذب) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: الكذب، والفارق بينهما فارق فى الدرجة؛ حيث اختصَّ الإفك بوصف المبالغة فى الكذب وشِدَّته، وذلك بتصوير الباطل فى صورة الحق، أو تصوير الحق فى صورة الباطل .

******

❑ ١/ ١٥ آلَى - ائْتَلَى - أَقْسَمَ - حَلَفَ - يمين:

• آلَى فى اللغة وائْتَلَى كلاهما من مادة (أ ل و - أ ل ى)، أصلان: أحدهما الاجتهاد والمبالغة، والآخر: التقصير .

فالأول الاجتهاد فى الحَلِف، يقال: آلى يُؤْلِى إذا حَلَف، وأَلَى يَأْلُو إذا قَصَّر[١] . وصيغة (ائتَلَى) للمبالغة[٢] .

• والحَلِفُ فى اللغة: أصله الملازمة، يقال: حالَفَ فلانٌ فلانًا: إذا لازمه، والحَلِفُ من ذلك؛ لأن الإنسان يَلزَمُه الثباتُ عليه[٣] .

• وأَقْسَمَ فى اللغة: مأخوذ من القَسامة، وهى أَيْمانٌ كانت تُقْسَم على أولياء المقتول إذا ادَّعوا دمَ مقتولهم على ناسٍ اتَّهموهم به، ثم صار اسمًا لكل قَسَم[٤] .

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، النهاية، اللسان (أ ل و) .

(٢) مقاييس اللغة (أ ل و) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ح ل ف) .

(٤) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ق س م) .

• واليمين فى اللغة: مأخوذ من اليد، سُمِّىَ الحَلِفُ يمينًا؛ لأن المتحالِفَيْنِ كان أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه[١] .

وقد ورد الفعل (آلَى) فى القرآن الكريم مرَّةً واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة: ٢٢٦ .

والإيلاء: الحَلِف على الامتناع من الجماع[٢] .

وهو يشتمل على الأصلين اللغويين للمادة: الحلف، والتقصير؛ لأنه حلف أن يقصِّر فى الوطء، وفيه ضرار بالمرأة .

والفعل (ائْتَلَى) ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ النور: ٢٢ .

معنى ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ : لا يحلف على ألّا يُحِسن إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصِّر فى أن يحسن إليهم[٣] .

فالكلمة تحتمل الدلالتين؛ لأنه حلف أن يقصِّر فى الإحسان إلى من يستحق الإحسان، وصيغة (افتعل) تدل على المبالغة، وهذا هو الفارق بين (آلَى، ائْتَلَى) .

• أمّا الحَلِف فحيثما ورد فى القرآن الكريم دلَّ على الحنث والكذب فى اليمين[٤]، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ى م ن) .

(٢) الكشاف ١/ ٣٦٣، البحر المحيط ٢/ ١٨١ .

(٣) الكشاف ٣/ ٥٦ .

(٤) الترادف فى القرآن الكريم، ص١٧٤ ، نقلًا عن: الإعجاز البيانى للقرآن، د . عائشة عبد الرحمن، ص٢٢١ - ٢٢٢ .

لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ التوبة .

- ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ التوبة .

وبهذا يكون للحلف ملمح دلالى خاصٌّ يتميز به، وهو اشتماله على الحنث، ولا يستعمل الحلف فى القرآن إلّا مقترنًا بالكذب أو الحنث باليمين[١] .

وأمّا القَسَم، فالسياقات القرآنية التى ورد فيها تدل على أن المراد به: الأَيْمان الصادقة؛ ولذلك جاء موصوفًا بالعظمة فى قول اللَّه ﷻ: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ الواقعة .

وجاء فى الشهادة حيث لا يَحِلُّ الحنث باليمين، كقول اللَّه ﷻ:

- ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ المائدة .

وحين يُسْنَد القَسَمُ فى القرآن الكريم إلى المجرمين والكافرين فإنهم فى ظنهم صادقون[٢] وإن كانوا فى الحقيقة كاذبين، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴾ الأنعام: ١٠٩ .

- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ ﴾ الروم: ٥٥ .

كما أن كل قَسَم إلهىّ فى القرآن الكريم جاء معه فعل، فهذا الفعل هو (أَقْسَمَ) دون غيره من الحلف أو اليمين . وهذه قرينة على وجود ملمح الصدق فى القسم .

أمّا اليمين فمعناها : القسم المؤكَّد بأن يضع المُحالِف أو المُعاهِد يمينه فى يمين صاحبه، وباستقراء آيات القرآن الكريم التى وردت فيها كلمة (الأَيْمان)، نجد أنها جاءت فى سياق العهد المؤكَّد بالقسم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

---

(١) الترادف فى القرآن الكريم، ص١٧٤ .

(٢) الموضع السابق .

- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ التوبة: ١٢ .

قال الزمخشرى فى تفسير هذه الآية: "فإن قلت: كيف أثبت لهم الأيمان فى قوله ﷻ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ ثم نفاها عنهم؟ قلت: أراد أيمانهم التى أظهروها، ثم قال: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ على الحقيقة، وأَيْمانهم ليست بأَيْمان"(١) .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (آلى - ائتَلَى - أقسم - حلف - يمين) بينها تقارب دلالىّ، حيث تشترك جميعًا فى معنى: التوكيد .**

- **ويختص الفعلان (آلَى - ائْتَلَى) بمعنى التقصير المصاحب للقسم، ويزيد (ائْتَلَى) بصيغته الصرفية ملمح المبالغة .**

- **ويختص الحلف باقترانه بالكذب أو إضمار الكذب فيه .**

- **ويختص القسم باقترانه بالصدق .**

- **أما اليمين** فهى فى الأصل علامة على القسم والعهد، ثم أُطلقت على القسم والعهد المؤكَّد الموثق بوضع اليمين فى اليمين رمزًا لقوَّة اليمين والتزام الوفاء بها .

******

□ ١٦/١أَمْت - عِوَج:

- الأَمْت فى اللغة: اختلاف فى طبيعة المكان، بين ارتفاع وانخفاض، وغِلَظٍ ورقَّة(٢) .

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٧ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ م ت) .

● والعِوَج فى اللغة: الميل والانحناء فى كل شىءٍ مستقيم، ثم استُعير للزيغ والانحراف والفساد فى الرأى والدِّين والخُلُق[(١)] .

وقد ورد (الأَمْت) فى القرآن الكريم مرة واحدة، معطوفًا على العوج، فى قول اللَّه ﷻ: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ طه .

والمراد بالعِوَج: الميل والانحناء ولو كان طفيفًا لا يُدْرَك بحاسَّة البصر[(٢)] .

والأمت: النتوء (البروز) اليسير[(٣)] .

وظاهر كلام أبى حيان أنه يميل إلى تفسير العِوَج بالميل والانحناء فيما كان منخفضًا، والأَمْت بالميل والانحناء فيما كان مرتفعًا . والمعنى أن الأرض يومئذٍ تكون مستويةً استواءً تامًّا، ليس فيها هبوط (عِوَج)، ولا ارتفاع (أَمْت) . وهو التفسير الذى ارتضاه ابن كثير ونقله عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة، وغير واحد من السلف[(٤)] .

والملاحظ فى الاستعمال القرآنى للفظ (العِوَج) أنه قد يأتى وصفًا للأشياء كما فى الآية المذكورة، وقد يأتى وصفًا للمعانى كما فى قول اللَّه ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ طه: ١٠٨ .

أى يتبعونه لا يتخلَّفون عن دعوته، بل يستوون إليه من غير انحراف[(٥)] .

وقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ الكهف .

أمّا (الأَمْت) فلم يُستعمل فى القرآن الكريم سوى مرة واحدة فى الآية

---

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ع و ج) .

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٣، البحر المحيط ٦/ ٢٩٧ .

(٣) الكشاف ٢/ ٥٥٣، التحرير والتنوير ١٦/ ٣٠٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥ .

(٥) الكشاف ٢/ ٥٥٣ - ٥٥٤ .

المذكورة، لوصف الأرض بالارتفاع، أو الاختلاف بين ارتفاع وانخفاض، على نحو ما سبق فى تفسيره .

• ونخلُص مما سبق إلى أن العِوَج يشمل الميل والانحناء بالمفهوم الحِسِّى، كما يشمل الميل المعنوى، أى الزيغ والانحراف . . على حين يقتصر الأَمْت على وصف الميل والانحراف الحسِّى . فاللفظان يشتركان فى ملمح دلالى هو: الاختلاف والانحراف .

• ويفترقان فى ملمح فارق هو: أن العِوَج يشمل الانحراف الحِسِّىَّ والمعنوىَّ معًا، بينما يقتصر الأَمْت على الميل والاختلاف الحِسِّىِّ دون المعنوى .

******

❑ ١/١٧ الأَمَل - الرَّجاء - الطَّمَع:

• ذكر ابن فارس أن أصل مادة (أ م ل): التثبُّت والانتظار[١] .

وذكر فى معنى الرجاء أنه رُبَّما عُبِّر به عن الخوف، وساق شاهدًا على ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ نوح .

أى: لا تخافون له عظمة، أو بمعنى المبالاة والاكتراث، فيكون معنى الرجاء فى الآية: ما لكم لا تبالون ولا تكترثون[٢] .

وخصَّص ابن فارس معنى الطمع بالرجاء القوىّ[٣] . وزاد ابن منظور فى الطمع ملمحًا دلاليًّا آخر هو الحرص[٤] .

---

(١) مقاييس اللغة (أ م ل) .

(٢) مقاييس اللغة (ر ج و) .

(٣) مقاييس اللغة (ط م ع) .

(٤) مقاييس اللغة (ط م ع) .

ويتحصَّل من أقوال اللغويين فى الكلمات الثلاث أن بينها تقاربًا دلاليًّا يكاد يبلغ حد الترادف، إلا أن الأمل يتميز بملمح طول الزمن، والرجاء يُستعمل فى معانٍ أخرى كالخوف والمبالاة، والطمع يتميَّز بملمح الحرص .

● **وقد وردت كلمة (أَمَل) فى القرآن مرتين، فى الآيتين التاليتين:**

- ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ الحجر .

- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ الكهف .

والمراد بالأمل فى الآية الأولى: توقُّع الخير وطول الأعمار واستقامة الأحوال فى الدنيا، وألّا يلقوا فى الآخرة إلّا خيرًا[١] .

وجاء الأمل فى الآية الثانية فى سياق تفضيل العمل الصالح على زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وأنَّ العمل الصالح الدائم الباقى خيرٌ من المتاع الفانى من وجهين: فهو خيرٌ فى ثواب صاحبه، وفيما يأمله صاحبه ويتوقعه من خير فى الآخرة[٢] .

ونلمح فى الآيتين ملمح طول المدَّة، فالأمل توقُّع للخير ثابت فى قلب صاحبه لا يتحوَّل، ومن هنا ذُمَّ صاحب الأمل فى الدنيا، ومُدِح صاحب الأمل فى الآخرة .

● **أمّا الرجاء فقد تكرر فى القرآن الكريم، ومن شواهده:**

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ البقرة .

- ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٦ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٣٣ .

وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ النساء .

- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ نوح .

فالرجاء فى آيتى البقرة والنساء معناه: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله[١] . ومعنى الرجاء فى آية نوح: الخوف[٢] .

وجمع الراغب بين المعنيين بأن الرجاء (الذى هو ترقُّب الخير وتوقُّع حصوله) يتلازم مع الخوف[٣]، وكأن من يتوقَّع الخير ويترقَّبه يخاف ألّا ينال رجاءه . ونلمح من هذا أن الرجاء ليس حالة دائمة، بل هو مقترن بأحوال بعينها من أحوال النفس، وبخاصة حال الخوف .

● وأمّا الطمع فقد تكرر فى القرآن مرات عديدة، ومن شواهده:

- ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ البقرة .

- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ المائدة .

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف .

قال أبو حيان: الطمع تعلُّق النفس بإدراكِ مطلوبٍ تعلُّقًا قويًّا، وهو أشدُّ من الرجاء؛ لأنه لا يحدث إلّا عن قوة رغبة وشدة إرادة[٤] .

ولعل مِنْ أجمع ما قيل فى التفرقة بين الكلمات الثلاث قول المناوى:

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٣٣٨، ٥/١٩٠ .

(٢) الكشاف ٤/٤٦٣، البحر المحيط ٨/٣٣٩ .

(٣) مفردات الأصفهانى (ر ج ا) .

(٤) البحر المحيط ١/٢٦٩ .

مَنْ عزَم على سفر إلى بلدٍ بعيد يقول: أَمَلْتُ الوصولَ، ولا يقول: طَمِعْتُ؛ لأن الطمع لا يكون إلّا فى القريب، والأمل فى البعيد، والرجاء بينهما؛ لأن الراجى يخاف ألّا يحصل مأموله[١] .

• ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (الأمل - الرجاء - الطمع) فى الاستعمال القرآنى متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك جميعها فى معنى: توقع الخير . ويختص كل لفظ منها بملامح دلالية تميزه:

• فالأمل يختص بملمحين دلاليين هما: طول الزمن، وبُعد المطلوب .

• والرجاء يتميز بالتلازم مع الخوف .

• والطمع يتميَّز بملمحين هما: قوَّة الرغبة، وقرب المطلوب .

******

❑ ١٨/١ التَّأَمُّل - التَّدَبُّر - الاعتبار - التفكُّر:

• التأمُّل فى اللغة: التثبُّت فى الأمر والنظر[٢]، قال زهير:

تَأَمَّلْ خليلى هل تَرَى من ظعائنٍ   تَحَمَّلْنَ بالعلياء من فوق جُرْهُمِ[٣]

وقال المرّار:

تَأَمَّلْ ما تقولُ وكُنْتَ قِدْمًا   قُطامِيًّا تَأَمُّلُهُ قليلُ[٤]

القُطامِىُّ: الصَّقْرُ، وهو مُكْتَفٍ بنظرةٍ واحدة[٥] .

---

(١) التوقيف، ص١٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ م ل) .

(٣) شرح ديوان زهير، صنعة الإمام أبى العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م)، ط١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ص٩ .

(٤) البيت فى مقاييس اللغة (أ م ل)، وأورده فى اللسان بلا نسبة (مادة/ ق ط م) .

(٥) مقاييس اللغة (أ م ل) .

فالتأمُّل: التثبُّت من الأمر، ويكون ذلك بالنَّظَر بالعين كما فى بيت زهير، كما يكون بالعقل والتروِّى فى الأمر كما فى بيت المرار .

● والتَّدَبُّر فى اللغة: أنْ يُدَبِّرَ الإنسانُ أمره، مأخوذ من الدُّبُر وهو آخِرُ الشيء؛ وذلك لأن الإنسانَ ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخره[١] .

ومنه قول اللَّه ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ النساء: ٨٢، محمد: ٢٤ .

قال الزمخشرى: تَدَبُّرُ الأمرِ: تأمُّلُهُ والنظر فى أدباره وما يؤول إليه فى عاقبته ومنتهاه، ثم استُعْمِلَ فى كل تأمُّل، فمعنى تدبُّرِ القرآن تأمُّل معانيه وتبصُّر ما فيها[٢] .

ولكن التدبُّر مرتبطٌ بأصله اللغوىّ؛ ذلك أن تأمُّل القرآن والآيات هو إنعام النظر والفكر فيها، أمّا التدبُّر فهو تَفَكُّرٌ طويلٌ يُلِمُّ بالغايات، فالأمر بتدبُّر القرآن والآيات أمرٌ بإطالة التفكُّر فيها حتى يبلغ الفكر نهايته ويصل إلى مقاصد القرآن العظيم والغاية من آيات اللَّه ﷻ . قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"معنى ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ : يتأمَّلُون دلالته، وذلك يحتمل معنيين:

- **أحدهما**: أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التى أرشَدَ إليها المسلمين، أى تدبُّر تفاصيله .

- **وثانيهما**: أنْ يتأمَّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنَّه من عند الله، وأنَّ الذى جاء به صادق"[٣] .

● **وعلى كلا المعنيين فإن التدبُّر يدلُّ على إطالة التأمُّل والتفكُّر، حتى يصل إلى إدراك مقاصده وغايته، وكونه من عند اللَّه ﷻ .**

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د ب ر) .

(٢) الكشاف ١/٥٤٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٥/١٣٧ .

• فالتدبُّر - إذن - مرتبط بالنهايات والعواقب، فى حين أن التأمُّل مرتبط بالبدايات وتفاصيل الأمر .

لذلك آثر القرآن الحكيم لفظ التدبُّر على لفظ التأمُّل فى مثل هذه السياقات .

• والاعتبار فى اللغة مأخوذ من مادة (ع ب ر)، وأصلها يدل على النفوذ والمُضِىّ فى الشىء، يقال: عَبَرْتُ النهرَ عبورًا، وعَبْرُ النهر: شَطُّهُ، والعِبْرة والاعتبار مأخوذان من عِبْرَى النهر؛ لأنَّ كل واحد منهما عِبْرٌ مُساوٍ لصاحبه، فإذا قلت: اعتبرت الشىء، فكأنك نظرت إلى الشىء فجعلت ما يعنيك عبرًا لذلك، فتساويا عندك[1] .

• وأما التفكر فى اللغة فاشتقاقه من الفِكْر، وهو إعمال الخاطر فى الشىء وتأمُّله[2] .

إذن فالاعتبار مساواة شىء بشىءٍ، أو على حدِّ قول الراغب وغيره: الحالة التى يُتَوَصَّل بها من معرفة المشاهَدِ إلى ما ليس بمشاهَد[3] .

وهذا هو المعنى الذى وردت به كلمة الاعتبار والعِبْرة فى القرآن الكريم، نحو قوله ﷻ: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ الحشر .

- ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ آل عمران: ١٣ .

- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ يوسف: ١١١ .

وأمّا التفكُّر فهو أعمُّ من ذلك؛ لأنه لا يقتصر على معرفة ما غاب وبطَنَ قياسًا على ما ظهر، بل التفكُّر يكون فى آيات اللَّه ﷻ وخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وفى قصص الأمم السابقة وأحوالهم، كما يتبين

(١) مقاييس اللغة (ع ب ر) .

(٢) الصحاح، اللسان (ف ك ر) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ع ب ر)، النهاية (ع ب ر) .

- ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنعام .

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الروم .

فالتفكُّر إذن تأمُّلٌ بالبصيرة فى آيات اللَّه ﷻ .

● **ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (التأمُّل - التدبُّر - الاعتبار - التفكُّر) بينها تقارب دلاليّ ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى عام هو : التأمُّل بالعقل والبصيرة .**

● **ويتميز التدبُّر بملمح الإحاطة والشمول وإطالة الفكر ؛ ومرجع ذلك إلى أصله الذى اشتُقَّ منه وهو الدُّبُر ؛ أى آخِر الشىء ، فاستُعير للنظر فى غايات الأمور وعواقبها ، ولا يكون ذلك إلّا بإطالة الفكر وشموله وإحاطته .**

● **والتأمُّل يخلو من هذه الملامح الدلالية ، ولكنه ينفرد بملمح دلاليّ آخر هو : دلالته على إطالة النظر بمعناه الحِسِّى ، أى النظر بالعين ، والتدبُّر لا يُستخدم فى النظر الحِسِّى .**

● **والملمح الدلالى الذى يميِّز الاعتبار هو : قياس الغائب على الشاهد .**

● **و التفكُّر لا يقتصر على معرفة ما غاب وبطَنَ قياسًا على ما ظهر ، بل هو عامٌّ ، فالتفكُّر يكون فى آيات اللَّه ﷻ وخلق السماوات والأرض ، وخلق الإنسان ، وفى قصص الأمم السابقة وأحوالهم .**

****

❑ ١٩/١ الأُمّ - الوالدة:

• الأُمُّ فى اللغة: كلُّ شىءٍ يُضَمُّ إليه ما سواه ممّا يليه[١]، ويقال لكلِّ ما كان أصلًا لوجوده شىءٍ أو تربيَتِه أو إصلاحه أو مبدئِهِ: أُمٌّ، فالأُمّ قد تكون الوالدة التى ولدت، أو التى ولدت مَنْ ولدت (أى الجَدّة)؛ ولهذا قيل لحواء: هى أمُّنا . وأمُّ الكتاب: اللوح المحفوظ؛ وذلك لأنَّ العلوم كلَّها منسوبة إليه ومتولِّدة منه . وأم القرى: مكة؛ لِما رُوِى أنَّ الدنيا دُحِيَتْ من تحتها، وكل مدينة هى أُمٌّ ما حولها من القُرَى، وأمُّ الكتاب: الفاتحة؛ لكونها مبدأ القرآن[٢] . . . وغير ذلك مما أُضيف إلى أُمّ، فالمعنى لا يخرج عما سبق .

• والوالدة فى اللغة: التى وَلَدَتْ[٣] .

وقد راعَى القرآن الكريم هذه الأصول اللغوية للكلمتين، فقد جاءت كلمة (أُمّ) بمعنى: الأُمِّ التى ولدت، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ القصص: ٧ .

كما جاءت للإشارة إلى صفة الأمومة السابقة على مرحلة الولادة، نحو قول اللّه ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ لقمان: ١٤ .

- ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ النجم: ٣٢ .

وذلك لأن الأمَّ لا تستحق اسم الوالدة إلّا بعد أن تلد، فأمّا الحامل فهى والدة على سبيل المجاز، باعتبار ما سيكون .

كذلك استُعملت كلمة (أُمّ) للدلالة على المُرْضِعة وإن لم تكن هى الوالدة، نحو قول اللّه ﷻ: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ النساء: ٢٣ .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ م م) .

(٢) مفردات الأصفهانى، مقاييس اللغة، اللسان (أ م م) .

(٣) اللسان (و ل د) .

وأُطلِق اسم الأمهات على أزواج النبى ﷺ على سبيل التشبيه؛ فهنَّ للمؤمنين مثل الأمهات، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ الأحزاب: ٦ .

كما استعمل القرآن الكريم لفظ الأُمّ فى الدلالة على الأصل الذى يضم الفروع، كما فى قول اللَّه ﷻ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ آل عمران: ٧ .

- ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ الأنعام: ٩٢ .

أمّا كلمة (الوالدة) فالملاحظ فى الاستعمال القرآنى لها أنها ارتبطت حيثما وردت بصفة الوالدية - أو الحمل والولادة - التى هى أعلى درجات القرابة وأوثقها؛ ولذا عُلِّقتْ بها أحكام خاصة مثل البِرِّ وأحقية الرضاعة[1] .

وقد وردت كلمة (والدة) فى القرآن الكريم أربع مرات: ثلاث منها بصيغة المفرد فى الآيات التالية: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ البقرة: ٢٣٣ .

- ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ المائدة: ١١٠ .

- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ مريم .

ومرة بصيغة الجمع فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ البقرة: ٢٣٣ .

● **ونخلُص مما سبق إلى أنَّ لفظى (أمّ - والدة)، بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى ملمح دلالى هو: الدلالة على الأصل .**

● **وبينهما ملامح دلالية فارقة، فالملامح الفارقة التى تميِّز كلمة (أُمّ) هى عموم معناها؛ حيث تدل على معانٍ شتَّى: الوالدة، المُرْضِعة، الحامل، الأصل، أزواج النبى ﷺ .**

---

(١) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، د . أحمد مختار عمر، ص١١٦ .

• بينما استُعملت كلمة (والدة) بدلالة أخصّ، فاقتصر استعمالها فى وصف الوالدة، وذلك فى سياقات تُرَتِّب أحكامًا شرعية خاصة بهذه الصفة .

******

❑ ١/ ٢٠ الأَمْن - الطُّمَأْنينة - السَّكينة:

• الأمن فى اللغة: سكون القلب والنفس(١) .

• والطُّمَأْنينة فى اللغة: السكون(٢) . وخَصَّ به الراغب الأصفهانى: السكون بعد انزعاج(٣) .

• والسَّكينة فى اللغة: الثبوت والاستقرار والسكون(٤) .

هكذا تكررت كلمة السكون فى تفسير الألفاظ الثلاثة . ولكن الاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ يفرّق بينها بملامح دلالية مميِّزة، على النحو التالى:

• **الأَمْن:**

تكرر ذكر الأمن ومشتقاته فى القرآن الحكيم، ومن شواهده:

- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ البقرة: ١٢٥ .

- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ النساء: ٨٣ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: الأَمْنُ حفظ الناس من الأضرار، وحراسة البلاد، وتمهيد السُّبُل، وإنارة الطرق: أمن، والانتصاف من الجناة، والضرب على أيدى الظَّلَمة، وإرجاع الحقوق إلى أهلها: أمن، فالأَمْنُ يُفسَّر

---

(١) مقاييس اللغة (أ م ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ط م ن) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ط م ن) .

(٤) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (س ك ن) .

فى كل حالٍ بما يناسبه[١] .

وهذا التفسير مشتمل على المعنى اللغوى للأمن، وهو سكون القلب والنفس، ويصاحب ذلك بالضرورة زوالُ الخوف والاضطراب .

● الطُّمَأْنينة :

وردت فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن شواهدها :

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد .

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل .

الطمأنينة : زيادة سكون القلب، وذلك بحصول العلم اليقين الناشئ عن الرؤية، فالخليل إبراهيم عليه السلام مؤمن بالله، ولا يريد أن يرى ليؤمن، بل ليزداد يقينًا ويسكن فكره وخاطره بذلك اليقين[٢]، فلا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشُّبَهِ عن القلب[٣] والطمأنينة أقوى من الأمن، يتضح ذلك فى وصف القرية بأنها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ .

فالأمن : انتفاء الخوف والسلامة من العدو .

والطمأنينة : الدَّعة وهدوء البال[٤]، أى ثبوت ذلك الأمن ورسوخه واستقراره فى النفوس .

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢٠٩ .
(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩ .
(٣) التحرير والتنوير٣/ ٣٩ .
(٤) التحرير والتنوير١٤/ ٣٠٥ .

● **السَّكينة :**

من شواهدها فى القرآن الكريم :

- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٢٦ .

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الفتح: ٤ .

فسَّر المفسِّرون السكينة بالسكون والطمأنينة(١) . وزاد أبو حيان فجعل نزول السكينة: كناية عن التباسهم بطمأنينة الإيمان واستقرار ذلك فى قلوبهم، وسكون نفوسهم، وربط بين معنى السكينة فى قول اللَّه ﷻ : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وإخبار النبى ﷺ بنزول الملائكة فعبَّر عن ذلك مرة بالسكينة ومرة بنزول الملائكة، وهم ذَوُو السكينة؛ لأن إيمانهم فى غاية الطمأنينة(٢) .

● **ويُؤخذ من هذا أن السكينة أرفع درجات السكون والطمأنينة .**

● **ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (الأمن - الطمأنينة - السكينة) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها فى سكون النفس وعدم اضطرابها .**

وتتدرج هذه المعانى فى القوَّة:

● **فالسكينة أعلاها وأشدُّها رسوخًا .**

● **والطمأنينة مرحلة وسط بين الأمن والسكينة .**

● **والأمن أعمُّ هذه الألفاظ؛ إذ هو سكون القلب، فإذا ما زاد هذا السكون ورسخ فى القلب صار طمأنينة، فإذا استقرَّ غايةَ الاستقرار والثبات والهدوء صار سكينة .**

******

(١) انظر: الكشاف ١/ ٣٧٩، التحرير والتنوير ٢/ ٤٩٣ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٦١-٢٦٢ .

❑ ٢١/١ الأنام - البَشر - النّاس:

• الأَنام فى اللغة: ما ظهر على الأرض من جميع الخَلْقِ[١] .

• والبَشَرُ في اللغة: الإنسان، مأخوذ من البَشْرَةِ، وهى ظاهِرُ جِلْدِ الإنسان وسُمِّىَ البَشَرُ بَشَرًا لظهورهم[٢] .

• والناس فى اللغة: أصلُه (أُناس)، قد يكون من الإنْسِ ومن الجِنِّ[٣] .

وقد ورد لفظ (الأَنام) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ الرحمن .

الأنام: كُلُّ ما ظهر على الأرض من دابَّة؛ وعن الحسن: الإنْسُ والجِنُّ[٤] .
وقال ابن عباس: بنو آدم فقط، وعن قتادة وابن زيد والشعبىّ: الحيوان كُلُّه[٥] .

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور بعد أن ساق الأقوال المتقدِّمة: وسياق الآية يُرَجِّحُ أنَّه المراد به الإنسانُ؛ لأنَّه فى مقام الامتنان والاعتناء بالبشر[٦] .

والذى نُرَجِّحه ما رُوِىَ عن الحسن، وهو الإنْسُ والجِنُّ؛ لأن الخطاب فى سورة الرحمن لهما .

• أما البَشَر فقد تكرر ذكره فى القرآن كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ آل عمران: ٤٧ .

- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ هود: ٢٧ .

---

(١) مقاييس اللغة (أ ن م) .

(٢) مقاييس اللغة (ب ش ر) .

(٣) مقاييس اللغة (ن و س) .

(٤) الكشاف ٤/ ٤٤ .

(٥) البحر المحيط ٥/ ١٩٠ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٤١ .

والبَشَر - كما ذهب أصحاب المعاجم اللغوية - هو الإنسان؛ اعتبارًا بظُهورِ البشرة (أى ظاهر الجلد)، بخلاف الحيوانات التى عليها الصوف أو الشَّعر أو الوَبَر، وخُصَّ فى القرآن كُلُّ موضعٍ اعتُبِرَ من الإنسان جُثَّتُه وظاهره بلفظ البَشَر، نحو قوله ﷻ[1]:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان: ٥٤ .

- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ ص .

- وأمّا (الناس) فيقتصر معناه على بنى آدم، ومن شواهده قوله ﷻ:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ سورة الناس .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ: (الأنام - البَشَر - النّاس) متقاربة دلاليًا؛ لاشتراكها فى معنى: المخلوق الحَىّ .**

واخْتُصَّ كلٌّ منها بملمح دلالىٍّ مميِّز:

- **فالأنام يشمل الإنس والجِنّ .**

- **والبَشَر يختص بالإنسان، ولكن باعتبار ظهوره، ولذلك استُعمل فى سياقات دالَّة على القدرة والإعجاز، فى تخليق بشر ظاهر الهيئة من الماء أو الطين .**

- **والناس: اسم عامٌّ لبنى آدم .**

******

---

(١) مفردات الأصفهانى (ب ش ر) .

❑ ١/ ٢٢ الإيمان - التَّصْديق:

لم يفرِّق اللغويون بين الإيمان والتصديق، وجعلوهما مترادفين ترادفًا تامًّا، وفى ذلك يقول الأزهرى: اتَّفَق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق .

ثم نقل إجماع المفسِّرين على أن كلمة (مؤمن) فى قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ يوسف: ١٧، معناها: مُصَدِّق[١] .

بَيْدَ أن بعض العلماء أنكروا الترادف التامَّ بين اللفظين، كابن تيمية الذى قال بأن الإيمان أخصُّ من التصديق؛ لأن الإيمان تصديق يُسْتَعْمَل على نحو مخصوص، ولأن كل مُخْبِرٍ عن مشاهدة أو غيب يقال له فى اللغة: صَدَقْتَ، كما يقال كَذَبْتَ . وأمّا لفظ الإيمان فلا يُستعمل إلا فى الخبر عن غائب، ولهذا يقال للشهود: صدَّقناهم، ولا يقال: آمنّا لهم؛ ذلك أن الإيمان مشتقٌّ من الأمن أو الأمانة؛ ولذلك فهو يُستعمل فى خبرٍ يُؤْتَمَنُ عليه المخبِر، ولم يُستعمل لفظ (آمَنَ) فى القرآن إلّا فى هذا النوع . . . وقوله ﷻ: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٦١، أى: يُصَدِّقهم فيما أخبروا به ممّا غاب عنه، وهم مأمونون عنده، فاللفظ متضمِّن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة .

ومن أوجه الفرق أيضًا أن لفظ الإيمان فى اللغة لَمْ يُقابَلْ بالتكذيب كما قُوبِلَ به لفظ التصديق، وإنما قُوبِلَ به لفظ الكُفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختصُّ بالتكذيب فحسب، وإنما قد يكون (الكُفْرُ) تكذيبًا، وقد يكون مخالفة وامتناعًا بلا تكذيب . ولمّا كان الأمر كذلك لزم أن يكون الإيمان تصديقًا مع موافقة وموالاة وانقيادٍ، لا مجرد التصديق .

ومن أوجه الفرق أيضًا ما قال به بعضهم[٢] من أن الإيمان أصله فى اللغة

---

(١) تهذيب اللغة، المحكم، الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (أ م ن، ص د ق) .

(٢) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (أ م ن) .

من الأمن الذى هو ضد الخوف، وعلى ذلك يكون معنى (آمَنَ): صار داخلًا فى الأمن، وأنشدوا فى ذلك بيت النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُها رُكْبانُ مكَّةَ بين الغِيلِ والسَّعَدِ[(١)]

وخلص ابن تيمية إلى أن الإيمان أصله التصديق، ولكنه تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاءٌ مخصوص، والحج قصد مخصوص، والصيام إمساك مخصوص[(٢)].

وابن تيمية يقصد بعبارته الأخيرة أن الإيمان معناه اللغوى التصديق، ولكن الشرع خصَّصه فى نوع بعينه من التصديق كما شرحه فيما سبق ذكره، ومَثَّلَ لذلك بأن معنى الصلاة فى اللغة: الدعاء، ولكنه دعاء مخصوص بالطريقة المحددة التى عيَّنها الشارع للصلاة من توجُّه إلى القبلة وتكبير وقيام وركوع وسجود وتسليم . وكذلك الصيام فى اللغة معناه الإمساك، ولكنه نوع بعينه من الإمساك هو الإمساك عن شهوتى البطن والفرج . والحج فى اللغة معناه القصد، ولكنه قصد مخصوص بالبيت الحرام دون غيره .

واستقراء الآيات الكريمة التى وردت فيها الكلمتان مصداق لكلام ابن تيمية، فقد ذُكِر الإيمان فى الكثير من الآيات بهذه المعانى المذكورة، ومن الآيات الجامعة لتلك المعانى قول اللّٰه ﷻ:

- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) جاء فى نضرة النعيم (٢/ ٦٤٩) أن هذا البيت ليس فى الفتاوى، وأن المحقِّق ترك فى موضعه بياضًا، ولكن فى نضرة النعيم: (والسَّنَد) بالنون، والصواب ما أثبتناه: (والسَّعَد) وفقًا للأستاذ عبد السلام هارون، حيث ذكر فى حاشية مقاييس اللغة (١/ ١٣٥) أن فى الأصل: (والسَّنَد) بالنون، والصواب . كما فى ديوان النابغة . : (والسَّعَد) بالعين، وهى أجَمَةٌ بين مكة ومنى .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٨٦/٧ ، ٢٩٧ باختصار وتصرف .

ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ الأنفال .

فاشتمل الإيمان على صفات عدَّة تكون فى المؤمن، منها تصديق اللَّه ورسوله فى كل ما أخبر به، وعدم الشك، والجهاد فى سبيل الله، ووجل القلوب عند ذكر اللَّه ﷻ، وزيادة الإيمان بسماع آيات اللَّه تُتلَى، والتوكُّل على الله، وإقامة الصلاة، والإنفاق[١] .

أمّا التصديق فليس فى مفهومه ما تقدَّم من صفات ولوازم الإيمان، ومن شواهده فى القرآن الكريم:

- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الزمر .
- ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الصافات .

الآيتان تتحدثان عن صدق النبى ﷺ الذى جاء بالحق وصدَّق به وصدَّق المرسلين من قبله[٢]، وإيثار لفظ التصديق هنا جاء فى مقابلة تكذيب الكافرين .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى لكلمتى (الإيمان، والتصديق) يجعلهما متقاربتين فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى عام هو التصديق بالقلب .**

ويختص الإيمان بملامح دلالية تميزه، هى:

١- أنه يختص بالغيب دون المشاهدة .

٢- أنه يجمع بين التصديق والأمانة والأمن .

٣- أنه يتضمن مع التصديق الموافقة والمولاة والانقياد .

٤- أن له لوازم ومظاهر على نحو ما تقدَّم .

******

(١) الفتاوى ٧/ ١٩ .

(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٩، ٣/ ٣٩٨ .

❑ ١/ ٢٣ آنَسَ - أحَسَّ - شَعَر:

• تدور مادة (أ ن س) فى اللغة حول معنى: ظهور الشيءِ . يقال: آنَسْتُ الشيءَ، إذا رأيته . ويقال: آنَسْتُ الشيءَ، إذا سمعته[١] .

• وتدور مادة (ح س س) فى اللغة حول معنى: إدراك الشيء بالحواسِّ، وهى اللَّمْسُ، والذَّوْقُ، والشَّمُّ، والسَّمْعُ، والبصر[٢] .

• وتدور مادة (ش ع ر) حول معنى: العِلْم بالشيء[٣] .

هكذا تقول المعاجم اللُّغوية، ولا نظفر منها بطائل، اللَّهُمَّ إلّا فى معنى (آنَسَ)، حيث يقتصر على الرؤية والسماع . أما (أحسَّ) و(شعر) فمطلق فى العلم بالشيءِ أو إدراكه .

فلننظر الآن كيف استعمل القرآن الحكيم هذه الألفاظ:

• **آنس:**

ورد الفعل (آنَسَ) فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ النساء: ٦ .

- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ النمل .

معنى ﴿ءَانَسْتُم﴾ فى آية النساء: علمتم، وأصل الإيناس: رؤيةُ الإنْسِيِّ - أى الإنسان - ثم أُطلق على أوَّل ما يتبادر من العلم، سواء فى المبصَرات،

---

(١) مقاييس اللغة (أ ن س) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ح س س) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ش ع ر) .

أو فى المسموعات . . ولعلَّ اختيار ﴿ءَانَسْتُم﴾ هنا دون (عَلِمْتُمْ) للإشارة إلى أنه إنْ حَصَلَ أَوَّلُ العلم برشدهم يُدْفَعُ إليهم مالُهم دُونَ تَراخٍ ولا مَطْلٍ(١) .

فالإيناس يتميز بملمح البداية، أى أوّل العلم بالشىء .

● أما الفعل (أَحَسَّ) فقد ورد فى القرآن ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٥٢ .

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ مريم .

- ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ الأنبياء .

الإحساس: العِلْم بالحواسِّ، وهو عِلْمٌ لا شبهة فيه(٢) .

فالفعل (أَحَسَّ) يُراد به: العلم المؤكَّدُ القاطع؛ لأنَّه مُدْرَكٌ بالحواسِّ .

● وأمّا الفعل (شَعَر) فقد تكرَّر فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ البقرة .

- ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف : ١٩.

قال الزمخشرى: الشعور: عِلْمُ الشىءِ عِلْمَ حِسٍّ، من الشِّعار، ومشاعر الإنسان حَواسُّه(٣) .

وقال أبو حيان: الشعور: إدراك الشىءِ من وَجْهٍ يَدِقُّ، مُشْتَقٌّ من الشِّعار، وهو ثَوْبٌ يَلِى الجَسَدَ(٤) .

---

(١) التحرير والتنوير٤ / ٢٤١،٢٤٢ .

(٢) الكشاف ١/ ٤٢٢ .

(٣) الكشاف ١/ ١٧٥ .

(٤) البحر المحيط ١/٥٣ .

وفى كلام النبى ﷺ ما يؤيد تفسير الزمخشرى، قال ﷺ للأنصار: " أَنْتُمْ الشِّعارُ، والنّاسُ الدِّثارُ "، فالشِّعار: ما لامَسَ البدن، والدِّثار: ما ظهر[١] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ (آنَسَ - أَحَسَّ - شَعَرَ) متقاربة دلاليًّا؛ لاشتراكها فى معنى: العلم بالشىء .**

● **ويختصُّ (آنَسَ) بمعنى: بداية العلم بالشىء .**

● **ويختصُّ (أَحَسَّ) بمعنى التأكيد واليقين .**

● **ويختصُّ (شَعَرَ) بمعنى: العلم الدقيق الخَفِىّ .**

****

❑ ١/ ٢٤ الأَوْبَة - التَّوْبة - الإنابة:

● الأَوْبَة فى اللغة: اسم مرَّة من آبَ يَؤُوب أَوْبًا، أى رجَع[٢]، وتكون الأَوْبَة مصدرًا كالأَوْب والإياب أيضًا[٣] .

● والتوبة فى اللغة أيضًا: الرجوع، وكذا التَّوْب[٤] . وخصَّه بعضهم بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة[٥] .

● والإنابة فى اللغة: لزوم الطاعة والإقبال على اللَّه والرجوع إلى أمر اللَّه[٦] .

فهذه الألفاظ الثلاثة تشترك فى معنى الرجوع . وأعمُّها لفظ (آب يؤوب

---

(١) النهاية، (ش ع ر، د ث ر) .
(٢) مقاييس اللغة (أ و ب) .
(٣) اللسان (أ و ب) .
(٤) مقاييس اللغة (ت و ب) .
(٥) تهذيب اللغة، اللسان (ت و ب) .
(٦) اللسان (ن و ب) .

أَوْبًا وأَوْبةً وإيابًا)، فهو يشمل كل رجوع . ويختص لفظ التوبة بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة، بينما يختص لفظ الإنابة بلزوم الطاعة ودوام الإقبال على اللَّه والرجوع إلى ما أمر به .

ولم يفرّق المفسّرون بين الأَوْبة والتوبة، ففسّروا كلمة (أَوّاب) بمعنى تَوّاب، وذلك في قوله ﷻ:

- ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ الإسراء: ٢٥ .

- ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ ص: ١٧ .

وتكرر لفظ (الأوّاب) في: (ص: ١٩، ٣٠، ٤٤، ق: ٣٢) .

قال الزمخشري: ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ : للتوابين[١]. ومثل ذلك قال جمع من المفسّرين[٢] .

ولكن نقل الزمخشري عن سعيد بن المسيِّب ملمحًا آخر في معنى الأوّاب، وهو: المبادرة بالتوبة[٣] .

وقد استُعملت مادة (أ و ب) في القرآن الكريم لمطلق الرجوع، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ الغاشية .

والمواضع التي خُصّص فيها معنى الأَوْب في الرجوع عن المعصية إلى

---

(١) الكشاف ٢/٤٤٦، ٣/٣٦٣، ٣٦٥ .

(٢) العمدة، ص١٨١، ص٢٥٩، مفردات الأصفهاني (أ و ب)، البحر المحيط ٦/ ٢٩، ٧/ ٣٩٠، تحفة الأريب، ص٤١، القرطبي ١٧/ ٢٠، بهجة الأريب، ص٢٤٢، التحرير والتنوير١٥/٧٦ .

(٣) الكشاف ٢/٤٤٦ .

الطاعة، مقيدة بالسياق الوارد فى ذكر المبادرة بالرجوع عن الذنب إلى الطاعة، فيبقى اللفظ على عمومه .

● وأمّا التَّوْبة فى القرآن الكريم فيلخِّص لنا الراغب الأصفهانى معانيها فى قوله :

التَّوْب : ترك الذنب على أجمل الوجوه . . . والتوبة فى الشرع : ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فَرَط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارُك ما أمكن أن يُتَدارَك من الأعمال بالإعادة . . . وتاب إلى الله : تذكَّر ما يقتضى الرجوع، نحو قوله ﷻ :

- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ المائدة .

- ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور : ٣١ .

و(تاب اللَّه عليه) : قبِل منه توبته ، نحو قول اللَّه ﷻ :

- ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ البقرة : ١٨٧ .

- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ التوبة .

فالعبد تائب إلى الله، واللَّه تائب على العبد[١] .

وأما ورود التوبة غير مقيدة بـ (إلى) أو (على) فمعناه الندم[٢]، نحو قول اللَّه ﷻ :

---

(١) مفردات الأصفهانى (ت و ب) .

(٢) نضرة النعيم ٤/ ١٢٧١ .

- ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ التوبة .

● **فالتوبة - إذن - مختصة بالذنب، وتتعدَّد معانيها طبقًا للتراكيب اللغويَّة التى ترد فيها، فالتركيب (تاب إلى) معناه رجوع العبد عن ذنبه إلى طاعة الله، والتركيب (تاب على) مختص بقبول اللَّه التوبة عن عباده، وورده غير مقترن بحرف جر يتضمن معنى الندم على الوقوع فى الذنب .**

● أما الإنابة فى القرآن الكريم فجاءت بمعنى: الرجوع إلى اللَّه فى جميع الأقوال والأفعال[1]، كما فى الآيات التالية:

- ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود : ٨٨ .

- ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ الرعد : ٢٧ .

- ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ لقمان : ١٥ .

قال الزمخشرى: "أناب" معناه: أقبل إلى الحق، وحقيقته: دخل فى نوبة الخير[2] .

إذن فالإنابة رجوع دائمٌ إلى الله، وإقبال على الخير .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ الثلاثة (الأَوْب - التوبة - الإنابة) بينها تقارب دلاليّ؛ حيث تشترك فى معنى عام هو: الرجوع .**

● **وأعمُّ هذه الألفاظ (آب: أَوْبًا - أَوْبةً)، فهو مطلق الرجوع .**

● **وأخص منه التوبة؛ لأنها تتميز بصدورها عند الذنب، سواء أكانت رجوعًا من العبد عن المعصية إلى الطاعة، أم قبول اللَّه ﷻ توبة عبده، أم ندمًا على الذنب .**

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٥٥ .

(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٩ .

• وأمّا الإنابة فهى رجوع إلى اللَّه وإقبال عليه وصدور عن أمره فى كل قول وفعل . فتتميَّز الإنابة بملمح الإقبال على اللَّه والصدور عن أمره .

******

❏ ١/ ٢٥ التَّأْويل - التَّفْسير :

• التَّأْويل فى اللغة : عاقبة الشىء وما يَؤُول (أى يرجع) إليه[١] . مأخوذ من قولهم : آلَ الشىءُ يَؤُول إلى كذا ، أى رجع وصار إليه . والمراد بالتأويل : نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرِكَ ظاهر اللفظ[٢] ، أو هو : جمع معانى ألفاظ أشكلت بلفظٍ واضح لا إشكال فيه[٣] .

• والتفسير فى اللغة : بيان شىء وإيضاحه[٤] ، مأخوذ من الفَسْرِ ، وهو رفع الغطاء عن الشىء[٥] .

وتكرر ذكر التأويل فى كتاب اللَّه ﷻ ، ومن ذلك قوله ﷻ :

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ آل عمران .

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ يوسف : ٦ .

وقد اختلف المفسرون فى المراد بالتأويل فى آية آل عمران ، والذى نطمئن إليه بعد مراجعة أقوال العلماء أن التأويل : تفسير ما غمض معناه مما يحتاج إلى

---

(١) مقاييس اللغة (أ و ل) .

(٢) النهاية (أ و ل) .

(٣) تهذيب اللغة (أ و ل) .

(٤) مقاييس اللغة (ف س ر) .

(٥) اللسان (ف س ر) .

إعمال الفكر والغوص إلى دقائق المعنى وأعماقه، وصرف اللفظ عن ظاهره[١].

وتأويل الأحاديث: تعبير الرؤيا، ويصحُّ أن يكون المراد به: معرفة معانى كتب اللَّه وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسِّرها لهم ويشرحها ويدلُّهم على مُودَعات حِكَمها[٢].

وكلا التفسيرين يحتمله لفظ الآية، وعلى كُلٍّ فإن تفسير الرؤيا يقتضى علمًا واسعًا وتبصُّرًا عميقًا؛ لما تحتوى عليه الرؤيا من رموز وإشارات غامضة تحتاج إلى من يفُضُّ مغاليقها ويغوص فى أعماق بواطنها.

وعلى ذلك فإن التأويل مختصٌّ بما غَمُضَ معناه واشتبهت مقاصده، ولا يقدر عليه إلّا المتمكِّنون الراسخون فى العلم.

أمّا التفسير فلم يرد فى كتاب اللَّه سوى مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان.

فالتفسير هو: البيان الواضح بكشف الحجة والدليل[٣].

- **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (التأويل - التفسير) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى ملمح البيان والتوضيح.**

- **على حين يتميز التأويل بملمح دلالىّ فارق، هو اختصاصه ببيان ما غمض معناه واشتبهت مقاصده واحتاج إلى تعمُّق وتبصُّر.**

****

(١) انظر: الإتقان للسيوطى ٣/ ٦٧٧ - ٦٨٥، الكشاف ١/ ٤١٣، تفسير الفخر الرازى ٧/ ١٨٤، البحر المحيط ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥، التحرير والتنوير ٣ / ١٦٢ - ١٦٨، الوسيط ٣ / ٤١ - ٤٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٠٣، التحرير والتنوير ١٢/ ٢١٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٩١، التحرير والتنوير ١٩/ ٢٣.

حرف الباء (٢)

١)	بِئْر، جُبّ	٢)	البائس، الفقير، المِسْكين
٣)	انْبَجَسَ، انْفَجَرَ	٤)	البَحْر، اليَمّ
٥)	البخل، الشُّحّ	٦)	بدا، برز، ظهر
٧)	البديع، البارئ، الخالق، المُصَوِّر، الفاطِر	٨)	البَدَن، الجَسَد، الجِسْم
٩)	التَّبْذير، الإِسْراف	١٠)	بَرَأَ، خَلَقَ
١١)	بُرْهان، حُجَّة، دَليل	١٢)	البُزوغ، الطُّلوع
١٣)	بَسَرَ، عَبَسَ	١٤)	الاسْتِبْشار، البَهْجَة، الحُبور، السُّرور، الفَرَح
١٥)	الإِبْصار، الرُّؤْية، النَّظَر	١٦)	بَعَثَ، أَرْسَلَ
١٧)	بَغْضاء، شَنآن، قِلَى، كُرْه، مَقْت	١٨)	البَغْى، الطُّغْيان، الظُّلْم، العُتُوّ، العُدْوان
١٩)	بَكَّة، مَكَّة	٢٠)	الابْتلاء، الفِتْنَة
٢١)	ابْتَهَلَ، دَعا		

❑ ١/٢ بِئْر - جُبّ:

• البِئْر والجُبُّ فى اللغة معناهما واحد، وقيل: الجُبُّ هى البِئْرُ التى لم تُطْوَ، وقيل: هى الجيدة الموضع من الكلأ، وقيل: هى التى لم يحفِرْها الناس[١] .

ولم يُفَرِّق ابنُ فارس بينهما[٢] .

واختار الزمخشرى فى معنى الجُبّ: البئر التى لم تُطْوَ (أى لَمْ تُعَرَّش بالحجارة)[٣] .

وقد وردت كلمة (بِئْر) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ الحج .

والسياق هنا سياق تذكير وترهيبٍ بما كان من آثار الأمم السابقة، فهذه آبار فيها الماء ولكنها مُعَطَّلة لا يَرِدُها أحد، وتلك قصورٌ خلت من ساكنيها[٤] . والتسمية بالآبار هنا تناسب عمران القرية وقصورها المشيدة وأهلها الأثرياء .

• أمّا كلمة (جُبّ) فقد وردت فى القرآن الكريم مرتين، فى سورة يوسف:

- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ .

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

---

(١) اللسان (ج ب ب) .

(٢) مقاييس اللغة (ج ب ب) .

(٣) الكشاف ٢/ ٣٠٤ .

(٤) الكشاف ٣/ ١٧ .

الجُبّ هنا كما قال الزمخشرى: البئر التى لَمْ تُعَرَّش بالطوب والحجارة ونحوها . قال الراغب الأصفهانى: وتسميته بذلك إمّا لكونه محفورًا فى جُبُوبٍ (أى فى أرض غليظة)، وإمّا لأنَّه قد جُبَّ، والجَبُّ: قطع الشىء من أصله[١] .

● ولعل الوجه الثانى فى اشتقاق (الجُبّ) هو الأرجح، وهو ما ذكره الزمخشرى فى تفسيره آية يوسف (رقم ١٠)، وثَمَّة مناسبة لاستعمال لفظ الجُبّ هنا دون البئر؛ وذلك لأن إخوة يوسف كانوا يريدون التخلص منه بإلقائه فى أى حفرةٍ من الأرض عميقة، فلا يعنيهم البحث عن (بئرٍ) أى حفرة مُعَرَّشَةٍ بالطوب ونحوه، وكانوا فى صحراء، وأكثر الآبار فى الصحراء غير معروشة . واللَّه أعلم . أمّا البئر المذكورة فى آية الحج فهى بئر مطوية معروشة أنشأها أهل القرية أصحاب القصور المشيدة ليستقوا منها الماء .

******

❑ ٢/٢ البائس - الفقير - المِسْكين:

● تدور مادة (ب أ س) حول معنى: الشِّدَّة والمشقة والمكروه . والبائس: المُبْتَلَى، وقال سيبويه: البائس من الألفاظ المُتَرَحَّمِ بها كالمسكين[٢] .

● والفقير فى اللغة: ضد الغنىّ[٣]، واختُلِف فى معناه، فقال ابن سيده: وقَدْرُ ذلك أن يكون له ما يكفى عيالَه[٤]، وقال ابن السِّكِّيت: الفقير: الذى له بُلْغَةٌ من العيش، قال الراعى يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو إليه:

---

(١) مفردات الأصفهانى (ج ب ب) .

(٢) اللسان (ب أ س) .

(٣) اللسان (ف ق ر) .

(٤) المحكم (ف ق ر) .

أمّا الفقير الذى كانت حلوبَتُهُ وَفْقَ العيال فَلَمْ يُتْرَكْ له سَبَدُ

فهذا الفقير له ما يكفى عياله . والمسكين الذى لا شىء له .

وقال يونس: الفقير: أحسن حالًا من المسكين . وقال أبو عمرو بن العلاء: الفقير: الذى له ما يأكل، والمسكين الذى لا شىء له(١) .

فتعدَّدت تفسيرات الفقر، وتناقضت فيما بينها، على أنَّنا إذا اهتدينا بالاشتقاق اللغوى لكلمة (فقير)، وجدنا أنَّه مشتقٌّ من مادة (ف ق ر)، ومعناه: المفقور الذى نُزِعَتْ فقرةٌ من ظهره فانقطع صُلْبُه من شدَّة الفقر(٢) ؛ وعلى هذا يكون أشدَّ حالًا من البائس والمِسْكين .

واختُلِف فى المسكين على نحو ما أوضحنا فى الكلام على الفقير . وقد ذهب جمهور السلف من أئمَّة الفقه والتفسير إلى أنَّ الفقراء والمساكين صنفان يجمعهما الإقلال والفاقة، واختلفوا بعد ذلك أيهما أشدُّ حالًا، على نحو ما تقدَّم . والذى نُرَجِّحه ما ذهب إليه الشافعى وأحمد بن حنبل (من الفقهاء)، والأصمعى وأحمد بن عبيد وعلىُّ بن حمزة الأصبهانىّ وابن الأنبارىّ (من علماء اللغة)، وهو أنَّ الفقر أشدُّ فاقةً وأسوأ حالًا . وهو ظاهر عبارة الزمخشرىّ فى الكشاف(٣)، والراغب الأصفهانىّ فى المفردات(٤)، واستدلوا بقول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الكهف: ٧٩ .

فأخبر أنهم مساكين وأنَّ لهم سفينة . وقول اللَّه ﷻ:

---

(١) اللسان (ف ق ر) .

(٢) تهذيب اللغة (ف ق ر) .

(٣) الكشاف ٣/ ١١ .

(٤) مفردات الأصفهانى (ف ق ر) .

- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة: ٢٧٣ .

فهذه الحال التى أخبر بها عن الفقراء هى دون الحال التى أخبر بها عن المساكين . وكذلك قول الراجز:

هَلْ لَكَ فى أَجْرٍ عظيمٍ تُؤْجَرُهْ
تُغِيثُ مِسْكينًا قليلًا عَسْكَرُهْ
عَشْرُ شِياهٍ سَمْعُهُ وبَصَرُهْ
قد حَدَّثَ النَّفْسَ بِمِصْرٍ يَحْضُرُهْ

فأثبت أن له عشر شياهٍ، ومع ذلك وصف نفسه بالمسكين . وأمّا قول الراعى:

أمّا الفقيرُ الذى كانت حَلوبَتُهُ وَفْقَ العيالِ فَلَمْ يُتْرَكْ له سَبَدُ

فإنَّه لا يدلُّ على أنَّ للفقير ما يكفى عياله؛ لأنه قال: "كانت حلوبته"، أى فيما مضى، ثم صارفقيرًا بعد أن لم يُتْرَكْ له سَبَد . قال علىُّ بن حمزة بعد أن ساق الشواهد المتقدمة:

ولذلك بدأ اللَّه ﷻ بالفقير قبل من يستحقُّ الصدقة من المسكين وغيره، وأنت إذا تأمَّلْتَ قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ التوبة: ٦٠، وجدته ﷻ قد رتَّبهم فجعل الثانى أصلح حالًا من الأول، والثالث أصلح حالًا من الثانى، وكذلك الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن . ووافق الأصمعىُّ وابنُ حمزة فى هذا قولَ الشافعىّ[1] .

---

(١) انظر: اللسان (س ك ن) .

• وأمّا كلمة (البائس) فقد وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الحج .

فالبائس: الذى أصابه بؤس، أى شدَّة[١] .

وتأكيد البائس بالفقير يدلُّ على أنَّ الفقر أشدُّ حالًا من البؤس، على نحو ما بيّناه فى التفسير اللغوى للألفاظ الثلاثة . ويأتى المسكين فى منزلة بين الفقر والبؤس؛ وذلك لاقتراب حاله من الفقير فى السوء والعدم .

• ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (البائس - المسكين - الفقير) بينها تقارب دلالىٌّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الحاجة وضيق الحال، وتختلف فى درجة الشدَّة:

• فالفقير أشدُّهم بلاءً وسوءَ حالٍ .

• يليه المسكين .

• ثم البائس .

******

❑ ٢/ ٣ انْبَجَسَ - انْفَجَرَ:

• الانبجاس فى اللغة: انشقاق الأرض وخروج الماء منها[٢] .

• والانفجار فى اللغة: انشقاق الشىء انشقاقًا واسعًا[٣] .

---

(١) الكشاف ٣/ ١١، البحر المحيط ٦/ ٣٦٥ .

(٢) اللسان (ب ج س) .

(٣) اللسان (ف ج ر) .

فاللفظان يشتركان فى معنى عام هو الانشقاق، ويختص الانبجاس بخروج الماء، بينما الانفجار عامٌّ فى معنى الانشقاق، سواء كان بخروج الماء أو غيره، كما أن فى الانفجار معنى السعة .

وقد ورد اللفظان فى القرآن الكريم بدلالتين متقاربتين :

● الأول فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ الأعراف: ١٦٠ .

الانبجاس دون الانفجار فى الكثرة والسعة والغزارة، وتلك هى المرحلة الأولى لخروج الماء من الحجر[١]، فالمخرج ضيِّق، والماء لم يبلغ بعد مستوى الكثرة والغزارة .

وسياق استعمال لفظ الانبجاس فى الآية فيه إشارة إلى المعجزة التى أيَّد اللَّه ﷻ بها نبيَّه موسى ﵇، وقومه ينظرون إلى الماء وهو ينبع من الحجر منذ بداية انشقاقه وخروج الماء منه، وقبل أن تعتاد عيونهم رؤية الماء، فهم يشاهدون اللحظة الأولى لخروج الماء من الحجر، وتلك لحظة الدهشة والإعجاز .

وأما لفظ الانفجار فتكرر كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ :

- ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾ الإسراء .

- ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ الكهف : ٣٣ .

- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ القمر .

وسياق الآيات المذكورة واضح فيه معنى الكثرة والقوة والغزارة .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٠١ .

ولكن لفظ الانفجار قد ورد فى ذكر قصة المعجزة التى أيَّد اللَّه بها نبيه موسى عليه السلام وهو قول اللَّه ﷻ:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ البقرة: ٦٠ .

فلِمَ عبَّر القرآن فى هذا الموضع باستعمال لفظ الانفجار، مع أن هذه الآية وآية الأعراف كلتيهما تصف الحادثة نفسها؟

أشار المفسرون إلى أن الانفجار - بدلالته على الكثرة - ناسب فى آية البقرة؛ لأنها جاءت فى سياق تعداد النعم التى أنعم بها اللَّه ﷻ على نبيِّه موسى عليه السلام وعلى قومه، فاستعمل فى هذا الموضع اللفظ المختص بملمح الكثرة والسرعة[١] .

• ونخلُص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للكلمتين (انْبَجَسَ - انْفَجَرَ) قد أوردهما بدلالتين متقاربتين؛ حيث يشتركان فى معنى الانشقاق، ويفترقان فى ملامح تميز كلًّا عن الآخر:

• فالانبجاس: أول ظهور الماء وبدايته، وفيه دلالة على ضيق المخرج وقلَّة ما ينبع من الماء .

• والانفجار: المرحلة الثانية بعد ظهور الماء، وفيه دلالة على السعة والقوَّة والكثرة .

******

❑ ٢/ ٤ البَحْر - اليَمّ:

• البَحْرُ فى اللغة: السَّعة والانبساط، ومنه بَحَرْتُ الناقةَ، أى شَقَقْتُ أُذُنَها،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٠١، كشف المعانى، ص٦٠ .

وسَمَّوْا كلَّ متوسِّع فى شيءٍ بَحْرًا، فقيل للفرس بَحْرٌ باعتبار سعة جريه، وقيل للجواد بَحْرٌ باعتبار سعة عطائه . وأكثر ما يُستعمل فى الماء الملح خاصة دون العذب، كما فى قول نُصَيْب:

وقد عاد ماءُ الأرض مِلْحًا فزادني إلى مَرَضِى أنْ أبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ(١)

• واليَمُّ فى اللغة: البَحْر أيضًا، ويُستعمَل لما كان ماؤه ملحًا وللنهر ذى الماء العذب(٢) .

فالفارق الدلالى بين البحر واليمِّ فى الاستعمال اللغوى هو ملمح السعة والانبساط فى البحر .

وقد تكرَّر ذكر البحر فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ البقرة .

- ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ الكهف .

ويبدو من الآيتين ملمح السعة والانبساط، وهذا جَلِىٌّ فى آية الكهف .

أما اليَمُّ فالآيات التى ورد فيها لا تحتمل هذا الملمح الدلالى، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ طه: ٣٩ .

والمراد به فى الآية: نهر النيل(٣) .

---

(١) مفردات الأصفهانى، مقاييس اللغة، اللسان (ب ح ر) .

(٢) اللسان (ى م م) .

(٣) الكشاف ٢/٥٣٦ .

وقَصَرَه أبو حيان على البحر العذب، أى النهر[١] .

وثَمَّة نكتة لطيفة وهى أن فى عنوان تفسير أبى حيان القرطبى: "البحر المحيط" دلالة على الكثرة والسعة والامتداد، ولمّا أراد أبو حيان - رحمه اللَّه - أن يشرح بعض ما جاء فى تفسيره، سمَّى هذا الشرح المختصر: "النهر المادّ من البحر المحيط"، أى هو شىء يسير متفرِّع من شىءٍ أعظم منه وأوسع .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (بَحْر - يَمّ) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى الدلالة على الماء الجارى .**

- **إلّا أن البحر يختصُّ بملمح السعة والانبساط والكثرة، فبينهما عموم وخصوص .**

******

❏ ٢/ ٥ البُخْل - الشُّحّ:

- البُخْل فى اللغة: ضد الكَرَم، وهو إمساك المال والمقتنيات عمّا لا يحقُّ حَبْسُها عنه[٢] .

- والشُّحُّ فى اللغة: أَشَدُّ البخل، وفيه حرص، ويشمل المال والمعروف[٣]، كما أنه عادةٌ متأصِّلة ثابتة فى نفس الشحيح[٤] .

وقد تكرَّر ذكر البخل ومشتقاتِه فى مواضع عديدة من الكتاب الحكيم، منها قول اللَّه ﷻ :

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٣٨ .

(٢) مفردات الأصفهانى، اللسان (ب خ ل) .

(٣) النهاية لابن الأثير (ش ح ح) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ش ح ح) .

- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ آل عمران: ١٨٠ .

- ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ محمد: ٣٨ .

وقد اقترن البخل فى الاستعمال القرآنى بالمال، فهو حبس المال دون غيره من الخير والمعروف، وقد نقل أبو حيان آراء المفسرين فى آية آل عمران، وخلاصتها أن الآية نزلت فى البخل بالمال والإنفاق فى سبيل الله، وقيل: نزلت فى مانِعى الزكاة المفروضة، وقيل: فى النفقة على العيال وذوى الأرحام . وجاءت الآية فى سياق التحريض على بذل الأرواح فى الجهاد، والتحريض على بذل الأموال فى الجهاد وغيره[١] .

وممّا يؤكد اختصاص البخل بمنع المال خاصة عن مستحقيه قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ محمد .

وأما الشُّحُّ فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مرات، منها قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ النساء: ١٢٨ .

- ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩، التغابن: ١٦ .

وتدل الآيات التى وردت فيها كلمة (الشُّحّ) على أن الشُّحَّ طبع متأَصِّلٌ فى النفس، وحرص النفس على الحقوق وقِلَّة التسامح فيها، كما تحتمل كلمة (الشُّحّ): البخل بالمال، وعدم التسامح فى الحقوق الأخرى من غير المال[٢] .

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٢٧ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٦٤، الكشاف٢/ ٥٦٨، التحرير والتنوير٥/ ٢١٧، مفردات الأصفهانى (ش ح ح) .

• ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (البُخْل - الشُّحّ) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان فى ملمح المنع والحبس .

بينما يتميز الشحُّ بالملامح الدلالية التالية:

• الشدة . • الحرص .

• كونه عادة وطبعًا متأصِّلًا فى النفوس .

• يشمل المال وغيره من الخير والمعروف .

******

❑ ٢/٦ بَدا - بَرَزَ - ظَهَرَ:

• لم تُسجِّل المعاجم اللغوية فارقًا كبيرًا بين هذه الألفاظ الثلاثة؛ حيث تكرَّر التعبير بالظهور فى تفسير (بَدا، بَرَز)، كما ذُكِرَ البُدُوُّ فى تفسير الظهور[(١)] .

ولكن ذكر ابن فارس فارقًا فى الظهور حيث جعل أصل مادة (ظ هـ ر): القُوَّة والبروز[(٢)] . وذكر ابن منظور فارقًا فى البروز فى هذه العبارة: وكلُّ ما ظهر بعد خفاءٍ فقد بَرَز[(٣)] .

وبذلك نجد أن المواد الثلاث تشترك فى معنى عامٍّ هو الوضوح والانكشاف . وتتميز مادة (ب ر ز) بدلالتها على الظهور بعد خفاء، بينما تتميز ماد (ظ هـ ر) بملمح القُوَّة .

وقد تكرر الفعل (بَدا) ومشتقاته كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب د و، ب ر ز، ظ هـ ر) .

(٢) مقاييس اللغة (ظ هـ ر) .

(٣) اللسان (ب ر ز) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة .

- ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ البقرة .

- ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ يوسف .

والملاحظ أن الفعل (بَدا) قد اقترن فى أكثر المواضع بكلمات دالة على الإخفاء (أَخْفَى - كَتَمَ - أَسَرَّ - وارَى) . وفى هذا الاقتران التقابُليّ إشارة إلى أن البُدُوَّ ضِدُّ الخفاء والكتمان .

وجعل الراغب الأصفهانى البُدُوَّ: ظهورًا بَيِّنًا[١] . أى: ظهر لهم هذا الرأى، وهو أن يسجنوا يوسف عليه السلام، بعد ما ظهرت لهم براءته بالآيات، وهى الشواهد البيِّنة[٢] .

أمّا الفعل (بَرَزَ) ومشتقاته، فمن شواهده فى القرآن الكريم:

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ البقرة .

- ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل عمران: ١٥٤ .

- ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ الكهف .

أكثر استعمال الفعل (بَرَزَ) فى الحرب والشدَّة، يقال: بَرَز الفارس لخصمِهِ، أى خرج من الصف وصار بالبراز من الأرض وهو: ما ظهر منها واستوى[٣] .

وقوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧، أى: منكشفة ظاهرة؛

---

(١) مفردات الأصفهانى(بدا) .

(٢) انظر: الكشاف ٢/ ٣١٩ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٦٨، ٣/ ٩٠ .

لذهاب ما كان يسترها من جبال وشجر وعمارة[١]، واستعمال لفظ البروز هنا؛ لما فيه من الدلالة على الشدَّة؛ لأنه فى مقام وصف أهوال القيامة .

وإذن فالبروز يتميَّز بملمح الشدَّة .

وأمّا الظهور فقد استُعمل فعله (ظَهَرَ) فى القرآن الكريم، وجاء من مشتقاته الوصفان (ظاهر، ظاهرة)، ومن شواهدهما:

- ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ الأنعام: ١٥١ .
- ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ الرعد: ٣٣ .
- ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ لقمان: ٢٠ .

قال الراغب الأصفهانى: ظَهَرَ الشىءُ أصْلُه أن يحصل شىءٌ على ظهر الأرض فلا يَخْفَى، ثم صار مستعملًا فى كلِّ بارزٍ مُبْصَرٍ بالبصر والبصيرة[٢] .

ولكنَّ للظهور معنى آخر هو الغَلَبَةُ على العدوِّ، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِى مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ۝٢٠﴾ الكهف .

فالظهور يُستعمل بدلالتين:

١- انكشاف الشىء وبيانه .   ٢- القوة والغلبة .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ (بَدا - بَرَزَ - ظَهَرَ) متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك جميعها فى ملمح عامٍّ هو الوضوح والانكشاف .**
- **ويختص البُدُوُّ بملمح البيان، بينما يختص البروز بملمح الشدَّة والبأس، ويختص الظهور بإطلاقه على معنى آخر هو الغلبة والقوة .**

******

(١) البحر المحيط ٦/ ١٣٤ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ظ هـ ر) .

❑ ٢/٧ البديع - البارئ - الخالق - المصوِّر - الفاطر:

• البديع في اللغة: المُبْدِع، وهو مَن يُنْشِئ صَنْعَةً على غير مثال ولا اقتداء بسابق[١].

• والبارئ في اللغة: الخالق، يقال: بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرْءًا وبُروءًا، أي خَلَقَهم[٢]، وجعل بعض علماء اللغة للفظ البارئ ما ليس للخالق من الاختصاص بخلق الحيوان[٣]. وسوَّى ابن سيده بين البَرْءِ والخلق، وأن ذلك يكون في الجواهر والأعراض[٤].

• والخالق في اللغة: اسم فاعل من (خَلَقَ)، والخَلْق: التقدير، قال زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى

ومنه الخُلُق، وهي السَّجيَّة؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه، وفلان خليقٌ بكذا، أي هو ممَّن يُقَدَّر فيه ذلك، والخَلاقُ: النَّصيب؛ لأنَّه قُدِّرَ لكلِّ أحدٍ نصيبُه، وخَلْقُ الكذبِ: اختراعه وتقديره في النفس[٥].

• والمُصَوِّر في اللغة: اسم فاعل من "صَوَّرَ" الشيءَ، أي: أعطاه صورته وهيئته وصفته، وهو من أسماء اللَّه الحسنى، ومعناه: الذى صَوَّر جميعَ الموجودات ورتَّبها، فأعطى كل شيءٍ منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها[٦].

• والفاطر في اللغة: اسم فاعل من (فَطَرَ). وأصل الفَطْرِ: فتح شيء

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات اللغة، اللسان (ب د ع).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب ر أ).

(٣) اللسان (ب ر أ).

(٤) المحكم (ب ر أ).

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (خ ل ق).

(٦) النهاية، اللسان (ص و ر).

وإبرازه[١]، ومنه فَطَر نابُ البعير، أي شَقَّ وطَلَع . وفَطَرَ اللَّهُ الخَلْقَ: خَلَقَهم وبدأهم، قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - : ما كنت أدرى ما فاطر السماوات والأرض حتى أتانى أعرابيّان يختصمان فى بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أى أنا ابتدأتُ حفْرَها[٢] .

هكذا تتقارب معانى تلك الألفاظ، ويتمايز بعضها بملمح دلالىٍّ خاصٍّ، كما نرى فى اختصاص الإبداع بملمح عدم المثال، وكاختصاص المصوِّر بملمح إنشاء الصورة والهيئة .

لكن الاستعمال القرآنى الحكيم لهذه الألفاظ يفرِّق بينها تفرقة دقيقة، على النحو التالى:

● البديع:

وردت مادة (ب د ع) فى القرآن الكريم أربع مرّات، فى الآيات التالية:

- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١ .
- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ الأحقاف: ٩ .
- ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد: ٢٧ .

البديع فى قوله ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ : صفة مشبَّهة معناها: بَدُعَتْ سماواته وأرضه، أى: جاءت فى الخلق على شكل مُبتدَع لم يسبق له نظير[٣] .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"البديع مشتقٌّ من الإبداع، وهو الإنشاء على غير مثال؛ فهو عبارة عن إنشاء المنشآت على غير مثالٍ سابق، وذلك هو خلق أصول الأنواع وما يتولَّد

---

(١) مقاييس اللغة (ف ط ر) .

(٢) اللسان (ف ط ر) .

(٣) البحر المحيط ١/ ٣٦٤، الكشاف ١/ ٣٠٦ .

من متولِّداتها، فخلق السماوات إبداع، وخلق الأرض إبداع، وخلق آدم إبداع، وخلق نظام التناسل إبداع"[١] .

والبِدْعُ بمعنى البديع، كالخِلِّ بمعنى الخليل، ومعنى قوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ : ما كنتُ مُحْدِثًا شيئًا لم يسبقونى إليه[٢] .

● **ولكن استعمال (البِدْع) لم يرد فى وصف اللَّه ﷻ ، فهو مقصور على المعنى المذكور، أى إحداث شىء غير مسبوق . وأمّا البديع فهو من أسماء اللَّه الحسنى، أى: ذو الخَلْق المُبْتَدَع الذى لم يسبق له نظير .**

● **البارئ:**

وردت كلمة "البارئ" فى القرآن الكريم ثلاث مرات:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤ .

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الحشر: ٢٤ .

وورد الفعل (يبرأ) بمعنى الخَلْق مرة واحدة فى القرآن الكريم:

- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ الحديد: ٢٢ .

جاءت آية البقرة فى سياق خطاب موسى عليه السلام لقومه لَمّا اتخذوا العجل وعبدوه؛ لذلك جاءت كلمة (بارئكم)، أى: توبوا إلى منشئكم ومُوجِدكم من العدم؛ إذْ مُوجِدُ أعيان الأشياء هو الموجِد حقيقةً، وأمّا عَمَلُ العجل واتخاذُه فليس فيه إبراز الذَّواتِ من العدم، فنبَّه بلفظ (البارئ) على الصانع المُوجِد[٣]،

---

(١) التحرير والتنوير ٦٨٦/١ .

(٢) عمدة الحفاظ (ب د ع)، التحرير والتنوير ١٧/٢٦ .

(٣) البحر المحيط ٢٠٦/١ .

واختصَّ هذا الموضع بذكر (البارئ) ؛ لأن معنى البارئ: الذى خَلَق الخَلْقَ بريئًا من التفاوت ومتميِّزًا بعضُه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة؛ فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى (بَرَأَهم) بلطف حكمته على الأشكال المختلفة،أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عبادة البقر التى هى مَثَلٌ فى الغباوة والبلادة[١] .

● **ويختص لفظ البارئ بوصف اللَّه ﷻ، فهو أَخَصُّ من الخالق؛ إذ البَرْءُ خَلْقٌ بترتيبٍ مُسْتَوٍ[٢]، وفيه معنى تمييز المخلوقات بعضها من بعض بأشكال مختلفة[٣]، كما أنه لابُدَّ فى معنى (بَرَأَ) من حدوث المخلوق، فهو خلق حادث لا مُقدَّر، ويدل على هذا قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ الحديد: ٢٢ .

أى: نُحْدِثها ونُوجِدها؛ لأن تقدير المقادير سَبَقَ الإيجاد والإحداث[٤].

● **الخالق:**

وردت مادة (خ ل ق) فى كثير من آيات القرآن الحكيم، من ذلك:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ٢٩ .

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢ .

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ الانفطار.

وقد لخَّصَ الراغب الأصفهانى معانى (الخَلْق) فى القرآن على النحو التالى:

---

(١) الكشاف ١/ ٢٨١ .

(٢) عمدة الحفاظ (ب ر أ) .

(٣) الكشاف ٤/ ٨٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٣١٤، البحر المحيط ٨/ ٢٢٥ .

○ إيجاد الشيءِ من عدم، ولا يكون هذا إلّا للّه ﷻ .

○ استمداد شيءٍ من شيءٍ آخر، وهذا يجوز إطلاقه على غير اللّه ﷻ، فقد جعله ﷻ لعيسى ﵇ فقال ﷻ:

- ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ المائدة: ١١٠ .

التقدير: ولا يكون الخَلْق لغير اللّه ﷻ، إلا على سبيل الظنّ والتوهم والزعم، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم: ٣٠، أى: لِما قَدَّره وقضاه .

○ الكذب، وهو نوع من اختراع الكذب وتقديره فى النفس - كما سبق ذكره - ومنه قول اللّه تبارك اسمه : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ العنكبوت: ١٧ .

وكل موضع استُعمِلَ فيه الخَلْقُ فى وصف الكلام فالمراد به الكذب(١) .

● **وعلى ذلك فإن لفظ الخلق فى القرآن الكريم تتعدَّد معانيه بحسب سياقاته، ومرجعها جميعًا إلى التقدير، أو الإيجاد، أو استمداد شىء من شىء، أو تلفيق الكذب واختراعه .**

● **المُصَوِّر:**

ورد اسم اللّه (المُصَوِّر) فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قوله ﷻ:

- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤ .

فالخالق: القادر المُوجِدُ من العدم، والبارئ خُصَّ بوصف اللّه ﷻ، وهو خَلْقٌ بترتيب مستوٍ، ثم التصوير بعد ذلك(٢)، فالخَلْق أعَمُّ من البَرْءِ، والبَرْءُ أعمُّ من التصوير، ويختص الاسم المُصَوِّر بإعطاء الشىء صورته وهيئته بعد تقديره وترتيبه ترتيبًا مستويًا، فالمعتبر فيه ظهور الصور، كقول اللّه ﷻ:

---

(١) مفردات الأصفهانى (خ ل ق) .

(٢) عمدة الحفاظ (ب ر أ) .

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ غافر: ٦٤، وقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۞﴾ الانفطار.

أى: أوجدك من العدم، فجعلك سويًّا سالم الأعضاء، فصيَّرك معتدلًا متناسب الخلق من غير تفاوُت، كل هذا الترتيب يؤول إلى معنى التصوير، أى إعطاء المخلوق صورة من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقِصَر والذكورة والأنوثة[1]... إلخ.

• والملاحظ فى الاستعمال القرآنى لمادة (ص و ر) بمعنى الخلق أنها ارتبطت - فى أكثر المواضع - بخلق الإنسان، وفى هذا تنبيه على حسن صورة الإنسان وإتقانها، وأن المعتبر فى استعمال لفظ التصوير دون الخلق أو البرء ... أو غيره، هو الإشارة إلى الصورة والهيئة.

• **الفاطر:**

تكرر ذكر مادة (ف ط ر) فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٤.
- ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞﴾ الأنعام: ٧٩.
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ الروم: ٣٠.

فالفاطر من أسماء اللَّه الحسنى، ومعناه كما سبق ذكره: الذى بدأ الخلق ابتداعًا.

وفيه معنى آخر يُفهم من آية الروم، قال الراغب: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ إشارة إلى ما فَطَر أى أَبْدَعَ وركَزَ فى الناس من معرفته ﷻ، وفِطْرة اللَّه هى ما رَكَز فيه من قوته (يعنى الإنسان) على معرفة الإيمان، وهو

---

(١) مفردات الأصفهانى (ف ط ر)، وانظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٢.

المشار إليه بقول اللَّه ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الزخرف: ٨٧ .

وعلى ذلك يختص الفَطْر بملمح دلالى مستقلٍّ هو معنى القابلية للإيمان باللَّه .

• ونخلُص مما سبق إلى أن لهذه الألفاظ ملمحًا دلاليًا مشتركًا هو: الإيجاد، سواءٌ أكان الإيجاد إحداثًا أم تقديرًا .

ولكل واحد منها ملامح دلالية فارقة، على النحو التالى:

• البديع: يختص بإحداث شىء على غير مثال سابق، وفيه معنى الإحكام والإتقان .

• البارئ: يختص بالمُوجِد على الحقيقة، وهو اللَّه ﷻ، كما يختص بمعنى التسوية والترتيب، وتمييز المخلوقات بعضها من بعض .

• الخالق: له معانٍ متعددة، ويتميز عن غيره من الألفاظ المقاربة بالملامح التالية:

• يكون بمعنى التقدير . • يُستعمل فى الخير والشر .

• وقد يُوصَف به غير اللَّه ﷻ .

• المُصَوِّر: يختصُّ بملمح إعطاء المخلوق صورة من الصور، وفيه معنى الإتقان .

• الفاطر: يختص بملمح القابلية للهداية والإيمان .

******

❑ ٢/٨ البَدَن - الجَسَد - الجِسْم:

• البَدَن فى اللغة: الجسد الضخم . ومنه البَدَنَةُ، وهى الناقة أو البقرة التى يُضَحَّى بها؛ سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يُبَدِّنُونها (أى يُسَمِّنونها)، ومنه قولهم:

رجلٌ بادنٌ وامرأة بادنٌ للضخم منهما[١] .

● والجَسَد في اللغة: ما دَلَّ على تجمُّع واشتداد، من ذلك جسد الإنسان[٢] .

● والجِسْم في اللغة: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدوابِّ وغيرها من الأنواع العظيمة الخَلْق . ففيه أيضًا معنى الضخامة[٣] .

هكذا نرى أن الاستعمال اللغوى العاديّ لم يفرق بين هذه الألفاظ، وإن كان بعض اللغويين قد خصُّوا البدن بأنه: ما سِوَى الرأس والأطراف من الجسد[٤] . وخَصُّوا الجسد بجسم الإنسان دون غيره[٥] . والجِسْم عام فى الدوابِّ جميعها[٦] .

لكنَّ الاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ يجعل لكل منها موقعه الذى لا تغنى عنه كلمة أخرى، فالبدن ورد فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يونس: ٩٢ .

أى: بجسمك كاملًا غير منقوص[٧] .

هذا مجمل ما قاله المفسرون فى البدن، وهو أنه الجسم الضخم، سواءٌ أكان فيه روح أم لا .

أمّا الجَسَد فقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرات:

---

(١) مفردات الأصفهانى، النهاية، اللسان (ب د ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ج س د) .

(٣) اللسان (ج س م) .

(٤) اللسان (ج س م) .

(٥) اللسان (ج س د) .

(٦) اللسان (ج س د) .

(٧) الكشاف ٢/٢٥٢، البحر المحيط ٥/١٨٩ .

- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ الأعراف: ١٤٨ .
- ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ طه: ٨٨ .
- ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ⑧﴾ الأنبياء .
- ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ㉞﴾ ص .

وأكثر المفسرين على أن الجسد: الجسم الذى لا روح فيه، وهو يرادف الجثة . هذا قول المحققين من أئمة اللغة مثل أبى إسحاق الزجاج"[1] .

وأمّا الجسم فقد ورد مرتين فى القرآن الكريم، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ البقرة :٢٤٧ .
- ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ المنافقون : ٤ .

والملاحَظ فى الآيتين الكريمتين أن الجسم فيهما خاصٌّ بالإنسان، وأنه وصف محمود، على حين جاء البدن فى سياق ذكر فرعون - بعد موته - وجاء الجسد فى وصف العجل التمثال مرتين، وفى نفى الوصف بالجسد عن الملائكة المكرَمين مرةً، وفى وصف الوليد الذى وُلِدَ لسليمان عليه السلام مرة، وهو شِقٌّ رجل يكاد يخلو من الروح .

● ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (البدن - الجسد - الجسم) بينها تقارب دلالىّ؛ حيث تشترك فى ملمح عامٍّ هو وصف هيئة كائن ذى ثلاثة أبعاد .

ولكلٍّ منها ملمح دلالىّ يميّزه عن غيره:

● فالبَدَن يتميز بالضخامة . ● والجَسَد يتميز بالخلوّ من الروح .

● والجِسْم يتميز بالحياة والروح والجمال .

******

(١) البحر المحيط ٣٩٢/٤، التحرير والتنوير ٩/ ١١٠، ١٧/ ١٩ .

❑ ٢/ ٩ التَّبْذير - الإِسْراف:

● التَّبْذير في اللغة: نثر الشيء وتفريقه، مأخوذ من بذر الحبوب للزراعة، وكلُّ ما فرَّقته وأفسدته فقد بذَّرته، واستُعير لتضييع المال؛ لأن فاعل ذلك يشبه - في الظاهر - مَنْ يلقى البذر في الأرض ولا يعرف مآل ذلك(١) .

● والإِسْراف في اللغة: مجاوزة القصد وترك الاعتدال في كل شيء، والإسراف في المال: إضاعته أو وضعه في غير موضعه(٢) .

فاللفظان متقاربان في الدلالة؛ إذ يجتمعان في معنى الإضاعة والتفريق .

وبتأمُّل الاستعمال القرآني للفظين (بذَّر - أسرف) نجد أن الأول منهما قد خصَّ به إضاعة المال دون غيره(٣)، كما في قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ الإسراء .

وتحديد معنى التبذير بإضاعة المال في الآيتين يرجع إلى ورودهما في شأن الزكاة، والمراد: آتِ ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقَّهم من الزكاة، ولا تضيِّع مالك فيما نهى اللَّه عنه من المباهاة والتفاخر(٤) .

بينما استعمل القرآن الكريم لفظ الإسراف في المال وغيره، فمن استعماله في معنى إضاعة المال ووضعه في غير موضعه قول اللَّه ﷻ في صفة عباد الرحمن:

- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ الفرقان .

---

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ب ذ ر) .

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (س ر ف) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ب ذ ر) .

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٦ .

ومن استعماله فى معنى مجاوزة الحدِّ والإفراط فى المعاصى قول اللّه ﷻ:

- ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر .

● ونخلُص مما سبق إلى أنَّ لفظَى (التبذير - الإسراف) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى الملمحين التاليين:

● أن كِلَيهما وصف مذموم .

● دلالة كليهما على الإفراط ومجاوزة الحد .

مع وجود ملامح دلالية فارقة بينهما :

● فالتبذير خاص بإضاعة المال .

● والإسراف عامٌّ فى المال وغيره من الذنوب والمعاصى والقتل وغير ذلك .

فبين اللفظين عموم وخصوص .

******

❑ ٢/ ١٠ بَرَأَ - خَلَقَ:

● (بَرَأَ) فى اللغة: خلق على غير مثالٍ سابق، ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الكائنات الحيَّة ما ليس لغيرها، وقلَّما تُسْتَعمَل فى غير الحيوان، فيقال: بَرَأَ اللهُ النَّسَمَةَ، وخلق السماواتِ والأرض[١] .

وذهب بعض العلماء إلى أن أصل (بَرَأَ) مهموز، بمعنى: خلق على غير مثال: وبعضهم ذهب إلى أن أصلها (بَرَى) غير مهموز، مأخوذ من البَرَى وهو

---

(١) النهاية، اللسان (ب ر أ) .

التراب، أى: خلق اللَّه الناس من تراب[١] .

وعلى كلا التوجيهين فإن المعنى العام للفظ هو: خلق الحيوان خلقًا أوَّليًا، وعلى غير مثال سابق .

• و(خَلَقَ) فى اللغة يدور حول معنيين:

- **الأول**: التقدير، أى تقدير وجود الأشياء قبل وجودها[٢] .

- **والثانى**: إيجاد الشىء على مثالٍ لم يُسْبَق إليه[٣] .

• وقد ورد الفعل (بَرَأ) مرة واحدة فى القرآن الكريم، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ الحديد: ٢٢ .

تشير الآية الكريمة بقول اللَّه ﷻ: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى المصائب العامة كالقحط وفيضان السيول وتَلَف الأموال، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ : إشارة إلى المصائب اللاحقة لذوات الناس من الأمراض وقطع الأعضاء والأسر فى الحرب، وموت الأحباب . . . إلخ . والكتاب مجاز عن علم اللَّه تعالى[٤] .

فاستوعب الفعل (بَرَأ) خَلْقَ هذه الأحداث جميعًا، ولكن البَرْءَ هنا معناه: الإيجاد عن تقدير وعلم سابق؛ فهو أَخَصُّ من الخلق؛ لأن الخلق يشمل دلالتى التقدير، والإيجاد، كما سبق .

كذلك ورد اسم اللَّه ﷻ (البارئ) فى القرآن الكريم مرتين فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) مفردات الأصفهانى، اللسان (ب ر أ) .

(٢) مفردات الأصفهانى، اللسان (خ ل ق) .

(٣) مفردات الأصفهانى، اللسان (خ ل ق) .

(٤) الكشاف ٤/ ٦٦، التحرير والتنوير ٢٧/ ٤١٠-٤١١ .

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ البقرة .

ومرةً فى قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤ .

فالاسم (الخالق) معناه: المقدِّر لِما يُوجِده، و(البارئ): المميِّز بَعْضَه من بعض بالأشكال والهيئات المختلفة[١] .

● وأمّا (خَلَق) فى القرآن الكريم فيتَّسِعُ معناه ويشمل التقدير السابق للأشياء، و إيجادها، ويستوعب الحيَّ وغيره، كما يظهر بجلاء من قول اللّه ﷻ:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ البقرة .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (بَرَأَ - خَلَقَ) يُظهِر اشتراكهما فى معنى: إيجاد الأشياء .**

● **والملمح الدلالىُّ المميِّز لكلمة (بَرَأَ) هو: تمييز الأشياء بعضها من بعض بإعطائها هيئاتٍ متفاوتة كى تتباين .**

● **فى حين أن الملمح الدلالىّ المميِّز لكلمة (خَلَقَ) هو استخدامها فى معنى التقدير .**

****

❑ ٢/ ١١ البُرْهان - الحُجَّة - الدَّليل:

● البُرْهان فى اللغة: فارسىٌّ معرَّب، أصلُه (بران) أى: اقطع ذلك الشىء[٢] .

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٧ .

(٢) المعرب للجواليقى (ب ر هـ) .

واشتُقَّ لمعنى الحجة الفاصلة القاطعة التى تقتضى الصدق المؤكَّد والدليل الذى لا شكَّ فيه[١] .

• والحُجَّة فى اللغة: مأخوذة من الحَجِّ - أى القصد - لأداء معنى: الوجه الذى يكون به الظَّفَر عند الخصومة[٢] .

• والدَّليل فى اللغة: الهادى الذى يُهْتَدَى به[٣] .

وتشترك هذه الألفاظ جميعًا فى معنى: الوضوح والفصل والتمييز .

وقد راعَى الاستعمال القرآنى تدرُّج المعانى فى هذه الألفاظ، فاستعمل البرهان بمعنى الحُجَّة الفاصلة التى تقتضى الصدق المؤكَّد، والدليل الذى لا شكَّ فيه، كما فى قول اللَّه تعالى:

- ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة: ١١١ .

- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ الأنبياء: ٢٤ .

- ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ النمل: ٦٤ .

واستعمل الحُجَّة بمعنى الدليل المُبيِّن للمحَجَّة - أى القصد المستقيم - فى مواجهة خصم مخالف معاند[٤]، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ الأنعام: ١٤٩ .

وأمّا الدليل فقد استُعمِل فى القرآن الكريم بمعنى: العلامة التى يُهْتَدَى بها[٥]، كما فى قول اللَّه ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ

---

(١) تهذيب اللغة، اللسان (ب ر هـ ن) .

(٢) تهذيب اللغة (ح ج ج) .

(٣) اللسان (د ل ل) .

(٤) التحرير والتنوير ٣/ ٤٦ .

(٥) الكشاف ٣/ ٩٤ .

سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ الفرقان .

ونخلُص مما سبق إلى أن:

- **البرهان: الحُجَّة الفاصلة والدليل الذى لا شكَّ فيه .**
- **الحُجَّة: الدليل الذى يُستخدم فى مواجهة خصم .**
- **الدليل: العلامة المبيِّنة لصدق الدعوى .**

وتشترك الألفاظ الثلاثة فى ملمح الوضوح والصدق، بينما تختلف فى فروق دلالية دقيقة:

- **فالبرهان: أخص من الدليل والحُجَّة؛ لتوكيده بصفة القطعية واليقين .**
- **والحُجَّة: أخص من الدليل؛ خُصِّصت بملمح مواجهة الخصم .**
- **والدليل: أعمُّ هذه الألفاظ الثلاثة، وهو بمعنى العلامة التى تُرشِد وتَهْدِى .**

****

❑ ٢/ ١٢ البُزوغ - الطُّلوع:

- أصل مادة (ب ز غ) فى اللغة: الشَّق، يقال: بَزَغَت السِّنُّ، أى ابتدأت فى الطُّلوع، وبزغ البَيْطارُ الدابَّةَ - إذا شَقَّ جلدها بالمِشْرَط، ومنه بَزَغَت الشمسُ، وبَزَغَ النجمُ والقمرُ، أى بدأ طلوعها كأنها تَشُقُّ بنورها الظلمة شقًّا[١] .
- وأصل مادة (ط ل ع) فى اللغة: الظهور والبروز[٢] .

وقد راعَى الاستعمال القرآنى للفظين هذا الفارق الدلالىّ الرَّهيف بينهما، فجاء البزوغ بمعنى أول الظهور، كما فى قول اللّه ﷻ:

---

(١) اللسان (ب ز غ) .

(٢) مقاييس اللغة (ط ل ع) .

- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ الأنعام .

أى رأى إبراهيم عليه السلام القمر والشمس فى أول طلوعهما ؛ لأنَّه كان يترقَّب طلوعهما، فرآهما فى أول طلوعهما، وهو البزوغ[1] .

أمّا الطُّلوع فقد استُعمِل للدلالة على تمام الظهور، كما فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الكهف: ١٧ .

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ الكهف .

- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ طه: ١٣٠ .

فى آية الكهف رقم (١٧)يتحدَّد معنى الطلوع بأنه ارتفاع الشمس وتمام ظهورها ؛ وذلك بقرينتين :

- الأولى : قوله ﷻ : ﴿وَتَرَى﴾ ، والرؤية غير الترقُّب، فقد عُبِّر بالبزوغ بمصاحبة الترقُّب؛ لأن المترقِّب ينتظر أول ظهور الشيء . بينما عُبِّر بالطلوع بمصاحبة الرؤية، التى قد لا تكون قصديَّة، والرّائى حينئذٍ يرى ما تمَّ واكتمل ظهوره .

- الثانية : قوله ﷻ : ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أى تميل[2]، والشمس لا تُرَى متمايلةً إلّا بعد ارتفاعها فى الأفق .

وفى الآية رقم (٩٠) من سورة الكهف يتحدَّد معنى الطلوع بتمام الشروق، بقرينة قوله ﷻ : ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ، ولا يُتَّخَذُ السِّتْرُ

(١) البحر المحيط ٤/ ١٦٧، الكشاف ٢/ ٣١ .
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٥ .

وقاءً من الشمس إلّا إذا تم ظهورها واشتدَّ حَرُّها .

وأما الآية رقم (١٣٠) من سورة طه فقد فسَّرها بعض المفسِّرين بأن المراد بالتسبيح: "قول: سبحان اللَّه وبحمده، من بعد صلاة الصبح إلى ركعتى الضحى"[١] .

وهذا يعنى ارتفاع الشمس، فالوقت من بعد صلاة الصبح إلى الضُّحى هو وقت تمام الظهور والانتشار .

● **ونخلُص ممّا سبق إلى أن لفظى (البزوغ - الطلوع) يتفقان فى ملمح دلالىٌ مشترك هو: الظهور والبروز .**

● **لكن البزوغ يختص بملمح دلالى فارق هو: بداية الظهور . بينما الطلوع هو: تمام الظهور .**

****

❑ ١٣/٢ بَسَرَ - عَبَسَ:

● كلا اللفظين فى اللغة مترادفان، فهما بمعنى التقطيب والتجهُّم وكلاحة الوجه[٢] .

ولكن ورود اللفظين معطوفين فى القرآن الكريم يدلُّ على أن هناك فارقًا بينهما؛ لأن العطف يُوجِب المغايرة، وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ المدثر .

فالعبوس: تقطيب الوجه . والبسر أشدُّ من ذلك، ومعناه: كَلَحَ وجهُه وتغيَّر لونه خوفًا وكمدًا[٣] .

---

(١) نقله أبو حيان عن ابن عطية، فى: البحر المحيط ٦/ ٢٩٠ .

(٢) اللسان (ب س ر، ع ب س) .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٠٩ .

وفى الآيات بيانٌ لتدرُّج مشاعر السخط والكراهية، حيث يبدأ ذلك بالنظر، ثم عبوس الوجه أى ظهور ملامح الكراهية عليه، وهو التقطيب والتجهُّم، ثم يزداد ظهور ملامح الكراهة والسخط فيتغير لون الوجه وتنقبض أساريره وتبدو كلاحته .

• **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (العبوس - البسر) يشتركان فى ملمح عامٍّ هو الكراهة وظهور ملامحها على الوجه، إلّا أن البَسْرَ أقوَى وأشدُّ .**

******

❑ ٢/ ١٤ الاسْتِبْشار - البَهْجَة - الحُبور - السُّرور - الفَرَح:

• الاسْتِبْشار فى اللغة: مأخوذ من مادة (ب ش ر) التى يدل أصلها على ظهور الشىء مع حسن وجمال، فالبشرة: ظاهر جِلْد الإنسان، ويقال: بَشَّرْت فلانًا أُبَشِّره تبشيرًا فاستبشر[١]، أى ظهر على وجهه ملامح الفرح مع نضرة وحسن وطَلاقة .

• والبَهْجَة فى اللغة: الحُسْن والنَّضْرة[٢] .

• والحُبور فى اللغة: النعمة وحسن العيش مع السرور والجمال والبهاء[٣] .

• والسُّرور فى اللغة: الفرح، وأصل مادة (س ر ر) الخفاء، ومن ذلك السِّرُّ[٤]؛ وذلك لأن السرور يكون فى القلب ولا تظهر علاماته على ظاهر الإنسان .

• والفَرَح فى اللغة: خلاف الحزن[٥]، وهو أن يجد الإنسان فى قلبه خفة،

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب ش ر) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب هـ ج) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ح ب ر) .

(٤) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (س ر ر) .

(٥) مقاييس اللغة (ف ر ح) .

والفَرَح أيضًا: البَطر[١].

● **ويُؤخَذ مما سبق أنَّ الاستبشار والبهجة والحُبور تأتى مترادفة؛ حيث تشترك هذه الألفاظ الثلاثة فى: الحسن، والجمال، وظهور أثر ذلك على ظاهر الإنسان، ولعل فى الحُبور ملمحًا زائدًا هو النعمة.**

● **بينما يتميز السُّرور عن هذه الألفاظ بكونه خفيًّا؛ لاشتقاقه من السِّرّ، ويختلف الفرح عنها بدلالته على معنى مغاير هو البَطَر.**

أمّا فى الاستعمال القرآنى فقد وردت هذه المفردات بملامح دلالية مختلفة وإن كانت متقاربة، على النحو التالى:

● **البُشْرَى والاسْتِبْشار:**

تكرَّر ذكر البُشْرى والتبشير والاستبشار فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ البقرة.

- ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ آل عمران.

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ التوبة.

---

(١) اللسان (ف ر ح).

الاسْتِبْشار: سرور ظاهر؛ لأن الخبر السارَّ (البُشْرَى والبِشارة) يؤثر فى النفس وتظهر آثاره على بَشَرة الوجه[١]، كما أنَّ فيه معنى الحُسن الظاهر على الوجه أيضًا؛ لأنَّ السرور القلبىَّ يُلقِى على الوجوه بهاءً وإشراقًا؛ ولذلك وُصفت وجوه المؤمنين يوم القيامة بالاستبشار، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ عبس.

كما اسُتعمِل التبشير فى إخبار المؤمنين بما يسرُّهم فى الدنيا والآخرة[٢].

● **البَهْجَة:**

وردت مادة (ب هـ ج) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ الحج: ٥.

- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ ق.

- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ النمل: ٦٠.

البَهْجَة: الجمال والحسن؛ لأن الناظر فيها يبتهج، أى يُسَرُّ ويفرح[٣].

● **فالبَهْجَة - إذن - جمال وسرور ونضارة ظاهرة، والملاحظ أن هذا اللفظ فى القرآن الكريم خُصَّ بوصف النبات، بما له من نضرة وحسن يُشيع السرور فى قلب الناظر إليه.**

---

(١) الكشاف ١/ ٢٥٤، البحر المحيط ١/ ١٠٩.

(٢) التبشير أيضًا قد يُستعمل فى الحزن والمكروه، نحو قول اللَّه ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وذهب ابن فارس والزمخشرى إلى أن ذلك من قبيل العكس فى الكلام الذى يُقصَد به الاستهزاء. (الكشاف ٣/ ١٥٥، البحر المحيط ٧/ ٨٩).

(٣) الكشاف ٣/ ١٥٥، البحر المحيط ٧/ ٨٩.

● **الحُبور:**

جاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥﴾ الروم.

- ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ الزخرف.

قال الزمخشرى: يقال: حَبَرَهُ، إذا سَرَّه سرورًا تهلَّلَ له وجهه وظهر فيه أثره. واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المَسارِّ، فعن مجاهد ﷺ: يُكرَمون، وعن قتادة: يُنَعَّمون، وعن ابن كيسان: يُحَلَّوْنَ، وعن وكيع: السَّماع (أى الغناء) فى الجنة[1].

وقال الزجاج: تُكرَمون إكرامًا يُبالَغ فيه، والحَبْرَة: المبالغة فيما وُصِف بجميل[2].

● **فالحُبور - إذن - يجمع المسارَّ كلَّها من حسن وجمال وسرور وزينة ولذَّة ونعمة، مع ظهور آثار ذلك فى الوجوه، فالقرآن الكريم جمع للمؤمنين فى الجنة كل أنواع النعيم.**

● **السُّرور:**

وردت كلمة (سرور، مسرور) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ الإنسان.

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٧، ٣/ ٤٦٥.

(٢) معانى القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبى، القاهرة: دار الحديث - ط١- ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م - ٣/ ٣٦٦.

إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ الانشقاق .

جاءت لفظة (سرورًا) فى آية الإنسان فى سياق وصف حال المؤمنين يوم القيامة فى مقابل حال الفُجّار، فبدلًا من عبوس الفُجّار يُعْطِى اللَّه ﷻ المؤمنين نضرة فى الوجوه وسرورًا فى القلوب[1] .

● **فالسُّرور - إذن - يختص بالقلوب، وهو فرح خالصٌ خَفِىٌّ، ويظهر أثره بشرًا وحُبورًا .**

● **الفَرَح:**

تكرَّر ذكر الفرح فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، وأكثر استعماله فى القرآن الكريم فى اللذة العاجلة[2]، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ آل عمران .

- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الأنعام .

- ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ المؤمنون .

وندر إطلاق الفرح فى القرآن الكريم وصفًا محمودًا للمؤمنين، فمن بين اثنين وعشرين موضعًا ذُكِرَ فيها الفرح، كان فيها وصفًا محمودًا فى ثلاثة مواضع فحسب، وهى الآيات التالية:

- ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُوا۟ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ آل عمران .

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٧ .

(٢) انظر: مفردات الأصفهانى (ف ر ح) .

- ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يونس .

- ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ الروم .

وذلك لأن رحمة اللَّه وفضله ونصره للمؤمنين يُورِث خفَّة فى القلب، كما يُورِث شعورًا خفيًّا وهو المُسمَّى بالسرور .

ولا تَعارُضَ بين فرح المؤمنين بما آتاهم الله، وبين قول اللَّه تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ القصص: ٧٦؛ لأن الأول : فرح المؤمنين بالملاذِّ الأُخروية، والأخير : فرح غير المؤمنين بالملاذِّ الدنيوية[١] .

● فالفَرَح أكثر استعماله فى القرآن جاء فى معرض الذمِّ، لتعلقه بالملذّات العاجلة، ولارتباطه بالبطر، وقلَّ استعمالُه فى معرض المدح؛ ليجمع اللَّه لعباده المؤمنين اللذة مع النعمة والكرامة .

● ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (الاسْتِبْشار - البَهْجَة - الحُبور - السُّرور - الفَرَح) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها فى: الشعور المتولِّد عن حصول نفع أو اندفاع ضرر، أو توقُّع ذلك .

وتتباين الملامح الدلالية التى تميِّز كل لفظ من هذه الألفاظ، على النحو التالى:

● الاسْتِبْشار: يتميَّز بملمح البهاء والإشراق الظاهر فى الوجوه .

● البَهْجَة: تتميَّز بملمح الجمال، وما يبعثه من سرور فى قلب الناظر إليه، وهو فى القرآن خاص بوصف النبات ونضرته .

● الحُبور: اجتماع المسارِّ كلها ظاهرة وباطنة، فهو دالٌّ على العموم .

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١١٤

● **السُّرور: يتميز بالخفاء، فهو فرح خالص مكتوم فى القلب .**

● **الفَرَح: يتميز بارتباطه باللذة العاجلة، وقد يصاحبه بَطَرٌ فيكون مذمومًا، فإن لم يصاحبه بَطَرٌ فهو محمود .**

****

❑ ٢/ ١٥ الإِبْصار - الرُّؤْية - النَّظَر:

● أصل مادة (ب ص ر) فى اللغة: وضوح الشىء، يقال: بَصُرْتُ بالشىءِ: إذا صِرْتَ به بصيرًا عالمًا، وأَبْصَرْتُه: إذا رأيته[١] .

● وأصل مادة (ر أ ى) فى اللغة: العلم بالشىء، إمّا بالعين أو بالقلب[٢] .

● وأصل مادة (ن ظ ر) فى اللغة: تأمُّل الشىءِ ومعاينته[٣] .

هكذا تعطينا المعاجم اللغوية بعض الملامح الدلالية لهذه الألفاظ المتقاربة، ولكنها ملامح غير حاسمة فى الفرق بينها .

فالإبصار يتميز بالوضوح، والرؤية تتميز بالعلم، والنظر يُميِّزه التأمُّل .

ونحن - إذن - بإزاء ثلاثة مستويات تبدأ بالنظر أى التأمُّل فى الشىء ومعاينته، ثم إبصاره أى وضوحه للعين أو للعقل، ثم رؤيته وهى العلم به:

○ **نَظَر = (تأمُّل) .**

○ **إبْصار = (وضوح الشىء المنظور إليه) .**

○ **رُؤْية = (علم بالشىء) .**

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب ص ر) .

(٢) المحكم، اللسان (ر أ ى) .

(٣) الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (ن ظ ر) .

وقد استُعملت مادَّة (ب ص ر) فى القرآن الكريم كثيرًا، ودارت معانيها حول الإدراك بحاسَّة البصر (وهى العين)، والإدراك بالبصيرة وهى القلب أو العقل[١]، ومن شواهد البصر بالجارحة قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ النحل .

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ مريم .

ومن شواهد البصر بالقلب، أى العلم بالشىء، قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ الأعراف .

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يونس .

توضِّح آية الأعراف (رقم ١٩٨) بجلاء أن النظر غير الإبصار، فهم (ينظرون)، وفى الوقت نفسه (لا يبصرون) .

فالنظر هنا صورة ظاهريَّة؛ لأنهم صوَّروا أصنامهم فى هيئة الناظر بحدقته إلى الشىء، ولكنهم لا يدركون هذا الشىء[٢] .

إذن فالنظر هو التحديق بحاسَّة الإبصار نحو الشىء، ولكن هذا فى حدِّ ذاته لا يؤدِّى إلى إدراك الشىء .

فالنظر تحديق، والإبصار إدراك .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ب ص ر) .

(٢) الكشاف ٢/١٣٨ .

أمّا الرؤية فتُستعمل للإدراك بحاسَّة البصر، وللإدراك بالفكر والعقل[١]، فمن الإدراك بالحاسَّة قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ مريم .

- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ الأنعام .

ومن الإدراك بالفكر والعقل قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ الأنفال

- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ النجم .

ولكن للرؤية مزيَّة على الإبصار؛ فالرؤية علمٌ ثابت لا شكَّ فيه؛ ولذلك عُبِّرَ بها عن العلم اليقينى فى نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ التكاثر .

والنظر أَدْنَى مراتب الإدراك بالعين؛ لأن الناظر قد لا يبصر ولا يرى، يقال: نظرت إلى كذا، إذا مَدَدْتَ طَرْفَكَ إليه، سواء رأيته أو لم تَرَه[٢] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (البصر - الرؤية - النظر) متقاربة دلاليًّا؛**

---

(١) مفردات الأصفهانى (ر أ ى) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ن ظ ر) .

حيث تشترك جميعها فى معنى تأمُّل الشىء لإدراكه .

ولكن لكل منها درجة فى الإدراك:

- **أعلاها الرؤية التى تتميَّز باليقين .**
- **ثم الإبصار الذى يتميَّز بالوضوح .**
- **وأدناها النظر الذى قد يكون توجُّه العين إلى الشىء دون رؤيته، وقد يكون تدبُّرًا مع رؤية الشىء .**

******

❑ ٢/ ١٦ بَعَثَ - أَرْسَلَ:

- أصل البعث فى اللغة: الإثارة والتوجيه والتنبيه[١]، ثم يختلف البعث باختلاف ما عُلِّق به، فتارةً يكون عامًّا فى معنى التوجيه والإثارة كما يقال: بعثتُ البعيرَ، أى سَيَّرتُه، وبعثتُ رسولًا، أى وجَّهته. والبعث إيقاظ من النوم، وتنبيه من الغفلة والضلالة، وإحياء اللَّه للموتى بعث لهم[٢]. وتجتمع هذه المعانى فى التوجيه والتنبيه .

- وأصل الإرسال فى اللغة: توجيه الشىء برفقٍ وتُؤَدَةٍ ورحمة، ومنه الترسُّل فى الكلام والمشى، أى الهدوء والتأنِّى وعدم العجلة، ومنه قولهم: على رِسْلِكَ، أى تَرَفَّقْ وتَأَنَّ فى القول أو الفعل، والاسترسال: الطمأنينة والسكون .

وبهذا يتضح أن البعث والإرسال يشتركان فى معنى لغوى عامٍّ هو التوجيه .

ويختلفان فى: أن البعث يتميز بملمح التنبيه والإيقاظ .

والإرسال يتميَّز بالرفق والتؤدة والهدوء .

---

(١) اللسان (ب ع ث) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ب ع ث) .

والاستعمال القرآنى للكلمتين يدور حول المعانى اللغوية المذكورة، ولكن لكلٍّ سياق ملامح دلالية تميِّز اللفظ .

وبتأمُّل المواضع التى ورد فيها البعث فى القرآن الكريم، نجد أنه ورد بالمعانى الآتية:

- مطلق التوجيه، كما فى قول اللَّه تعالى:

- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المائدة: ٣١، أى: قيَّضه[١] .

- توجيه الرسل بوحى اللَّه تعالى وأمره، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ النحل: ٣٦ .

- إيقاظ النائم، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الأنعام: ٦٠ . أطلق لفظ البعث على اليقظة؛ لأن النوم من جنس الموت[٢] .

- إحياء الموتى، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ البقرة: ٢٥٩ .

أما الإرسال فى القرآن الكريم فقد ورد بمعانٍ مقاربةٍ للمعانى اللغوية المذكورة، وجُلُّها يختصُّ بمعنى التوجيه المصحوب برحمة ورفق وأَناة؛ ولذلك استُعمل فى المعانى الآتية:

- إرسال الرسل، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ب ع ث) .

(٢) الموضع السابق .

● **توجيه الخير كالرياح والمطر ونحوهما، ومن ذلك قوله ﷻ:**

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ الفرقان: ٤٨ .

أى: وجَّهها وسخَّرها لخير العباد[١] .

وهكذا نجد أن لفظ الإرسال قد ارتبط - فى الاستعمال القرآنى - بالرحمة والرفق، إلا ما كان الفعل فيه مركبًا مع حرف الاستعلاء (على) كما فى قوله ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ مريم .

- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ الفيل .

وهنا تغيرت الدلالة المعجمية للفظ الإرسال؛ حيث اكتسبت من حرف الاستعلاء معنى القوة والقهر والتسليط والعذاب .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى لكلمتى (البعث - الإرسال) يشترك فى ملمح دلالىّ عامّ هو: التوجيه .**

وبين الكلمتين ملامح دلالية فارقة هى:

● **البعث: يتميَّز بملمح التنبيه والإيقاظ والإثارة .**

● **الإرسال: يتميَّز بملمح الرفق والرحمة، إلّا فى المواضع التى جاء مركبًا فيها مع حرف الاستعلاء (على) .**

******

❑ ٢/١٧ البَغْضاء - الشَّنَآن - القِلَى - الكُرْه - المَقْت:

● البَغْضاء فى اللغة: شدَّة البُغض، خلاف الحب[٢] .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ر س ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب غ ض) .

• والشَّنَآن فى اللغة: البغض[١]، مع التجنُّب والتقزز والقبح[٢] .

• والقِلَى فى اللغة: التجافى عن الشىء وتركه[٣]، لشدة الكُره له[٤] .

• والكُرْه والكراهة والكراهية فى اللغة: خلاف الحب[٥] .

• والمَقْت فى اللغة: أَشَدُّ البُغضِ، وهو بُغْضٌ عن أمرٍ قبيح رَكِبَه[٦] .

هكذا لا تُسعفنا اللغة بفروق دلالية دقيقة بين هذه الألفاظ، كما يتضح من تساوى معانى (الشَّنَآن والقِلَى والمَقْت)، وأن البَغضْاءَ لا تختلف عن الكُرْه إلّا فى ملمح الشدة فى البَغْضاء .

وفى القرآن الكريم ورد لفظ البَغْضاء على النحو التالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨ .

- ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ المائدة: ٦٤ .

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ المائدة: ٩١ .

البغضاء كما يتضح من الآيات السابقة: شدة الكُرْه؛ لاجتماعه مع العداوة لفظًا فى آيتى المائدة ٦٤، ٩١ ، ومضمونًا فى آية آل عمران، وفى هذه الآية ذكر اللَّه ﷻ اليهود وما يضمرونه للمؤمنين من بُغْض يظهر فى فلتات ألسنتهم، وما يخفون فى قلوبهم أكبر مما يظهر على ألسنتهم[٧] .

---

(١) اللسان (ش ن أ) .

(٢) مقاييس اللغة (ش ن أ) .

(٣) مقاييس اللغة (ق ل و) .

(٤) المحكم، اللسان (ق ل ا) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر ه) .

(٦) مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (م ق ت) .

(٧) البحر المحيط ٣/ ٣٩ .

فالبغضاء كراهية شديدة، مرتبطة بالعَداء .

● أمّا الشَّنَآن فقد تكرَّر فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ المائدة: ٢ .

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ المائدة: ٨ .

- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الكوثر .

الشَّنَآن: أن تبغض الشيءَ بُغْضًا شديدًا مع تَقَذُّرٍ له[١] .

ففى الشَّنَآن زيادة على الكُرْه والبغض ملمح الشدَّة، وملمح التقذُّر؛ ولذلك جاء فى سياق النَّهْى عن الظلم والحضِّ على العدل ، حتى وإن كان ذلك مع من تبغضونهم أشدَّ البغض وترونهم أقذارًا تتقزَّز لها نفوسكم .

ووُصِف بها مَنْ كان يبغض رسول اللَّه ﷺ، وهو العاص بن وائل فى رواية، وأبو جهل فى رواية، وعقبة بن أبى معيط فى رواية ثالثة، وأيًّا كان هذا الشانئ لرسول اللَّه ﷺ، فقد كان البُغض متمكِّنًا من نفسه، وفيه نوع من الاستهانة برسول اللَّه ﷺ حيث كان يقول: دَعُوه؛ إنما هو رجلٌ أبتر لا عَقِبَ له، لو هلك انقطع ذِكْرُه واسترحتم منه[٢]. ولهذا عُبِّر بلفظ (شانئ) الدالّ على شدة البغض، مع التقذُّر والتجنُّب .

● وأمّا القِلَى فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ۝١٦٨﴾ الشعراء .

- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ الضحى .

جاءت آية الشعراء على لسان سيدنا لوط عليه السلام مخاطبًا قومه الذين كانوا

---

(١) الكشاف ١/ ٥٩٢، مفردات الأصفهانى (ش ن أ) .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٩١، البحر المحيط ٨/ ٥١٩ ، ٥٢٠ .

يأتون الرجال من دون النساء، ومعنى القِلَى: البغض الشديد كأنَّه بُغْضٌ يَقْلِى الفؤاد والكبد؛ وذلك لِعِظَم معصيتهم[١] .

هكذا جعله الزمخشرى مشتقًّا من قَلَى يَقْلِى، وهو القياس كما ذكر ابن فارس[٢] .

وهناك وجهٌ آخر للقِلَى، وهو أن يكون من (قَلا يَقْلُو قَلْوًا)، من قولهم: قَلَت الناقةُ براكبها، أى رَمَتْ به، فكأنَّ المَقْلُوَّ هو الذى يقذفه القلب من شدة بغضه له[٣] .

ويرجِّح هذا التأويل ذكر التوديع معطوفًا على القِلَى فى سورة الضحى، والمراد أن اللَّه ﷻ لم يترك نبيه ﷺ ولم يبغضه كما ادَّعى ذلك كفار قريش .

إذن فالقِلَى: بُغْضٌ شديد مصحوب بالترك والنفور .

● وأما الكُرْه فهو أعمُّ هذه الألفاظ، وهو كما جاء فى المعاجم: خلاف الحُبّ، ومن شواهده القرآنية قول اللَّه ﷻ:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩ .

- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑧﴾ الأنفال .

● وأما المَقْت فقد تكرر فى القرآن الكريم ست مرات منها:

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٥ .

(٢) مقاييس اللغة (ق ل و) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ق ل ى) .

- ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ النساء .
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ غافر .
- ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ الصف .

المَقْتُ: أشدُّ البغض، ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه: (مَقْتيٌّ)؛ لكونه ممقوتًا فى كل قلب[1]، وهو لمن ارتكب فعلًا قبيحًا منافيًا للمروءة[2] .

فالمَقْت أشدُّ هذه الكلمات وأخَصُّها؛ لأنه يتضمَّن الكراهية، مع الشدة، والقبح، ومنافاة المروءة .

- **ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ (بَغْضاء - شَنَآن - قِلًى - كُرْه - مقت) بينها تقارب دلالىٌّ؛ حيث تشترك فى أنها جميعًا تناقض الحُبَّ، وفيها عدم رِضًا .**
- **والكُرْه أعمُّ هذه الألفاظ .**

ولسائرها ملامح دلالية تميِّز بعضها عن بعض:

- **فالبَغْضاء: شدة الكراهية .**
- **والشَّنَآن: بُغضٌ شديد وتجنُّب وتقذُّر .**
- **والقِلَى: بُغْضٌ شديد مع ترك ونفور .**
- **والمَقْت: بغضٌ شديد مع قبح الممقوت ومنافاته للمروءة .**

****

(١) الكشاف ٣/٣١١ .

(٢) الكشاف ١/٥١٥، وانظر: مفردات الأصفهانى (م ق ت) .

❑ ١٨/٢ البَغْى - الطُّغْيان - الظُّلْم - العُتُوُّ - العُدْوان:

• البَغْى فى اللغة: الفساد والشِّدَّة، يقال: بَغَى الجُرحُ إذا فَسَدَ، وبَغَى المطرُ إذا اشتدَّ. ثم أُطلق البَغْىُ على التعدِّى ومجاوزة الحدِّ بغير حق، وقصد الفساد(١).

• والطُّغْيان فى اللغة: مجاوزة الحدِّ فى كل شىء، يقال: طغَى الماء وطغَى السيلُ إذا جاء بماء كثير، وطغَى البحرُ: هاجت أمواجه. وطغَى الإنسانُ طُغْيانًا: جاوز القدر فى الكِبْر والمعصية والكفر(٢).

• والظُّلْم فى اللغة: وضع الشىء فى غير موضعه، قال كعب:

أنا ابْنُ الَّذى لَمْ يُخْزِنِى فى حياتِهِ ولَمْ أُخْزِهِ حتَّى تَغَيَّبَ فى الرُّجُمْ

أقولُ شبيهاتٍ بما قالَ عالمًا بِهِنَّ وَمَنْ يُشْبِهْ أباهُ فما ظَلَمْ

أى: ما وضع الشبه فى غير موضعه.

ويقال: لزموا الطريق فلم يظلموا، أى لم يحيدوا عنه. ومنه أُخذ معنى الظلم وهو الميل عن القَصْد(٣).

• والعُتُوُّ فى اللغة: التكبُّر والتجبُّر والعصيان(٤).

• والعُدْوان فى اللغة: تجاوز ما ينبغى أن يُقْتَصَرَ عليه، وهو الظلم الصُّراح(٥).

هكذا لا تسعفنا المعاجم اللغوية بفروق دلالية واضحة بين هذه الألفاظ، فقد تكررت عبارة (مجاوزة الحَدِّ أو القَدْر) فى تفسيرها جميعًا.

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب غ ى).

(٢) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، المحكم، اللسان (ط غ ى).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ظ ل م).

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ع ت و).

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ع د و).

وفيما يلى نعرض للاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ وما بينها من فروق دقيقة فى القرآن الحكيم .

● **البَغْى:**

تكرر ذكر البَغْى ومشتقاته فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهده الآيات التالية:

- ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ البقرة: ٩٠ .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الأعراف .

- ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ الحج .

البَغْى فى الآية الأولى: الحَسَد والظلم(١)، وفى الآية الثانية: الظلم والكِبْر والتعدِّى(٢) .

● فالبَغْى يتضمَّن كل أنواع الظلم والتعدِّى والكِبْر معًا .

● **الطُّغْيان:**

تكرر ذكر الطُّغْيان ومشتقاته فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ طه: ٢٤، النازعات: ١٧ .

---

(١) الكشاف ١/٢٩٦، البحر المحيط ١/٣٠٥ .

(٢) الكشاف ٢/٧٧، البحر المحيط ٤/٢٩٢ .

- ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞﴾ العلق .

الطُّغْيان: الغُلُوُّ فى الكفر ومجاوزة الحدِّ فى المعاصى[1] . وفيه إفراط ومبالغة فى الشرِّ والكِبْر[2] .

وقد اقترن الطغيان بالكفر فى كثير من آيات القرآن الكريم، نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ المائدة: ٦٤، ٦٨ .

- ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۞﴾ الكهف .

كذلك استُعمل لفظ (الطاغوت) - وهو مشتق من الطُّغْيان - اسمًا لكلِّ مُتَعَدٍّ وكل معبود من دون اللّه ﷻ[3]، نحو قوله ﷻ:

- ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ البقرة: ٢٥٧ .

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ النحل: ٣٦ .

● **فالطُّغْيان: تجاوز الحدّ والغُلُوُّ فى ذلك، ويشمل الإفراط فى المعصية والكِبْر والكفر، وهو بذلك أشدُّ من البغى .**

● الظُّلْم:

كثر ورود الظلم فى القرآن الكريم وتعددت معانيه بحسب السياقات، ولكن هذه المعانى المتعددة كلها تدور حول معنى: منع الحق ومجاوزته، ووضع الشىء فى غير موضعه، ويكون الظلم من الكبائر، ويكون من الصغائر؛ ولذا قيل لآدم عليه السلام: (ظالم)، وقيل فى إبليس: (ظالم)، وإن كان بين الظلمين بَوْنٌ بعيد . والظلم على ثلاثة أقسام:

---

(١) الكشاف ١/١٨٨-١٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير ١/٢٨٦ .

(٣) مفردات الأصفهانى (ط غ ى) .

الأول: ظلم بين الإنسان وبين اللَّه تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لقمان .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ هود .

الثانى: ظلم بين الإنسان وبين الناس، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ النحل .

- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ الشورى .

الثالث: ظلم الإنسان لنفسه، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ البقرة: ٢٣١ .

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء : ٦٤ .

- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ النساء .

وهذه الأقسام الثلاثة هى فى الحقيقة ظلم للنفس؛ فإن الإنسان أوَّل ما يَهُمُّ بالظلم فقد ظلم نفسه، وقوله ﷻ :

- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الزمر .

يتناول الأنواع الثلاثة من الظلم[1] .

● **فالظلم - إذن - هو الميل عن القصد، والتعدِّى سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا، حيث يتراوح الظلم ما بين أكبر الكبائر وهو الشرك باللَّه ﷻ، وبين ارتكاب صغائر الذنوب .**

● **العُتُوّ:**

تكرر ذلك العُتُوّ فى عدة مواضع من القرآن الكريم، منها الآيات التالية:

- ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الأعراف: ٧٧ .

- ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الفرقان .

- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ الملك .

● **العُتُوُّ: المبالغة فى الكِبْر أو الفساد أو الكفر[2] . ولكنه لا يبلغ مبلغ البغى والطغيان .**

---

(١) مفردات الأصفهانى (ظ ل م) .

(٢) تحفة الأريب، ص٢٢٤ .

● **العُدْوان:**

تكرَّر ذكر العدوان ومشتقاته فى القرآن الكريم كثيرًا ، ومن شواهده:

- ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ البقرة: ٨٥ .

- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ المائدة: ٢ .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ﴾ المجادلة: ٩ .

وقد فُسِّرَ العدوان بالتعدِّى فى حدود الله، وبالظلم الصُّراح[١] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (البَغْى - الطُّغْيان - الظُّلْم - العُتُوّ - العُدْوان) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها فى معنى عام هو: مجاوزة الحَدِّ، ولكنها على درجات:**

● **فأشدُّها الطُّغْيان؛ لاشتماله على مجاوزة الحدِّ والمبالغة فى الكِبْر والمعصية والشرِّ والكفر .**

● **ويليه فى الشدة البَغْى؛ لاشتماله على التعدِّى والفساد والظلم .**

● **ثم العُتُوُّ؛ لأنَّه مبالغة فى الكِبْر أو الفساد أو الكفر .**

● **ثم العُدْوان؛ لأنه تَعَدٍّ لحدود الله، وظلم صُراح .**

● **ثم الظُّلْم، وهو أدناها، وتتفاوت درجاته من صغائر الذنوب إلى كبائرها إلى الشرك بالله ﷻ .**

******

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٢٣ .

❑ ١٩/٢ بَكَّة - مَكَّة:

كلا اللفظين فى اللغة علمٌ على أمِّ القُرَى .

واشتقاق بَكَّة فيه أقوال:

- أنها سُمِّيت بذلك لأنَّها تَبُكُّ (تقهر وتكسر) أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم .
- أو لأنَّ الناس يتباكُّون (يتزاحمون) فيها ويأتون إليها من كل وجه .
- أو لأنَّ الحجيج يتباكُّون ويتدافعون فى أثناء الطواف، وهذا الوجه يرجِّح أن المراد ببكَّة: موضع البيت الحرام .
- وقيل إن بَكَّة هى مكَّة بإبدال الميم باءً، كما فى قولهم: سَبَدَ رأسَه وسَمَد رأسَه، وضربة لازب ولازم[1] .

وأما (مَكَّة) فاشتقاقها - كما ذهب الخليل - من قولهم: تمكَّكْتُ العَظْمَ، أى أخرجت مُخَّه؛ سُمِّيت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذى هو أصل ما فى العظم .

وذهب بعض العلماء إلى أنها مشتقة من: مَكَّ الفصيلُ ضرعَ أُمِّه وتَمَكَّكَهُ، أى امتصَّ جميع ما فيه وشربه كلَّه[2] .

تلك هى الأوجه اللغوية لاشتقاق اللفظين .

أمّا فى القرآن الكريم فقد ورد لفظ (بَكَّة) فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ آل عمران .

وجاء لفظ (مكَّة) فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) انظر هذه الأوجه فى: اللسان (ب ك ك)، مفردات الأصفهانى (ب ك ت) .

(٢) انظر: مفردات الأصفهانى، اللسان، تهذيب اللغة (م ك ك) .

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الفتح: ٢٤ .

وتدلنا الآيتان الكريمتان على أن كلا اللفظين (بكة - مكة) عَلَمٌ على أمِّ القُرَى ومهبط الوحى شرَّفها اللَّه ﷻ .

لكن الاستعمال القرآنى للفظين قد راعى التدرُّج التاريخىَّ فى استعمال الكلمتين علمًا على أمِّ القُرَى، قال العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور فى هذا الصدد بعد أن ساق بعض أقول العلماء فى الاسمين:

"والظاهر عندى أن (بكَّة) اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم عليه السلام علمًا على المكان الذى عيَّنَه لسُكْنَى ولده بنِيَّة أن يكون بلدًا، فيكون أصله من اللغة الكلدانية لغة إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنهم سمَّوا مدينة "بعلبك" أى: بلد بعل، وهو معبود الكلدانيين . ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ عند ذكر كونه أوَّل بيت، فلاحظ أيضًا الاسم الأول"[(١)] .

والذى ذهب إليه الشيخ الطاهر هو ما نُرَجِّحه؛ لاستناده إلى التركيب اللغوى لكلمة (بكَّة) التى تعادل المقطع (بك) أى بلدة أو مدينة، كما فى (بعلبك) أى بلدة بعل معبود الكلدانيين .

● **ونخلُص ممّا سبق إلى أنَّ (بَكَّة) هى الاسم القديم، ثم أُبدِلَت الباء ميمًا فى الاسم الحديث فصارت (مَكَّة)، واستقر هذا الاسم الجديد علمًا على أمِّ القُرَى .**

● **لكن القرآن لمّا ذكر أولويَّة البيت الحرام وكونه أوَّل بيت مقدَّس، ناسب ذلك ذكر الاسم القديم، ولمّا تعرَّض القرآن للوقائع الحديثة كما فى آية الفتح التى تقص وقائع فتح مكة، جاء بالاسم العربى الذى استقر علمًا على أمِّ القُرَى .**

******

(١) التحرير والتنوير ٦/٢٢ - ٢٣ .

❑ ٢/ ٢٠ الابْتِلاء - الفِتْنة:

● الابتلاء فى اللغة: الاختبار والتجريب والامتحان، يكون بالخير والشرّ[١] .

● والفتنة فى اللغة أيضًا: الامتحان والاختبار[٢] .

صرَّحت بعض المعاجم وكتب اللغة بالتسوية بين اللفظين فى الدلالة، فمثلًا يقول الراغب الأصفهانى:

"جُعِلَت الفتنة كالبلاء فى أنهما يُستعملان فيما يُدفَع إليه الإنسانُ من شِدَّة ورخاء، وهما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالًا"[٣] .

ولا نكاد نظفر من كتب اللغة بأكثر من هذا .

وفى القرآن الكريم جاء الابتلاء بمعنى الاختبار بالضَّرّاء، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ البقرة .

وهنا استُعمل الابتلاء بمعنى الامتحان بشىء مكروه هو بعض الخوف والجوع ونقص الأموال والثمرات . كذلك استُعمِلَ الابتلاء بمعنى الاختبار بالسرّاء كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنفال .

وجمع القرآن معنى الخير والشرِّ فى الابتلاء كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥ .

---

(١) النهاية، اللسان (ب ل و) .

(٢) اللسان (ف ت ن) .

(٣) مفردات الأصفهانى(ف ت ن) .

وأمّا الفتنة فكان أكثر استعمالها فى القرآن الكريم فى معنى العذاب، نحو قوله ﷻ:

- ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١ .
- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ التوبة: ٤٩ .
- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ الذاريات .
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ البروج .

وندر استعمال الفتنة فى القرآن بمعنى الاختبار بالسرّاء كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ الأنفال .

وذلك اعتبارًا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم[١]، وما سيؤول إليه حال الواقع عليه الاختبار من اضطراب وألم وعذاب .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الفتنة لفظ يجمع معنى مرج واضطراب أحوال أحدٍ وتشتت باله بالخوف والخطر على الأنفس والأموال، على غير عدل ولا نظام، وقد تُخَصَّص وتُعَمَّم بحسب ما تُضاف إليه أو بحسب المقام . . . ولمّا كانت هذه الحالة يختلف ثبات الناس فيها بحسب رجاحة عقولهم ومقدرتهم على حسن المخارج منها، كان من لوازمها الابتلاء والاختبار، فكان من المعانى التى يُكْنَى بالفتنة عنها كثيرًا؛ ولذلك تسامح بعض علماء اللغة ففسَّر الفتنة بالابتلاء، وجرَّأه على ذلك قول الناس: فتنتُ الذهب أو الفضة، إذا أذابها بالنار لتمييز الردىء من الجيِّد، وهذا الإطلاق - إن لم يكن مولَّدًا - فإنَّ معنى الاختبار غير منظور إليه فى لفظ الفتنة، وإنما المنظور إليه ما فى الإذابة

---

(١) مفردات الأصفهانى (ف ت ن) .

من الاضطراب والمرج[١] .

وقد لاحظ الراغب الأصفهانى فى الاستعمال القرآنى للفظ الفتنة أن الفتنة تكون من اللَّه ﷻ، ومن العبد، كالبليَّة والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من اللَّه يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر اللَّه يكون بضدِّ ذلك؛ ولهذا يذمُّ اللَّه الإنسان بأنواع الفتنة فى كل مكان نحو قوله ﷻ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١، وقوله ﷻ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الصافات. أى مُضِلِّين[٢] .

• ونخلُص مما سبق إلى أن الفتنة أشد من الابتلاء، بل هى أثر من آثاره قد يحدُث أو لا يحدث، فالأموال والأولاد والأزواج وغير ذلك من النعم هى ابتلاءات، قد تؤُول إلى فِتَنٍ إذا اغْتَرَّ بها المنعَم عليه، وقد لا تكون كذلك إذا ما أدَّى الإنسان حقَّ الشكر للَّه عليها .

• كما أن الفتنة أخصُّ من الابتلاء إذا كان الفاعل لها غير اللَّه ﷻ، فهى دائمًا مِحَنٌ ومضارّ مهلكة كالعذاب والإحراق والإضلال . أما الابتلاء فيكون بالخير كما يكون بالشرِّ، سواء أكان الفاعل هو اللَّه ﷻ، أم كان من المخلوقين .

******

❑ ٢/ ٢١ ابْتَهَلَ - دَعا:

• الابتهال فى اللغة: نوع من الدعاء فيه اجتهاد ومبالغة[٣]، وأصله من البَهْلَة أى اللَّعنة، وذلك أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا: لعنة اللَّه على الظالم مِنّا[٤] .

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٦٤٣ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ف ت ن) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ب هـ ل) .

(٤) اللسان (ب هـ ل) .

● والدعاء فى اللغة: أن تُميلَ الشىء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك[١] . وعبَّر ابن منظور عن هذا المعنى بالاستغاثة[٢] .

وقد ورد الابتهال فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ آل عمران .

ومعنى الابتهال أن يقولوا: لعنة اللَّه على الكاذبين مِنّا ومنكم، مأخوذ من البَهْلَة وهى اللعنة والتَّرك، هذا أصل الابتهال، ثم استُعمل فى كل دعاءٍ يُجْتَهَدُ فيه وإنْ لم يكن الْتِعانًا[٣] .

فاقتصر استعمال الابتهال فى القرآن الكريم على أصل معناه .

أما الدعاء فقد تكرر فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ البقرة: ١٨٦ .

- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ آل عمران .

- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت .

والدعاء متعدِّد المعانى فى القرآن الكريم، حيث ورد بمعنى التسمية كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ النور: ٦٣ .

---

(١) مقاييس اللغة (د ع و) .

(٢) اللسان (د ع ا) .

(٣) الكشاف ١/ ٤٣٤ .

وذلك لمن كانوا يخاطبون النبى ﷺ قائلين: يا محمد، يسمُّونه باسمه، فقيل لهم ذلك حثًا على تعظيمه ﷺ .

كما ورد بمعنى السؤال، كقوله ﷻ :

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ البقرة: ٦١ .

والدعُّاء إلى الشيء: الحثُّ على قصده، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ يونس .

وجاءت الدعوة فى القرآن بمعنى الرِّفعة والذِّكْر، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ غافر: ٤٣ .

هذا ما ذكره الأصفهانى فى معانى الدعاء[١] .

ومن معانى الدعوة أيضًا: الاستجابة، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ الرعد .

أورد الزمخشرى فى قول اللّه ﷻ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ عدَّة معانٍ لكلمة (دعوة)، هى:

١- أن ما تدعوننى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قَطُّ، ومن حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته .

٢- وقيل: معناه: ليس له استجابة دعوة .

---

(١) مفردات الأصفهانى (د ع ا) .

٣- وقيل: ليس له دعوة مستجابة، جُعِلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة فيها كَلادعوة .

٤- أو سُمِّيت الاستجابة باسم الدَّعوة كما سُمِّىَ الفعل المُجازَى عليه باسم الجزاء فى قولهم: كما تَدين تُدان[١] .

والملاحظ أن الاستجابة مذكورة فى الأوجه الثلاثة (٢، ٣، ٤)، وهو ما اقتصر عليه الطاهر بن عاشور فى قوله: أى لا يملك إجابة الداعين[٢]، وهو ما نرجِّحه من معنى الدعوة فى هذه الآية .

● ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (الابتهال - الدعاء) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: الطلب والسؤال .

● إلّا أن الابتهال خاصٌّ باجتماع القوم يدعون على الظالم أو الكاذب من الفريقين .

● بينما الدعاء عامٌّ فى عدة معانٍ هى:

١- التسمية .

٢- السؤال .

٣- الحث على قصد الشىء .

٤- الاستجابة .

******

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٤ / ١٥ .

حرف التاء (٣)

١)	تَحْت، أَسْفَل	٢)	تَلا ، قَرَأ
٣)	التَّمام، الكَمَال		

❑ ٣/ ١ تَحْت - أَسْفَل:

• أصل كلمة (تَحْت) فى اللغة: إحدى الجهات الست المحيطة بالجِرْم ، . . . نقيض (فَوْق)[١] .

• وأصل كلمة (أَسْفَل) فى اللغة: نقيض العُلُوّ[٢] .

والمتأمِّل للمعنى اللغوى لكلا اللفظين يظهر له التقارب الشديد بين دلالة الكلمتين (تَحْت - أَسْفَل)، ولا نكاد نشعر بفارق ما بينهما .

ولنتأمَّل الاستعمال القرآنى للفظين، لنرى أن القرآن الكريم أوردهما بدلالتين متقاربتين، كما يظهر من الآيتين التاليتين:

- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ مريم .

- ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الأحزاب: ١٠ .

فاللفظان فى كلتا الآيتين يشتركان فى معنى الإشارة إلى الجهة ، والانخفاض .

غير أن القرآن الكريم قد آثر التعبير بلفظ (أَسْفَل) فى آية الأحزاب للدلالة

---

(١) اللسان (ت ح ت) .

(٢) اللسان (س ف ل) .

على التشابك والالتحام فى الحرب؛ لأن كلمة (أَسْفَل) تُستعمل فى وصف شىء متَّصل بعضه ببعض كما يقال: أعلَى الشجرة وأسفلها .

وأما (تَحْت) فتُستعمل فى المنفصل أو ما يمكن انفصاله[١]، وهذا ظاهر فى الآيات القرآنية، كما فى هذه الآيات:

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ النساء .

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ﴾ المائدة: ٦٦ .

- ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الفتح : ١٨ .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (تحت - أسفل) فى الاستعمال القرآنى يشتركان فى الإشارة إلى جهة الانخفاض، ويفترقان فى ملمح دلالىّ مميِّز لكلٍّ منهما، وهو:**

● **أن (تَحْت) تُستعمل فى التعبير عن المنفصل أو ما يمكن انفصاله .**

● **وأن (أَسْفَل) تُستعمل فى التعبير عن المتصل بعضه ببعض .**

******

❑ ٣/ ٢ تَلا - قَرَأَ:

● التلاوة فى اللغة: الاتِّباع، يقال: تلاه يتلوه تُلُوًّا، أى تبِعه[٢].

ثم خُصِّصت دلالة الكلمة فى معنى قراءة القرآن؛ لما فى قراءة القرآن من

---

(١) مفردات الأصفهانى (ت ح ت) .

(٢) اللسان (ت ل ا) .

تتابع الآيات بشكل منتظم[١] .

• والقراءة فى اللغة: جمع الشىء وضم بعضه إلى بعض . وقراءة الكلام تعنى ضم حروفه بعضها إلى بعض والتلفُّظ بها مجموعة[٢] .

وعلى هذا تكون القراءة أعمَّ من التلاوة؛ لأن التلاوة فيها ملمح دلالىٌّ زائد هو ملمح الاتِّباع، فالتلاوة قراءة على نحو مخصوص .

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذا الفارق الدلالى بين القراءة والتلاوة، على نحو ما يظهر من الآيات التالية:

- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ البقرة: ٢٥٢ .

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ البقرة: ١٢١ .

- ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام: ١٥١ .

معنى قول الله ﷻ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ، أى: يتبعونه بالعلم والعمل[٣] .

ولم يخرج عن هذا المعنى فى القرآ ن الكريم سوى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ البقرة: ١٠٢ .

وأجاب عنه الراغب الأصفهانى بقوله: واستُعِمل فيه لفظ التلاوة؛ لِما كان يزعم الشيطان أنَّ ما يتلونه من كتب الله"[٤] .

أما القراءة فهى مجرد التلفظ بالكلام من قرآن وغيره، سواءٌ علم القارئ بما يقرأ أو لم يعلم ، وسواء عمل به أو لم يعمل، ويشهد لهذا المعنى قوله ﷻ:

- ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ الإسراء .

---

(١) الدلالة والكلام، ص٤٢٥ .

(٢) اللسان (ق ر أ) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ت ل ى) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ت ل ى) .

- ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ الإسراء: ٩٣ .

- ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ المزمل: ٢٠ .

كما يؤكِّد هذا المعنى وصف النبى ﷺ للخوارج بقوله: "يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم (أو حناجرهم)"[١].

● ونخلُص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للفظى (التلاوة - القراءة) وإن كانا متقاربين فى المعنى، إلّا أن بينهما ملمحًا دلاليًّا فارقًا، وهو:

● أن للقراءة معنى عامًّا، هو مجرد التلفظ بكلام مجموع بعضه إلى بعض .

● وأنَّ للتلاوة معنى خاصًّا؛ إذ هى قراءة واتِّباع معًا .

******

❑ ٣/٣ التَّمام - الكَمال:

● التَّمام فى اللغة: انتهاء الشىء إلى غايته، وهو ضد النقصان[٢] .

● والكَمال فى اللغة: حُصول ما فيه الغرض والغاية من الشىء[٣] .

فاللفظان متقاربان فى المعنى، ولكن لفظ التَّمام يوحى بوجود نقص قبله، أما الكمال فهو صفة متأصِّلة فى الشىء تشير إلى خُلُوِّه من العيب وأنه قد حقَّق غرضه المرجوَّ منه .

إذن فالكمال يأتى لنفى العيب بأنواعه (والنقص نوع من العيب)، والتمام

---

(١) البخارى، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم ٣٣٤١، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة ، رقم ١٣٥٨ .

(٢) اللسان، مفردات الأصفهانى (ت م م) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ك م ل) .

يأتى لنفى النقص .

وعليه فإن قول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: ٣ . يفيد إتمام النعمة؛ بوصولها إلى منتهاها بحيث لم يعد هناك نقص ولا حاجة إلى غير دين الله وهو الإسلام، ويفيد إكمال الدين، أى تحقيق الغرض والغاية منه على أفضل ما يكون دون أى شائبة ولا عيب .

وبين لفظى (التَّمام - الكَمال) عموم وخصوص، فالكمال يتضمن معنى التمام ويزيد عليه، ولعل هذا هو الذى مهَّد لورود الكلمتين مترادفتين فى بعض السياقات، كقوله ﷻ:

- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ البقرة: ١٩٦ .

واستعمال لفظ (كاملة) هنا فيه دلالة التمام، وزيادة إحسان العبادة؛ أى يتضمن الكمَّ والكيف معًا .

- **ونخلُص مما سبق إلى أنَّ الكمال: وصف يتضمن التمام (أى الخلوّ من النقص)، ويزيد عليه بنفى كل عيب أو شائبة .**
- **فالتَّمام يأتى لنفى النقص، والكمال يأتى لنفى العيب .**

****

حرف الثاء (٤)

١)	تَثْريب، لَوْم	٢)	ثُعْبان، جانّ، حَيَّة
٣)	ثِياب، لِباس		

❑ ٤/ ١ تَثْريب - لَوْم:

• التَّثْريب فى اللغة مأخوذ من (الثَّرْب)، وهو شحم رقيقٌ يغطِّى الكرش والأمعاء؛ وذلك لأنه لومٌ شديد وتقبيح للفعل وتوبيخ وتأنيب لصاحبه، فكأنَّ ذلك قد بلغ منه كل مبلغ وأصاب ثَرْبَهُ، كما قيل: شغفه، أى بلغ حبُّه الشَّغاف، وهو غلاف القلب[1] .

• واللَّوْم فى اللغة: العَذْل والعَتْب[2] .

وقد وردت كلمة (تَثْريب) فى القرآن الكريم مرَّة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ يوسف .

ولعلَّ القرآن الكريم آثر لفظ (التَّثْريب) على لفظ اللَّوم هنا؛ لأن المقام مقام عتابٍ، فهو لا ينفى عَتبه عليهم، وإنَّما نَفَى شدة اللوم والتقبيح والتقريع . وقد عاتب يوسف عليه السلام إخوته فعلًا، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ

---

(١) الصحاح (ث ر ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ل و م) .

وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ يوسف .

فلمّا اعترفوا بأنهم كانوا خاطئين، خاطبهم يوسف عليه السلام بنفى التثريب عنهم، ولم يَنْفِ وقوع اللوم منه عليهم .

ولفظ (اللَّوْم) ومشتقاته ورد فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة، ومن شواهده قول اللّه ﷻ:

- ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ يوسف: ٣٢ .
- ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ إبراهيم: ٢٢ .
- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ القلم .

وحيث ورد اللوم فى القرآن فالمراد به العَتْب والعَذْل، ولكنه لا يصل إلى حدِّ التقريع والتوبيخ والتأنيب والتقبيح كما هو التثريب .

• ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (التَّثْريب - اللَّوْم) متقاربان دلاليًّا؛ حيث يشتركان فى معنى: إبداء عدم الرِّضا بالفعل .

• ويختص التَّثْريب بملمح الشدَّة وملمح التقبيح، بينما اللَّوْم غير عنيف، فهو أقرب إلى العتاب الرقيق .

****

❑ ٤/٢ ثُعْبان - جانّ - حَيَّة:

• الثُّعْبان فى اللغة: الحَيَّة الضخم الطويل[١]؛ وأصل مادة (ث ع ب) الدلالة

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ث ع ب) .

على امتداد الشيء وانبساطه، فسُمِّى الثعبان بهذا الاسم نظرًا لضخامته وامتداده خَلْقًا وحركة(١) .

• والجانُّ فى اللغة: نوع من الحَيّات دقيق الحجم خفيف الحركة(٢) . قال ابن فارس: فأمّا الحَيَّة الذى يُسَمَّى الجانَّ فهو تشبيه له بالواحد من الجانّ(٣) .

• والحَيَّة فى اللغة: جنس الحيوان المعروف، يُطلق على الذكر والأنثى، مشتقٌّ من الحياة؛ لطولِ حياته(٤) .

وفى القرآن الكريم استُعملت هذه الكلمات الثلاثة فى ذكر معجزة من معجزات موسى عليه السلام؛ حيث انقلبت عصاه حيَّة .

فأمّا الثعبان فجاء ذكره مرتين بلفظ واحد فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢ .

وأمّا الجانُّ فورد فى القرآن مرتين بلفظ واحد أيضًا، فى قوله ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ النمل: ١٠، القصص: ٣١ .

وأمّا الحَيَّة فذُكرت فى القرآن مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ طه .

تساءل الزمخشرى: فإن قلتَ: كيف ذُكِرَتْ بألفاظ مختلفة، بالحَيَّة والجانّ والثُّعْبان؟ ثم أجاب قائلًا:

أمّا الحَيَّة فاسْمُ جنسٍ يقَع على الذكر والأنثى والصغير والكبير . وأمّا الثعبان والجانُّ فبينهما تنافٍ؛ لأن الثعبان: العظيمُ من الحيّات، والجانّ:

---

(١) مقاييس اللغة (ث ع ب) .

(٢) اللسان (ج ن ن) .

(٣) مقاييس اللغة (ج ن ن) .

(٤) اللسان (ح ى ا) .

الدقيق . وفى ذلك وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حيَّة تنقلب حيَّةً صفراء دقيقة ثم تتورَّم ويتزايد جِرْمُها حتى تصير ثعبانًا، وأريد بالجانِّ أوَّلُ حالها، وبالثعبان مآلُها .

والثاني: أنها كانت فى شخص الثعبان (أى فى ضخامة حجمه) وسرعة حركة الجانِّ[١] .

وبهذا أيضًا أجاب الزجّاج[٢] وأبو حيان[٣] .

بَيْدَ أنَّ المتأمِّل فى السياقات القرآنية التى وردت فيها هذه الألفاظ يمكنه أن يخرج بجواب آخر عن سرِّ التعبير بكل واحد من هذه الألفاظ:

- أمّا الثُّعْبان فجاء فى سياق حديث موسى عليه السلام مع فرعون ومَلَئِه، ومطالبة فرعون لموسى عليه السلام أن يأتى بآيةٍ (أى معجزة بيِّنة)، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ .

لقد آثر النص القرآنى استخدام كلمة (ثُعْبان) الدالَّة على الضخامة، وما يصحب ذلك من فزع قلوبهم نتيجة رؤيتهم لهذه المعجزة البيِّنة الواضحة للناظرين مجسَّدة فى هيئة (ثُعْبان) ضخم مفزع .

- وأمّا كلمة (حَيَّة) فجاءت فى معرض ذكر كلام اللَّه جل جلاله وأمره لموسى عليه السلام أن يُلْقِى عصاه . . واللَّه عز وجل سأل موسى عليه السلام:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ طه . فأجاب موسى:

﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه] . أى: منافع كتلك التى يُنْتَفَع بها من كل عصا مثلها .

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣٤ .

(٢) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٤/ ٤١٩ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٣٥ .

إلّا أن اللَّه ﷻ شاء أن يلفِتَه إلى سرٍّ إلهيٍّ عظيم هو القدرة على إخراج الحيِّ من الميت والميت من الحيِّ، وأن هذا ممكن بمشيئة اللَّه وقدرته؛ ولذلك آثر القرآن فى هذا السياق التعبير بلفظ (حَيَّة)، ثم أردف ذلك بالوصف (تَسْعَى) . إنه وجه آخر من وجوه المعجزة، رآه موسى عليه السلام وليس فرعون وقومه، رأى السرَّ الإلهيَّ فى صيرورة الميت حيًّا، ثم انقلاب الحيِّ إلى ميت .

وأمّا لفظ (الجانّ) فجاء فى سياق ذكر حالة الخوف التى انتابت سيدنا موسى عليه السلام حين رأى العصا تهتز وقد دبَّت فيها الحياة والحركة السريعة، وما فى ذلك من غرابة؛ لأنه يشهد عجبًا لم يعرفه من قبل، إن الأمر هنا بالنسبة إلى موسى عليه السلام - وهو يشهد المعجزة الإلهيَّة الكبرى - خارج عن كل ما هو معتادٌ، فكأنَّ ما يراه أمامه ليس عصاه، بل هو (جانٌّ) مفزع بحركته السريعة وتحوُّلاته العجيبة فى طرفة عين، حتى إن موسى عليه السلام لمّا رأى هذا ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ .

لقد جاءت كلمة (جانّ) هنا لوصف تلك الحالة التى اعتَرَتْ سيدنا موسى عليه السلام من المفأجاة والعجب والخوف والاضطراب من هذا الشيء المجهول .

والإعجاز اللغوى فى استعمال كلمة (جانّ) هنا يكمن فى أنها تُصَوِّر كل هذا بدقة وبإشارات موحية عميقة الدلالة . فهذه الكلمة من مادة (ج ن ن) التى تدور ألفاظها حول معنى: السَّتْر والخفاء[1]؛ وذلك لما ذكرنا من غرابة هذا الأمر وكونه غير مألوف، حتى كأنه من عالم الجِنّ .

ونحن هنا نُرَجِّح ما ذهب إليه ابن فارس من أن تسمية هذا النوع من الحيّات على تشبيهه بالشيطان .

واستعمال كلمة (كأنَّها) فى قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ فيه إشارة إلى أن الجانَّ ليس هو الحية ولا الثعبان، بل المراد به وصف العصا وقد تحولت إلى هيئة مخيفة مفزعة، وما رافق ذلك من خوف واضطراب فى نفس موسى عليه السلام

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ج ن ن) .

إزاء شيء مهولٍ لم يشهده من قبل .

● ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ الثلاثة (ثُعبان - جانّ - حَيَّة) وإن تقاربت دلالتها؛ لأنها جميعًا تدلُّ على الحيوان الزاحف المعروف، إلّا أن لكل منها ملمحًا دلاليًّا مميِّزًا، وجاء موافقًا للسياق الذى ورد فيه:

● فالثُّعْبان: يتميز بملمح الضخامة؛ ولذا جاء لوصف وَقْع المعجزة فى نفوس فرعون وملئه، وبيان ضخامة تلك المعجزة .

● والحَيَّة: يتميز بملمح الحياة؛ ولذلك جاء فى سياق وصف المعجزة التى هى انقلاب الميت حيًّا، وهذا ما لم يره فرعون ومَلَؤه، بل أراه اللَّه ﷻ لنبيِّه موسى عليه السلام .

● والجانّ: يتميز بملمح الخفاء؛ ولذلك استُعمل لبيان الحالة التى انتابت موسى عليه السلام من الفزع والخوف والعجب من هذا الشىء الذى يبدو وكأنه من عالم الجنّ .

****

❑ ٣/٤ الثِّياب - اللِّباس:

● أصل مادة (ث و ب) فى اللغة: الرجوع، يقال: ثاب يثوبُ، إذا رجَع . والثواب من الأجر والجزاء أَمْرٌ يُثاب - أى يُرْجَعُ - إليه . والثَّوْبُ الملبوس من هذا أيضًا؛ لأنه يُلْبَسُ ويُثاب إليه مرةً بعد مرة[1] .

● أصل مادة (ل ب س) فى اللغة: المخالَطة والمداخَلة والتغطية، ومن ذلك لَبِسْتُ الثوبَ أَلْبَسُهُ، واللَّبْس: اختلاط الأمر، واختلاط الظلام، وقول اللَّه ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ (الفرقان: ٤٧)، أى: تسكنون فيه وهو

---

(١) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (ث و ب) .

مشتمل عليكم، وأَلْبَسَ السَّحابُ السَّماءَ، أى غطّاها[١] .

والمتأمِّل لآيات القرآن التى ورد فيها لفظ (ثياب) يجد أنها ارتبطت بقرائن تدل على أن المراد بها: الزينة الخارجية ممّا يُلْبَس ويُعادُ إليه مرَّةً بعد مرَّة، كما فى الآيات التالية:

- ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ هود: ٥ .

- ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ الحج: ١٩ .

- ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإنسان: ٢١ .

فى الآية الأولى دلالة على اشتمال الثياب وسترها للبدن كُلِّه، وهو تمثيل لحال المشركين وإضمارهم العداوة للنبى ﷺ فى نفوسهم وتمويه ذلك عليه وعلى المؤمنين - بحال من يثنى صدره ليخفيه، ومن يستغشى ثوبَه على ما يريد أن يستَره به . . والاستغشاء: التغشِّى، أى التغطِّى والتدثُّر مبالغةً فى الاستخفاء عن الأعين[٢] .

ومعنى هذه أن الثياب تستر البدن كُلَّه؛ ولذلك عُبِّر بالاستغشاء أى المبالغة فى التدثُّر والاستخفاء .

وفى الآية الثانية عُبِّر بالثياب فى عقاب أهل النار؛ لأن النار تشتمل عليهم كما تشتمل الثياب على من يلبسها وقد تظاهر بعضها فوق بعض[٣] .

وفى هذا التفسير لمعنى الثياب فى الآية دلالة على أمرين:

١- اشتمال الثِّياب للبدن كله .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ل ب س) .

(٢) التحرير والتنوير١١ / ٢٢٢، التفسير الوسيط ١٢/ ٢٠ .

(٣) الكشاف ٣/ ٩ .

٢- تعدُّدها .

وفى آية الإنسان جاء لفظ (ثياب) لأهل الجنة مقترًنا بكلمة (عاليهم)، أى: ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس[(١)] .

وكَوْنُ الثياب تعلوهم يعنى أنها تُغَطِّى أجسادهم من خارجٍ، ولا تَمسُّ الأبدان مَسًّا مباشرًا .

كما عُبِّر بالثياب عن النفس، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ المدثر .

قيل فى معنى الثياب هنا: الثياب التى تُلبَس، أمر بتطهيرها من النجاسات؛ لأن طهارة الثياب شرط فى صِحَّة الصلاة . وقيل: النفس، أمر بتطهيرها مما يُسْتَقذَر من الأفعال والمعايب ومَدانِس الأخلاق[(٢)] . وقيل: كناية عن الخُلُق، وقيل: كناية عن العمل، وقيل: كناية عن الجسم[(٣)] .

وعلى كل هذه الأقوال تكون الثياب دالَّةً على الشمول والتغطية، فكل الألفاظ التى فُسِّرَتْ بها عامَّة؛ إذ النَّفس عامة فى كل مَلَكات الإنسان، والعَمَل عام فى كل تصرُّف، والخُلُق عامٌّ فى كل سجيَّة، والجِسم عامٌّ لأنه يشمل كل الأعضاء . . وتفسيرها بالثياب الماديَّة التى لا تصح الصلاة إلّا بطهارتها يتضمَّن بالضرورة أنها الثياب الخارجية التى تستر البدن كله لا العورة فقط؛ إذ المعهود فى الصلاة أن يلبس الإنسان (ثيابًا) تغطِّى الجسم كلَّه لا العورة فقط .

ويتحصَّل ممَّا سبق أن الثياب تستر البدن كله، وتتعدَّد وتتنوَّع، كما أنَّها تشتمل الجسد من خارجٍ .

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٩ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٠-١٨١ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٧١ .

أمّا (اللِّباس) فى القرآن الكريم فقد ورد فى سياقات تدلُّ على المُماسَّة لجزء بعينه من البدن، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأعراف.

قال الزمخشرى: أى: أنزلنا عليكم لباسَيْنِ: لِباسًا يوارى سوءاتكم، ولِباسًا يزينكم.

ثم ذكر الزمخشرىّ فى (لِباس التقوى) وجوهًا منها: أنه اللِّباس المُوارِى للسَّوْأة؛ لأن مواراة السوأة من التقوى، تفضيلًا له على لِباس الزينة[1].

وعلى هذا فإن اللباس هو ما يستر العورة، دون الثياب الخارجية.

وأمّا قول اللَّه ﷻ فى صفة أهل الجنة:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ الحج.

فالمراد به - واللَّه أعلم بمراده - أن الحرير الذى حُرِّم على الرجال فى الدنيا ثيابًا ظاهرة، جُعِلَ لهم لباسًا يستر سوءاتهم فى الجنة.. وبهذا المعنى يكتمل وصف ما يرتديه أهل الجنة، فاللباس (الداخلىّ) من حرير، والثياب (الخارجية) من سندس وإستبرق[2].

● **ونخلُص مما سبق إلى أن كلمتى (ثِياب، لِباس) بينهما ملمح دلالىّ مشترك هو أنهما مِمّا يُلْبَس فَيسْتُر.**

---

(١) الكشاف ٢/ ٧٤.

(٢) الترادف فى القرآن الكريم، ص٢٢٢.

- ويتميز اللباس بستره لجزء من البدن هو العورة .
- بينما تتميز الثياب بملامح دلالية أخرى هى:
  - الشمول والتغطية للبدن كله .
  - التعدد والتنوع .
  - كونها زينة خارجية لا تُماسُّ الجسد مباشرة .

****

حرف الجيم (٥)

١)	جَبَل، طَوْد، عَلَم	٢)	جُحود، إِنْكار
٣)	جَديد، مُحْدَث	٤)	المُجادلة، المُحاجّة، المُحاوَرَة
٥)	التَّجَسُّس، التَّحَسُّس	٦)	جَعَلَ، خَلَقَ
٧)	الجَمال، الحُسْن	٨)	جَمّ، كَثير
٩)	الجُوع، المَخْمَصَة، المَسْغَبَة		

❑ ٥/١ جَبَل - طَوْد - عَلَم:

• تدور مادة (ج ب ل) حول معانى: الضخامة، والصلابة، والغِلظ، والثبات، والثقل[١] .

• والطَّوْد فى اللغة: الجبل العظيم العالى[٢] .

ففيه كل معانى الجبل، وزيادة عليها فى العِظَم والارتفاع .

• والعَلَم فى اللغة: كل شىء يكون مَعْلَمًا، ومنه قيل للجبل: عَلَمٌ؛ لظهوره[٣] .

والاستعمال القرآنى للألفاظ الثلاثة قد راعى هذه الفروق اللغوية بينها، وجاء كل لفظ منها فى السياق المناسب له .

فالجَبَل - وهو أكثرها ورودًا فى القرآن الكريم - جاء فى ذكر هذا الجزء

---

(١) انظر: اللسان (ج ب ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ط و د) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ع ل م) .

من الأرض بكل ما له من ملامح دلالية، فنجد ملمح الثبات بارزًا كما فى نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ النبأ .

- ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ النازعات .

ونجد ملمح العِظَم والثقل والضخامة والثبات فى نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ الأعراف: ١٤٣ .

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ طه .

هذا الكيان المتَّصف بالقوة والعِظم والثقل والضخامة والثبات، قد صار بإذن اللّه هشًّا متناثرًا، كالصوف المنفوش، وفقد كل خصائصه تلك أمام قدرة اللّه ﷻ .

أمّا الطَّوْد فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ الشعراء .

وذلك فى سياق وصف معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، فجاءت كلمة (الطَّوْد) مناسبة لبيان عظمة المعجزة؛ حيث انفلق البحر إلى نصفين كل منهما كأنَّه جبل عظيم فى ارتفاعه وضخامته وعِظَمه . فالطَّوْد: الجبل العظيم المنطاد فى السماء[١]. ففيه مزيد على ملامح الجبل عِظَمًا وعُلُوًّا .

وأما كلمة (عَلَم) فقد وردت فى القرآن الكريم مرتين بصيغة الجمع، فى

(١) الكشاف ٣/ ١١٥، مفردات الأصفهانى (ط و د) .

الآيتين التاليتين:

- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٣٢﴾ الشورى.

- ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٢٤﴾ الرحمن.

جاءت كلمة (الأعلام) هنا إيذانًا بنعمة تيسير الرزق، مع السلامة من طغيان ماء البحر وثورته، وإيجاد أسباب الاهتداء والنجاة فى مكان هو مَظِنَّةٌ للضلال والهلاك[1].

من هنا آثر القرآن الكريم كلمة (الأعلام) الدالَّة على ما يُعْلَم به الشيء، وعلى الظهور؛ لأنَّ السياق هنا سياق الامتنان بنعمة الهداية والإنجاء، مع الإيمان أيضًا إلى عِظَم هذه السُّفن وضخامتها.

● **ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (جَبَل - طَوْد - عَلَم) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها فى الدلالة على الجِرْم الضخم الغليظ الثابت فى الأرض.**

ولكن جاء كل لفظ منها مناسبًا لسياقه بما له من ملمح دلاليٍّ مميِّز:

● **فالجبل هو الاسم العامُّ لهذه المرتفعات، وجاء فى سياقات وصف ملامح الأرض.**

● **والطَّوْد أعظم من الجبل؛ ولذلك ورد فى سياق وصف المعجزة.**

● **والعَلَم: جاء فى سياق الامتنان بالاهتداء والإنجاء؛ بما له من أصل دلاليٍّ يقتضى العلم والاهتداء والاستدلال.**

******

❑ ٥/ ٢ الجُحود - الإِنْكار:

● الجُحود فى اللغة: إنكار الشىء مع العلم به، ومع ظهوره وسطوع دليله،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٥٢.

مأخوذ من قولهم: أرض جحدة، أى يابسة لا خير فيها، ومنه قيل: رجل جَحْدٌ، أى شحيح بخيل يُظهر الفقر[١].

واستُعير هذا المعنى لوصف من يُنكِر شيئًا ظاهرًا ولا يُقِرُّ به، رغم عِلمِه به وظهور الدليل عليه.

• والإِنْكار فى اللغة: ضد المعرفة، وهو نوع من الجهل، والجهل فيه خفاء الدليل؛ ومن هنا استُعمل الإنكار فى الشىء الخفىِّ الذى لا يظهر دليله[٢].

وقد استُخدم الجحود فى القرآن الكريم بمعنى: إنكار ما هو معروف ظاهر، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الأنعام.

فالآيات ظاهرة ساطعة، وجحودهم بها مُكابَرة وإنكار كما هو معلوم[٣].

بينما استخدم القرآن الكريم كلمة (الإِنْكار) فى معنى: عدم العلم بالشىء، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يوسف.

أى: جاهلون به جهلًا متمكِّنًا منهم ثابتًا فى نفوسهم[٤].

فهذا نفىٌ للعلم بالشىء.

كما استخدم القرآن لفظ الإنكار فى نفس الشىء الظاهر مع العلم به، كما فى قول اللَّه ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ النحل.

---

(١) مفردات الأصفهانى، اللسان (ج ح د).

(٢) مفردات الأصفهانى، اللسان (ن ك ر).

(٣) مفردات الأصفهانى (ج ح د)، التحرير والتنوير ٦/١٩٩.

(٤) التحرير والتنوير ١٣/ ١٢.

فهذا في مقابل الإقرار(١)، أي يعرفون ذلك في أعماق نفوسهم، لكنهم لا يُقِرُّون به .

• ونخلُص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (الجُحود - الإِنْكار) يُظهِر اشتراكهما في معنى النفي .

• والملمح المميِّز للجحود هو: إنكار الشيء الظاهر مع العلم به .

• والملمح المميِّز للإنكار: عدم العلم بالشيء أو خفاء دليله .

******

❑ ٣/٥ جَديد - مُحْدَث:

• (الجَديد) في اللغة: مأخوذ من جَدَّ الشيءَ إذا قَطَعَه، وقولهم: ثوب جديد، مأخوذ من هذا، كأنَّ ناسجه قَطَعَه الآن، ثم سُمِّيَ كلُّ شيء لم تَأْتِ عليه الأيّام جديدًا؛ ولذلك يُسَمَّى الليلُ والنهارُ: الجديدين؛ لأنَّ كل واحدٍ منهما إذا جاء فهو جديد(٢) .

• و(المُحْدَث) في اللغة: ما صار موجودًا بعد أنْ لم يَكُنْ، يقال: حدَث أمرٌ، أي ابتُدِعَ، ويُوصف الشيءُ بالمُحْدَث تعبيرًا عن أوَّليته، لم يَسْبِقْ مِثْلُه(٣) .

فالجديد امتدادٌ للقديم واستمرار له، والمُحْدَث شيءٌ مُبْتَدَعٌ لا سابق له .

وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق بين اللفظين، فجاءت كلمة (جديد) في الشيء الموصول بشيء سابق عليه، كما في الآيات التالية:

- ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الرعد: ٥ .

- ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ الإسراء: ٤٩، ٩٨ .

---

(١) السابق ١٤/٢٤٢، ٢٤٣ .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ج د د) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، النهاية لابن الأثير، اللسان (ح د ث) .

الخلق الجديد في الآيات الكريمة يُراد به البعث بعد الموت، فقد أنكر المشركون البعث وتعجبوا منه، فردَّ عليهم القرآن الكريم بأن اللّه ﷻ هو المخترع الموجِد للأشياء، ومن كان قادرًا على إبرازها من العدم الصِّرْفِ إلى الوجود - كان قادرًا على الإعادة[1].

وإذن فكلمة الجديد تشير إلى مقابل ضمنيٍّ هو القديم، فثمَّة خَلْقٌ، ولهذا الخلق صورتان:

- خلق أول (قديم). - خلق ثانٍ (جديد).

ولكن البعث ليس إنشاءً أو إيجادًا، بل هو (إعادة).. وعلى ذلك تشير كلمة (جديد) إلى الاستمرار والامتداد.

أمّا كلمة (مُحْدَث) في الاستعمال القرآني فترد في سياقات تدلُّ على الأوليَّة والبداية، وإيجاد الشيء بعد أن لم يكن، كما في قول اللّه ﷻ:

- ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ الكهف: ٧٠.

أي: لا تفاتحني بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك[2].

وقوله ﷻ:

- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ الأنبياء.

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ الشعراء.

ليس المراد بالمُحْدَث في الآيتين نقيض القديم؛ لعدم مناسبته لسياق النظم[3]، لأن كلام اللّه ﷻ قديم، والمراد بالذكر المُحْدَث: إيجاده وإنزاله[4].

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٣٦٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٩٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٧/ ١١.

(٤) عمدة الحُفَّاظ (ح د ث).

● **ونخلُص مما سبق إلى أن بين اللفظين (جَديد - مُحْدَث) تقاربًا دلاليًا؛ إذ يشتركان فى وجود الشىء .**

● **ويتميز لفظ (الجَديد) بملمح دلالىّ فارق هو وجود جنس الشىء من قبلُ، وكونه امتدادًا للقديم واستمرارًا له .**

● **بينما لفظ (المُحْدَث) يدل على إيجاد الشىء بعد أن لم يكن، فهو دالٌّ على الأوّليَّة لا على الاستمرار والاتصال .**

****

❑ ٥/ ٤ المُجادَلة - المُحاجَّة - المُحاوَرَة:

● المُجادَلة فى اللغة: شدَّة الخصومة واستمرار مراجعة الكلام[١] .

● والمُحاجَّة فى اللغة: المغالبة بالحُجَّة والبرهان[٢] .

● والمُحاوَرَة فى اللغة: مراجعة الكلام[٣] .

وقد تكرر ذكر المُجادَلة فى القرآن الكريم، وفيه سورة كاملة باسم سورة المُجادَلة، ومن شواهدها الآيتان التاليتان:

- ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥ .

- ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ المجادلة: ١ .

قال الراغب الأصفهانى[٤]: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج د ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ح ج ج) .

(٣) اللسان (ح و ر) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ج د ل) .

والمغالبة، وأصله من: جَدَلْتُ الحَبْلَ، أى أحكمت فَتْلَه .

وقال الحكيم الترمذى[١]: المُجادَلة: المكاسرة، والجَدَل: الكسر، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين يريد أن يكسر ما عند صاحبه ليقهره لا لإقامة الحق ومَحْق الباطل، ألا ترى إلى قوله تعالى:

- ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ الأنفال .

والمجادَلة المنهِىُّ عنها فى القرآن هى التى تجرُّ إلى المغاضبة والمشاتمة[٢]، وأمّا مراجعة الكلام بغرض الإقناع والوصول إلى الحقِّ فهذا مندوبٌ إليه كما فى قول اللّٰه ﷻ:

- ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥ .

فهاهنا مخاصمة ومنازعة فى الكلام، ولكن ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، فنفَى كلَّ ما من شأنه أن يقود إلى المشاتمة والمغاضبة، وأثبت الرفق والحكمة وحسن الخطاب .

● **ففى المُجادَلة - إذن - ثلاثة ملامح واضحة: الشدة، مع الاستمرار فى مراجعة الكلام، والقصد إلى قهر الخصم فى الأعم الأغلب .**

وأمّا المُحاجَّة فقد وردت فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ومن شواهدها قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾ البقرة .

- ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ

---

(١) الفروق ومنع الترادف، ص٨٧ .

(٢) التحرير والتنوير٢/ ٢٣٥ .

يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ آل عمران .

- ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ غافر .

المُحاجَّةُ: محاولة كل واحدٍ أن يغلب خصمه بما يقيمه من حُجَجٍ وبراهين[1]، بقصد إقامة الحق وتفصيله وبيانه ونصرته وإظهاره[2] .

● **فالملمح الأساسيُّ هنا هو التقارع بالحُجَّة بهدف الانتصار للحق؛ ولذلك اقترن ذِكْرُ المُحاجَّة بإيراد حجج الفريقين فى أكثر المواضع .**

وأمَّا المُحاوَرَة فقد ذُكرت فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ الكهف .

- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ الكهف .

- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ المجادلة .

المُحاوَرَة والتَّحاوُر: مراجعة الكلام، مأخوذ من (حارَ يَحُور) أى: رجَع[3] .

● **والمُحاوَرَة تخلو من ملمح الشدة الذى فى المُجادَلة، وملمح التقارع بالحجة الذى هو فى المُحاجَّة؛ ولذا قال اللَّه ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ، فسمَّى كلامَها مُجادَلةً؛ لأنها ظلَّت تراجع النبىَّ ﷺ**

---

(١) مفردات الأصفهانى (ح ج ج) .

(٢) الفروق ومنع الترادف، ص٨٧ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٤ .

الكلام مرّاتٍ، وفى هذا ما فيه من الشدَّة . أمّا كلامهما معًا فوصفه اللَّه بقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ ؛ رعاية لكلام النبى ﷺ .

- ونخلُص مما سبق إلى أن ألفاظ (المُجادَلة - المُحاجَّة - المُحاوَرَة) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك فى معنى: مراجعة الكلام .

ويختص كل منها بملمح دلالىٍّ يميِّزه:

- فالمُجادَلة: تتميز بملمح الشدَّة .
- والمُحاجَّة: مصاحبة الكلام للحجج التى يُرادُ بها الغلبة على الخصم .
- والمُحاوَرَة: تتميز بملمح الهدوء .

******

❑ ٥/٥ التَّجَسُّس - التَّحَسُّس:

• التَّجَسُّس فى اللغة: تعرُّف الشىء بِمَسٍّ لطيف، يقال: جَسَسْتُ العِرْقَ وغيرَه جَسًّا، والجاسوسُ من هذا؛ لأنه يفتِّش عمّا يريده بخفاء ولطف . والتَّجَسُّس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يُقال فى الشر[١] .

• والتَّحَسُّس قريب من سابقه؛ إلا أن اشتقاقه من الحَواسِّ، وهى أدوات الإدراك الخمس[٢]، فهو بمعنى طلب الحسِّ أى العلم، وغالبًا ما يكون فى الخير[٣] .

وأكثر علماء العربية يُثْبِتون هذا الفرق بين التجسُّس والتحسُّس، فكلاهما بحث بخفاء ولطف، ولكن غلب أوَّلُهما فى البحث عن العورات وتتبُّعها،

---

(١) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (ج س س) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، (ح س س) .

(٣) النهاية (ح س س) .

وثانيهما فى الخير . وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى الدقيق بين الفعلين، فجاء التجسُّس منهيًّا عنه، وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الحجرات: ١٢ .

أى: لا يتتبَّع بعضكم عوراتِ أخيه ولا يبحث عن سرائره يبتغى الاطِّلاع على عيوبه[١] .

وأمّا التحسُّس فجاء مأمورًا به على لسان نبى اللَّه يعقوب عليه السلام، حين أمر أبناءه بأن يبحثوا عن أخبار يوسف عليه السلام، فقال:

- ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ يوسف: ٨٧ .

فأمرهم بتعرُّف أخبار أَخَوَيْهم وطلب ذلك فى خفاء وتستر، وعبَّر عن هذا بفعل التحسُّس، وهو أعمُّ من التجسُّس[٢] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (التَّجَسُّس - التَّحَسُّس) فى الاستعمال القرآنى متقاربان جدًّا فى الدلالة، حيث يشتركان فى ملمحين هما:**

١- البحث والتعرُّف .　　　　٢- الخفاء والتستر .

- **ويفترقان فى ملمح خاص بالتجسُّس (بالجيم)، وهو غلبة استعماله فى الشرِّ .**
- **بينما يتميَّز التحسُّس (بالحاء) بغلبته فى الخير .**

******

❑ ٦/٥ جَعَلَ - خَلَقَ:

- الجَعْل فى اللغة: التهيئة والصنع، وتصيير الشىء من حالة إلى حالة[٣] .

---

(١) الطبرى ١١/ ٣٩٤، القرطبى ٢١٨/١٦، الكشاف ٥٩٨/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٤٥/١٣ .

(٣) اللسان (ج ع ل) .

• والخَلْق في اللغة: تقدير الأشياء، وإيجادها على مثالٍ لم يُسبق إليه[(١)] .

وقد ورد كلا اللفظين في القرآن الكريم في آيتين متشابهتين لفظًا، ففي أول سورة النساء:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ .

وفي موضع آخر قال الله ﷻ:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ .

فاستخدم الفعل (خَلَقَ) في آية النساء؛ لأن هذه الآية تتحدث عن بداية خَلْق آدم عليه السلام، وخلق حواء من ضلعه، فناسب هنا استخدام لفظ (الخَلْق) للدلالة على الأوليّة المقصودة[(٢)] .

واستخدم في آية الأعراف الفعل (جَعَلَ)؛ لأن سياق هذه الآية في معنى آخر غير معنى الأوليّة والبداية، وهو ذِكْر ما بين الرجل والمرأة من سَكَنٍ ورحمة وميل غريزي، فناسب ذلك التعبير بالفعل (جَعَلَ) بمعنى: صَيَّرَ وهَيَّأَ، بما في معنى التهيئة من التيسير، وبما في الجَعْل من معنى التبعية، وكَوْن الشيء تبعًا لشيءٍ أَدْعَى إلى أن يميل ويسكن إليه[(٣)] .

ولعل الفارق الدلاليّ في الاستخدام القرآني للفعلين (جَعَلَ - خَلَقَ) يتضح بجلاء تامٍّ في قول الله ﷻ:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الأنعام: ١ .

فعبّر عن السماوات والأرض بلفظ (خَلَقَ)؛ لأنَّ السماوات والأرض

---

(١) اللسان، مفردات الأصفهاني (خ ل ق) .

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٢٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ١٢٧ .

أجرام تحتاج إلى التقدير والإيجاد ابتداءً؛ وعبَّر عن الظلمات والنور بلفظ (جَعَلَ)؛ لأن الظلمات والنور مخلوقات من شىء آخر، إذْ هُما تبع للسماوات والأرض، فناسب ذلك التعبير بالفعل (جَعَلَ) الدالّ على التهيئة وإنشاء شىء من شىءٍ سابق .

يقول الزمخشرىّ: والفرق بين الخَلْق والجَعْل أن الخَلْق فيه معنى التقدير، وفى الجَعْلِ معنى التضمين كإنشاء شىءٍ من شىءٍ أى تصيير شىءٍ شيئًا، أو نقله من مكان إلى مكان[١] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (جَعَلَ - خَلَقَ) يُظهِر اشتراكهما فى معنى: إحداث الشىء .**
- **والملمح الدلالىّ المميِّز لكلمة (خَلَقَ) هو: التقدير والأوّليَّة .**
- **فى حين أن الملمح الدلالىّ المميِّز لكلمة (جَعَلَ) هو: التضمين والتهيئة .**

******

❑ ٥/ ٧ الجَمَال - الحُسْن:

- الجَمَال فى اللغة: البهاء والحُسْن فى الخَلْقِ والخُلُق، ويُستعمل فى الأشياء المحسوسة، كما يُستعمل فى المعنويات[٢]، ومنه قول رسول اللَّه ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَميلٌ يُحِبُّ الْجَمالَ" أى: حسن الأفعال كامل الأوصاف[٣].
- والحُسْنُ فى اللغة: ضِدُّ القبح[٤] . وهو كلُّ مُبْهجٍ مرغوبٍ من جهة

---

(١) الكشاف ٢/ ٢ .

(٢) المحكم، اللسان (ج م ل) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، وشرحه فى: النهاية لابن الأثير (ج م ل) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ح س ن) .

العقل، أو الهَوَى، أو الحِسّ، ويُستعمل فى وصف القول والفعل، كما تُوصَف به المحسوسات والمعنويات[١] .

وقد وردت كلمة (جَمَال) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ النحل .

قال أبو حيان: الجَمَال يكون فى الصورة بحسن التركيب، يُدرِكُه البصر ويلقيه فى القلب فتتعلَّق به النفس، وفى الأخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة كالعلم والعفَّة والحِلْم، وفى الأفعال بوجودها ملائمةً لمصالح الخَلْق وصرف الشرِّ عنهم . والجمال الذى لنا فى الأنعام هو خارج عن هذه الأنواع الثلاثة، والمعنى أنَّه بَدا لَنا فيها جمالٌ وعظمةٌ عند الناس باقتنائها ودلالتها على سعادة الإنسان فى الدنيا وكَوْنِه فيها من أهل السَّعَة، فَمَنَّ اللَّه ﷻ بالتجمُّل بها كما مَنَّ بالانتفاع الضرورىّ؛ لأن التجمُّل بها من أغراض أصحاب المواشى ومفاخر أهلها، والعرب تفتخر بذلك[٢] .

فالجمال كما تفيد عبارة أبى حيان: حسن الصورة، وهو معنى يستقر فى النفس فتتعلَّق به القلوب وتأنس إليه، كما أنه وسيلة من وسائل الفخر .

كما ورد فى القرآن الكريم الوصف (جميل) فى عدة مواضع، فورد وصفًا للصَّبْر، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨، ٨٣ .

ووصفًا للصَّفْح، فى قوله ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر : ٨٥ .

ووصفًا للسَّراح، فى قوله ﷻ:

---

(١) مفردات الأصفهانى (ح س ن) .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٥٧٥

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ الأحزاب .

ووصفًا للهَجْر، فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ المزمل .

فالصبر الجميل كما جاء فى الحديث: الذى لا شكوى فيه إلى الخَلْق، وقيل: المراد بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ : أتجمَّل لَكُم فى صبرى فلا يبدو على وجهى كآبة ولا عبوس، بل كما عهدتمونى[1] . وجمال الصبر أحسن أحواله، وهو أن لا يقارنه شىءٌ يقلِّل خصائص ماهيته[2] .

والصفح الجميل: هو الصفح الكامل، والصفح الذى فيه مصلحة لرسول اللّه ﷺ هى كمال أخلاقه، ومصلحة للمشركين هى رجاء إيمانهم[3] .

والسَّراح الجميل: الطلاق بالسُّنَّة من غير ضِرارٍ[4]، وهو الطلاق دون غضبٍ ولا كراهية[5] .

والهَجْر الجميل: هو الذى يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، فلا يقرنه بجفاء آخر أو أذى[6] .

ومما سبق يتضح أن الجمال تتعدَّد معانيه بحسب السياقات، فيكون حسيًّا تارة، ومعنويًّا تارة أخرى، وفى كل الأحوال يقترن الجمال بالشعور والعاطفة، وفيه ملمح القوَّة النفسية .

---

(١) الكشاف ٢/٣٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير١٢/ ٢٣٩ .

(٣) التحرير والتنوير ١٤/٧٧، ٧٨ .

(٤) الكشاف ٣/ ٢٥٩ .

(٥) التحرير والتنوير٢٠/ ٣١٦ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٩/٢٦٨ ، ٢٦٩ .

أمّا الحُسْنُ فقد تكرر كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ البقرة.

- ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ الكهف: ٨٦.

- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الأحزاب: ٥٢.

جاء الحُسْن فى آية البقرة مع الإحسان، حيث جُعِلَ الإحسانُ الفعليُّ حيث يتعيَّن ويدخل تحت قدرة المأمور، وذلك الإحسان للوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين، وجُعِلَ الإحسان لسائر الناس بالقول: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ لأنه القَدْر الذى يمكن معاملة جميع الناس به؛ وذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد؛ فهُمْ إذا قالوا للناس حسنًا فقد أضمروا لهم خيرًا، وذلك أصل حسن المعاملة مع الخَلْق، فإذا عَرَض ما يوجب تكدير الخاطر فإن القول الحَسَن يزيل ما فى نفس القائل من الكدر ويُرِى للمقول له الصفاء فلا يعامله إلّا بالصفاء[١].

وخلاصة القول إن الحسن فى القرآن الكريم: كل أمرٍ مرغوب فيه ومندوبٌ إليه، وأكثر استعماله فى القرآن للمُسْتَحْسَن من جهة البصيرة[٢] (أى الحسن المعنوى)، وندَر استعماله فى القرآن بالمعنى الحِسِّىّ كما فى آية الأحزاب.

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الجَمَال - الحُسْن) فى القرآن الكريم بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى بعض الملامح الدلالية، وهى كَوْنُهما:**

(١) التحرير والتنوير ١/ ٥٨٣.

(٢) مفردات الأصفهانى (ح س ن).

○ ضد القبح . مرغوبًا فيهما .

○ الإعجاب . شمول المعنوى والحِسّى .

● **ويختلفان فى ملامح دلالية فارقة تميِّز الجمال، وهى: شدَّة الحسن والبهاء، وكونه وسيلة للفخر، وارتباطه بالعاطفة، وفيه قوَّة نفسية .**

*****

❑ ٨/٥ جَمّ - كثير:

● تدور مادة (ج م م) فى اللغة حول معنى: كثرة الشىء واجتماعه . فالجُمَّة: مجتمَع شعر الناصية، والبئر الجَموم: الكثيرة الماء، والجُمَّة: القوم يجتمعون لتحمُّل دِيَةٍ أو غيرها . والجَمام: الراحة؛ لأنه يكون مجتمعًا غير مضطرب الأعضاء(١) .

● وتدور مادة (ك ث ر) فى اللغة حول معنى: خلاف القلَّة(٢) .

وإذن فالجمُّ يزيد على الكثير بملمح الاجتماع .

وقد ورد الوصف (كثير) فى كثير من آى الذكر الحكيم، نذكر منها الآيات التالية:

- ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦ .

- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ .

- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ الحج: ٤٠ .

والمراد الوصف بالكثرة .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج م م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ك ث ر) .

أمّا كلمة (جَمّ) فقد وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قوله اللّه ﷻ:

- ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ الفجر .

قال الزمخشرى: أى كثيرًا شديدًا مع الحرص والشَّرَه ومنع الحقوق[١] .

ولعلَّ الزمخشرى فى هذا التأويل يشير إلى الملمحين الدلاليين لكلمة (جمّ) وهما: الكثرة، والاجتماع .

فعبَّر عن الاجتماع بالشدَّة والحرص والشَّرَهِ، كأن هذا الحب قد اجتمع فى قلوبهم وتمكَّن منها فصارت نفوسهم حريصة شرهة مع منع حقوق المال .

وفرَّق العلّامة الطاهر بن عاشور بين الجَمّ والكثير بقوله: الجَمُّ: الكثير، ووَصْفُ الحُبِّ بالكثرة مرادٌ به الشدَّة؛ لأن الحبَّ معنًى من المعانى النفسية لا يُوصَفُ بالكثرة التى هى وَفْرة أعداد الجنس . فالجَمُّ مستعارٌ لمعنى القوىِّ الشديد، أى حُبًّا مُفْرِطًا، وذلك مَحَلُّ ذمِّ حب المال؛ لأن إفراد حُبِّه يُوقِع فى الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق[٢] .

ومحصِّلة كلام الإمامين واحدة، فمعنى الجَمّ: الكثرة مع الشدة والحرص والشَّرَه ومنع الحقوق .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الجَمّ - الكثير) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى ملمح الكثرة .**
- **ولكن يتميز لفظ (الجَمّ) بملمح الشدة والاجتماع .**

****

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٣٤ .

❏ ٩/٥ الجوع - المَخْمَصَة - المَسْغَبَة:

• الجوع فى اللغة: ضد الشِّبَع[١]، وهو الإحساس الذى يصيب الحيوان بسبب خُلُوِّ المعدة من الطعام[٢].

• والمَخْمَصَة فى اللغة أصلها: الضمور، أُطْلِقَتْ على الجوع الشديد الذى يُورِث خَمْصَ البطن، أى ضموره[٣]، وفى حديث جابر ﷺ قال: رأيت بالنبىِّ ﷺ خَمْصًا شديدًا[٤].

• والمَسْغَبَة فى اللغة: الجوع مع التعب[٥].

هكذا تتدرَّج معانى هذه الألفاظ المتقاربة، فأَهْوَنُها الجوع، وأشدُّ منه الخَمْص والمَخْمَصة، أما المَسْغَبة فهى أشدُّ أنواع الجوع وما يصاحب ذلك من ضعف وإعياء وتعب.

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذه الملامح الدلالية المتميزة للكلمات الثلاث.

ورد لفظ (الجوع) فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ البقرة.

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج و ع).
(٢) مفردات الأصفهانى (ج و ع).
(٣) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهانى (خ م ص).
(٤) النهاية لابن الأثير (خ م ص).
(٥) مقاييس اللغة، جمهرة اللغة، اللسان، مفردات الأصفهانى (س غ ب).

- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ طه .

- ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ الغاشية .

- ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ قريش: ٤ .

فجاءت كلمة (الجوع) للتعبير عن أى شىءٍ من الإحساس بالجوع ولو كان يسيرًا ؛ ولذا عُبِّر بقوله تعالى: ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ ، أى: بقليل من كل واحدٍ من هذه البلايا وطرف منه[1] .

كذلك وردت فى نفى الجوع والعُرْيِ فى الجنة، فى آية طه رقم (١١٨)، ومعنى هذا أن الجوع شىءٌ يسير، فالمراد بيان سعادة أهل الجنة ونفى الشقاوة عنهم، أىّ درجة من درجات الشقاوة، حتى لو كانت شيئًا يسيرًا من الجوع .

كما وردت الكلمة فى نفى الشِّبَع عن أهل النار (فى آية الغاشية)، فما يأكلون لا يغنيهم من الجوع، أى لا يَسُدُّ حاجتهم إلى الطعام، ولا يُذْهِب عنهم شيئًا من الجوع .

وأمّا المَخْمَصَة فقد وردت فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة : ٣ .

- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ التوبة .

عُبِّرَ بالمَخْمَصَة فى موطن الجوع الشديد الذى يُورِث ضمور البطن، وذلك فى حال الاضطرار الشديد، وقد كانت بلاد العرب قليلة الأقوات

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢٣، البحر المحيط ١/ ٤٥٠ .

معرَّضة للمَخْمَصَة عند انحباس الأمطار، أو فى شدة كَلَبِ الشتاء، فلم يكن عندهم من صنوف الأطعمة ما يعتاضون ببعضه عن بعض كما طفحت به أقوال شعرائهم[١]؛ لذا كانت (المَخْمَصَة) هنا أَوْفَى بالمراد وأدق من الجوع والمجاعة ونحوهما .

والموضع الثانى للمَخْمَصَة جاء فى سياق ذكر الحرب، فكان اللائق به ما دلَّ على الشِّدَّة لا مجرد الجوع الذى يصيب الإنسان فى الشدة وغيرها .

وأمّا المَسْغَبَة فوردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ البلد .

عُبِّر بالمَسْغَبَة هنا تفسيرًا للعقبة، وهى فكُّ رقبة، ثم الإطعام فى يومٍ ذى جوع شديد يصاحبه تعب وإعياء، حين تعِزُّ الأقوات وتَشِحُّ بها النفوس، فالإطعام ذلك اليوم أفضل، وهو العقبة، ودون العقبة مصاعد متفاوتة[٢] .

ويمكن الاستئناس لهذا التفسير للمَسْغَبَة بأنها جاءت مقارنة للمَتْرَبة؛ وهى أن لا يجد الإنسان شيئًا فيلتصق بالتراب[٣] .

- **ونخلص مما سبق إلى وجود تقارب دلالىّ بين ألفاظ (الجوع - المَخْمَصة - المَسْغَبة)، فجميعها تشترك فى معنى الإحساس بخُلُوّ المعدة من الطعام .**
- **وتتميز المَخْمَصَة بظهور أثر الجوع على المظهر الحِسِّىّ للبطن .**
- **بينما تتميز المَسْغَبة بالتعب المصاحب للجوع، فهى وصف لأثر الجوع على النفس .**

****

(١) التحرير والتنوير٦/١٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٣٥٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٥١٤، البحر المحيط ٨/ ٤٧٦ .

حرف الحاء (٦)

١)	الحُبّ، الوُدّ	٢)	حُجْرة، غُرْفة
٣)	حَرَج، ضِيق	٤)	حَظّ، نَصيب
٥)	الحَفيظ، الرَّقيب، المُهَيْمِن	٦)	الحُلْم، الرُّؤيا
٧)	الحَلال، الطَّيِّب	٨)	الحِلْيَة، الزِّينة
٩)	الحَمْد، الشُّكْر	١٠)	الحَياة، الحَيَوان

❑ ٦/ ١ الحُبّ - الوُدّ:

• أصل مادة: (ح ب ب) فى اللغة: اللزوم والثبات، فالحُبُّ والمحبة اشتقاقهما من (أَحَبَّه) إذا لزمه . والمُحِبُّ: البعير الذى يتعب فيلزم مكانه[١] .

• وأصل مادة (و د د) فى اللغة: مَحَبَّة الشيءِ وتَمَنِّى حصوله[٢] .

فالفارق الدلالىّ بين الكلمتين يتمثل فى ملمح اللزوم والثبات فى (الحُبّ)، وملمح التمنِّى فى (الوُدّ) .

وقد تكرر ذكر مادة (ح ب ب) فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللّه ﷻ :

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥ .

- ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

---

(١) مقاييس اللغة (ح ب ب) .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (و د د) .

- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ آل عمران: ١٤ .

- ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ طه : ٣٩ .

قال الزمخشريّ فى تفسير الشاهد الأول: أى يعظّمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب[1] .

ونقل أبو حيان عن الراغب الأصفهانيّ: الحُبُّ أصله من المَحَبَّة، حَبَبْتُه أى أصَبْتُ حَبَّةَ قلبه، وهى فى اللفظ فِعْلٌ وفى الحقيقة انفعالٌ، وإذا استُعمِل مع اللَّه ﷻ فالمعنى: أصاب حَبَّةَ قلبِ عبدِه فجعَلَها مَصونةً عن الهَوَى والشيطان وسائر أعداء اللَّه[2] . ثم ذكر أبو حيان مقتضى تمييز حب المؤمنين له بالمحبة، أو لمعرفتهم بموجب الحُبّ، أو لمحبَّتهم إياه بالغيب، أو لشهادته ﷻ لهم بالمحبة إذ قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ المائدة: ٥٤ .

أو لإقبال المؤمن على ربِّه فى السَّراء والضَّرّاء والشدَّة والرخاء، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه، أو لعلمه بأن اللَّه خالق الصنم، وهو

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢٦ .

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٧٠، وقد رجعتُ إلى مادة (ح ب ب) فى مفردات الأصفهانى فلم أجد هذه العبارة، فلعل أبا حيان نقلها عن مصدر آخر، وعبارة الأصفهانى: "حَبَبْتُ فلانًا، يقال فى الأصل بمعنى: أصبت حبَّةَ قلبه، نحو: شَغَفْتُه وكَبَدْتُه وفَأَدْتُه، وأَحْبَبْتُ فلانًا: جعلتُ قلبى معرضًا لحُبِّه . . . والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرًا، وهى على ثلاثة أوجه: محبة للذَّةِ كمحبة الرجل المرأة، ومنه قوله ﷻ : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ الإنسان . ومحبَّة للنفع كمحبة شىء ينتفع به، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ الصف: ١٣ . ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم . . . فمحبة اللَّه ﷻ للعبد: إنعامه عليه، ومحبة العبد له ﷻ: طلب الزلفى لديه" .

الضارُّ النافع، أو لكون حُبِّه بالعقل والدليل، أو لامتثاله أمرَه حتى فى القيامة حين يأمر اللَّه ﷺ مَنْ عَبَدَهُ لا يشرك به شيئًا أن يقحم النار، فيبادرون إليها، فتبرد عليهم النار، فينادى منادٍ تحت العرش:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ البقرة.

تسعة أقوال ثبتت نقائضها ومقابلاتها لمتخذ الأنداد، وهذه كلها خصائص ميَّز اللهُ بها المؤمنين فى حبِّه، فذكر كل واحد من المفسِّرين خصيصة، والمجموع هو المقتضى لتمييز الحب، فلا تباين بين هذه الأقوال؛ لأن كل قول منها ليس على جهة الحصر فيه، إنما هو مثال[1].

ولَخَّص الشيخ الطاهر بن عاشور معنى الحب بقوله: هو ميل النفس إلى الحَسَنِ عندها بمعاينة، أو سماع، أو حصول نفع محقَّق أو موهوم، لعدم انحصار المحبة فى ميل النفس إلى المرئيّات خلافًا لبعض أهل اللغة؛ فإن الميل إلى الخُلُق الحَسَن وإلى الفعل الحسن والكمال، محبة أشدُّ من محبَّة محاسن الذات[2].

وفى الشاهد الثانى يتضح أن الحُبَّ لا يكون دائمًا لِما فيه الخير، بل قد يحبُّ الإنسان شيئًا وفيه شرٌّ له، كحب الخلود إلى الراحة وترك القتال، هذا أمر محبوب بالطبع؛ لما فيه من التباعد عن الشر والأذى كالقتل والهلاك ونهب الأموال . . . إلخ[3].

والشاهد الثالث فى الحب الذى تُمْليه الغرائز والسجايا، وهو إقبال

---

(١) البحر الميحط ١/ ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٩٠ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٤٤

النفس على ما تستحسنه مع ستر ما فيه من الأضرار، وقد جمعت الآية أصول الشهوات البشرية كلها[١] .

وأمَّا الوُدّ فقد تكرر ذكره فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ :

- ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ البقرة : ٩٦ .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مريم .

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١ .

فالوُدّ يأتى تارةً بمعنى التمنِّى كما فى آية البقرة، وتارةً بمعنى المَحَبّة والألفة الخالصة كما فى آية مريم وآية الروم[٢] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الحُبّ - الوُدّ) بينهما تقارب دلالىّ؛ إذ يشتركان فى بعض الملامح الدلالية، وهى الميل وتعلُّق القلب .**

- **ويختص الوُدّ بملمح: الشعور الخالص بالحب والإقبال، كما يختص الوُدّ بدلالته على التمنِّى .**

- **ويختص الحب بملمح الدوام والثبات، واستعماله فى معانٍ كثيرة لا يُستعمل فيها الود، كالتعظيم والخضوع، كما يتميز الحُبُّ بأنه يُستعمل فى الميل إلى الخير، ويُستعمل فى الميل إلى الشرِّ .**

******

❑ ٦/ ٢ حُجْرة - غُرْفة:

- الحُجرة فى اللغة: الموضع المحصور بحائط[٣]، مأخوذ من الحَجْر، وهو

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ١٧٨ - ١٨١ .

(٢) مفردات الأصفهانى، عمدة الحفاظ (و د د)، البحر المحيط ١/ ٣١٥ .

(٣) اللسان (ح ج ر) .

حَصْر الشىء بالحجارة(١) .

• والغُرْفة فى اللغة: العُلِّيَّة، مأخوذ من غَرَفَ الشىءَ، أى رفَعه(٢) .

والملاحظ فى الاستخدام القرآنى لكلمة (حُجْرة) أنه أوردها فى وصف منازل الدنيا، وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ الحجرات .

وفى ذلك إشارة إلى الضيق والانحصار وعدم الأمن؛ لأن الخائف هو الذى يحيط نفسه بسياج من حجارة وغيرها .

بينما استخدم القرآن الكريم لفظ (الغُرْفة - الغُرُفات)، لوصف مساكن الجنة؛ وفى ذلك إشارة إلى السعة، والارتفاع والعِزّة والأمن . ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ الفرقان .

- ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ سبأ .

• **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (حُجْرة - غُرْفة) بينهما تقارب دلالىّ؛ إذ يشتركان فى الدلالة على المكان .**

• **ويختص لفظ (الغُرْفة) بملامح: السَّعة والارتفاع والعِزَّة والأمن .**

******

(١) مفردات الأصفهانى (ح ج ر) .

(٢) مفردات الأصفهانى (غ ر ف) .

❑ ٦/٣ الحَرَج - الضِّيق:

• الحَرَج فى اللغة: الضيق الشديد، واستُعْمِلَ فى معنى الإثم والحرام(١).

• والضِّيق فى اللغة: ضد السَّعة، ويُستعمَل فى الفقر والبخل والغمِّ ونحو ذلك(٢).

وقد ورد الحرج والضيق مجتمعين فى آية واحدة من الذكر الحكيم، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ الأنعام: ١٢٥.

فالضِّيق هنا فى مقابلة الانشراح، وأُريدَ به عدم الاستعداد لقبول الإيمان(٣).

والحَرَج هنا شدة الضيق(٤)، وأُريدَ به أنْ لا منفذ ولا مسلك للإيمان والخير فى قلبه(٥).

• **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (حَرَج - ضِيق) يُظهر اشتراكهما فى معنى: نقيض السَّعَة، ماديًّا أو معنويًّا.**

• **والملمح المميِّز لكلمة (حَرَج) هو: الشدة، فالحَرَج ضيقٌ شديدٌ بالغ.**

*****

---

(١) اللسان، النهاية لابن الأثير (ح ر ج).

(٢) مفردات الأصفهانى (ض ى ق).

(٣) التحرير والتنوير ٥/ ٩٥.

(٤) التحرير والتنوير ٥/ ٩٥.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٥.

❑ ٦/ ٤ الحَظّ - النَّصيب:

• أكثر أهل اللغة لا يذكرون فارقًا ما بين الحظّ والنصيب، فيفسِّرون كلتا المادتين بالإحالة على الأخرى، ومن ذلك قول ابن فارس فى مادة (ح ظ ظ): "الحاء والظاء أصل واحد، وهو النصيب والجَدّ" . ثم قال فى مادة (ن ص ب): "والنصيب: الحظُّ من الشىء، يقال: هذا نصيبى، أى حظّى"[(١)].

ومثل ذلك فى اللسان[(٢)] .

وزاد الأزهرى فى الحظّ أنه: النصيب من الفضل والخير[(٣)] .

ولعلَّ الاستعمال القرآنى للكلمتين يؤيِّد ما ذهب إليه الأزهرىّ فى تخصيص الحظّ بأنه: **ما كان من الفضل والخير** .

فقد وردت كلمة (حَظّ) فى القرآن الكريم سبع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ آل عمران .

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ النساء: ١١ .

- ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ﴾ النساء: ١٧٦ .

- ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ المائدة : ١٤ .

- ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ المائدة: ١٣ .

- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ القصص .

---

(١) مقاييس اللغة (ح ظ ظ، ن ص ب) .

(٢) اللسان (ح ظ ظ، ن ص ب) .

(٣) تهذيب اللغة (ح ظ ظ) .

- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ فصلت .

تدلُّ الآيات السابقة على أن المراد بالحَظّ ما كان من الفضل والخير دون غيره؛ لأنها جاءت جميعها فى سياق الفضل والخير من الثواب أو العلم أو المال . وقد صرَّح الزمخشرى فى تفسيره للشاهد الأول أن المراد بالحَظّ: النصيب من الثواب[١] .

وقال الطاهر بن عاشور: الحَظّ: النصيب من شىء نافع[٢] .

وقال الزمخشرى فى تفسير آية فصلت: "فُسِّرَ الحَظّ بالثواب، وعن الحسن رحمه اللَّه: واللَّهِ ما عَظُمَ حَظٌّ دون الجَنَّة"[٣] .

وبذلك يمكننا أن نقول باطمئنان: إن المراد بالحَظّ فى الاستعمال القرآنى: النصيب من الفضل والخير .

أمَّا النَّصيب فقد تكرر ذكره فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وجاء بمعنى الفضل والخير، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ النساء .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤﴾ النساء .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١﴾ النساء .

فالنَّصيب فى الآية الأولى من المال، وفى الثانية والثالثة من الكتاب وهو كتاب اللَّه ﷻ .

---

(١) الكشاف ١/ ٤٨٢ .

(٢) التحرير والتنوير٤/ ١٧٣ .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٥٤ .

كما جاء النصيب فى الشرِّ، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ هود.

- ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ غافر.

فالنَّصيب هنا هو القسط من العذاب[١].

وحتَّى فى بعض السياقات القرآنية التى استُعمِل فيها النَّصيب بمعنى: القَسْم من الفضل والخير، كان هذا القَسْمُ مَشوبًا بمعنى القِلَّة والدناءة، كما يتضح فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ النساء.

عُبِّرَ عن ظَفَر المسلمين بـ (الفتح)، وعن ظَفَر الكافرين بـ (النَّصيب)؛ تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظِّ الكافرين؛ لأنَّ ظَفَر المسلمين أمر عظيم تُفْتَحُ لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأما ظَفَرُ الكافرين فما هو إلّا (حَظٌّ دَنِيٌّ) ولُمظةٌ من الدنيا يصيبونها[٢].

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (حَظّ - نَصيب) بينهما تقارب دلالىّ، فكلاهما مشتركان فى ملمح القَسْم المُعَيَّن.**
- **ولكن النَّصيب عامٌّ فى الخير والشَّرّ، بينما الحظُّ مختصٌّ بالفضل والخير.**

******

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٥.

(٢) السابق ١/ ٥٧٣.

❏ ٦/ ٥ الحَفيظ - الرَّقيب - المُهَيْمِن:

• تدور مادة (ح ف ظ) فى العربية حول معانى: الرعاية والتَّعاهُد، وعدم الغفلة، وعدم النسيان. والحفيظ: من صفات اللَّه ﷻ لا يعزُبُ عن حفظه الأشياءَ كلَّها مثقالُ ذَرَّةٍ فى السماوات و الأرض، وقد حَفِظَ على خَلْقه وعباده ما يعملون من خيرٍ أو شرٍّ، وقد حَفِظَ السماوات والأرض بقدرته ولا يؤوده حفظهما، وهو العلىّ العظيم[١].

• وتدور مادة (ر ق ب) حول معنى: الانتصاب لمراعاة شىءٍ[٢]، والرَّقيب: الحفيظ، وفى أسماء اللَّه تعالى: الرقيب، وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء. ورقَبَ الشىءَ يَرْقُبُه: حَرَسَهُ[٣].

• بينما تدور مادة (هـ م ن) حول معنى: القيام على الشىء. وتفسير المُهَيْمِن على عدة أقوال: المُؤْتَمَن، والشهيد، والرقيب، والقائم بأمور الخلق[٤].

ومما سبق يتضح أنَّ الحفيظ يتضمَّن معانى: الرعاية والدوام على تلك الرعاية، وعدم الغفلة، وعدم النسيان، والعلم بالانتصاب للمبالغة، وهو قريب جدًّا من المعنى السابق.

والمُهَيْمِن يتضمن معنى: القيام بأمور الخلق، والشهادة، والرقابة، وكونه مُؤْتَمَنًا ومُؤَمِّنًا معًا.

وقد تكرر ذكر لفظ (حفيظ) فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ الأنعام.

---

(١) اللسان، المحكم (ح ف ظ).

(٢) مقاييس اللغة (ر ق ب).

(٣) اللسان (ر ق ب).

(٤) النهاية لابن الأثير، اللسان (هـ م ن).

- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ هود: ٥٧ .
- ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ هود .
- ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ سبأ: ٢١ .
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾ الشورى .

تعدَّدت أقوال المفسِّرين فى معنى (الحفيظ)، وكثيرًا ما خلطوا بين معانى الأسماء الثلاثة، على نحو ما نجد فى كلام الزمخشرى فى أكثر من موضع، ففى آية الأنعام (١٠٤)، وآية هود (٨٦) يقول الزمخشرى:

حفيظ، أى: أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها[١] .

وفى تفسيره لآية هود (٥٧) يقول الزمخشرى:

حفيظ: رقيب مهيمنٌ فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم . أوْ: مَنْ كان رقيبًا على الأشياء كلِّها حافظًا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه - لم يَضُرَّ مثلَه مثلُكم[٢] .

وفى تفسيره لآية سبأ (٢١) يقول الزمخشرى:

حفيظ: محافظ، وفعيل ومُفاعِل متآخيان[٣] .

وفى تفسيره لآية الشورى (٦) يقول الزمخشرى:

﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ : رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شىء، وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلّا هو وحده[٤] .

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٢، ٢/ ٢٨٦ .
(٢) الكشاف ٢/ ١٧٧ .
(٣) الكشاف ٣/ ٢٨٧ .
(٤) الكشاف ٣/ ٤٦٠ .

ومثل ذلك صنيع أبى حيان، حيث أورد خمسة أقوال فى معنى الحفيظ فى آيتى الأنعام (١٠٤)، هود (٨٦):

"أى: برقيب أحصر أعمالكم، أو بوكيل آخذكم بالإيمان، أو بحافظكم من عذاب الله، أو بربٍّ أجازيكم، أو بشاهد"[١] .

وفى موضع آخر يقول أبو حيان:

"ومعنى حفيظ: رقيب، محيط بالأشياء علمًا، لا يخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم، وهو يحفظنى مما تكيدوننى به"[٢] .

وفى موضع آخر قال أبو حيان:

"الحفيظ: المراقب الذى يحفظ أحوال من يراقب، والمحاسب الذى يجازيكم بالأعمال"[٣] .

هكذا نجد الخلط بين معانى الأسماء الحسنى الثلاثة (الحفيظ - الرقيب - المهيمن) .

والملاحظ أن المعنى اللغوى لكلمة (حفيظ) يتضمن: الرعاية، والمداومة على الرعاية (التعهُّد)، وعدم الغفلة، وعدم النسيان، والعلم .

والسياقات القرآنية تَتَّسِعُ لهذه الدلالات جميعًا كما هو واضح فى الشواهد المذكورة، فكون اللَّه حفيظًا يقتضى: رعاية ما يحفظه، ودوام تلك الرعاية، وعدم النسيان، والعلم بخفاياه . وفى بعض السياقات القرآنية معنى آخر يُضاف لما سبق، هو المحاسبة والمجازاة، كما فى آيات: (الأنعام: ١٠٤، هود: ٨٦، الشورى: ٦) .

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٩٧ .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٣٥ .

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٥٢ .

أمّا الرقيب فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١ .

- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ المائدة: ١١٧ .

- ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ هود .

- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ الأحزاب .

- ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق .

الرقيب وصف للَّه ﷻ فى آيات: النساء والمائدة والأحزاب، ووصف للإنسان فى آية هود، ووصف للمَلَك فى آية ق .

ويهمُّنا هنا اسم اللَّه ﷻ (الرَّقيب)، وقد فسَّره الزمخشرى بالحافظ المهيمن[١] ، وفسَّره أبو حيان بالمراقب وهو الحافظ والشاهد والمُطَّلِع[٢]، وفسَّره الشيخ الطاهر بن عاشور بالعالِم الذى يجازِى ويحاسِب[٣] .

وأنسب ما وجدت فى تفسير الرقيب وأقربه إلى المعنى اللغوى، ما ذهب إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى حيث قال:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١ .

○ أى: حافظًا يُحْصِى عليكم كل شىء، من (رَقَبَهُ) إذا حفظه .

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٢٤٥ .

(٣) التحرير والتنوير٢٢/ ٨٠ .

○ أو: مطّلعًا على جميع أحوالكم وأعمالكم، ومنه المَرْقَب للمكان العالى الذى يُشرِف منه الرقيب ليطَّلِعَ على ما دونه[١] .

وتفسير أبى حيان لمعنى الرقيب هو ما يرجِّحه الاشتقاق اللغوى لكلمة (رقيب) . ويمكننا أن نقول باطمئنان: إن الرقيب يتضمن معانى: العلم المحيط، والرعاية، والمحاسبة .

وأمَّا (المُهَيْمِن) فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨ .

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الحشر .

وأقوال المفسِّرين فى تفسير (المُهَيْمِن) لا تشفى غليلًا، حيث فسّروه بالرقيب والشاهد على خلقه بأعمالهم[٢] .

وفى المقصد الأسنى فى شرح أسماء اللَّه الحسنى للإمام الغزالى:

"المُهَيْمِن فى حق الله: القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنَّما قيامه عليهم باطِّلاعِه واستيلائه وحفظه، والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ يرجع إلى الفعل"[٣] .

وهذا ما نرجِّحه فى معنى المُهَيْمِن . وعلى ذلك فالمُهَيْمِن يتضمن ثلاثة معانٍ هى: الاطِّلاع، والسيطرة، والحفظ (بمعنى الرعاية) .

● **ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الحفيظ - الرقيب - المُهَيْمِن) بينها تقارب**

(١) التفسير الوسيط، المجلد الثالث، ص٢٦ .

(٢) ابن كثير ٤/٣٤٣، الكشاف ١/٦١٨، ٤/٨٧، التحرير والتنوير ٢٨/١٢١ .

(٣) نقله الطاهر بن عاشور فى التحرير والتنوير ٢٨/ ١٢٢ .

دلاليّ؛ حيث تشترك فى ملمحين دلاليين هما: العلم المحيط، الرعاية.

وتفترق هذه الألفاظ فى بعض الملامح الدلالية المميِّزة:

- **يختص (المُهَيْمِن) بملمح القدرة والسيطرة.**
- **وينفرد (الحفيظ) بملمح دوام الرعاية (التعهُّد).**
- **ويشترك الحفيظ والرقيب فى ملمح دلاليٍّ غائب فى (المُهَيْمِن)، هو المحاسبة.**

*****

❑ ٦/٦ الحُلْم - الرُّؤيا:

- كلا اللفظين فى اللغة معناه: ما يُرَى فى المنام[١].

ولكن الاستخدام القرآنى للكلمتين يفرِّق بينهما بملامح مميِّزة لكلٍّ منهما؛ حيث ارتبطت كلمة (الحُلْم) فى السياقات القرآنية بكلمة الأضغاث، كما فى الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يوسف.
- ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ الأنبياء.

الأضغاث: أخلاط النبات وأعواد الشجر[٢].

أى: هذه أحلام مختلطة وهواجس مضطربة متداخلة كتداخل أعواد النبات.

وأمّا الرؤيا فى القرآن الكريم فقد وردت فى سياق ما رآه أنبياء اللَّه - صلوات

---

(١) الصحاح، اللسان، مفردات الأصفهانى (ح ل م).

(٢) التحرير والتنوير ٦/ ٢٨٢.

اللَّه وسلامه عليهم - مثل رؤيا سيدنا محمد ﷺ التى قصَّها علينا القرآن الكريم فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ الفتح .

ورؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام التى قصَّها القرآن الكريم فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ الصافات .

ورؤيا سيدنا يوسف عليه السلام التى قصها القرآن الكريم فى سورة يوسف، وكان ختامها قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف .

ورؤيا الأنبياء - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - وحى من اللَّه ﷻ، فهى صادقة لا مَحالة . ومن هنا عُبِّر عنها بكلمة (الرؤيا) التى غَلَب استعمالها فى الخير والحسن، بينما غلب استعمال الأحلام فى الشرِّ والقبيح[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (الحُلْم - الرُّؤيا) يُظهر اشتراكهما فى معنى: ما يراه النائم فى منامه .**

● **والملمح الدلالىّ المميز لكلمة (الحُلْم): الاضطراب والاختلاط والقبح .**

● **فى حين أن الملمح الدلالىّ المميِّز لكلمة (رُؤْيا) هو: الصدق والخير والحسن .**

******

(١) انظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٣٤ .

❑ ٦/ ٧ الحَلال - الطَّيِّب:

● الحلال فى اللغة: ضد الحرام، وهو مأخوذ من الحَلِّ أى الفَتْح، كأنَّه من حلَّ الشىءَ إذا أباحه وأوسع الأمر فيه[١].

● والطَّيِّب فى اللغة: خلاف الخبيث[٢]، وتتَّسِع معانيه فيقال: أرض طيبة أى تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت ليِّنة رقيقة، وطعام طيب للَّذى يَستلِذُّ الآكِلُ طعمَه، وامرأة طيبة إذا كانت عفيفة، وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة إذا كانت آمنة كثيرة الخير[٣]. . . إلخ .

وعلى ذلك فالحلال أخص من الطيِّب، والحلال مفهوم شرعىٌّ يُراد به: ما أباحه اللَّه ﷻ .

وقد كثر ورود اللفظين فى القرآن الكريم، واقترنا أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ المائدة .

- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ الأنفال .

- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ النحل .

وقد اختلف العلماء فى الحلال والطيِّب، فقال الإمام مالك:

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ح ل ل) .

(٢) الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (ط ى ب) .

(٣) اللسان (ط ى ب) .

هما واحد، و(طيبًا) توكيد لـ(حلالًا) . وقال الإمام الشافعى وغيره: الطيب مغاير للحلال، فالمراد بالطيب: المُسْتَلَذّ[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (حلال - طيِّب) بينهما عموم وخصوص، فالطيِّب يُراد به ما فى الشىء من لَذَّة . والحلال يُراد به الحكم الشرعى بإباحة الشىء . ويجمعهما كون الشىء مما تقبله النفس ويرتضيه اللَّه ﷻ ، ولكن الطيِّب وصف لحقيقة الشىء، والحلال حكم على الشىء .**

******

❑ ٨/٦ الحِلْية - الزِّينة:

● الحِلْيةُ فى اللغة: اسم لكل ما يُتَزَيَّن به من مصانع الذهب والفضة ونحوهما من المعادن والأحجار الكريمة[٢] .

● والزِّينة فى اللغة: اسم جامع لكل شىءٍ يُتَزَيَّنُ به، يُقال: تزيَّنت الأرض بالنبات، أى حَسُنَتْ وبَهُجَتْ، وتزيين القراءة: تحسينها، وزينة المرأة: ما تتزيَّن به كالخلخال والسوار، وزينة الوجه والثياب[٣]، ويجمعها معنى: التحسين[٤] .

وقد تكرر ذكر مادة (ح ل و) فى القرآن الكريم، فمن ذلك الفعل (حَلَّى) مبنيًّا للمجهول، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الكهف: ٣١ .

والاسم المفرد (حِلْية)، كما فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) نقله أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٤٧٨ .

(٢) الصحاح، اللسان (ح ل و) .

(٣) اللسان (ز ى ن) .

(٤) مقاييس اللغة (ح ل و) .

- ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ الرعد: ١٧ .

- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ النحل: ١٤ .

- ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ الزخرف .

وورد الاسم بصيغة الجمع (حُلِيّ)، فى قوله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ الأعراف: ١٤٨ .

فمعنى قوله ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: من التَّحْلِيَة واللِّباس، وهما زينة ظاهرة[١] .

ومعنى الحِلْية فى آية الرعد: ما يُعْمَلُ للنِّساء مما يُتَزَيَّنُ به من الذهب والفضة[٢]. وقوله ﷻ: ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: المراد بالحِلْية: اللؤلؤ والمرجان[٣]، ونبَّه بقوله ﷻ: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ على غاية الحِلْية، وهى اللُّبْس[٤] .

وكنَّى بقوله ﷻ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ عن النساء، فهو كناية عن ضعفهنَّ عن مزاولة الصعاب . وعلى هذا التفسير درج جميع المفسِّرين[٥] .

والحُلِيُّ فى آية الأعراف: جمع حِلْية، وهو اسم لما يُتَزَيَّن به من الذهب والفضة[٦] .

ويتضح من سياقات كلمة (حِلْية) ومشتقاتها فى القرآن الكريم أنها تعنى: الزينة الخارجية الظاهرة، وهى ماديَّةٌ دائمًا، وأكثرها من الذهب والفضة

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٢٢ .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٣٨٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٤ .

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤٧٩ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٨١ .

(٦) الكشاف ٢/ ١١٨ .

ونحوهما من المعادن والأحجار الكريمة.

وأمّا الزِّينة فقد كثر ذكرها فى كتاب اللَّه، بصيغة الفعل (زيَّنَ - ازَّيَّنَ)، والاسم (زينة). ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأنعام.

- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ الأعراف: ٣٢.

- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤.

- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ القصص: ٧٩.

- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١.

- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ الصافات.

- ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات: ٧.

وقد أحسن الراغب الأصفهانى حين أجْمَلَ هذه المعانى للزينة فى ثلاثة أوجه، فقال:

"والزينة - بالقول المجمل - ثلاث: زينة نفسيَّة كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنيَّة كالقوَّة وطول القامة، وزينة خارجيَّة كالمال والجاه . . .

فقوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ : من الزينة النفسية، وقوله ﷻ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ : فقد حُمِل على الزينة الخارجية (الثياب)، وقيل: الزينة المذكورة فى هذه الآية هى الكَرَم المذكور فى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، وعلى هذا قال الشاعر:

* وزينةُ المرءِ حُسْنُ الأَدَبْ *

وقوله ﷻ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ القصص: ٧٩، هى الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه . . . وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ الصافات، وقوله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ الحجر: ١٦ . إشارة إلى الزينة التى تُدْرَك بالبصر، التى يعرفها الخاصَّة والعامَّة، وإلى الزينة المعقولة أى (المُدْرَكة بالعقل لا بالحواسِّ) التى يختصُّ بمعرفتها الخاصَّةُ، وذلك أحكامها وسَيْرُها . وتزيين اللَّه للأشياء: قد يكون بإبداعها مزيَّنة وإيجادِها كذلك، وتزيين الناس للشىء: بتزويقهم أو بقولهم، وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يرفع منه[١] .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (حِلْية - زينة) فى القرآن الكريم بينهما عموم وخصوص:

● فالحِلْية: لفظ خاصٌّ يُراد به الزينة الخارجية الظاهرة، وهى مادِّيَّةٌ دائمًا، وأكثرها من الذهب والفضة ونحو ذلك .

● والزينة: لفظ عامٌّ يشمل الزينة الخارجية كالثياب والحُلِىّ، وكالنبات زينة للأرض، والنجوم والكواكب زينة للسماء، والمال والجاه والقامة وغير ذلك زينة خارجية للإنسان . . . كما يشمل الزينة الباطنة التى تدركها العقول والزينة النفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة . . . إلخ .

******

(١) مفردات الأصفهانى (ز ى ن) .

❑ ٦/ ٩ الحَمْد - الشُّكْر:

- الحَمْد فى اللغة: خِلاف الذَّمّ[١]، ويكون عن يدٍ وعن غير يدٍ[٢].
- والشُّكْر فى اللغة: عرفان الإحسان ونَشْرُه، ولا يكون إلّا عن يدٍ[٣].

وقد تكرر اللفظان فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد الحَمْد:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الفاتحة.

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة.

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ الأنعام: ١.

- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ الإسراء.

ومن شواهد الشُّكْر فى كتاب اللَّه ﷻ:

- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ البقرة.

- ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ البقرة.

وتكررت جملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم: (البقرة: ٥٢، ٥٦، ١٨٥، آل عمران: ١٢٣، المائدة: ٦، ٨٩، الأنفال: ٢٦، النحل: ١٤، ٧٨، الحج: ٣٦، القصص: ٧٣، الروم: ٤٦، فاطر: ١٢، الجاثية: ١٢).

قال الزمخشرى:

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ح م د).

(٢) اللسان: (ح م د).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ش ك ر).

"الحَمْدُ والمَدْح أَخَوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمةٍ وغيرها، وأَمّا الشكر فعَلَى النعمة خاصَّةً، وهو بالقلب و اللسان والجوارح . . . والحمد باللسان وحدَه، فهو إحدى شُعَبِ الشكر، ومنه قوله ﷺ: "الحمد رأس الشكر، ما شكَرَ اللهَ عبدٌ لم يَحْمَدْه" ؛ وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على مُولِيها أَشْيَعُ لها وأَدَلُّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح؛ لخفاء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يُفصح عن كل خفيٍّ ويُجَلِّى كل مُشتَبِه . والحمد نقيضه الذَّمُّ، والشكر نقيضه الكُفْران"[١] .

ويُفْهَم من كلام الزمخشرى أن اللفظين بينهما عموم وخصوص من وَجْهين:

- فالحمد أعمُّ من وجهٍ: هو أنه يشمل الثناء بنعمة سابقة، أو بغير نعمةٍ . فالحمد للَّه يشمل الثناء عليه ﷻ ؛ لأنه المُنْعِم والحافظ والرازق . . وغير ذلك من الصفات التى فيها إنعامٌ على الخَلْق، كما يشمل الثناء على اللَّه ﷻ بصفاته الذاتية، كالعلم والقدرة والعظمة .

- والشكر أعمُّ من وجهٍ آخر: هو أنه يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد باللسان وحده .

وأضاف الألوسى فى شرحه لمعنى (الحَمْد): الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها، مع المحبة والإجلال[٢] .

وأضاف الرازىُّ ملمحًا آخر فى معنى الحَمْد فقال:

"إن الحمد يَعُمُّ ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأمّا الشكر فهو مختصٌّ بالإنعام الواصل إليك"[٣] .

---

(١) الكشاف ١/٤٦ - ٤٧ .

(٢) روح المعانى ١/ ٧٠ .

(٣) تفسير الرازى ١/ ٢١٩ .

● ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (الحَمْد - الشُّكْر) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى عام هو: الثناء بالجميل .

ويتميَّز كلٌّ منهما بملامح دلالية فارقة:

● فالحَمْد:

○ يكون على النعمة والعطاء، وعلى الصفات الذاتية .

○ ويكون على النعمة الواصلة إليك أو إلى غيرك .

○ وفيه محبة وإجلال .

○ ويكون باللسان دون غيره .

● والشُّكْر:

○ لا يكون إلّا على النعمة والعطاء .

○ ولا يكون إلّا على النعمة الواصلة إليك .

○ ويكون بالقلب واللسان والجوارح .

○ ليس فيه معنى المحبة والإجلال .

******

❑ ٦/ ١٠ الحَياة - الحَيَوان:

● الحَياة والحَيَوان فى اللغة متقاربان، إلّا أن لفظ "الحَيوان" فيه معنى الدوام والخلود والطِّيب[١] .

وقد تكرر لفظ الحَياة فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة: ٨٥ .

(١) تهذيب اللغة (ح ى ى) .

- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ البقرة: ٩٦ .
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧ .

بينما لم ترد كلمة (الحَيَوان) فى القرآن الكريم إلّا مرَّةً واحدة، فى قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ العنكبوت .

جاءت كلمة (الحَيَوان) فى هذه الآية بمعنى: الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التى لا موت فيها . وفى بناء (الحَيَوان) زيادة معنى ليست فى بناء (الحَياة)، وهى ما فى بناء (فَعَلان) من معنى الحركة والاضطراب كالنَّزَوان والدَّوَران والغَلَيان . . . إلخ . والحياة حركة كما أن الموت سكون، فجاء هنا بناءً دالًّا على معنى الحركة؛ مبالغةً فى معنى الحياة، فى مقام وصف الحياة الآخرة[1] .

كذلك يثير بناء (فَعَلان) ظلالًا دلالية تُوحى بالنشاط والابتهاج وخفَّة النَّفْس، مع دوام ذلك واستمراره وتجدُّد ألوانه، وذلك مقابل الحياة الدنيا - حياة اللهو واللعب - بما تشتمل عليه من انكسارٍ وسأم وسرعة انقطاعِ لَذّاتها وزوال نعيمها[2] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (حَياة - حَيَوان) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى أصل المعنى . ويتميَّز لفظ (الحَيوان) بملامح فارقة هى:**

١- اختصاصه بوصف الحياة فى الآخرة . ٢- ملمح الدوام والاستمرار .

٣- ملمح التجدُّد . ٤- الحركة والنشاط .

٥- الابتهاج وخفَّة النفْس . ٦- لا يعقبها موتٌ .

******

(١) الكشاف٣/ ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) الإعجاز الصرفى فى القرآن، د . عبد الحميد هنداوى، ص٩٥ .

حرف الخاء (٧)

١)	خَبْء - إِخْفاء - دَسّ - سَتْر - مُواراة	٢)	إِخْبات - خُشوع - خُضوع - تَضَرُّع - قُنوت
٣)	خَبَر - نَبَأ	٤)	خَتَمَ - طَبَعَ
٥)	خَدَعَ - غَرَّ	٦)	خاشِعة - هامِدة .
٧)	خَشْيَة - خَوْف - رُعْب - رَهْبَة - رَوْع - فَرَق - فَزَع - وَجَل	٨)	أَخْطَأَ - زَلَّ
٩)	خَلْف - وَراء		

❑ ٧/ ١ الخَبْء - الإِخْفاء - الدَّسّ - السَّتْر - المُواراة:

فى تفسير المعاجم اللغوية لهذه الألفاظ تردَّدت كلمة الإِخْفاء والسَّتْر فى تفسير أكثر هذه الألفاظ، على النحو التالى:

- الخَبْءُ: سَتْر الشيء[(١)] . • الإِخْفاء: السَّتْر[(٢)] .
- الدَّسُّ: إخفاء شيءٍ وسَتْره تحت شيءٍ[(٣)] . • السَّتْر: إخفاء الشيء[(٤)].
- المُواراة: إخفاء الشيء[(٥)] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (خ ب أ) .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (خ ف ى) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (د س س) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (س ت ر) .

(٥) اللسان (و ر ى) .

فلنتأمل الاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ:

● **الخَبْء:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ النمل .

الخَبْء: مصدرٌ أُطْلِقَ على المخبوء، وهو المطر والنبات وغيرهما ممّا خبأ اللَّه ﷻ من غيوبه[1] . وهو اسم لكل مُدَّخرٍ مستور[2] .

● **هكذا نرى أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الخَبْء لوصف شيءٍ يُخْفَى ويُسْتَرُ ويُدَّخَر؛ لأنه ثمين نفيس .**

● **الإِخْفاء:**

تكرر ذكر الإِخْفاء فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢٧١ .

- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٤ .

● **يتضح معنى الإخفاء من وروده فى القرآن الكريم مقابلًا للإبداء والإعلان والجهر، فالإِخْفاء - إذن - هو: السَّتْر والكِتْمان[3] .**

● **الدَّسّ:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) البحر المحيط ٦٩/٧ .

(٢) مفردات الأصفهانى (خ ب أ) .

(٣) مفردات الأصفهانى (خ ف ى) .

- ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ النحل .

● **الدَّسُّ هنا: الدَّفْن والتغييب فى التراب[1]، وهذا فيه مبالغة فى الإخفاء والسَّتْر، كما يظهر ملمح الدافع وراء دسِّ الشىء، وهو الرغبة فى التخلص منه .**

● **السَّتْر:**

وردت هذه المادة فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ الإسراء .

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ الكهف .

- ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فصلت .

السَّتْر: تغطية الشىء بحيث لا تراه العيون، والحجاب المستور أى: البالغ الغاية فى حجب ما يحجبه، حتى كأنه مستور بساتر آخر[2] .

والمراد بالسِّتْر فى آية الكهف: كل ما يستر الإنسان - أى يقيه ويحجب عنه الأذى - من الثياب والأبنية والحصون وغيرها[3] .

● **والملمح البارز فى لفظ السَّتْر هو الوقاية والحماية والمنع .**

● **المُواراة:**

ذكرت هذه الكلمة ومشتقاتها فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن

---

(١) البحر المحيط ٥/٥٠٤ .

(٢) التحرير والتنوير١٥/١١٧ .

(٣) الكشاف ٢/٤٩٨ .

شواهدها:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ الأعراف: ٢٦ .
- ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ﴾ النحل: ٥٩ .
- ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ ص .

يُوارِى الشيءَ مواراةً: يستره بشيءٍ يخفيه[1] .

● **غير أن هذه الكلمة جاءت فى أكثر مواضعها من القرآن الكريم فى سَتْر شىءٍ يخجل الإنسان ويشعر بالخزى إذا انكشف، كالسَّوْأة، وكاختفاء المُبَشَّر بالأنثى فى الجاهلية؛ لأنَّهم كانوا يشعرون بالخزى والعار إذا وُلِدَ لهم إناث .**

● **وأمّا وصف الشمس أو الخيل بالتوارى فى قول اللَّه ﷻ: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ ، فهو مجازٌ عن تَوارِى المِلِك أو المُخَبَّأة بحجابها[2] .**

● **ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الخَبْء - الإخفاء - الدَّسّ - السَّتْر - المُواراة) متقاربة دلاليًّا؛ فكلها تدلُّ على الإخفاء والاستتار، ويتميز كل منها بملمح دلاليّ فارق فى الاستعمال القرآنى، على النحو التالى:**

● **الإِخْفاء: أعمُّ هذه الألفاظ، وهو السَّتْر والكتمان .**

● **الخَبْء: إخفاء شىء ثمين .**

● **الدَّسّ: المبالغة فى الإخفاء والستر .**

● **السَّتْر: الوقاية والمنع .**

● **المُواراة: إخفاء شىء يُسْتَحْيا منه خاصَّةً .**

******

(١) مفردات الأصفهانى (و ر ى) .

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٤ .

❑ ٢/٧ الإِخْبات - الخُشوع - الخُضوع - التَّضَرُّع - القُنوت:

● أصل مادة (خ ب ت): اللِّين والاطمئنان، فالخَبْتُ: ما اطمأنَّ من الأرض واتَّسع، والخَفِيُّ من الأرض، ويقال خَبَتَ ذِكْرُه إذا خَفِيَ، ومنه المُخْبِت من الناس، أى المتواضع[١] .

● وأصل مادة (خ ش ع): التَّطامُن، يقال: خشَع، إذا تطامَنَ وطَأْطَأَ رأسَه[٢] . وخشَع: رَمَى ببصره نحو الأرض وغَضَّه وخفَض صوتَه، والخشوع فى الصوت والبصر كالخضوع فى البدن[٣] .

● وأصل مادة (خ ض ع): التواضع والتَّطامُن، ويكون فى البدن كُلِّه[٤] .

● وأصل مادة (ض ر ع): اللِّين والضعف، يقال: رجلٌ ضَرَعٌ أى ضعيف، وغلام ضارع: ضعيف نحيف، والتضرُّع: التذلُّل[٥] .

● وأصل مادة (ق ن ت): الطاعة، ثم سُمِّىَ كلُّ استقامةٍ فى طريق الدين قُنوتًا[٦] .

هكذا تتقارب معانى هذه الألفاظ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى اللين والتطامن، وينفرد كلٌّ منها بملمح فارق على النحو التالى:

○ **ينفرد الإِخْبات بملمح الخفاء .**

○ **وينفرد الخُشوع بظهور أثر ذلك فى الصوت والبصر .**

○ **وينفرد الخُضوع بظهور أثر ذلك فى البدن كله .**

---

(١) اللسان (خ ب ت) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (خ ش ع) .

(٣) النهاية، اللسان (خ ش ع) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (خ ش ع، خ ض ع) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ض ر ع) .

(٦) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (ق ن ت) .

○ وينفرد التضرُّع بملمح التذلُّل .

○ وينفرد القُنوت بملمح الطاعة والاستقامة .

وفيما يلى عرض لسياقات هذه الألفاظ فى القرآن الحكيم .

● **الإِخْبات:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هود .

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الحج .

- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج: ٥٤ .

الإِخْبات فى القرآن الكريم يتضمن معانى كثيرة ، هى : الاطمئنان ، والسكينة ، واللين ، والتواضع ، وخشية اللّه ، وطاعته ﷺ ، والاستمرار على هذا[١] .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"المُخْبِتُ: المتواضع الذى لا تكبُّر عنده، وأصل المُخْبِت: مَنْ سَلَكَ الخَبْتَ، وهو المكان المنخفض، ثم استُعِير للمتواضع كأنه سلَكَ نَفْسَه فى الانخفاض، والمراد به هنا: المؤمنون؛ لأن التواضع من شِيَمِهم كما كان التكبر من سمات المشركين . . . وقد أتبع صفة (المُخْبِتين) بأربع صفات

(١) انظر: معانى القرآن للفرَّاء ٢/ ٩، ١٠، الكشاف ٢/ ٢٦٤، ٣/ ١٤، القرطبى ٩/ ٢١، مفردات الأصفهانى، عمدة الحُفّاظ (خ ب ت)، العمدة فى غريب القرآن، ص١٥٤ .

وهى: وَجَل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى فى سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق . وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع"[(١)] .

فالإخْبات - إذن - يتضمَّن:

الطمأنينة، التواضع، الخوف من اللّه، طاعة الله، والمداومة على ذلك .

● الخُشوع:

وردت مادة (خ ش ع) فى القرآن الكريم سبع عشرة مرة، ومن ذلك الآيات التالية:

١- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ البقرة .

٢- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ الإسراء .

٣- ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ طه : ١٠٨ .

٤- ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فصلت .

٥- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ القمر .

٦- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الحديد: ١٦ .

٧- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ الغاشية .

استُعْمِل الخشوعُ وصفًا عامًّا للإنسان كما فى الشاهدين الأول والثانى ، واستُعْمِل وصفًا للأصوات كما فى الشاهد الثالث، واستُعْمِل وصفًا للأرض

(١) التحرير والتنوير١٧/ ٢٦٠-٢٦١ .

كما فى الشاهد الرابع، واستُعْمِلَ وصفًا للأبصار كما فى الشاهد الخامس، واستُعْمِل وصفًا للقلوب كما فى الشاهد السادس، واستُعْمِل وصفًا للوجوه كما فى الشاهد السابع . وفى هذا إشارة إلى تعدُّد صور الخشوع .

وقد فَسَّر عامَّة المفسرين الخُشوع تبعًا لأصله اللغوى، وهو الانخفاض والتطامن والتواضع والسكون والخوف من اللَّه ﷻ[1] .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور بعد أن أورد الأصل اللغوى للخُشوع:

"وهو (أى الخُشوع): سكون وانقباضٌ عن التوجُّه إلى الإبايَةِ والعصيان . والمراد بالخاشع هنا: الذى ذلَّل نفسَه وكَسَرَ سَوْرَتها وعوَّدها أن تطمئنَّ إلى أمر اللَّه . . وقد وصف اللَّه ﷻ (الخاشعين) بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ البقرة، وهى صلة لها مزيد اتصالٍ بمعنى الخشوع، ففيها معنى التفسير للخاشعين، ومعنى بيان منشأ خشوعهم"[2] .

أمّا الخشوع فى صفة الأرض فهو مجاز، شُبِّهت الأرض حال جَدْبها بشخص كاسف البالِ رثّ الثياب ذليل[3] .

واستعمال الخشوع وصفًا للقلوب معناه: رقَّة القلوب ولِينها وخشيتها للَّه ﷻ[4] . واستعماله فى الصوت كناية عن انخفاضه وخفائه من هيبة اللَّه ﷻ[5] .

واستعماله وصفًا للأجزاء من البدن كالأبصار والوجوه دليل على أن الخشوع محلُّه القلب، وتظهر آثاره على البدن والجوارح، ويصاحبه سكون

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٩، تفسير القرطبى ١/ ٣٧٤، البحر المحيط ١/ ١٨٥، ٦/ ٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٤٨٠ .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٥٤، التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٢ .

(٤) الكشاف ٤/ ٦٤ .

(٥) الكشاف ٣/ ٥٥٤، البحر المحيط ٦/ ٢٨٠ .

وتواضع وخشية للَّه ﷻ[١] .

● **فالخشوع يتضمَّن: التواضع، السكون، رقة القلب، خشية اللَّه ﷻ، ظهور آثار ذلك فى الصوت والبدن .**

○ الخُضوع:

ورد الخُضوع فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ الشعراء .

- ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ الأحزاب .

خضوع الأعناق عبارة عن الذل والانقياد[٢] .

والخضوع بالقول: ترقيق الكلام وتليينه[٣] .

وجمع الشيخ الطاهر بن عاشور بين المعنيين بقوله: "النساء فى كلامهِنَّ رِقَّةٌ طبيعيَّة، وقد يكون فى بعضهنَّ من اللَّطافة ولين النفس ما إذا انْضَمَّ إلى لِينها الجِبِلِّىّ قَرُبَتْ هيئته من هيئة التذلُّل ... فالخضوع حقيقته التذلُّل، وأُطلِق هنا على الرقة لمشابهتها التذلُّل"[٤] .

● **فالخضوع - إذن - يتضمَّن:**

التذلُّل، والضعف، والانقياد، وظهور آثار ذلك فى الصوت والبدن .

○ التَّضَرُّع:

ورد التَّضَرُّع فى القرآن الكريم سبع مرات، منها:

---

(١) انظر: مفردات الأصفهانى، عمدة الحفاظ (خ ش ع) .

(٢) الكشاف ٣/ ١٠٤، عمدة الحفاظ (خ ش ع) .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٤٢، الكشاف ٣/ ٢٦٠، عمدة الحُفّاظ (خ ض ع) .

(٤) التحرير والتنوير٢٢/ ٨ .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأنعام .

- ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ الأعراف .

التضرُّع: التذلُّل[1]، والسياقات القرآنية للتضرُّع ربطت بينه وبين مواطن البأس والخوف والعذاب كما فى آيات: (الأنعام:٤٢-٤٣، الأعراف: ٢٠٥) . وربطت بينه وبين الخفاء كما فى آية : (الأنعام: ٦٣) .

وهذا يعنى أن التضرُّع يكون فى أمر شديد لا يُرَدُّ بأسُه وشدتُه، عندئذٍ يفزع الإنسان فيتضرّع إلى اللّه ﷻ (أى يبالغ فى التذلُّل)، ويكون لهذا التذلُّل أثر فى صوته المرتجف بالدعاء، فيخفض صوته ويُخفيه لشدة الهَوْل والشعور بالذلّة للّه ﷻ ؛ وعلى هذا فالتضرع يتضمَّن:

التذلُّل، فى وقت الشدَّة، الخوف، ظهور أثر ذلك فى الصوت .

○ القُنوت:

تكرر ذكر القُنوت فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ البقرة .

- ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ آل عمران .

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨، ١٩، ٨٣، البحر المحيط ٤/ ١٣٠، التحرير والتنوير ٧/ ٢٢٧، ٢٨١ .

- ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الأحزاب .

- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ الزمر .

تعدَّدت معانى القُنوت بتعدُّد سياقاتها فى القرآن الكريم، فمرةً يرد بمعنى السكوت، ومرة بمعنى الطاعة والعبادة، ومرة بمعنى الانقياد، وبكل واحدٍ من هذه المعانى فُسِّرقول اللَّه : ﷻ[١] ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨ .

ومرة يرد القُنوت بمعنى الدعاء المعروف فى صلاة الصبح والتراويح[٢]؛ وربط الزمخشرى معنى دعاء الوتر بمعنى القيام؛ لأن المصلِّى يدعو قائمًا[٣] .

وجمع ابن الأنبارىّ معانى القُنوت بقوله: "القُنوت فى اللغة ينقسم إلى أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة الطاعة، والسكوتِ"[٤] .

● **وعلى هذا فالقنوت يتضمن:**

الطاعة، الصلاة، طول القيام فى الصلاة، الدعاء المعروف فى الصبح والوتر، السكوت . وكل هذا يشمله معنى الطاعة والانقياد .

● **ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (الإِخْبات - الخُشوع - الخُضوع - التَّضَرُّع - القُنوت) هى ألفاظ متقاربة المعانى؛ إذ يجمعها ملمح دلالىٌّ مشترك هو امتثال أمر اللَّه ﷻ .**

---

(١) انظر: صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب ما يُنهى من الكلام فى الصلاة، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، رقم ٥٣٩، مفردات الأصفهانى، عمدة الحُفَّاظ (ق ن ت)، الكشاف ١/ ٣٠٧، ١/ ٥٢٤، ٣/ ٢٥٩ .

(٢) انظر: عمدة الحُفّاظ (ق ن ت) .

(٣) الكشاف ٣/ ٩٠ .

(٤) النهاية لابن الأثير (ق ن ت) .

وهناك ملامح يشترك فيها بعض هذه الألفاظ دون بعضها الآخر . كما أن هناك ملامح فارقة يتميَّز بها كل لفظ من هذه الألفاظ، على النحو التالى:

- **يتميَّز الإِخْبات بملمح الخفاء .**
- **ويتميَّز الخُشوع بظهور أثر ذلك فى الصوت والبصر .**
- **ويتميَّز الخُضوع بظهور أثر ذلك فى البدن كلّه .**
- **ويتميَّز التَّضَرُّع بملمح التذلُّل .**
- **ويتميَّز القُنوت بملمح الطاعة والاستقامة .**

******

❑ ٣/٧ الخَبَر - النَّبأ:

- تدور مادة (خ ب ر) فى اللغة حول معنى: العلم بالشىء[١] .
- وأصل مادة (ن ب أ) فى اللغة: الانتقال من مكان إلى مكان، ومنه النَّبأ أى الخبر؛ لأنه يأتى من مكان إلى مكان[٢] .

وزاد الراغب الأصفهانىّ: "النَّبأ: خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يحصل به عِلْمٌ أو غَلَبَةُ ظَنٍّ، ولا يقال للخَبَر فى الأصل نَبَأٌ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة"[٣] .

وعلى هذا يتميز النَّبأ بكونه:

- **ذا فائدة عظيمة .**

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (خ ب ر) .
(٢) مقاييس اللغة (ن ب أ) .
(٣) مفردات الأصفهانى (ن ب أ) .

● **يحصل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظَنٍّ .**

● **وهذا يعنى أن النَّبأ يختص بالأهمية، والصدق غالبًا .**

وباستقراء المواضع التى ورد فيها اللفظان فى القرآن الكريم، نجد أن كلمة (خَبَر) قد وردت فى القرآن الكريم مرتين بصورة المفرد، وثلاث مرات بصورة الجمع، وذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ النمل .

- ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ القصص : ٢٩ .

- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ التوبة: ٩٤ .

- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ الزلزلة .

وبتأمُّل سياقات الكلمة فى الآيات الكريمة نجد أن المراد بالخبر: العلم بالشىء، سواء أكان حقيقة أم غير حقيقة، ففى آية النمل قال موسى عليه السلام لقومه لما رأى النار: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ ؛ لأنه لم يكن يعلم ما هذه النار، ولا إن كانت ذات فائدة عظيمة، ولا إن كان فيها عِلْمٌ أو غير ذلك .

وفى آية التوبة : ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ، وصف إعلام اللَّه ﷻ لعباده بالإنباء الدالّ على الأهمية، مع الصدق، بينما وصف أحوالهم بالأخبار؛ لأنَّ فيها ما هو مُهِمٌّ وما هو حقٌّ، وفيها ما ليس كذلك .

أما آية الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ ، فالمراد بالأخبار: ما عَمِلَ العاملون على ظهرها[1]، وفيما عمله العاملون على الأرض ما هو جليل وما

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٩ .

هو تافه، وفيه ما يفيد العلم وفيه ما لا يفيد العلم .

أمّا النَّبأ فقد تكرر ذكره كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة .

- ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ المائدة .

- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ الكهف: ١٣ .

- ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ النبأ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الإِنْباء: الإخبار بالنَّبأ، وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية، بحيث يحرص السامعون على اكتسابه . . . فهو أخصُّ من الخبر"[1] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (الخَبَر - النَّبأ) بينهما تقارب دلالىّ؛ إذ يشتركان فى ملمح: العلم بالشىء .**

- **ويتميز النَّبأ بأنه أخص من الخبر، بملمحين فارقين هما:**
  - **الفائدة العظيمة .**
  - **الأهمية .**

****

(١) التحرير والتنوير ١/ ٤١٢ .

❑ ٧/ ٤ خَتَمَ - طَبَعَ:

• الخَتْم والطَّبْع فى اللغة كلاهما: بلوغ آخِر الشىءِ، وهو التغطية على الشىء، والاستيثاق مِن ألّا يدخله شىء[1].

هكذا لا نجد فارقًا بين الخَتْم والطَّبْع فى الاستعمال اللغوىّ العادىّ، ولكن القرآن الحكيم فى استعماله للَّفظين جعلهما مترادفين حالة ورودهما بصيغة الفعل (خَتَمَ، طَبَعَ)، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ البقرة: ٧ .

- ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية .

ومن استعمالات الفعل (طَبَعَ) فى القرآن الكريم الشواهد الآتية:

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ النساء .

- ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ الأعراف .

- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ النحل .

ولم تُستعمل مادة (ط ب ع) فى القرآن الكريم بغير صيغة الفعل . أمّا المادة (خ ت م) فقد استُعملت فى القرآن بصيغة الفعل، كما استُعملت بصيغة المصدر (خِتام)، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المطففين: ٢٦ .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (خ ت م، ط ب ع) .

وبصيغة اسم الفاعل نحو قوله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الأحزاب: ٤٠ .

وبصيغة اسم المفعول (مَخْتوم) فى قوله ﷻ:

- ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ المطففين .

وكل استعمالات الفعلين (خَتَمَ - طَبَعَ) فى القرآن الكريم جاءت فى سياقات دالَّة على الذمِّ .

أما الصِّيَغ الأخرى من مادة (خ ت م) فقد وردت فى سياقات دالَّة على المدح، كما فى آيات (الأحزاب: ٤٠، المطففين: ٢٥، ٢٦) .

● **ونخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم فى استعماله للفظى (خَتَمَ - طَبَعَ) يوردهما بدلالة متقاربة فى حالة مجيئهما بصيغة الفعل . وقد خلصت مادة (ط ب ع) فى معنى الذم ونفى العلم والهداية، بينما استعمال مادة (خ ت م) فى حالة إيرادها بصور صرفية أخرى سوى الفعل، يرد فى سياقات دالة على المدح[١] .**

● **وعلى ذلك فالخَتْم والطَّبْع متقاربان دلاليًا؛ حيث يشتركان فى معنى: التغطية وعدم نفوذ الهداية والإيمان .**

● **ويختلفان عند ورود مادة (خ ت م) بصيغ أخرى غير صيغة الفعل، فعندئذ تعود هذه المادة إلى الأصل اللغوى وهو النهاية، وهى مستعملة فى سياقات دالة على المدح، أمّا المادة (ط ب ع) فقد جاءت فى جميع المواضع القرآنية دالَّةً على الذَّمّ .**

● **ولعل هذا دليلٌ على أنَّ الطبع أقوى من الخَتْم، وأنَّ الخَتْم قد يكون بخير أو بشرٍّ، بينما لا يكون الطبع إلا بشرٍّ .**

******

(١) انظر: خصائص التعبير القرآنى، ص٢٩٩-٣٠٣ .

❑ ٥/٧ خَدَعَ - غَرَّ:

• أصل مادة (خ د ع) فى اللغة: الخفاء، ومنه المِخْدَع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير، والمِخْدَع: الخِزانة . ثم أُطلِقَ الخَدْع والخِداع على إظهار المرءِ خلاف ما يُخْفِى[(١)] .

• وأصل مادة (غ ر ر) فى اللغة: النقصان، ومنه قولهم: غارَّت الناقة تَغارُّ غِرارًا، أى نقص لَبَنُها، ومن هذا المعنى أُخِذَ قولهم: غَرَّه غَرًّا وغُرورًا وغِرَّةً، أى انتهز غفلته فَخَدَعَه؛ لأن ذلك من نقصان فطنة المغرور[(٢)] .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول: إنَّ الخداع فِعْلٌ يَظهَر فيه ذكاءُ الخادِع وفطنتُه وقدرتُه على إخفاء شىءٍ وإظهار غيره .

أمّا الغرور فهو فعل تَظْهَر فيه غفلةُ المغرور ونقصان فطنته .

فالفرق بين الفعلين أنَّ الخداع يعتمد على ذكاء الخادع، بينما الغرور يعتمد على غفلة المغرور .

وقد وردت مادة (خ د ع) فى القرآن الكريم خمس مرّات، فى الآيات التالية:

- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ البقرة .
- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ النساء: ١٤٢ .
- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ الأنفال: ٦٢ .

قال الزمخشرىّ: الخَدْع: أن يُوهِمَ صاحبَه خِلافَ ما يريد به من المكروه، من قولهم: ضَبٌّ خادِع، إذا أدْخَلَ الصائد يده فى باب جُحْرِه أوْهَمَهُ إقبالَه عليه ثم خرج من باب آخر . . . والمراد بمخادعة المنافقين

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهانى (خ د ع) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهانى (غ ر ر) .

إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ظنًّا منهم أن هذا الصنيع الماكر يجوز على اللَّه ﷻ، فردَّ عليهم بأنهم ما يخدعون إلا أنفسهم حيث يُمَنُّونها بالأباطيل[١] .

والخِداع فِعْلٌ ماكِرٌ يريد به فاعلُه أنْ يُوهِم غيره فيُظهِر له حسنًا ويخفى قبيحًا .

وأمّا مادة (غ ر ر) فقد تكررت فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهدها :

- ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ آل عمران : ٢٤ .

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ الأعراف

- ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ لقمان: ٣٣، فاطر: ٥ .

الغُرور: الغفلة التى تؤدِّى بالإنسان إلى إضاعة ما يجب عليه، أو الوقوع فى ما حُرِّم عليه[٢] .

والغُرور غفلة ونقصان فى الفطنة؛ لأنه سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع[٣]، وهو باطل[٤] .

ومن هنا جاء الخِداع وصفًا لفعل المنافقين والكافرين ومجازاة اللَّه لهم على هذا الصنيع، وتحذيرًا للنبى ﷺ من الوقوع فى حبائلهم، فهم يظنُّون أنهم أهل فطنة وذكاء .

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٠، ١٧٤ (بتصرف واختصار)، وانظر: البحر المحيط ١/ ٥٢، التحرير والتنوير ١/ ٢٧٤ .

(٢) القرطبى ١٩/ ١٦١، بصائر ذوى التمييز (غ ر ر) .

(٣) التعريفات للجرجانى، ص١٦٧، إحياء علوم الدين ٣/ ٤٠٠ .

(٤) الكليات، ص٦٦٣ .

بينما جاء الغرور فى سياق التحذير من الغفلة والانسياق وراء زينة الحياة الدنيا، وحِيَل الشيطان، والشهوات، والأمانى الباطلة .

• **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الخِداع - الغُرور) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث إنهما يشتركان فى معنى عام هو الوقوع فى الشر، ويختص كل منهما بملمح دلالى يميزه عن الآخر:**

• **فالخِداع يعتمد على ذكاء المخادع .**

• **والغُرور يعتمد على غفلة المغرور ونقص فطنته .**

******

❑ ٦/٧ خاشِعة - هامِدة:

• تدور مادة (خ ش ع) حول معنى السكون والضعف؛ يقال: خشَع سنامُ البعير: إذا أثَّر فيه الهُزال، وخشَع الجدارُ: إذا سقط واستوى مع الأرض، وكل ساكنٍ يقال له: خاشِع .

• وتدور مادة (هـ م د) حول معنى: السكون وانطفاء النار، ويُعبَّر به عن الموت، وفى الحديث الشريف: "حتى كاد يهمد من الجوع" أى يهلك .

وقد ورد اللفظان (خاشِعة - هامِدة) فى آيتين للتعبير عن جدب الأرض وعدم إنباتها، وهما قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فصلت: ٣٩ .

- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ الحج: ٥ .

سياق آية فُصِّلت يُراد بِهِ الإشارة إلى البعث وإحياء الموتى بقدرة اللَّه ﷻ،

الذى يحوّل الأرض (الخاشِعة) الساكنة إلى حال أخرى من الاهتزاز والنَّماء والخصب؛ فكان لفظ الخشوع أَلْيَق بمقام لفت الأنظار إلى البعث والنشور وآيات اللَّه المستحِقّ للعبادة والتوحيد ﷻ .

أما سياق آية الحج فيُراد به الإشارة إلى بعض آيات اللَّه المشاهدة فى جمال خَلْقه، وعظيم قدرته فى تحويل الأرض (الهامدة) - أى الميتة - إلى حدائق ذات بهجة وحياة؛ فكان لفظ الهمود أنسب هنا، لإظهار التقابل بين الموت والحياة المزدهرة .

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (خاشِعة - هامِدة) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث إنهما يشتركان فى معنى عامٍّ هو: السكون والضعف والجَدْب، ويختص لفظ (خاشِعة) بوروده فى سياق لفت الأنظار إلى البعث والنشور وآيات اللَّه المستحِقّ للعبادة والتوحيد ﷻ .

• بينما يختص لفظ (هامِدة) بملمح إظهار التقابل بين الموت والحياة المزدهرة .

****

❑ ٧/ ٧ الخَشْيَة - الخَوْف - الرُّعْب - الرَّهْبَة - الرَّوْع - الفَرَق - الفَزَع - الوَجَل:

• الخَشْية فى اللغة: خوفٌ يَشوبه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشَى منه[١] .

• والخَوْف فى اللغة: توقُّع مكروهٍ عن علامة معلومة أو مظنونة[٢] .

---

(١) مفردات الأصفهانى (خ ش ى) .

(٢) السابق (خ و ف) .

• والرُّعْب فى اللغة: الخَوْف الشديد، مأخوذ من قولهم: رَعَبْتُ الحوضَ، أى مَلَأْتُه، فكأنَّ المرعوب ممتلئ بالخوف[١] .

• والرَّهْبَة فى اللغة: شدَّة الخوف وملازمته، وتَصْحَبُه مهابةٌ، ومنه (الرّاهِب)؛ لطول ملازمته الخَوْفَ . وأصله من الرَّهْبِ، وهو الجَمَلُ الذى أصابه الهُزال والإنهاك من طول الأسفار[٢] .

• والرَّوْع فى اللغة: خوف واضطراب شديد يبلغ الرُّوعَ، أى القلب ، ولا يقتصر على الخوف فقط، بل للجَمال رَوْعٌ ورَوْعةٌ أيضًا[٣] .

• والفَرَق فى اللغة: تفرُّق القلب من شدة الخوف[٤] .

• والفَزَع فى اللغة: انقباض ونفار واضطراب يعترى الإنسان من الشىء المخيف[٥] .

• والوَجَل فى اللغة: الخَوْف والفَزَع[٦] .

هكذا تتقارب معانى تلك الألفاظ وتتداخل، فالخَشية والرَّهْبَة متقاربان إلى حدٍّ قريب من الترادف التام، والخَوْف والفَزَع والوَجَل مترادفة تمامًا، وكذا الرُّعْب والفَرَق .

ولا يفترق عن هذه الألفاظ سوى الرَّوْع، ويتميَّز باستعماله فى معنى الدهشة أمام الجمال .

---

(١) مفردات الأصفهانى، اللسان (ر ع ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ر هـ ب) .

(٣) اللسان (ر و ع) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ف ر ق) .

(٥) السابق (ف ز ع) .

(٦) مفردات الأصفهانى، اللسان (و ج ل) .

ولنستقرئ الاستعمال القرآنى الحكيم لهذه الألفاظ المتقاربة:

● **الخَشْيَة:**

وردت الكلمة فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدها:

- ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ﴾ البقرة: ٧٤ .

- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ البقرة: ١٥٠ .

- ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ النساء .

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٢٨ .

- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ الحشر: ٢١

حقيقة الخَشْيَة: الخَوْف الباعث على الامتثال والانقياد، مع المهابة والتعظيم والإجلال[١]، والخَشْيَة فى الأغلب تقترن بالعلم كما فى آية فاطر رقم (٢٨)، وفى آية النساء رقم (٩) معنى ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أى: ليستشعروا الخَوْف فى نفوسهم مع تعظيم اللَّه ﷻ وامتثال أمره .

والملاحظ فى آية النساء رقم (٩) أنها جمعت بين لفظى الخَشْيَة والخَوْف، فبدأت بالأمر بالخشية، وهى الاحتراز من الشىء بمقتضى العلم، وهى الحاملة على التقوى[٢]، وذلك إذا (خافوا) على أبنائهم من بعدهم . . فالخَوْف على الأبناء مرتبط بتوقُّع حصول مكروه لهم فى المستقبل؛ لذلك أُمِروا بأن يدفعوا عن أنفسهم الخَوْف وذلك بالخَشْيَة، أى الخَوْف من اللَّه وتعظيمه وتقواه بمقتضى العلم به .

---

(١) الكشاف ٣/٣٠٨، البحر المحيط ٧/ ٣١٢، التحرير والتنوير٢/ ٥٠٥ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٧٨ .

● فخَشْيَة اللَّه، تدفع كل خوف آخر؛ لأن خَشْيَة اللَّه ليست مجرد خوف وتوقُّع للمكروه، بل يصاحبها انقيادٌ لأمره وتعظيمٌ لذاته ﷻ، مع العلم بموجبات ذلك .

● الخَوْف:

تكرر ذكر الخَوْف كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات:

- ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة : ٣٨ .

وتكرَّرت جملة : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فى كثير من الآيات: (البقرة: ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، آل عمران: ١٧٠، المائدة: ٦٩، الأنعام: ٤٨، الأعراف: ٣٥، ٤٩، يونس: ٦٢، الأحقاف: ١٣) .

فى المواضع المذكورة ارتبط الخَوْف بالحُزْن؛ وذلك لنفى كل ما يُسبِّب الهمَّ والقلق، فنَفَى عنهم الخَوْف، وهو توقُّع مكروه فى المستقبل، ونفى عنهم الحُزْن، وهو على ما فات .

كما ارتبط الخَوْف فى القرآن الكريم بالطَّمَع، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف: ٥٦ .

وكلاهما (الخوف والطمع) متعلِّق بالمستقبل، فأمَرَ اللَّه عبادَهُ بالحذر من عقابه، ورجاء رحمته وثوابه .

● الرُّعْب:

وردت كلمة (الرُّعْب) فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ آل عمران: ١٥١ .

- ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال : ١٢ .

- ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف : ١٨ .
- ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب : ٢٦ .
- ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الحشر : ٢ .

الملاحظ أن كلمة (الرُّعْب) استُعملت أربع مرات فى سياق وصف الحرب وما أصاب المشركين فيها من خوف شديد ملأ قلوبهم[١] .

وهذه معجزة للنبى ﷺ ذكرها فى قوله: "نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شهرٍ"[٢] .

أما الموضع الخامس من مواضع (الرُّعْب) فى القرآن الكريم، فقد ورد أيضًا فى سياق معجزة أهل الكهف . وسبب الرُّعْب: ما ألبسهم اللّه ﷻ من الهيبة، وما بدا عليهم من طول الأظفار والشعور، ووحشة مكانهم[٣] .

● **استُعمل الرعب فى الخوف الشديد الذى يملأ القلوب، وجميع سياقاته فى القرآن تقضى بكونه معجزة، فناسب المعجزةَ خوفٌ شديد خارق للمعتاد من الخوف .**

● **الرَّهْبَة:**

وردت مادة (ر هـ ب) فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة، بصيغ مختلفة، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة : ٤٠ .
- ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ الأعراف .

---

(١) الكشاف ١/ ٤٧٠، ٢/ ١٤٨، الفخر الرازى ٩/ ٣٢، التفسير الوسيط ٣/ ٣٨٧ .

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه: كتاب التيمم، رقم ٣٢٣، كتاب الصلاة، رقم ٤١٩ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٦ .

- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الأنبياء: ٩٠ .

- ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ القصص: ٣٢ .

● **الرَّهْبَة: خوف يصحبه اضطراب شديد تخفق له الرَّهابة، وهى عظام الصدر[١]، وقيل: إنها مشتقة من الرَّهْبِ، وهو الجمل الذى أنهكه وأهزله طول السفر[٢]؛ وعلى ذلك فالرَّهْبَة: خوف شديد يصحبه اضطراب وضعف .**

● **الرَّوْع:**

ورد لفظ (الرَّوْع) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤﴾ هود .

الرَّوْع: الخوف الذى يبلغ الرُّوع، أى القلب[٣] . ولم يُسْتَعْمَل فى القرآن بمعنى الجَمَال أو غيره مما يُراعُ له .

واستعمال كلمة (الرَّوْع) هنا للتعبير عن الخوف الذى شعر به إبراهيم فى قلبه، وكان هذا الخوف مصحوبًا بإنكار وتوجُّس وقلق .

● **وعلى هذا يكون الرَّوْعُ فى الاستعمال القرآنى خوفًا مصحوبًا بإنكار وقلق .**

● **الفَرَق:**

ورد لفظ (الفَرَق) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦﴾ التوبة .

---

(١) عمدة الحفاظ (ر هـ ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهانى (ر هـ ب) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ر و ع) .

عُبِّر بالفَرَق عن الخوف الشديد الذى يتفرَّق القلب منه كأنه يتصدَّع وينشقّ(١) .

وقد أوضحت الآية التالية مبلغ خوفهم الشديد، بأنهم لو وجدوا مكانًا يلجأون إليه أو يغيبون فيه لأسرعوا إليه إسراعًا لا يردهم شىءٌ، فرارًا من القتل: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ التوبة: ٥٧ .

● **فالفَرَق إذن: أَشَدُّ الخَوْف، وفيه جُبن واضطراب شديد .**

● **الفَزَع:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم ست مرات، منها قول الله ﷻ:

- ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾ الأنبياء: ١٠٣ .

- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ النمل: ٨٧ .

- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ﴾ ص: ٢٢ .

والملاحظ أن خمسة من المواضع التى استُعمِل فيها (الفَزَع) فى القرآن الكريم هى فى سياق وصف أهوال القيامة، وهى أهوال تفوق ما نعرفه من أهوال الدنيا، ولا شكَّ أن الخَوْف الذى يعترى النفوس يومئذٍ أشدُّ وأمكنُ فى القلوب من كل خَوْف فى الدنيا .

والموضع السادس للفَزَع فى القرآن الكريم هو الوارد فى آية ص المذكورة، حيث رأى داود عليه السلام ما لم يكن يتوقَّعه، والفَزَع: انفعال يظهر منه اضطرابٌ على صاحبه؛ لتوقُّع شدة أو مفاجأة(٢) .

---

(١) السابق (ف ر ق) .

(٢) التحرير والتنوير٢٣/ ٢٣٢ .

وهذه السياقات القرآنية للفَزَع قرينة على أنه يُستعمل فى أشدِّ مواطن الخَوْف، وما فارق المألوف والمعتاد من الأحداث والانفعالات المضطربة المصاحبة لها .

● **فالفَزَع إذن: أشدُّ الخوف، وفيه مفاجأة، ويصحبه اضطراب ظاهر، فى المواقف غير المعتادة .**

● **الوَجَل:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم خمس مرات، منها قول اللّه ﷻ:

- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢ .

- ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ الحجر .

لم يفرِّق المفسِّرون بين الوَجَل والفَزَع، ومن ذلك عبارة الزمخشرىّ فى تفسير آية الأنفال:

"وَجِلَتْ قلوبُهم: فزِعت . وعن أمِّ الدرداء: الوَجَل فى القلب كاحتراق السَّعْفَة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى . قالت: فادْعُ اللهَ فإنَّ الدعاء يذهبه . يعنى: فزِعت لذِكْره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله وعزَّة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه"[1] .

ومثل ذلك عبارة أبى حيان[2] . وأورد كلاهما قراءتين للآية: (فزعت) وهى قراءة أُبَىٍّ، و(فرقت) وهى قراءة عبد اللّه ابن مسعود . وهاتان قراءتان شاذتان تُحْمَلان على التفسير .

لكن المتأمِّل للآية يجد أن كلمة (وجِلت) استُعملت هنا لتعبِّر عن خوف

(١) الكشاف ٢/١٤٢ .

(٢) البحر المحيط ٤/٤٥٧ .

وتعظيم يُداخِلُ القلبَ، ولا يظهر ذلك على البدن، فليس فيه اضطراب كالذى يصاحب الفَزَع، بل الوَجَل أقرب إلى السكون .

- **وعلى هذا يكون الوجل: خوفًا، يصاحبه تعظيم وإجلال، ولا تظهر آثاره على البدن .**
- **ونخلص مما سبق إلى وجود تقارب دلالىّ بين ألفاظ: (الخَشْيَة - الخَوْف - الرُّعْب - الرَّهْبَة - الرَّوْع - الفَرَق - الفَزَع - الوَجَل)؛ حيث تشترك هذه الألفاظ فى معنى: توقُّع المكروه، وانقباض النَّفْس لذلك .**
- **وتشترك أربعة من هذه الألفاظ فى ملمح الشدة، وهى (الرُّعْب - الرَّهْبَة - الفَرَق - الفَزَع) .**
- **وتشترك ثلاثة منها فى ملمح الاضطراب، وهى: (الرَّهْبَة - الفَرَق - الفَزَع) .**

وتتميَّز بعض هذه الألفاظ بملامح دلالية فارقة على النحو التالى:

- **الخَشْيَة: تمتاز بملمح العلم بموجبات الخَوْف، وفيها انقياد وامتثال .**
- **الرُّعْب: يمتاز بملمح الهيبة الناشئة عن أمر خارق للمألوف .**
- **الرَّهْبَة: تمتاز بملمح الاضطراب والضعف معًا .**
- **الرَّوْع: يصحبه إنكار وقلق .**
- **الفَرَق: فيه جبن واضطراب معًا .**
- **الوَجَل: فيه سكون ظاهرى .**

****

❑ ٧/ ٨ أَخْطَأَ - زَلَّ:

- الخَطَأُ فى اللغة: ضد الصواب، وغالبًا ما يكون عن غير قصد، كمن أراد

فَعْلَ شىءٍ ففعَلَ غيره . وقيل: أخطأ إذا لم يتعمَّد، وخَطِئَ إذا تعَمَّدَ[١] .

وقيل: الخَطَأُ: تعدِّى الشىءِ والذَّهاب عنه، وهو مجاوزة حد الصواب، وخَطِئَ إذا أذنب؛ لأنه يترك وجه الخير[٢] .

● والزَّلَلُ فى اللغة: الانزلاق والاضطراب وعدم الثبات، يقال: زلَّت قدُمه، أى زَلِقَتْ ولم تثبت[٣] .

وقد تكرر ذكر اللفظين فى القرآن الكريم، فمن الشواهد على (الخطأ) الآيات التالية:

- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة: ٢٨٦ .

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾ الإسراء .

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الأحزاب: ٥

من الملاحظ فى الاستعمال القرآنى للخَطَإِ أنه جاء فى سياق العفو والمغفرة، إلا آية الإسراء؛ حيث عُدَّ قتل الأولاد (خِطْئًا كبيرًا) .

وقد فرَّق العلماء بين (الخَطَأ) و(الخِطْء)، فالخَطَأ: ضد العمد، وفِعله: أَخْطَأَ . والخِطْءُ مصدر خَطِئَ، أى أصاب إثمًا، ولا يكون الإثم إلّا عن عمد. وهذه التفرقة (بين الخَطَإِ والخِطْءِ) هى سرُّ العربية، وعليها المحققون من أئمَّتها[٤] .

وإذن فالبنية الصرفية هى التى غيرت دلالة الخِطْء، أمّا الخَطَأ فهو: مُجانبة

---

(١) اللسان (خ ط أ) .

(٢) مقاييس اللغة (خ ط أ) .

(٣) اللسان (ز ل ل) .

(٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٨٨-٨٩ .

الصواب عن غير عمد .

ويؤكد هذا المعنى التقابُلُ المذكور فى آية الأحزاب بين : ﴿أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ ، ﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ .

وأمّا الزلل فقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرّات، فى الآيات التالية:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦) .

- ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ البقرة .

○ قوله ﷻ : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أى: أخرجهما من الجنة بوسوسته لهما بالمعصية[١]، فالإزلال هنا: الدفع إلى الزلل (أى المعصية) .

○ وقوله ﷻ : ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ فى تفسير الزلل هنا أربعة أقوال :

١- عصيتم . ٢- كفرتم .

٣- أخطأتم . ٤- ضللتم .

ورجَّح أبو حيان أنه بمعنى (كفرتم)، وهو المنقول عن ابن عباس[٢] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للفظين (خَطَأ - زَلَل) يفيد أنهما متقاربان دلاليًّا ؛ حيث يشتركان فى معنى: الوقوع فى الإثم عن غير عمد .**

● **إلّا أنهما يختلفان فى ملمح دلالىّ واحدٍ، فالزَّلَل دائمًا يكون بفعلِ فاعلٍ خارجى، ولعلَّ الأصل اللغوى للمادة، وهو (الانزلاق) يشير إلى معنى الاستدراج والغواية فى الزَّلَل . أما الخَطَأ فيكون من قِبَلِ النفس لا بمؤثر خارجى .**

****

(١) الكشاف ١/ ٢٧٣، البحر المحيط ١/ ١٦٠ .

(٢) البحر الميحط ٢/ ١٢٣ .

❑ ٧/ ٩ خَلْف - وَراء:

● أصل مادة (خ ل ف) فى اللغة: ضد التقدُّم والسَّبْق، فعُبِّرَ به عن التأخير فى المكان وغيره[١] .

● وأصل مادة (و ر ى) فى اللغة: الستر والحجاب[٢]، ومعنى وراء كذا: ما سَتَرَهُ الشيءُ وحَجَبَهُ .

وقد تكرر ذكر كلمة (خَلْف) فى القرآن الكريم عشرين مرة، ومن ذلك الآيتان التاليتان:

- ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ البقرة: ٦٦ .

- ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ النساء: ٩ .

وأكثر المواضع التى وردت فيها كلمة (خَلْف) فى القرآن الكريم، اقترنت فيها بـ (ما بين يديها): أى ما قبلها أو ما بحضرتها، والمراد بـ (ما خلفها): ما بعدها[٣] . فهى البَعْدِيَّة الزمانية .

أما كلمة (وَراء) فقد تكررت فى القرآن الكريم أربعًا وعشرين مرة، واستُعملت بمعانٍ عديدة، منها:

○ بمعنى البَعْدِيَّة الزمانية، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ مريم .

---

(١) مفردات الأصفهانى، مقاييس اللغة (خ ل ف) .

(٢) مفردات الأصفهانى، اللسان (و ر ى) .

(٣) الكشاف ١/ ٢٨٦، البحر المحيط ١/ ٢٤٦-٢٤٧ .

○ للدلالة على التأخُّر فى المكان، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ الأحزاب: ٥٣ .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الحجرات .

○ وتُستعمل بمعنى أمام، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف: ٧٩ .

قال أبو حيان: (وراءهم) لفظ يُطلق على الخَلْف وعلى الأمام، ومعناها هنا: أمامَهم، ولا خلاف عند أهل اللغة أن (وَراء) يجوز بمعنى قُدّام(٢) .

○ كما تُستعمل بمعنى الكثرة والزيادة، نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ المؤمنون، المعارج: ٣١ .

أى: أكثر من ذلك، أو: غير ذلك .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"أصل الوَراء: اسم المكان الذى فى جهة الظهر، ويُطْلَق على الشىء الخارج عن الحدِّ المحدود، تشبيهًا للمتجاوز الشىءَ بشىءٍ موضوع خَلْفَ ظهر ذلك الشىءِ . . . ثم تُوُسِّعَ فيه فصار بمعنى (غير)، أى: فمن ابتغوا بفروجهم شيئًا غير الأزواج وما ملكت أيمانهم"(٣) .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظَى (خَلْف - وَراء) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى البَعْدِيَّة .**

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٢ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٥٤ .

(٣) التحرير والتنوير١٨/ ١٥ .

● والفارق بين اللفظين أن (خَلْف): ضد أمام، ولفظ (وَراء) يتميز باتساع دلالته؛ حيث يُستعمل بمعنى البَعْدِيَّة الزمانية، والبَعْدِيَّة المكانية، وبمعنى الكثرة والزيادة، كما يُستعمل بمعنى (أمام) . وكل هذه الدلالات تعود إلى معنى الاستتار والحجاب، وهو الأصل الدلالى للكلمة .

******

حرف الدال (٨)

١)	دَلَّ، أَرْشَدَ، هَدَى	٢)	دَمْدَمَ - دَمَّرَ - مَحَقَ - مَحَا - هَلَكَ

❑ ١/٨ دَلَّ - أَرْشَدَ - هَدَى:

- الدلالة فى اللغة: البيان والتعريف(١).
- والإرشاد أيضًا: بيان الطريق، والتعريف بالقصد والصواب(٢).
- والهُدَى: ضد الضلال، وهو التعريف والبيان أيضًا(٣).

فالاستعمال اللغوى لم يفرِّق بين هذه الألفاظ الثلاثة .. ولكن الاستعمال القرآنى فرَّق بينها.

فالدلالة ومشتقاتها وردت فى خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها الآيات التالية:

- ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ طه: ٤٠.
- ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه: ١٢٠.
- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ سبأ: ١٤.

ولا تفيدنا التفاسير المختلفة بشىء فى معنى الدلالة بأكثر من المعنى

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د ل ل).
(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ر ش د).
(٣) مقاييس اللغة، اللسان (هـ د ى).

اللغوى، إلّا أن الناظر فى سياق الآيات التى ورد فيها لفظ الدلالة ومشتقاته يجد أن أكثرها فى غير معنى الهداية إلى اللَّه ﷻ، بل الدلالة على شئ دنيوىّ، عدا قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ الصف .

ولعل فى هذا قرينةً على أن الاستعمال القرآنى للفظ الدلالة يقصُره على معنى البيان والتعريف، وبعبارة الراغب الأصفهانى[1]: الدَّلالة: ما يُتَوَصَّل به إلى معرفة الشىء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارة والرموز والكتابة والعقود فى الحساب، وسواء كان ذلك بقَصْدٍ ممَّن يجعله دلالةً أو لم يكُنْ بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حىٌّ، قال ﷻ: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ سبأ: ١٤ .

ولم يفرِّق الراغب بين الهداية والإرشاد، فقال:

"الرَّشَدُ والرُّشْدُ: خلاف الغَىِّ، ويُسْتَعْمَل استعمالَ الهداية"[2] .

لكن المتأمِّل فى استعمال القرآن الكريم لمادة (ر ش د) يجد أنها لا تقتصر على معنى البيان والتعريف والبعد عن الضلال فحسب، بل تتضمن - إلى جانب ذلك - ملمحًا دلاليًّا آخر هو الإشارة إلى إصابة الحقِّ والنفع والصالح، كما بيَّن العلامة الطاهر بن عاشور فى تفسيره[3] لقول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ الكهف .

وفى قول اللَّه ﷻ:

(١) مفردات الأصفهانى (د ل ل) .

(٢) السابق (ر ش د) .

(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٢٦٧ .

- ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ الكهف : ١٨ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور : "المُرْشِد : الذى يبيِّن للحيران وَجْهَ الرشد ، وهو إصابة المطلوب من الخير"[1] .

وعلى هذا يكون الإرشاد أخصَّ من الدلالة، فالدلالة عامَّة فى معنى البيان والتعريف، سواء فى الخير أَوْ فى الشر، وبقصد أو بغير قصد .

أمّا الإرشاد فهو بيان وجه الحق والخير، ولا يكون الإرشاد فى الشرِّ، كما أنه لابدَّ أن يكون مقصودًا .

والهُدَى والهداية ومشتقاتهما فى القرآن الكريم - كما ذكر الراغب الأصفهانى - تُطلَق على: الدلالة والبيان بلُطْفٍ . والهداية من اللَّه على أربعة أوجه:

■ **الأول** : الهداية التى عَمَّ بجنسها كل مكلَّفٍ، من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ طه .

■ **الثانى**: الهداية على أَلْسِنة الأنبياء وبالكتب السماوية، وهو المقصود بقول اللَّه ﷻ : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ الأنبياء: ٧٣ .

■ **الثالث**: التوفيق الذى يختصُّ به من اهتدى، وهو المَعْنِيُّ بقول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ محمد .

وقوله ﷻ : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن : ١١ .

■ **الرابع**: الهداية فى الآخرة إلى الجنة، وهو المَعْنِيُّ بقوله ﷻ : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ الأعراف: ٤٣ .

---

(١) التحرير والتنوير١٥/ ٢٦٠ .

والإنسان لا يقدر أن يهدى أحدًا إلا بالدُّعاء وتعريف الطرق (أى الوجه الثانى)، دون سائر أنواع الهدايات(١) .

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظ (الهُدَى) ومشتقاته فى القرآن الكريم يتميز بملامح دلالية ليست للدلالة والإرشاد، وهذه الملامح الفارقة هى:

• اللطف(٢) .

• قد يكون بالبيان والتعريف كالدلالة والإرشاد، ولكن تختص الهداية بالتوفيق والإلهام .

• تُستعمل الهداية فى معنى الثواب وحسن الخاتمة .

• بينما الدلالة عامَّة فى معنى البيانِ والتعريف، بقصد أو بغير قصد، إلى الخير أو إلى الشر .

• والإرشاد أخص من الدلالة؛ لأنه مقصور على بيان الخير والحق والنفع، دون الشر .

****

❑ ٨/ ٢ دَمْدَمَ - دَمَّرَ - مَحَقَ - مَحا - أَهْلَكَ:

• الدَّمْدَمَة فى اللغة: الغشيان والتغطية، يقال: دَمَّ الثوبَ إذا طلاه بصبغٍ، ودَمْدَمَ الشىءَ: ألصقه بالأرض وطحَنه، ومن هذا المعنى الدَّمْدَمَة، وهى

---

(١) مفردات الأصفهانى (هـ د ى) .

(٢) أوضح الراغب أن قول الله ﷻ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الصافات ٢٣، وقوله ﷻ: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الحج: ٤، استُعمل فيه لفظ الهداية على سبيل التهكُّم مبالغة فى المعنى، كقوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤ ؛ وعلى ذلك لا تكون هذه الآيات شواهد على استبعاد ملمح اللطف من الكلمة .

إطباق العذاب والهلاك، كأنه يغشاهم ويطبق عليهم[١] .

• والتدمير فى اللغة: الدَّفْن، يقال: دَمَّرَ السَّيْلُ المكانَ، أى دفنه وأذهب أثره، والتدمير: الاستئصال والإهلاك[٢] .

• والمَحْق فى اللغة: النقصان، يقال: مَحَقَ الشَّيْءُ: أى نقص وذهبت بركته . ونَصْلٌ مَحيقٌ: أى مُحَدَّد مُرَقَّق . ومُحاق الهلال: ذهاب نوره . ومَحْقُ المال: هلاكه . ومَحَقَهُ اللَّهُ: أبطله حتى لا يبقى منه شيء[٣] .

• والمَحْو فى اللغة: الذهاب بالشيء، يقال: مَحا الشيءَ يَمْحوه مَحْوًا ومَحْيًا: أذهب أثره[٤] .

• والهلاك فى اللغة: السقوط، ومنه الهَلَكُ، وهو المَهْوَى بين الجبلين، ومن هذا المعنى أُخِذ الهلاك بمعنى الموت، وبمعنى الذهاب[٥] .

وفيما يلى عرض لهذه الألفاظ وسياقاتها فى القرآن الكريم:

• **دَمْدَمَ:**

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ الشمس: ١٤ .

أى: أطبق عليهم العذاب، وأصل (دَمْدَم): دَمَّمَ، يقال: دَمَّمَ عليه القَبْرَ، أى أطبقه، وتكرار الدال والميم للمبالغة كما فى (كَبْكَبَ)[٦] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د م م) .

(٢) اللسان (د م ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ح ق) .

(٤) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (م ح و) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (هـ ل ك) .

(٦) الكشاف ٤/ ٢٦٠، البحر المحيط ٨/ ٤٨٢، التحرير والتنوير٣٠/ ٣٧٥، القرطبى ٢٠/ ٧٩ .

فالدَّمْدَمَةُ إذن: عذاب مضاعف، فيه إطباق ومبالغة فى الشدة والتضييق، وفيه ملمح التكرار .

● **دَمَّرَ:**

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم عشر مرات، منها:

- ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ الإسراء .

- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ الشعراء .

- ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ محمد .

التدمير: إزالة أثر البناء وتخريبه تخريبًا شديدًا، واستُعمل فى القرآن الكريم لبيان شدة الهلاك الذى أصاب المكذِّبين من الأمم البائدة[1] . وفى سورة (محمد) جِيءَ بحرف الاستعلاء (على) مقترنًا بالفعل (دَمَّرَ) لتضمين التدمير معنى الهجوم[2] .

وعلى هذا يكون التدمير إهلاكًا شديدًا مُسْتَأْصِلًا لا يبقى بعده شىء، وفيه معنى الهجوم، أى المفاجأة والمباغتة .

● **مَحَقَ:**

ورد اللفظ فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ﴾ البقرة: ٢٧٦ .

- ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ آل عمران: ١٤١ .

---

(١) التحرير والتنوير١٥/ ٥٥، ٢٦/ ٨٩ .

(٢) التفسير الوسيط ٢٦/ ٧٤ .

مَحْقُ اللَّه الرِّبا: إذهاب بركة المال الذى يدخل منه[١].

ومَحْقُ الكافرين: نقص عددهم وإهلاكهم[٢].

والملاحظ فى الموضعين اللذين ورد فيهما (المَحْق) فى القرآن الكريم أن المَحْق بمعنى النقص فيهما جميعًا، فَمَحْقُ المال المختلط بالرِّبا: نقصه عن طريق إذهاب بركته، ومَحْق الكافرين بنقص عددهم، عن طريق القتل فى الحرب، وهو ما ذكرته الآيات السابقة. فعُبِّر عن شهداء المسلمين بلفظ التمحيص، وعن قتلى الكافرين بلفظ المَحْق.

إذن فالمَحْق فى القرآن هو نوع خاص من الهلاك، وهو النقص.

● مَحا:

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ الرعد.
- ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢.
- ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الشورى: ٢٤.

جاء المَحْوُ فى آية الرعد نقيضًا للإثبات، فالإثبات تعبير عن الدوام والبقاء، والمَحْوُ تعبير عن الزوال[٣].

وجاء المَحْو فى آية الإسراء نقيضًا للإبصار، فالإبصار تعبير عن النور الذى تُسْتَبان به الأشياء، والمَحْو تعبير عن طمس الضوء وإطباق الظلمة فلا يُسْتَبانُ شىءٌ كما لا يُسْتَبان شىء من اللوح المَمْحُوِّ[٤].

---

(١) الكشاف ١/ ٤٠١.

(٢) الكشاف ١/ ٤٦٦، التحرير والتنوير٣/ ٩١، ٤/ ١٠٤، ١٠٥.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٣، البحر المحيط ٥/ ٣٩٨.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٠، البحر المحيط ٦/ ١٤، ١٥.

وجاء المَحْو فى آية الشورى نقيضًا للإحقاق، فَمَحْوُ الباطل تعبير عن الإزالة، وإحقاق الحق تعبير عن التحقيق[١] .

● **فمعنى المحو إذن: الإزالة .**

● **أَهْلَكَ:**

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثمانيًا وستين مرة، وهو على ثلاثة أوجه:

- افتقاد الشىء عندك وهو عند غيرك موجود، كقوله ﷻ: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ الحاقة .

- وهلاك الشىء باستحالة وفساد، كقوله ﷻ: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ البقرة: ٢٠٥ .

- والثالث: الموت، كقوله ﷻ: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ النساء: ١٧٦ .

ثم ذكر الراغب وجهين آخرين لم يضمِّنهما فى مطلع كلامه على الهلاك، وهما:

- بُطلانُ الشىء من العالَم وعَدَمُهُ رأسًا، وذلك المُسمَّى فناءً، المشار إليه بقول اللّه ﷻ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ القصص: ٨٨ .

- ويُقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك؛ وعلى هذا قوله ﷻ: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام: ٢٦ .

وقوله ﷻ: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الأحقاف: ٣٥ . هو الهلاك الأكبر الذى دلَّ عليه النبى ﷺ بقوله: "لا شَرَّ كَشَرٍّ بَعْدَه النار"[٢] .

---

(١) التحرير والتنوير٢٥ / ٨٧ .

(٢) مفردات الأصفهانى (هـ ل ك) .

وعلى هذا فإن للهلاك فى الاستعمال القرآنى عدة معانٍ:

- عدم وجود الشىء مطلقًا .
- العدم النسبى، أى عدم الشىء عندك ووجوده عند غيرك .
- الصيرورة إلى الفساد والبطلان .
- العذاب بأنواعه .

وبذلك يكون الهلاك أوسع هذه الألفاظ وأكثرها دلالاتٍ .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ: (دَمْدَمَ - دَمَّر - مَحَقَ - مَحا - أَهْلَكَ) متقاربة المعانى، وتشترك جميعًا فى ملمح الذهاب .**
- **وتختص الدَّمْدَمَةُ بملامح: الإطباق، والمبالغة، والضيق .**
- **ويختص التدمير بملمح الهجوم، وفيه مباغتة ومفاجأة، وأيضًا بملمح الإبادة الكاملة .**
- **ويختص المَحْق بمعنى النقص وإذهاب البركة، فهو نوع خاص من الذهاب والزوال .**
- **ويختص المَحْو بمعنى الإزالة والاستئصال التام .**
- **ويختص الهلاك بتعدد معانيه واتساعها؛ حيث يشمل:**

- العدم المطلق . - والعدم النسبى (أى الافتقاد) .

- والموت . - والصيرورة إلى الفساد والبطلان .

- والعذاب بألوانه (الفقر، الخوف، الجوع ... إلخ) .

****

حرف الذال (٩)

١)	الذُّل، الصَّغار		

❏ ٩/ ١ الذُّلّ - الصَّغار - المَسْكَنَة:

• الذُّلُّ فى اللغة: الخضوع واللين والانقياد[١] .

• والصَّغار فى اللغة: القِلَّة والحقارة والهوان، والرِّضا بالمنزلة الدَّنِيَّة[٢] .

وقد وردت كلمة (الذُّلّ) بصيغ متعددة فى كثير من المواضع فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤ .

الذُّلُّ والذِّلَّة فى هذه الآيات ونحوها: ما كان عن قَهْرٍ، أو بعد تَصَعُّبٍ . فقوله ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ ، أى: كُنْ كالمقهور لهما فى اللين والانقياد والطاعة[٣] .

وقد فُسِّرت ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ فى آية البقرة بالجزية المفروضة عليهم[٤] .

ونخلص مما سبق أن الذُّلَّ: خضوع وانقياد مفروض بقوَّةٍ خارجية .

أمّا الصَّغار فقد ورد فى القرآن الكريم ست مرات، منها:

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ذ ل ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص غ ر) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ذ ل ل) .

(٤) القرطبى ١/ ٤٢٢، البحر المحيط ١/ ٢٣٦ .

- ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام : ١٢٤ .

- ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الأعراف .

الصَّغار : مشتقٌّ من الصِّغَر، ويُراد به: الضآلة والحقارة بعد عِزَّةٍ وشَرَف[١] . وفى الصَّغار معنى الرِّضا بالمنزلة الدنيَّة[٢] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (الذُّل - الصَّغار) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى الخضوع والهوان .**

● **ويتميَّز الصَّغار بملمح دلالىّ فارقٍ يُخَصِّصه، وهو: الرضا بهذة المنزلة الدنيَّةَ، أو الهبوط إلى تلك المنزلة بعد عزَّة وشَرَف .**

● **وفى الذُّلّ ملمح يميزه هو أنه مفروض بقوة خارجية، أما الصَّغار فقد لا يكون مفروضًا من الخارج؛ إذْ هو رضا من المرء بالهوان والخضوع .**

******

(١) التحرير والتنوير٩/ ٤٥ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ص غ ر) .

حرف الراء (١٠)

١)	الرِّياء، النِّفاق	٢)	الرَّجاء، التَّمَنِّي
٣)	الرَّغْبَة، الطَّمَع	٤)	رَهْط، قَوْم، نَفَر
٥)	رَءوف، رَحيم	٦)	رَيْب، شَكّ، مِرْيَة

❑ ١/١٠ الرِّياء - النِّفاق:

● الرِّياء في اللغة: أن يفعل المَرْءُ شيئًا كي يراه الناس، وهو على خلاف ما يُوهِم الناسَ به[١] .

● والنِّفاق في اللغة: أصله الإخفاء، مشتقٌّ من (النافقاء) وهو أحد طَرَفَيْ جُحْر اليربوع، فإذا هُوجِمَ من أحد الطرفين خرج من الآخر . ومنه اشتُقَّ النِّفاق؛ لأن صاحبه يكتم خلاف ما يُظْهِر[٢] .

وقد ورد لفظ (الرِّياء) في القرآن الكريم خمس مرات، منها:

- ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ البقرة: ٢٦٤ .

- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأنفال: ٤٧ .

- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ الماعون .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ر أ ى) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ن ف ق) .

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ : أى طلبًا لثنائهم ومدحهم، فالمرائى لا ينفق ماله طلبًا لرضا اللَّه وثواب الآخرة، بل ليقول الناس إنه سَخِىٌّ كريم[١] .

والمرائى يُصَلِّى مع الناس ليظهر لهم أنه من الصالحين فيُثنوا عليه بذلك[٢] .

أمّا (النِّفاق) فقد ورد فى كثير من آيات القرآن، ومن ذلك:

- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ آل عمران .

- ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ التوبة .

النفاق لفظ إسلامىٌّ يُطْلَق على مَنْ يُظهِر الإيمان ويُبْطِن الكفر، وهذا المعنى استحدثه الإسلام فى العربيَّة، وأصله فى لغة العرب: الخفاء والغموض كما تقدَّم .

فى الشاهد الأول فُسِّرَ النفاق بأنهم : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ . أى: يُبْدون أنهم مؤمنون، بينما يكتمون الكفر .

وفُسِّر النِّفاق فى الشاهد الثانى بُمضادَّةِ حال المؤمنين، وبأنهم: (فاسقون) أى مُنسلِخون عن كل خير[٣]، فكأنهم يدخلون فى الشرع من باب، ويخرجون عنه من باب آخر[٤] .

وفى سورة (المنافقون) وصف مُفَصَّل لأحوال المنافقين وصفاتهم، ومنها

---

(١) البحر المحيط ٢/٣٠٨ .

(٢) الكشاف ٤/٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) الكشاف ٢/ ٢٠٠-٢٠١ .

(٤) مفردات الأصفهانى (ن ف ق) .

الكذب، والصَّدُّ عن سبيل الله، وإعجابهم بأنفسهم، والجُبْن، والكِبْر، وغير ذلك من الصفات .

● **ونخلص ممّا سبق إلى أن النِّفاق أَخَصُّ من الرِّياء، فالرِّياء: أن يُظهر المرء خلاف ما يُبْطِن، والنِّفاق: إظهار الإيمان وكتمان الكفر .**

******

❑ ١٠/ ٢ الرَّجاء - التَّمَنِّى:

● الرجاء فى اللغة: الأمل، يقال: رجوتُ الأمرَ أَرْجوه رجاءً، ويُعَبَّر به عن الخوف[١] . وتفسير ذلك أن الرَّجاء والخوف يتلازمان[٢] .

● والتَّمَنِّى فى اللغة: مأخوذ من المَنا، وهو القَدَر، ومنه المنيَّة بمعنى الموت لأنه مُقَدَّرٌ على كل حيٍّ، والتَّمَنِّى: أَمَلٌ يُقَدِّره الإنسان فى نفسه . ويُستعمل التَّمَنِّى بمعنى القراءة؛ لأن القارئ يُقَدِّر ما يقرؤه فى نفسه، ويستعمل بمعنى الكذب؛ وذلك لأن قائله يتمنّاه فيختلق ما لا حقيقة له، أو يُقَدِّر الحديث فى نفسه ثم يقوله[٣] . ولمّا كان أكثر التمنِّى عن تخمين؛ صار الكذب أغلب عليه، فأكثر التمنِّى تصوُّرُ ما لا حقيقة له[٤] .

وقد تكرَّر ذكر الكلمتين فى القرآن الكريم، ومن شواهد الرَّجاء قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢١٨ .

- ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

---

(١) المحكم، تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (رج ا) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ر ج ا) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ن ى) .

(٤) مفردات الأصفهانى (م ن ى) .

وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ النساء: ١٠٤ .

- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ نوح: ١٣ .

قوله ﷻ: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ، أى: يأملون ولا يقطعون بذلك[١] .
والرجاء: ترقُّب الخير مع تغليب ظن حصوله[٢] .

ومثل ذلك الرَّجاء فى آية النساء[٣] .

وفى (نوح: ١٣) فُسِّرَ الرَّجاء على المعنى المعروف ، وهو توقُّع الخير (الثواب)، وفُسِّرَ بمعنى الخوف، قال الفرّاء: إنمّا يُوضَع الرَّجاءُ موضعَ الخوف؛ لأن مع الرجاءِ طَرَفًا من الخوف[٤] .

وعلى ذلك فالرجاء: توقُّع وترقُّب حصولِ ما فيه مَسَرَّةٌ وخير، مع غلبة ظنٍّ بحصول ذلك .

ومن شواهد التمنِّى فى القرآن الكريم قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ النساء .

---

(١) البحر المحيط ٢/ ١٥٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٣٣٨ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٦١ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٩٩، ٢٠٠، وانظر: معانى القرآن للفرَّاء ١/ ٢٨٦، الكشاف ٤/ ١٦٣ .

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ الحج .

ذكر الزمخشرى ثلاثة معانٍ للتمنِّى، وأوردها أوجهًا محتملة فى تفسير قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ البقرة .

وهذه الأوجه هى:

١- ما هم عليه من أمانيِّهم، وأن اللَّه يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وما تمنِّيهم أحبارُهم من أن النار لا تَمَسُّهم إلّا أيامًا معدودة .

٢- أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبَّلوها على التقليد .

٣- قراءة، أى ما يقرأون ولا يفقهون، ومثله قول الشاعر:

* تَمَنَّى كتابَ اللَّه أوَّلَ ليلةٍ *

أى: تَلا . واشتقاق التمنِّى من (مَنَى) إذا قدَّر؛ لأنَّ المتمنِّى يقدِّر فى نفسه ما يتمنّاه، وكذلك المُخْتَلِق، والقارئ يُقَدِّر أن كلمة كذا بعد كذا[1] .

والتمنِّى فى قوله ﷻ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ البقرة: ٩٤، الجمعة: ٦، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ البقرة: ٩٥ : حُبُّ الشىء والاشتياق إليه وتشهِّى حصوله، فهذا عملٌ قلبىٌّ، وإظهار هذا باللسان، والمرادُ به هنا: قول اللسان[2] .

وقد ارتبط التمنِّى فى القرآن الكريم بالكذب والاختلاق، وتأميل الآمال الباطلة التى لا دليل عليها، كما فى آيتى النساء (١١٩-١٢٠)؛ حيث ارتبط التمنِّى بوعود الشيطان وإضلاله لمن اتَّبعه[3] .

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩١، ٢٩٢ .

(٢) الكشاف ١/ ٢٩٧، ٢٩٨، البحر المحيط ١/ ٣١٢ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٦٤، ٥٦٥ .

وقد فُسِّر التمنِّى فى آية الحج (٥٢) بالرغبة والأمل، كما فُسِّر بالقراءة[١]. وتوجيهه كما سبق فى عبارة الزمخشرى فى تفسير الأمانِيّ .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الرَّجاء والتَّمَنِّى لفظان متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى: الأمل والترقب .**

● **ويتميز الرَّجاء بملامح فارقة هى:**

١- أنه يقوم على غلبة الظن لا على التوهُّم .

٢- وأنه يُستعمل بمعنى الخوف .

● **بينما يتميز الرَّجاء بملامح فارقة هى:**

١- أنه يُستعمل بمعنى الكذب والاختلاق .

٢- وأنه يستعمل بمعنى القراءة .

٣- وأنه يُستعمل مرتبطًا بتأميل الآمال الباطلة التى لا دليل عليها .

وكل هذه المعانى ترجع إلى المعنى الأصلى ، وهو التقدير والصورة الحاصلة فى النفس .

******

❑ ٣/١٠ الرَّغْبَة - الطَّمَع:

● الرَّغْبَة فى اللغة: طَلَبُ الشىءِ، وأصلها السَّعَة فى الشىء، من قولهم: حَوْضٌ رغيب، أى واسع . ومنه السَّعَة فى الطلب والإرادة، والرَّغيبة: العطاء الكثير[٢] .

● والطَّمَع فى اللغة: رجاءٌ قَوِىٌّ فى القلب للشىء شَهْوَةً له وحرصًا عليه[٣] .

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩ .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (ر غ ب) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (ط م ع) .

ومن هذا التفسير اللغوى لا يبدو فارقٌ بين اللفظين سوى ملمح السَّعة فى الرَّغْبَة .

وقد تكرر ذكر الرَّغْبَة والطَّمَع فى القرآن الكريم، فمن شواهد الرَّغْبَة قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ البقرة: ١٣٠ .

- ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ النساء .

- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ الشرح .

الرَّغْبَة تكون إرادةً، وتكون كراهةً، ويتميَّز المعنيان بحرف الجرِّ، فيُقال فى الكراهة: رَغِبْتُ عنه، وفى الإرادة: رغِبْتُ فيه، فإذا قيل: رَغِب فيه وإليه، اقتضى معنى الحرص، وإذا قيل: رَغِب عنه، اقتضى معنى صرف الرغبة عنه[١] .

كما تكرَّر ذكر الطمع فى عدة مواضع من كتاب اللَّه ﷻ، منها:

- ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ﴾ الأعراف: ٥٦ .

- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ الشعراء .

إذا كان الطَّمَعُ فى اللغة: نزوع النفس إلى الشىء شهوةً له، وأن أكثره من جهة الهوى، كما ذكر الراغب وغيره[٢]، فإنَّه قد ورد فى القرآن على ألسنة

---

(١) عمدة الحفاظ (ر غ ب) .

(٢) انظر: الطمع فى اللغة وهامشه .

الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم، كما فى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ الشعراء.

والمراد بالطَّمَع هنا: رجاء المغفرة، وأُطلِق عليه لفظ الطمع تواضعًا للّه تعالى، ومباعدة لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة[١]، فكأنه يرجو ما لا يستحقه، بل ما تهواه نفسه.

- **ونخلص مما سبق إلى أن الرَّغْبَة والطَّمَع لفظان متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى: طلب الشىء.**
- **وتتميز الرَّغْبَة بالسَّعَة؛ ولذا اخْتُصَّتْ بتركيبها مع أحرف الجر الثلاثة:**

- رغِب فى / إلى: بمعنى طلب الشىء بحرص والسعى إليه.

- رغِب عن: بمعنى الانصراف والتباعد عنه.

- **بينما تميز الطَّمَع بملمح دلالىّ فارقٍ هو: شهوة النفس، وكونه من جهة الهَوَى، وما ورد فى غير ذلك فتأويله أن الدّاعِىَ يتضرَّع ويتواضع معلنًا عدم استحقاقه، بل مجرد حرصه.**

******

☐ ١٠/ ٤ رَهْط - قَوْم - نَفَر:

- الرَّهْط فى اللغة: الجماعة من الرجال ما بين ثلاثة إلى عشرة، وقيل: من سبعة إلى عشرة، وقيل: من ثلاثة إلى سبعة. ورهط الرَّجُل: أقرب أقاربه[٢].
- والقَوْم فى اللغة: الجماعة من الرجال، قال زهير:

---

(١) التحرير والتنوير١٩/ ١٤٣.

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ر هـ ط).

وما أَدْرِى وسَوْفَ إِخالُ أَدْرِى أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسـاءُ!

وقَوْمُ الرَّجُلِ: شيعته وعشيرته، وأصل القوم: مصدر (قام)، ثم غلب على الرجال دون النِّساء، وسُمُّوا بذلك لأنهم قوّامون على النساء بالأمور التى ليس للنساء أن يَقُمْنَ بها، ويدخل النساء فيه على سبيل التَّبَع[١] .

والنَّفَر فى اللغة: مثل الرَّهْط، ما دون العشرة من الرجال دون النساء[٢]؛ لأن الرجال هم من يمكنهم النَّفْرُ فى الحرب[٣] .

وهكذا لا نكاد نجد فارقًا يُذْكَر بين الكلمات الثلاثة فى الاستعمال اللغوى فلنتأمَّلْ مواضع ورود هذه الكلمات فى القرآن الكريم .

ووردت كلمة (رَهْط) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات:

- ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ هود .

- ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ النمل: ٤٨ .

قال المفسِّرون: الرَّهْطُ إذا أُضيف إلى رجل، أُريدَ به: القرابة الأَدْنَوْنَ؛ لأنهم لا يكونون كثيرًا، فأطلقوا عليهم (أى قوم شعيب) لفظ الرهط الذى أصله الطائفة القليلة من الثلاثة إلى العشرة، ولم يقولوا: (قومك)؛ لأن قومه قد نبذوه[٤] .

والمقابلة بين القوم والرَّهْط فى آية هود رقم (٩٢) توضِّح أن المراد

---

(١) الصحاح، مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (ق و م) .

(٢) اللسان (ن ف ر) .

(٣) مفرادت الأصفهانى (ن ف ر) .

(٤) التحرير والتنوير١٢/١٤٩ .

بالقَوْم: الكثيرون من قرابة الرجل القريب منهم والبعيد، وبالرَّهْط: القليل من قرابة الرجل الأقرب إليه من غيرهم .

وقال أبو حيان فى تفسير آية النمل رقم (٤٨):

"اتَّفَقَ المفسِّرون على أن المعنى تسعة رجال"[١]، ونقل عن الرازى قوله: "الأقرب أن يكون المراد تسعةَ جمعٍ؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعةُ لا الواحد" .

ولعلَّ قول الرازى هو الجدير بالصحَّة؛ لأن اللفظ القرآنى لا يحلُّ محلَّه غَيْرُه، ولو أريد بتسعة رهطٍ: تسعة رجالٍ؛ لكان الأَوْلَى أن يُعَبَّر عنهم بالرجال .

ويؤيِّد هذا المعنى ما نقله أبو حيان أيضًا بلفظ: "قيل: والرَّهْط اسم الجماعة، وكأنهم كانوا رؤساء مع كل واحدٍ منهم رَهْط"[٢] .

وعلى كلٍّ فالرَّهْط: الجماعة من الرجال لا يتجاوز عددهم عشرة، وهم القرابة الأَدْنَوْنَ .

وأمّا القَوْم فقد تكرر ذكره فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده الآيات التالية:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (البقرة: ٥٤) .

- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ (آل عمران: ٨٦) .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٨٣ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٨٣ .

نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجرات: ١١ .

قال المفسّرون فى آية الحجرات رقم (١١): القَوْمُ: الرجالُ خاصَّةً؛ لأنهم القُوّامُ بأمور النساء، قال اللّه ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ٣٤)، واختصاص القوم بالرجال صريحٌ فى الآية، وفى قول زهير:

* أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسـاءُ *

وأمّا قولهم فى قوم فرعون وقوم عادٍ: هم الذكور والإناث، فليس لفظ القوم بمُتَعاطٍ للفريقين، ولكن قُصِدَ ذِكْرُ الذكور وتُرِكَ ذِكْرُ الإناث؛ لأنَّهُنَّ توابع لرجالهن[١] .

وسياق استعمال لفظ القوم فى القرآن الكريم، وإضافته إلى الأعلام كقوم موسى، وقوم شعيب، وقوم فرعون . . . إلخ؛ يقطع بمعنى الكثرة فيهم .

وعلى هذا يكون القوم: جماعة الأقارب الرجال، أكثر من عشرة، ويدخل فيهم النساء على سبيل تغليب الرجال على النساء، أو لتبعيَّة النساء للرجال .

وأمّا النَّفَر فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ الكهف .
- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الأحقاف: ٢٩ .
- ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ الجن .

فرّق الزمخشرى بين الرَّهْطِ والنَّفَر بأن: الرَّهْط من الثلاثة إلى العشرة، أو من السبعة إلى العشرة، والنَّفَر من الثلاثة إلى التسعة[٢] .

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٥، وانظر: البحر المحيط ٨/ ١١٢ .

(٢) الكشاف ٣/ ١٥١ .

ولكن هذه التفرقة لا تضيف شيئًا، واستقراء المواضع التى ورد فيها لفظ (نَفَر) يبيِّن لنا أن المراد بها مختلف من سياق إلى آخر، فالمراد بها فى آية الكهف: أولاد الرجل الذكور الذين ينفرون معه[١] .

والمراد بها فى آيتى الأحقاف والجن: الجماعة دون العشرة، وهم فى هاتين الآيتين من الجن، وأصل إطلاقه على البشر، فأُطلق على جماعة من الجن على وجه التشبيه؛ إذ ليس فى اللغة لفظ آخر[٢] .

وبذلك يمكننا القول إن النفر: الجماعة من الرجال دون العشرة، ولا يشترط أن يكون من عشيرة الرجل وأقاربه .

- **ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (الرَّهْط - القَوْم - النَّفَر) بينها تقارب دلاليّ؛ حيث تشترك فى الدلالة على معنى الجماعة .**
- **وينفرد لفظ (الرَّهْط) بملمح قلَّة العدد، ودلالته على القرابة القريبة .**
- **وينفرد لفظ (القَوْم) بدلالته على القرابة عمومًا، وبدلالته على الكثرة .**
- **وينفرد لفظ (النَّفَر) بدلالته على الذكور الذين ينفرون فى الحرب، ولا يُشترط أن يكونوا من عشيرة الرجل وأقاربه .**

******

❑ ٥/١٠ رَءوف - رَحيم:

- الرأفة فى اللغة: الرحمة، وقيل: أشدُّ الرحمة[٣] .
- والرحمة فى اللغة: الرِّقَّة والعطف[٤] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٢٠ .

(٣) الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (ر أ ف) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ر ح م) .

وقد تكرر اللفظان فى مواضع عديدة من القرآن الحكيم، واجتمعا معًا تسع مرات، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣ .

- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ التوبة: ١١٧ .

- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨ .

الرءوف والرحيم كلاهما صفة مُشَبَّهة، الأولى مشتقة من الرأفة، والثانية من الرحمة . والمحقِّقون من علماء اللغة يفرِّقون بينهما: فالرأفة أقوى وأشدُّ من الرحمة .

وأمّا الرحمة فاسمٌ جامع يدخل فيه هذا المعنى المذكور، ويدخل فيه الإفضال والإنعام .

والجمع بين الوصفين لإفادة أن اللَّه ﷻ يرحم الرحمة القويَّة لمُستحِقِّها، ويرحم مطلق الرحمة مَنْ دون ذلك(١) .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الرَّءوف - الرَّحيم) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى الدلالة على معنى العطف والإحسان .**
- **إلّا أنَّ لفظ الرحيم: اسم جامع يشمل العطف، كما يشمل النعمة والإحسان .**
- **والرءوف: أخصُّ من الرحيم؛ لأنه يدل على الرحمة القوية التى تُعْطَى لمن يستحقها .**

******

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٢٥ .

❑ ٦/١٠ رَيْب - شَكّ - مِرْيَة:

• الرَّيْبُ فى اللغة: شكٌّ يصاحبه خوفٌ وكراهة[١] .

• والشَّكُّ فى اللغة: خلاف اليقين؛ سُمِّى بذلك لأن الشّاكَّ كأنَّما شُكَّ له الأمران فى مَشَكٍّ واحدٍ وهو لا يتيقَّن واحدًا منهما . . وكل شىءٍ أدخلْتَه فى شىء فقد شككته[٢] .

• والمِرْيَة فى اللغة: التردُّد فى الأمر والشكُّ والجدال فيه، وأصلها من قولهم: مَرَيْتُ الناقة، أى: مسحت ضَرْعَها لتستخرج ما فيه، والمِرْيَة كأنها استخراج للشُّبَه المشكلة[٣] .

وقد تكرر ذكر الرَّيْب فى القرآن الكريم مرات عديدة، ومن شواهده:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ٢) .

- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣) .

- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: ٩) .

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ (الطور: ٣٠) .

قال الزمخشرى: حقيقة الرِّيبَةِ: قَلَقُ النفسِ واضطرابها، ومنه ما روى الحسن بن علىّ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: "دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يَريبك؛ فإن الشكَّ ريبةٌ، وإنَّ الصدق طمأنينة" . أى: فإن كَوْنَ الأمر مشكوكًا فيه ممّا تقلق له النفس ولا تستقر . ومنه رَيْب الزمان، وهو ما يُقلِق النفوسَ ويَشْخَص بالقلوب من نوائبه . فإن قلت: كيف نفى الرَّيْبَ على سبيل

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ر ى ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ش ك ك) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (م ر ى) .

الاستغراق، وكم من مرتاب فيه؟! قلت: ما نَفَى أن أحدًا لا يرتاب فيه، وإنَّما المنفيُّ كَوْنُه متعلَّقًا للرَّيْبِ ومَظِنَّةً له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتابٍ أن يقع فيه[١] .

وقال ابن عباس: (ريب) فى القرآن: شَكّ، إلا مكانًا واحدًا فى الطور: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ . والمراد به هنا: مصيبة الموت، أو أحداث الدهر[٢] .

ولكن الرَّيْب يفترق عن الشك فى كون الرَّيْب مصاحبًا للخوف والكراهة . كما يُستعمل الرَّيْب بمعنى آخر هو: النائبة والمصيبة .

أمّا الشَّكُّ فقد تكرر ذكره أيضًا فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ (النساء: ١٥٧) .

الشَّكُّ: أنْ لا يترجَّح أحدُ الاحتمالين؛ ولذلك وُصِفوا بعدم العلم، ثم وُصِفوا باتِّباع الظن، أى: إنْ لاحتْ لهم أمارةٌ اتَّبعوا ظنَّهم وإنْ لم يكن علمًا أو يقينًا[٣] .

ومما يؤكِّد اختلاف الشك عن الرَّيْب، وَصْفُ أوَّلِهما بالثانى فى عدة آيات من كتاب اللَّه ﷻ، منها:

- ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (هود: ١١٠، فصلت: ٤٥) .

فالشَّكّ: انتفاء العلم، بحيث لا يترجَّح أحد الاحتمالين، ووصفه بالمُريب أى: يبعث على القلق والاضطراب .

وأمّا المِرْيَة فمن شواهدها فى كتاب اللَّه ﷻ:

(١) الكشاف ١/ ١١٢ - ١١٤ .

(٢) التحرير والتنوير٢٧/ ٦١ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٨٠ .

- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ (هود: ١٧) .
- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ (هود: ١٠٩) .
- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ فصلت .

وقد راجعت كتب التفسير مُنقِّبًا عن معنى ﴿مِرْيَةٍ﴾ فلم أظفر بِطائلٍ، فالمفسرون جميعًا يرون أنها تعنى الشَّكّ . ولكن قالِ الراغب الأصفهانى:

"المِرْيَةُ: الترَدُّد فى الأمر، وهو أَخَصُّ من الشَّكِّ"[١] .

وفى هذا نَظَرٌ؛ لأن الشَّكَّ أيضًا تردُّدٌ بين طرفين متساويين فى الاحتمال[٢] .

ولعلَّ الصواب أن يقال: إنَّ المرية شَكٌّ يصاحبه عنادٌ، كأن صاحبه يستخرج ما فيه من شُبَهٍ يجادل بها .

● **ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ: (ريب - شك - مرية) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك جميعها فى ملمح عامٍّ مشترك هو: انتفاء العلم .**

وتفترق كل منها بملمح دلالىٍّ مميز:

● **فالرَّيْب يتميز بالخوف والكراهة، وأنه يُستعمل بمعنى آخر هو الحَدَث والنائبة .**

● **والشَّكّ: أعمّ هذه الألفاظ، وهو استواء الطرفين أو الاحتمالين دون ترجيح لأحدهما .**

● **والمِرْيَة تتميَّز بملمح الجدال والعناد .**

******

(١) مفردات الأصفهانى، (م ر ى) .
(٢) عمدة الحفاظ (م ر ى) .

حرف الزاى (١١)

١)	زَوْج - امرأة		

❑ ١١/١ زَوْج - امرأة:

• الزوج فى اللغة: كل ما دلَّ على مقارنة شىء لشىء، ومن ذلك الرجل والمرأة كلاهما زوجٌ لصاحبه[١] .

• والمرأة فى اللغة: مؤنث مَرْء، وهو الرجل[٢] .

وقد جرى الاستعمال اللغوى العاديُّ على أنهما لفظان مترادفان لا فرق بينهما . ولكن الاستعمال القرآنى الحكيم فرَّق بينهما، فجاءت كلمة (زوج) فى سياق النعمة والتوافق وحسن المعاشرة، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ البقرة.

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥ .

- ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦ .

هكذا استُعمِلت كلمة (زوج) للدلالة على نساء المؤمنين، وفى سياقات المِنَّة بفضل اللَّه ورحمته بعباده المؤمنين، فالمؤمنون فى الجنة لهم (أزواج) مطهرة، ووُصفت نساء النبى ﷺ بكلمة (أزواج)، وآدم عليه السلام قيل له : ﴿وَقُلْنَا

(١) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (ز و ج) .

(٢) اللسان (م ر أ) .

يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ ؛ وذلك لما فى لفظ الزوج من إشعار بالمشاكلة والمجانسة والاقتران، كما يُفْهَم من المعنى اللغوى للكلمة، فإن الزوجين - كما قدَّمنا - هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان المتناظران .

بينما استُعِملت كلمة (امرأة) فى القرآن الكريم فى الإخبار عن نساء أهل الشرك، نحو قول اللَّه ﷻ :

- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ التحريم .

- ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ سورة المسد .

والسرُّ فى اختيار لفظ (امرأة) فى حالة فرعون أنه كان مشركًا وهى مؤمنة، فعدَلَ القرآن عن لفظ (زوج) الدالِّ على التجانس والتشاكُل، وعبَّر بلفظ (امرأة) الدال على مجرَّد الأنوثة، قطعًا للمشابهة والتجانُس بين الكفار والمؤمنين .

كذلك عبَّر القرآن بلفظ المرأة إذا كان الرجل كافرًا والمرأة كافرة كما فى حالة أبى لهب وامرأته؛ قطعًا للمشابهة فى الوصف بين المؤمنين والكفار، فامرأة المؤمن (زوج) له، والكافرة امرأة الكافر لا تستحق لقب الزوج حتى لا تتساوى مع المؤمنة .

وأمّا قوله ﷻ على لسان زكريا عليه السلام : ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ (مريم : ٥)، وقوله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ (الذاريات : ٢٩)، فإن استعمال لفظ (امرأة) هنا أَلْيَقُ بالمقام؛ لأنه فى سياق ذكر الحمل والولادة، وهما أمران

مرتبطان بصفة الأنوثة، ويناسبها ذكر الكلمة الدالَّة عليها وهى (المرأة) [١] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (زَوْج - امرأة) بينهما تقارب دلالى؛ إذ يشتركان فى الدلالة على العلاقة بين الرجل والمرأة .**

- **ويختص لفظ الزوج بملمح المشاكلة والمجانسة؛ ولذلك جاء فى سياق النعمة والخير .**

- **بينما يختص لفظ (المرأة) بملمح الأنوثة؛ لذلك جاء فى سياق ذكر الحمل والولادة وما هو من مقتضيات صفة الأنوثة .**

****

(١) التفسير القيم، جلاء الأفهام/ ٥٠-٥٤ .

حرف السين (١٢)

١)	سَبيل، صِراط، طريق	٢)	سُخْرية، استهزاء
٣)	سَخَط، غَضَب، غَيْظ	٤)	سَديد، صَواب
٥)	سُدًى، عَبَث، هَباء	٦)	السرّ، النَّجْوَى
٧)	سقط، وقع	٨)	السُّقْم، المَرَض
٩)	سَكَتَ، أَصْغَى	١٠)	التَّسْليم، التَّفْويض، التَّوَكُّل
١١)	اسْتَمَعَ، أَنْصَتَ		

❑ ١٢/ ١ سَبيل - صِراط - طَريق:

• السَّبيل في اللغة: الطريق؛ سُمِّيَ بذلك لامتداده، فأصل مادة (س ب ل) الدلالة على الامتداد[١]، وكثُر استعماله في الطريق الذي فيه سهولة[٢].

• والصِّراط في اللغة: السَّبيل الواضح، والصِّراط لغة في السِّراط . . . وقيل للطّريق الواضح سِراط، لأنَّه كأنَّه يَسْتَرِطُ (يبتلع) المارّة لكثرة سلوكهم لاحِبَهُ[٣].

• والطَّريق في اللغة: المسلك؛ لأنَّ الأقدام تَطْرُقُه، أي تَطَؤُه[٤].

وقد راعى القرآن الكريم في استعمال تلك الألفاظ ما بينها من فروق

---

(١) مقاييس اللغة (س ب ل).

(٢) مفردات الأصفهاني (س ب ل).

(٣) اللسان (س ر ط).

(٤) اللسان (ط ر ق).

دلالية رهيفة، على النحو التالى:

● وردت كلمة (سَبيل) فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدها:

- ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ البقرة: ١٠٨ .

- ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧ .

وفى أكثر مواضع هذه الكلمة فى القرآن الكريم جاءت مضافة إلى لفظ الجلالة، ولعلَّ ما رشحها لهذا هو ملمح السُّهولة؛ للتعبير عن وضوح المسلك إلى اللَّه ﷻ ، وسهولته على السالكين وإنْ حَفَّتْ به المكاره والمصاعب .

كما استُعيرالسبيل للتعبير عن المذهب والطريقة[1]، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يوسف .

ولعلَّ ممّا يُشْعِر بالسهولة والوضوح فى كلمة السبيل قول اللَّه ﷻ:

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ عبس .

وأُضيف السبيل إلى كلمة (ابن) فى مواضع عديدة من الكتاب الحكيم، فكثُر فيه ذكر ابن السبيل: (البقرة: ١٧٧، ٢١٥، النساء: ٣٦، الأنفال: ٤١، التوبة: ٦٠ . . . إلخ) .

ومعنى ابن السبيل: الملازم له وعرَّفه الوسيط بأنه: المسافر المنقطَع به وهو يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يَتَبَلَّغ به[2].

---

(١) عمدة الحُفّاظ (س ب ل) .

(٢) المعجم الوسيط (س ب ل) .

ولم تُضَف الكلمتان الأخريان إلى كلمة (ابن) .

أما الصِّراط فقد تكرر ذكره فى القرآن الكريم، ومن شواهده الآيات التالية:

- ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ الفاتحة .

- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ١٤٢ .

- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

- ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأعراف: ٨٦ .

جاء الصِّراط فى أكثر مواضعه فى القرآن الكريم موصوفًا بالمستقيم، وندر مجيئه مفردًا كما فى آية الأعراف رقم (٨٦) .

وفى كثرة وصف الصراط بالمستقيم تارةً، وبالسَّوِىِّ تارةً أخرى دلالة على أنه: طريقَ الحق[١]، فلا يَضِلُّ فيه سالكُه ولا يتحيَّر[٢] .

وآية الأنعام رقم (١٥٣) تبيِّن بجلاء تامٍّ أن الصراط يتضمن معنى الحق الواضح الذى لا يضل سالكه ولا يتحيَّر؛ ولذلك أُفْرِد الصراط وجمعت السبل[٣] .

أمّا الطريق فقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ النساء .

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٦٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٠١ .

(٣) الكشاف ٢/ ٩٤ .

- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ طه .

- ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الأحقاف .

فالطريق مستعمل فى القرآن الكريم للدلالة على كل مسلك يسلكه الإنسان محمودًا كان أو مذمومًا[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (سَبيل - صِراط - طَريق) بينها تقارب دلاليّ؛ حيث تشترك جميعها فى الدلالة على المسلك .**

ثم يتميز كلٌّ منها بملامح فارقة:

● فالسَّبيل يتميَّز بالوضوح والسهولة، كما يتميَّز بإضافته إلى كلمة (ابن) .

● والصِّراط يتميَّز بالاستقامة والبعد عن الزَّيْغ والضلال .

● والطَّريق أعمُّ هذه الألفاظ؛ لأنه يشمل ما كان محمودًا أو مذمومًا، سهلًا أو صعبًا .

******

❑ ٢/١٢ سُخْرية - اسْتِهْزاء:

● السُّخرية والاسْتِهْزاء فى اللغة: الاحتقار[٢] .

ولم يفرِّق الراغب الأصفهانى بينهما[٣] .

وذكر بعض علماء اللغة فارقًا تركيبيًّا بين الكلمتين، إذ يقال: سخِر منه،

---

(١) مفردات الأصفهانى، عمدة الحفاظ (ط ر ق) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (س خ ر، هـ ز أ) .

(٣) مفردات الأصفهانى (س خ ر، هـ ز أ) .

وهَزِئَ به، فيقترن فعل السخرية بحرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية، ويقترن فعل الاستهزاء بحرف (الباء) الدالِّ على الإلصاق . وسوَّى بعض العلماء بين الفعلين فقال: سخرت منه وبه، وهزئت منه وبه(١) .

وإذا تأمَّلنا استعمال الفعلين فى القرآن الكريم، نجد أن الفعل (سخِر) قد ورد فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ومن شواهده:

- ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ البقرة: ٢١٢ .

- ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: ٧٩ .

- ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١ .

وقد اطَّرَد استعمال الفعل(سخر) فى القرآن الكريم مقترنًا بحرف ابتداء الغاية (من) .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"سخروا بمعنى هزَأوا، ويتعدَّى إلى المفعول بـ (من)، قيل: لا يتعدَّى بغيرها، وقيل: يتعدَّى بالباء، وكذا الخِلاف فى تعديه هزأ واستهزأ . والأصحُّ أنَّ كلا الفعلين يتعدَّى بحرف (من) والباء، وأن الغالب فى (هزَأ) أن يتعدَّى بالباء، وفى (سخِر) أن يتعدَّى بـ(من) . وأصل مادة (س خ ر) مُؤْذِنٌ بأن الفاعل اتخذ المفعول مُسخَّرًا يتصرَّف فيه كيف شاء بدون حُرْمة؛ لشدة قرب مادَّة (سَخِرَ) المخفَّفِ من مادَّة التسخير - أى التطويع - فكأنَّه حوَّلَهُ عن حَق الحُرْمة الذاتيَّة فاتَّخذ منه لنفسه سخرية، كما أن اطِّراد استعمال فعل السخرية فى القرآن الكريم مقترنًا بحرف ابتداء الغاية (من)، يُؤذِن بوجود فعل أو حدث وقعت السخرية لأجله" .

أمّا لفظ الاستهزاء فقد تكرر كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

---

(١) الصحاح، اللسان (س خ ر) .

- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة.
- ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١.
- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يس: ٣٠.

أصل مادة (هـ ز أ): الخِفَّة، مأخوذ من قولهم: هزأتْ به ناقته، أى أسرَعَتْ؛ وذلك لأن المستهزِئَ غرضه الذى يرمى إليه هو طلب الخِفَّة والزِّراية بمن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه[١].

واطِّراد استعمال فعل الاستهزاء فى القرآن الكريم مقترنًا بحرف الإلصاق (الباء) يدلُّ على أن المستهزِئ يُلْصِق العيب بغيره إلصاقًا دون أن يكون هناك شيء يستحق أن يُستهزَأ به لأجله.

- **ونخلص ممّا سبق إلى أن لفظى (السخرية - الاستهزاء) متقاربان جدًّا فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى: طلب الهوان والحقارة.**
- **وتتميز السخرية بالشِّدَّة، ووجود سبب يدعو إليها.**
- **بينما يتميز الاستهزاء بأنه لا يقتضى وجود سبب يدعو إليه، وإنما هو إلصاق للعيب والذم بمن لا يستحقُّه حسدًا أو حقدًا.**

****

❑ ٣/١٢ سَخَطٌ - غَضَبٌ - غَيْظٌ:

- السُّخْط والسَّخَطُ فى اللغة: كراهة الشىء وعدم الرضا به[٢].
- والغَضَب فى اللغة: شدَّة السُّخط والإنكار[٣].

---

(١) الكشاف: ١/١٨٦.

(٢) اللسان (س خ ط).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (غ ض ب).

• والغَيْظ فى اللغة: غضبٌ كامن فى النفس بسبب سُوءٍ لَحِقَه من غيره[١] .

ويُؤخذ مما سبق أن السَّخَط والغَيْظ لا تظهر آثارهما على الجوارح، والفرق بينهما أن الغَيْظ انفعال بسوء لحقه من الغير، أما السَّخَط فهو مجرد الكراهة وعدم الرضا بالشىء وإن لم يلحقه سوء .

وأما الغَضَب فيختلف عن السَّخَط والغَيْظ بملمحين: الشدة، وظهور أثر ذلك على الجوارح .

وفى القرآن الكريم ورد لفظ (السَّخَط) أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١٦٢ .
- ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ٨٠ .
- ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة: ٥٨ .
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ محمد: ٢٨ .

والملاحظ فى ثلاث من الآيات السابقة أن السَّخَط جاء فى مقابلة الرِّضا والرُّضْوان، وهذا يدل على أن السَّخَط نقيض الرِّضا والرُّضْوان .

ولم نجد للمفسّرين قولًا شافيًا فى معنى السَّخَط، ومن سياق الآيات لا نجد أكثر من مقابلته بمعنى الرِّضا أو الرُّضْوان، وما ذهب إليه المناوى والراغب من أن السَّخَط هو الغَضَب الشديد المقتضى للعقوبة[٢]، وما ذهب إليه أبو البقاء من أن السَّخَط لا يكون إلّا من الكبراء والعظماء بخلاف الغَضَب فإنه يكون منهما ومن غيرهما[٣]، لا يتضح هذا الذى ذهبوا إليه من سياق الآية، بل ما ذهب إليه ابن منظور فى اللسان - وهو كون السَّخَط نقيضًا

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (غ ى ظ) .

(٢) التوقيف، ص١٩٨، مفردات الأصفهانى (س خ ط) .

(٣) الكليات، ص٥١٥ .

للرِّضا - هو ما تعطيه السياقات القرآنية المذكورة .

● **وعلى ذلك يمكننا القول : إن السَّخَط كراهة الشيء وعدم الرِّضا به .**

وأما لفظ (الغضب) فقد تكرر فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ الأعراف: ٧١ .

- ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ الشورى: ٣٧ .

سياق الآيات السابقة - وغيرها - يبيِّن صحة ما ذهب إليه ابن فارس من أن الغَضَب هو السُّخط الشديد[١]، وأن الغَضَب يظهر على الجوارح ويقترن بفعلٍ ما يقصد به الإضرار بالغير[٢] .

ومن هنا جاز إطلاق السَّخَط والغَضَب على اللَّه ﷻ، فالسَّخَط منه ﷻ كراهة السوء وعدم الرِّضا به، والغَضَب منه ﷻ أشدُّ من السَّخَط؛ لاقترانه بإنزال العذاب كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ الأعراف: ٧١ .

وأما الغَيْظ فلا يجوز إسناده إلى اللَّه ﷻ؛ لأنه تغيُّرٌ يَلْحَق بالمغتاظ، وهو كامِنٌ لا يُستَطاع إنفاذُه؛ للعجز عن ذلك[٣] .

وقد تكرر ذكر الغَيْظ فى عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١١٩ .

---

(١) مقاييس اللغة (غ ض ب) .

(٢) انظر: تفسير القرطبى ٤/ ١٣٣، المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٣، الكليات، ص٦٧١ .

(٣) انظر: الصحاح، مقاييس اللغة (غ ى ظ)، الكليات ص٦٧١ ، المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٣ .

- ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ آل عمران.

- ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج: ١٥ .

لمّا كان الغيظ خفيًّا كامنًا فى النفس قال اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ لأنهم يُضمرون ذلك فى نفوسهم ولا يُظهِرونه للمؤمنين، فقال لهم اللّه ﷻ: ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ : أى ازدادوا غيظًا حتى تهلكوا[١] .

وذلك لعجزهم عن الفعل وعدم قدرتهم على إمضاء غيظهم بأن يضرُّوا المؤمنين .

- **ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (السَّخَط - الغَضَب - الغَيْظ) متقاربة فى الدلالة؛ حيث تشترك فى معنى عام هو الكراهة وعدم الرِّضا، وهذا المعنى العام هو: السَّخَط .**
- **أمّا الغَضَب فيتميَّز بالشدة، والاقتران بالفعل .**
- **وأمّا الغيظ فيتميَّز أيضًا بالشدة، ولكن مع العجز عن الفعل؛ ولذا جاز إسناد السَّخَط والغَضَب إلى اللّه ﷻ، وامتنع إطلاق الغَيْظ عليه ﷻ .**

******

❑ ٤/١٢ سَديد - صَواب:

- السَّديد فى اللغة: ذو السَّداد أى الاستقامة، مأخوذ من السَّدِّ، وهو إغلاق الخلل ورَدْم الثَّلْم، فكأن القول السَّداد هو الذى لا ثُلْمَةَ فيه[٢] .
- والصَّواب فى اللغة: خلاف الخَطأ، مأخوذ من الصَّوْبِ، وهو نزول

---

(١) الكشاف: ١/٤٥٩ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (س د د) .

الشيء واستقراره في قراره[١] .

وقد ورد اللفظان في القرآن الكريم وصفًا للقول، فتكررت كلمة (سديد) مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ النساء .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ الأحزاب .

القول السَّديد: الذى يوافق الحق والعدل، ومنه تسديد السَّهْم، أى توجيهه مستقيمًا نحو الهدف[٢] .

وهذا لا يتضمَّن أنَّ القائل لا يُخْطِئ، ولكنه يريد الحقَّ وقد يصيبه، وقد يجتهد ولا يصيب الحقَّ .

أما كلمة (صَواب) فقد وردت فى القرآن مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ النبأ .

الصَّواب هنا منسوب إلى الملائكة، وهو بإذن اللَّه تعالى وإلهام منه ﷻ، فلا يعتريه الخطأ[٣] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (سَديد - صَواب) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى أنهما وصف للقول، وكلاهما فيه إرادة الحق .**

● **ولكن يتميز الصواب بأنَّه لا يعتريه الخطأ؛ لأنه إلهام من اللَّه تعالى، أمّا السَّداد فإنه لا ينفى إمكان ورود الخطأ .**

****

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص و ب) .

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٧٨، التحرير والتنوير ٢٢/ ١٢٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٣ .

❑ ١٢/٥ سُدًى - عَبَث - هَباء:

• السُّدَى فى اللغة: المهمل، يقال: أَسْدَى الراعى إبِلَه، أى أهملها، وإبِلٌ سُدًى أى مُهْمَلة ترعَى بلا راعٍ[١] .

• والعَبَث فى اللغة: الفعل الذى لا يهدف إلى غاية، وأصل مادة (ع ب ث): التخليط، فكأن العابث يخلط فى فعله ولا يصيب القصد والغاية[٢] .

• والهَباء فى اللغة: الغبار الدقيق المتطاير كالذى يُرَى فى ضوء الشمس[٣] .

وقد وردت كلمة (سُدى) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ القيامة .

أى: مُهْمَلًا بلا أمرٍ ولا نَهْيٍ ولا تكليف[٤] .

وردت كلمة (عَبَث) فى القرآن الكريم، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ المؤمنون .

- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ الشعراء .

العَبَث: انتفاء القصد والغاية[٥]، فهو شبيه باللعب الذى لا حكمة فيه، لا غاية له.

وسياق استعمال الكلمة فى الآيتين يدلُّ على أن المراد خُلُوّ الفعل من الغاية والحكمة، فهو مُتَضَمَّنٌ فى أصل الفعل قبل حدوثه، وذلك بوضع غاية له .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س د ى) .

(٢) مقاييس اللغة (ع ب ث) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (هـ ب أ) .

(٤) عمدة الحفاظ (س د ى)، التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٦ .

(٥) الكشاف ٣/ ٤٥، التحرير والتنوير ١٨/ ١٦٦ .

أمّا الهَباء فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ الفرقان .
- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ الواقعة .

الهَباء: أدقُّ من الغبار، لا يُرَى إلّا فى أشعة الشمس المنحصرة فى كَوَّة ونحوِها، وجعلناه هباء منثورًا: تشبيه لأعمالهم - فى عدم الانتفاع بها مع كَوْنِها موجودة - بالهَباء فى عدم إمساكه مع كَوْنِهِ موجودًا[١] .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن الألفاظ (سُدًى - عَبَث - هَباء) متقاربة فى الدلالة؛ حيث اشتركت فى معنى الانتفاء .**

- **ولكن السُّدَى: انتفاء الرعاية والمراقبة .**
- **والعَبَث: انتفاء القصد والغاية .**
- **والهَباء: انتفاء النفع والقيمة .**

******

❑ ٦/١٢ سِرّ - نَجْوَى:

● السِّرُّ فى اللغة: إخفاء الشيء وكتمانه[٢] .

● والنَّجْوَى فى اللغة: إسرار الحديث[٣] .

فالنَّجْوَى أخصُّ من السِّرّ؛ لأنها مقصورة على نوع واحد من الإخفاء، والكتمان هو إخفاء الحديث دون غيره .

والسِّرُّ لا يتجاوز المرء، والنَّجْوَى تتجاوز المرء إلى غيره، فهى ما اطَّلَعَ

---

(١) الكشاف ٣/٨٨، التحرير والتنوير ١٩/٨ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (س ر ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ن ج و) .

عليه بعض الناس دون بعض؛ فالسِّرُّ أشد خفاءً من النَّجْوَى .

وقد تكرر ذكر السِّرِّ فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ﴾ البقرة: ٢٣٥ .

- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ التوبة: ٧٨ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: السِّرُّ أصله ما قابَلَ الجَهْرَ، وكُنِيَ به عن قُربان المرأة ونكاحها[1]؛ لأنه لا يكون فى العلن.

وأمّا النَّجْوَى فمن شواهدها:

- ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ النساء: ١١٤ .

- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ التوبة .

- ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة: ٧ .

الجمع بين كلمتى السّرّ والنَّجْوَى فى آية التوبة رقم (٧٨) يوضِّح بجلاء أن لكل منهما معنى مغايرًا للآخر، فالسّرُّ: ما يخفيه الإنسان ويُضمِره فى نفسه فلا يُطْلِع عليه الناسَ، والنَّجْوَى: المحادثة بخفاء، وعُطِفَت النَّجْوَى على السّرِّ مع أنه أعَمُّ منها؛ لينبئهم باطِّلاعِهِ على ما يتناجون به من الكيد والمطاعن[2] .

---

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٤٥٣، ٤٥٤ .

(٢) التحرير والتنوير١٠/ ٢٧٤ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (السّرّ - النَّجْوَى) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى معنى الإخفاء والكتمان .

● ولكن السِّرَّ أعمُّ من النَّجْوَى؛ لأنه يشمل الحديث وغيره، والنَّجْوَى مقصورة على الحديث الخفىّ .

● كما أن السِّرَّ أشدُّ خفاءً من النَّجْوَى؛ لأن النَّجْوَى يَطَّلِعُ عليها بعضُ الناس، أما السِّرُّ فلا يَطَّلِع عليه غير صاحبه، والله ﷻ يعلم السِّرَّ والنَّجْوَى، وهو ﷻ علّام الغيوب .

******

❑ ٧/١٢ سَقَطَ - وَقَعَ:

● السقوط والوقوع فى اللغة كلاهما بمعنى واحد[١] ، إلَّا أن القرآن الكريم قد فرَّق بين اللفظين فى استعماله لهما، فقد ورد السقوط فى القرآن الكريم ثمانى مرات، منها الآيات التالية:

- ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ الأنعام: ٥٩ .

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ التوبة: ٤٩ .

- ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ مريم .

حيث عُبِّرَ بالسقوط عن نزول الشىء من أعلى إلى أسفل (فى آيتى الأنعام، ومريم)، واستُعمل السقوط استعمالًا مجازيًّا فى آية التوبة، والمعنى أنهم حصل لهم ذلك فجأةً، فهم كالساقط فى هُوَّة على حينِ ظَنَّ أنه آمِن[٢] .

ومن معانى السقوط فى القرآن الكريم: الندم، وذلك فى قول الله ﷻ:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (س ق ط)، (و ق ع) .

(٢) التحرير والتنوير ١٠/٢٢١ .

- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ الأعراف .

أى: اشتدَّ ندمهم وحسرتهم، كأن الندم سقط فى أيديهم، كناية عن حصوله فى قلوبهم[1] .

أمّا الوقوع فاستُعْمِلَ فى القرآن الكريم بدلالاتٍ متعدِّدة:

- منها سقوط الشدائد والعذاب، وهو أكثر ما جاء فى القرآن من لفظ الوقوع[2]، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ الواقعة .

- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ المعارج .

فالوقوع هنا: نزول الشدَّة وحدوثها[3] .

- ومن معانيه الثبوت والوجوب، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ النساء .

- ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ النمل: ٨٥ .

أى ثبت الأجر، ووجب عليهم العذاب، واستعمال لفظ الوقوع هنا تأكيدٌ للوجوب[4] .

- ومن معانيه: المبادرة، فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) الكشاف ٢/١١٨ .

(٢) انظر: الكشاف ٤/٥١، ٤/١٥٦ .

(٣) مفردات الأصفهانى (و ق ع) .

(٤) مفردات الأصفهانى (و ق ع) .

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الحجر .

أى: اسقطوا مبادرين إلى السجود(١) .

وملمح الشدة فى الوقوع هو الذى سوَّغ استعماله فى معانى نزول الشدائد والحوادث، وثبوت الأجر، ووجوب العذاب، والمبادرة فى الامتثال؛ حيث أُمروا بالوقوع أى السقوط السريع .

- **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (سَقَطَ - وَقَعَ) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: النزول من أعلى إلى أسفل، وهو أصل معناهما . ثم يفترق كلٌّ منهما بملامح تخصُّه وتميزه عن الآخر .**
- **فيأتى السقوط بمعنى الندم .**
- **ويأتى الوقوع بمعنى: نزول الشدائد، وثبوت الأجر، ووقوع العذاب .**
- **وعلى ذلك يمكن القول : إن الوقوع أخصُّ من السقوط .**

******

❑ ٨/١٢ سُقْم - مَرَض:

- السُّقْم والسَّقَم فى اللغة: مرض البدن .
- والمرض يشمل البدن والنفس(٢) .

ولذلك عبَّر القرآن الكريم بلفظ السَّقَم فى قول اللَّه ﷻ حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام :

- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ الصافات .

---

(١) مفردات الأصفهانى (و ق ع) . .

(٢) مفردات الأصفهانى (س ق م) .

وقال ﷻ في قصة يونس عليه السلام:

- ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الصافات: ١٤٥ .

أى مريض البدن؛ لِما حَلَّ به من ابتلاع الحوت له[١] .

وأما المرض فعُبِّرَ به عن الداء الذى يصيب البدن، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٨٤ .

وعُبِّر به أيضًا عن أمراض النفوس، ومن ذلك وصف المنافقين فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ البقرة: ١٠ .

أى: كفر وسوء اعتقاد، أو غلٌّ وحسد[٢] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (سُقْم - مَرَض) يُظهِر اشتراكهما فى معنى وجود داءٍ .**
- **والملمح المميِّز للسُّقْم هو اختصاصه بداء الجسد دون النفس .**
- **بينما الملمح المميِّز للمرض هو عموم دلالته على الداء، سواء ما يصيب الأبدان، أو ما يصيب النفوس، وكذا ما يخالط القلوب من شكٍّ وسوء اعتقاد .**

****

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٣ .

(٢) الكشاف ١/ ١٧٦ .

❑ ٩/١٢ سَكَتَ - أَصْغَى:

• السكوت فى اللغة: الكفُّ عن الكلام، وسكَتَ الغضبُ بمعنى سكَن[١] .

• والإصغاء فى اللغة: الميل، يقال: أَصْغَى الإناءَ أى أماله، وصَغَت النجومُ أى مالت للمغيب، وأَصْغَى إليه إذا مال بسمعه نحوه[٢] .

وقد راعَى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى فى استعمال اللفظين، فجاء السكوت بمعنى الكَفّ، ولم يرد إلّا فى موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ الأعراف .

أى: زال عنه، وكأن الغضب كان متمكنًا من موسى عليه السلام حتى كأنَّه كان يأمره بذلك ويُغريه به، ثم كَفَّ عنه[٣] .

أمّا الإصغاء فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الأنعام: ١١٣ .

- ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ .

عُبِّر عن ميل القلوب والأفئدة بالإصغاء، وهو الأصل اللغوى لمادة الإصغاء[٤] .

• ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (سَكَتَ - أَصْغَى) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى ترك الكلام، ولكن الاستعمال القرآنى للفظين كان

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س ك ت) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص غ و) .

(٣) الكشاف ٢/ ١٢٠ .

(٤) مفردات الأصفهانى (ص غ و) .

مرتبطًا بالأصل اللغوى لكلٍّ منهما، حيث استُعمل السكوت بمعنى السكون وهدوء الغضب، كأنه كان ناطقًا فسكت . بينما استُعمل الإصغاء بمعنى الميل، وهو الأصل الدلالى للمادة .

****

❏ ١٢/ ١٠ التَّسْليم - التَّفْويض - التَّوَكُّل:

• تدور مادة (س ل م) فى اللغة حول معنى: البراءة من العيب والمرض وغير ذلك، ومن ذلك السَّلامة والسَّلام . والتَّسْليم: الرِّضا بالحكم؛ لأنه براءة من المخالفة(١) .

• وتدور مادة (ف و ض) حول معنى: ردّ الأمر إلى آخَرَ، والرِّضا بحكمه(٢) .

• وتدور مادة (و ك ل) حول معنى: اللجوء والاعتماد، يُقال: وَكَلَ أمرَه إلى فلان، أى اعتمد عليه فيه، وتوكَّل على الله: ركن إليه وعَلِمَ أنه كافِيهِ ورازقُه وحافظُه(٣) .

وهكذا لا تُسْعِفنا كتب اللغة بفروق واضحة بين الألفاظ الثلاثة .

وفى القرآن الحكيم جاء التسليم بالمعنى المذكور مرتين فى آية واحدة هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥ .

يُسَلِّموا تسليمًا: ينقادوا ويُذعنوا لقضائك لا يعارضوه بشىء، مأخوذ من:

---

(١) اللسان (س ل م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف و ض) .

(٣) النهاية لابن الأثير، اللسان (و ك ل) .

سَلَّم لأمر اللَّه وأَسْلَمَ له، وحقيقته: سَلَّمَ نفسَه له وجعلها سالمة له خالصة[١] .

فالتسليم إذعان وانقياد تام، كأنَّ المرء يُسَلِّم نفسه خالصة للَّه ﷻ .

أمّا التَّفْويض فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ غافر .

أى: أَرُدُّ ما أَهَمَّنِى من أمرى إلى اللَّه فهو يجزى كل فاعلٍ بما فعل؛ وذلك لأنهم توعَّدُوه، فرجع أمرَه إلى اللَّه لينتصف منهم[٢] .

فالتَّفْويض إذن يتضمَّنُ وقوع ظلم ورغبة فى الانتصاف، فهو نوع من التسليم، ولكن فى أحوال بعينها .

وأما التَّوَكُّل فقد تكرر فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩ .

- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ٨١ .

- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ الطلاق: ٣ .

حقيقة التَّوَكُّل على الله: الاعتماد، وهو انفعالٌ قَلْبِىٌّ عَقْلِىٌّ يتوجَّه به الفاعلُ إلى اللَّه راجيًا الإعانة، ومستعيذًا من الخيبة والعوائق، وهو علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة اللَّه وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه[٣] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (تَسْليم - تَفْويض - تَوَكُّل) بينها تقارب دلالىٌّ؛ حيث تشترك فى معنى: ردّ الأمر إلى اللَّه ﷻ .**

---

(١) الكشاف ١/٥٣٨ .

(٢) الكشاف ٣/٣٤٠، التحرير والتنوير ٢٤/١٥٦، ١٥٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٤/١٥٣، ١٥٤ .

ويتميز كلٌّ بملامح فارقة:

- **فالتَّسْليم: إذعان تامٌّ ورضا بالحكم.**
- **والتَّفْويض: تسليم الأمر إلى الله، فى أحوال مخصوصة يكون فيها ظلم ووعيد واقعٌ على المفَوِّض.**
- **والتَّوَكُّل: فيه معنى الكفاية، وملاحظة عظمة اللَّه وقدرته، وعدم الاستغناء عنه قَطّ.**

****

❑ ١١/١٢ اسْتَمَعَ - أَنْصَتَ:

- الاستماع فى اللغة: إدراك الشىءِ بحاسَّة الأُذُن[١].
- والإنصات فى اللغة: السكوت لأجل الاستماع[٢].

ولهذا الفارق الدلالى بين الكلمتين عُطِفَ الاستماع على الإنصات فى قول اللَّه ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ الأعراف.

فالاستماع: إدراك بحاسة السمع، والإنصات: السكوت والإصغاء[٣].

ولا يُشترط فى الاستماع السكوت؛ لأن الإنسان قد يستمع وهو يتكلم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ الإسراء: ٤٧.

كانوا يستمعون إلى تلاوة النبى ﷺ وهم يَلْغون بالأشعار والكلام[٤].

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س م ع).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ن ص ت).

(٣) البحر المحيط ٤/ ٤٥٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٥٢.

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (اسْتَمَعَ - أَنْصَتَ) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى الإدراك بحاسة الأذن .

● ويتميَّز الاستماع بأنه أعمُّ من الإنصات؛ لأنه قد يصاحبه كلام وعدم اهتمام بما يُسْمَع .

● أما الملمح الفارق للإنصات فهو السكوت، ويصاحبه اهتمام بما يُسْمَع له .

******

حرف الشين (١٣)

١)	شِرْعة، مِنْهاج	٢)	شَهْوَة، لَذَّة، هَوًى .

١/١٣ شِرْعَة - مِنْهاج:

● الشِّرْعة فى اللغة: مَوْرِد الماء؛ لأن الناس يشرعونها فيشربون منها ويسقون دَوابَّهم، ثم استُعيرت للطريقة والعادة؛ لأن الناس يدخلون فيها[١] .

● والمِنْهاج فى اللغة: الطريق الواضح[٢] .

وقد اجتمع اللفظان معطوفين فى القرآن الكريم، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ المائدة: ٤٨ .

والعطف يوجب المغايرة بين المعطوفين، فلابد أن اللفظين (شِرْعة - مِنْهاج) وإن تقارب معناهما، مختلفان فى بعض الملامح الدلالية .

فالشِّرْعة: المَوْرِد، واستُعيرَ هنا للدين على التشبيهِ؛ لأن فى الدِّين رِيًّا معنويًّا وطهارة للداخلين فيه المتبعين له .

والمِنْهاج: الطريق الواسع الواضح، وهو هنا تخييل عن فَهْم الدين، شُبِّه فَهْمُ الدين والدلائل المتخَذة لذلك بالطريق الذى يوصِّل إلى الماء[٣] .

فالشِّرْعة إذن هى أحكام الدين وقواعده، والمِنْهاج: هو فَهْمُ الإنسان للدين وطريقة توصُّلِه إليه ودلائله على أحكامه .

---

(١) اللسان (ش ر ع) .

(٢) اللسان، مفردات الأصفهانى (ن هـ ج) .

(٣) التحرير والتنوير ٦/ ٢٢٣، تفسير الفخر الرازى١٢/ ١٣ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الشِّرْعة - المِنْهاج) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى معنى الطريق والطريقة .

● وتختلف الشِّرْعة فى كونها الأصل والمَوْرِد، والمِنْهاج الدلائل الدالَّة على ذلك المَوْرِد وكيفية التوصل إليها .

وهناك توجيه آخر للأصل الدلالى للكلمتين، وهو الدخول والابتداء فى الشىء .

● فيكون المراد بالشِّرْعة والمِنْهاج بيان التناقض الجذرىّ بين الفريقين، وأن هذا الاختلاف والتناقض يعود إلى لحظة البداية ، وهى لحظة اختيار الطريق والشروع فيه، وعُبِّر عن هذا المعنى بالشِّرْعة .

كما أن التناقض مستمرٌّ بين الفريقين فى التزام كل منهما طريقًا بعينه ومواصلته السير على هذا الطريق، وعُبِّرَ عن هذا المعنى بالمِنْهاج .

****

❑ ٢/١٣ الشَّهْوَة - اللَّذَّة - الهَوَى :

● الشَّهْوَة فى اللغة: الرغبة فى الشىء وحبُّه[١] .

● واللَّذَّة فى اللغة: طِيبُ الشىء وحُسْنُه[٢] .

● والهَوَى فى اللغة: محبةُ الإنسانِ الشىءَ وغلبته على قلبه[٣] . وخصَّه ابن فارس بالخُلُوِّ من الخير والسقوط بصاحبه فيما لا ينبغى[٤] .

---

(١) اللسان (ش هـ و) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ل ذ ذ) .

(٣) تهذيب اللغة، اللسان (هـ و ى) .

(٤) مقاييس اللغة (هـ و ى) .

هكذا لا تُسْعِفنا كتب اللغة بفروق دقيقة بين الألفاظ الثلاثة، فلنتأمل سياقاتها فى القرآن الكريم:

■ **الشَّهْوَة:**

ورد لفظ (الشَّهْوَة) ومشتقاته فى عدة مواضع من القرآن الكريم، وهى على ضربين: شَهْوَة محمودة، وهى التى أحلَّها اللَّه ﷻ، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٢ .
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ فصلت: ٣١ .
- ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ المرسلات .

فهذه شَهْوَة محمودة أعطاها اللَّه ﷻ لعباده المؤمنين فى الجنة .

والضرب الثانى شَهْوَة مذمومة وهى الشَّهْوَة الكاذبة ، أى التى يمكن الاستغناء عنها ولا يختلُّ البدن من دونها ، وهى المنهيُّ عنها كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مريم: ٥٩ .

والأصل فى الشَّهْوَة: نزوع النفس إلى ما تريده[١] ؛ وعلى ذلك تكون الشَّهْوَة نزوعًا نفسيًّا ورغبة فى الشىء، وهى تارة محمودة، وتارةً تكون مذمومة .

● **اللَّذَّة:**

ورد لفظ (اللَّذَّة) فى القرآن الكريم ثلاث مرات فى الآيات التالية:

- ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ الزخرف: ٧١ .
- ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الصافات .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ش هـ و) .

- ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ محمد: ١٥ .

فى آية الزخرف خُصَّت الشَّهْوَة بالأنفس، وخُصَّت اللَّذَّة بالأعين، وهذا حصر لأنواع النعم؛ لأنها: إمّا مشتهاة فى القلوب، وإمّا مستلذَّة فى العيون[١] .

ووصف الخمر بأنها (لذَّة للشَّاربين) فى الآيتين الأخريين، فيه دلالة على أن اللذة إحساس يظهر أثره فى البدن .

■ **الهَوَى:**

ورد لفظ (الهَوَى) ومشتقاته فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧ .

- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧ .

الهَوَى أساس الشهوة؛ لأنه يَهْوِى (أى يميل) بالنفس إلى الشهوات، وقيل: سُمِّى بذلك لأنه يَهْوِى بصاحبه فى الدنيا وفى الآخرة[٢] .

والفرق بين الهَوَى والشَّهْوَة أن الهَوَى مصدر الشَّهْوَة وأصلها، وأن الهَوَى يختص بالآراء والاعتقادات، بينما تختص الشَّهْوَة بالمستلذّات المحسوسة[٣] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الشَّهْوَة - اللَّذَّة - الهَوَى) بينها تقارب دلالىّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الحُبّ والرغبة ، ويختص كل منها بملمح دلالى يميِّزه:**

---

(١) الكشاف ٣/٤٩٦، ٤٩٧ .

(٢) مفردات الأصفهانى (هـ و ى) .

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردى، ص٣٨ .

● فالشَّهْوَة: تختص بالمحسوسات، ولكن لا يظهر أثر ذلك فى البدن، فهى الميل إلى اللَّذَّة وهو أمر نفسيٌّ لا بدنىّ، كما أن الشَّهْوَة تكون محمودة آنًا، ومذمومة آنًا آخر .

● واللَّذَّة: تختص بالمحسوسات التى تظهر آثارها فى البدن كلذَّة الطعم ولذَّة النظر وغيرها .

● والهَوَى: مصدر اللَّذَّة والشَّهْوَة؛ ولذلك يختص بالآراء والأفكار والاعتقادات، وهو مذموم دائمًا ؛ لأنه يَهْوِى بصاحبه .

******

حرف الصاد (١٤)

١)	صَبِيّ، غُلام، فَتًى، وَلَد	٢)	صَدَّ، صَدَفَ، أَعْرَضَ، تَوَلَّى
٣)	صَفْح، عَفْو، مَغْفِرَة	٤)	صُنْع، عَمَل
٥)	صَنَم، وَثَن	٦)	صِهْر، نَسَب

❑ ١/١٤ صَبِيّ - غُلام - فَتًى - وَلَد:

أصل مادة (ص ب و) فى اللغة: صِغَر السِّنِّ، والصَّبِيُّ يُطْلَق على الطِّفْل منذ ولادته إلى أن يُفْطَم[١] .

• وأصل مادة (غ ل م) فى اللغة: اهتياج الشَّهْوة، ومنه الغُلام للولَدِ الذى نَبَتَ شاربُه؛ لأنه حينئذٍ ينزع إلى شهوة النكاح[٢] .

• وأصل مادة (ف ت و) فى اللغة: الشباب وحداثة السِّنّ[٣].

• وأصل مادة (و ل د): النَّسْل، مأخوذ من الوِلادة[٤].

• وإذن فالغلام يُطْلَق على الشباب حين بلوغ سنِّ النكاح .

• أمّا الفتى فيُرادُ به الشباب وحداثة السن دون أن يتضمَّن ذلك معنى الشهوة .

• والولد يُراد به الإشارة إلى قرابة الدَّم .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص ب و) .

(٢) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (غ ل م) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ف ت و) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (و ل د) .

• والصبىُّ يُراد به الطفل الصغير .

وقد تكرر ذكر الألفاظ الأربعة فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، على النحو التالى:

• صَبِىّ:

وردت كلمة (صَبِىّ) فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ مريم .

- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ مريم .

الصَّبِىّ فى الآية الأولى: الطفل الصغير المميِّز، فقد رُوى عن ابن عباس فى حديث مرفوع أن المراد بقوله ﷻ: ﴿صَبِيًّا﴾ : ابن سبع سنين[(١)] .

وفى الآية الثانية: الطفل الصغير الذى لم يبلغ السِّنَّ التى يمكنه فيها الكلام، بقرينة لفظيَّة هى قوله ﷻ: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ ، وقرينة معنوية هى تعجُّبهم من مكالمة صبىٍّ، ولو بلغ سنَّ الكلام لما عجبوا من ذلك، وقرينة خارجية، وهى أن ذلك كان معجزة لسيدنا عيسى عليه السلام .

فالصَّبِىُّ فى الاستعمال القرآنى هو الطفل الذى لم يبلغ الحُلُم[(٢)] .

■ غُلام:

وردت كلمة (غُلام) فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، واستُعمل بمعنى الشاب الذى بلغ سِنَّ الشهوة أو كاد يبلغها، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ﴾ يوسف: ١٩ .

- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٧٧ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ص ب و) .

نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف .

- ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الكهف

قال أبو حيّان: يُطْلق لفظ الغُلام حقيقة على الولد ما بين الحَوْلَيْنِ إلى البلوغ[١] ، وهو الأليق والأنسب للمعنى اللغوى للكلمة، كما سبق شرحها، ويرجِّحه أيضًا قول اللَّه ﷻ بعد ذلك:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ يوسف: ٢٢ .

أى أنه حين التقطه السَّيَّارة من البئر لم يكن قد بلغ أشدَّه، وفُسِّر بلوغ الأشُدّ بعمر يتراوح بين ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة[٢]، فلابُدَّ أنه كان أقل من ذلك يومئذ .

وعلى هذا معنى الغُلام فى آية الكهف (٧٤)، فالغُلام الذى قتله الخضر عليه السلام لم يكن قد بلغ الحُلُم؛ ولذلك تعجَّب موسى عليه السلام من قتله، وسمّاه ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أى: طاهرة صغيرة لم تبلغ سِنَّ الحساب والجزاء[٣]، كما أن وصف الغُلامين باليتيمين فى آية الكهف رقم (٨٢) يوحى أيضًا بصغر سِنِّهما، وإلّا لم يصحَّ وصفهما باليتم .

والمعنى الثانى للغُلام فى القرآن الكريم هو الطفل الوليد، وقد تكرر فى البشارة بالولد، كما فى قول اللَّه ﷻ:

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٩٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٧٣٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٥ .

- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ مريم .

- ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾ الحجر .

فالغُلام هنا: الطفل الوليد، وقد عُبِّر بلفظ الغُلام فى مثل هذه السياقات بدلًا من (وليد، أو طفل، أو نحوهما)؛ بشارة بأنه سيعيش حتى يكبر ويبلغ مبلغ الغلام .

■ **فَتًى:**

وردت كلمة (فَتًى) ، ومثناها (فَتَيان)، وجمعها (فِتْية)، و(فِتْيان) فى القرآن الكريم ثمانى مرات، واستُعملت بمعنيين:

الأول: الشاب اليافع[1]، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الكهف: ١٠ .

- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ الكهف: ١٣ .

- ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ الأنبياء .

الثانى: العبد والخادم، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ يوسف: ٣٦ .

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾ الكهف .

- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ الكهف: ٦٢ .

---

(١) البحر المحيط ٦/١٠٢ .

فَتَيانِ: أى عبدان للملك[1] .

لِفَتاهُ: أى لعبده الذى رافقه فى سفره[2] .

وقد عُبِّر بلفظ (الفَتَى) عن العبد والخادم؛ لأنه لا يكون خادمًا حتى يبلغ سن الشباب حتى يستطيع خدمة مولاه . وقد نهى النبى ﷺ أن يقول المرء: عبدى وأمتى، وليقل: فتاى وفتاتى[3] .

فاستعمال الفتى فى هذا المعنى هو من باب الكناية باللفظ الحسن بدلًا من اللفظ غير المستحبِّ ذكره .

■ **وَلَد:**

كثُر ذكر كلمة (ولد) ومشتقاتها فى القرآن الكريم، ولكن فى جميع مواضعها جاءت بمعنى النَّسل، وفى سياق ذكر النَّسب والقرابة، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ آل عمران: ٤٧ .

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ

(١) الكشاف ٢/ ٣١٩ .

(٢) الكشاف ٢/ ٤٩٠ .

(٣) البخارى، كتاب العتق، رقم (٢٣٦٦)، مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم (٤١٧٧، ٤١٧٩) .

إن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ النساء: ١١، ١٢ .

- ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لقمان: ٣٣ .

فالمراد بالولد ليس تحديد السن، بل ذكر علاقة الدم والنسب .

• ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (صَبِيّ - غُلام - فَتًى - وَلَد) بينها تقارب دلاليٌّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى: حداثة السِّنّ .

ولكن حداثة السِّنّ تتدرَّج:

• فالصَّبِيّ: من لحظة الولادة إلى الفِطام .

• والغُلام: من عامين إلى سبعة عشر عامًا .

• والفَتى: الشاب الذى بلغ مبلغ الرجال .

• والوَلَد: يُطْلَق على الابن صغيرًا كان أو كبيرًا؛ إذْ كُلُّ مولودٍ وَلَدٌ، وذلك بالقياس إلى والديه . ولا يُراد به فى القرآن تحديد السنِّ، بل علاقة القرابة والنسب .

******

❑ ٢/١٤ صَدَّ - صَدَفَ - أَعْرَضَ - تَوَلَّى:

لم يُفرِّق اللغويون بين هذه الألفاظ وعَدُّوها مترادفة، فنجد:

• فى مادة (ص د د): الصَدُّ: الإعراض والعدول، يقال: صَدَّ يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا وصُدودًا، أى أعرض ومال . وصَدَدْتُ فلانًا عن الأمر: منعتُه وصرفتُه عنه[١] .

• وفى مادة (ص د ف): الصُّدوف: الميل والعدول والإعراض[٢] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص د د) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص د ف) .

• وفى مادة (ع ر ض): أَعْرَضَ عن الشىء: تَوَلَّى عنه وأَوْلاه عُرْضَه، أى جانِبَه، أو أَوْلاه ظهرَه، ونَأى عنه بعارضته أى بوجهه[١] .

• وفى مادة (و ل ى): تَوَلَّى عن الشىءِ: أعرض وانصرف[٢] .

هكذا لم تبيِّن المعاجم اللغوية أىَّ فروق دلالية بين الألفاظ الأربعة، فلنتأمل سياقاتها فى القرآن الحكيم:

■ صَدَّ:

وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهدها:

- ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ النساء: ٥٥ .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ النساء .

- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ محمد .

(صدَّ) فى الآية الأولى بمعنى: انصرف وامتنع .

وفى الآيتين الأخريين بمعنى: صرفوا غيرهم ومنعوهم[٣] .

وإذن فالصَّدُّ له معنيان: الامتناع، والمَنْع.

■ صَدَفَ:

تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم أربع مرات فى سورة الأنعام، وذلك فى الآيتين التاليتين:

- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ٤٦ .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع ر ض) .

(٢) اللسان (و ل ى) .

(٣) مفردات الأصفهانى (صد) .

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ١٥٧ .

الصَّدْف والصُّدوف: الإعراض والنفور بعد ظهور الآيات[١]، وأصل الصَّدْف كما قال الراغب الأصفهانىّ يدلُّ على الميْل والصلابة، فالصَّدَف: ميل فى أرجل الخيل والإبل، والصَّدَف: الجبل[٢]، وعلى ذلك فالصُّدوف إعراض شديد فيه نفور؛ لغلظة فى الطبع تَصْرِفهم وتميل بهم عن الحقِّ بعد ظهوره، فلا يستجيبون له .

■ أَعْرَضَ:

تكرر الإعراض فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ﴾ النساء: ١٦ .
- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الكهف: ٥٧ .

الإعراض فى آية النساء: الكَفُّ والترك[٣] .

وفى الآيتين الأخريين: التباعد، وأصل الإعراض: أن يُولِيه عُرْضَ وجهه[٤]، فيكون الشىء خلف ظهره، والمراد: الانصراف والتباعد ؛ وعلى ذلك يكون الإعراض أَدْنَى وأخفَّ من الصَّدِّ والصُّدود، ولذلك استُعمل فى ترك الأذى والكف عنه .

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨، البحر المحيط ٤/ ١١٦ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ص د ف) .

(٣) البحر المحيط ٣/ ١٩٧ .

(٤) الكشاف ٢/ ٤٦٤ .

▪ تَوَلَّى:

كثر ورود هذه المادة فى القرآن الكريم، وتعدَّدت معانيها، وما يعنينا هنا هو التولِّى بمعنى الانصراف والتباعد، وشواهده كثيرة منها:

- ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ آل عمران: ٢٣ .
- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾ الأعراف: ٧٩ .
- ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ القيامة .

قال الراغب الأصفهانى: التولِّى يكون إعراضًا عن الشىء بالجسم، ويكون بترك الإصغاء والائتمار[١] .

وقوله ﷻ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ فى سورة الأعراف معناه: ذهب وتركهم إنكارًا لإصرارهم على الكفر[٢]، فهو انصراف بالجسد . وفى الآيتين الأخريين بالمعنى المادىِّ والمعنوى معًا، فهو انصراف وتباعد بالجسم، وانصراف معنوى بترك الإصغاء والائتمار .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (صَدَّ - صَدَفَ - أَعْرَضَ - تَوَلَّى) بينها تقارب دلالىّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى عام هو البعد والترك . ويختص كل منها بملمح دلالىّ يميزه عن غيره:

● فالصّدُّ: يتميَّز بدلالته على صرف الغير ومنعه .

● والصَّدَف (أو الصّدوف): يتميَّز بملمح الشدة والنفور .

● والإِعْراض: قد لا يكون فى الشرِّ، فقد يكون المُعْرِض تاركًا للشرِّ ومجانبًا له .

---

(١) مفردات الأصفهانى (و ل ى) .

(٢) الكشاف ٢/ ٩٢ .

• **والتولِّى: كالإعراض، إلّا أن فيه ملمح التباعُد، فهو أشدُّ من الإعراض .**

****

❑ ٣/١٤ الصَّفْح - العَفْو - المَغْفِرَة:

• الصَّفْح فى اللغة: ترك العقاب على الذنب وترك اللوم والمؤاخذة عليه، مأخوذ من صفحة الوجه، كأنه أعرض بوجهه منصرفًا عن ذنبه غير ملتفت إليه[١]، أو كأنه أَوْلاهُ صفحة جميلة من وجهه معرضًا عن ذنبه[٢] .

• والعَفْو فى اللغة: التجاوز عن الذنب مع ترك العقاب عليه، مأخوذ من العَفْو بمعنى الفضل، يقال: عَفَوْتُ لفلانٍ بمالى، إذا أفضلت عليه فأعطيته[٣] .

• والمَغْفِرَة فى اللغة: التجاوز عن الذنب وستره، مأخوذ من الغَفْر، أى التغطية والسَّتْر .

هكذا تبدو الكلمات الثلاث متقاربة الدلالة إلى حدٍّ بعيد، وبتأمُّل السياقات التى وردت فيها هذه الكلمات الثلاث فى القرآن الكريم، نجد أن (الصَّفْح) أخصُّها، فالصَّفْح عفوٌ وسترٌ مع ترك المؤاخذة على الذنب، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥ .

أى: فأَعْرِضْ عنهم واحتمل ما تَلْقَى منهم إعراضًا جميلًا بحِلْمٍ وإغضاء[٤] .

وفى مواضع عدَّةٍ من القرآن الكريم جاء ذكر الصَّفْح بعد العَفْو، ومن ذلك

---

(١) اللسان (ص ف ح) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ص ف ح) .

(٣) اللسان (ع ف ا) .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٧ .

قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٠٩ .

- ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ١٣ .

فالصَّفْح أبلغ من العَفْو؛ لأن الإنسان قد يعفو ولا يصفح، والعَفْو: ترك عقوبة الذنب، أمّا الصَّفْح فهو ترك اللوم والمؤاخذة على الذنب[١] .

وأمَّا المَغْفِرَة فمن شواهدها فى القرآن الكريم قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ﴾ البقرة: ٥٨ .

وقد اقترنت الكلمات الثلاثة فى آية واحدة هى قول اللّه ﷻ:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ التغابن .

■ فالعَفْو: ترك العقاب على الذنب، ولكن قد يصحبه لومٌ وتوبيخ، ودون ستر للذنب .

■ والصَّفْح: ترك العقاب، وترك اللوم والتوبيخ .

■ والمَغْفِرَة: سَتْر الذنب وعدم إشاعته مع إسقاط العقوبة[٢] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لهذه الكلمات يُظهر اشتراكها فى معنى: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه .**

● **والملمح الدلالىّ الذى يميِّز كلمة (الصَّفْح) هو: ترك اللوم والمؤاخذة .**

● **فى حين أن الملمح الدلالىّ المميِّز لكلمة (العَفْو) أنه قد يصحبه لوم ومؤاخذة .**

---

(١) مفردات الأصفهانى (ص ف ح) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٨٥ .

● **بينما الملمح الدلالى المميِّز للمغفرة هو: سَتْر الذنب وعدم إشاعته .**

******

❑ ٤/١٤ صُنْع - عَمَل:

● الصُّنْع فى اللغة: عمل شىء بمهارة وحذق وإجادة[١] . ويقال: صَنَع فلانٌ جاريته - إذا ربّاها وغَذّاها[٢]، ولا يجوز نسبة الصُّنْع إلى الجماد أو غير العاقل[٣] .

● والعَمَل فى اللغة: كل فعلٍ مقصود، فهو أخصُّ من الفعل؛ لأن الفعل قد يقع بغير قصد[٤] .

ولم يفرِّق ابن فارس ولا ابن منظور بين العمل والفعل .

● وعلى هذا يمكن القول : إن الصُّنْعَ فى اللغة أخصُّ من العمل؛ لأنه عمل فيه تجويد وحذق ومهارة، كما أنَّ كليهما أخصُّ من الفعل .

وقد تكرَّر ذكر مادة (ص ن ع) فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود: ٣٧ .

- ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ طه .

- ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨ .

وسياقات الآيات الكريمة التى وردت فيها مادة (ص ن ع) جميعها تشير

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (ص ن ع) .

(٢) اللسان (ص ن ع) .

(٣) عمدة الحُفّاظ (ص ن ع) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ع م ل) .

إلى معنى الدقة والإحسان والإتقان، قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الصُّنْعُ يُطْلَق على العمل المتقَن في الخير أو الشر، قال ﷺ: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ﴾ . ووصف اللَّه بـ ﴿ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ النمل: ٨٨، تعميمٌ قُصِدَ به التذييل، أي: ما هذا الصُّنْعُ العجيب إلّا مماثلًا لأمثاله من الصنائع الإلهيَّة الدقيقة الصُّنْع، وهذا يقتضي أن تسيير الجبال نظام متقن . . . "(١) .

وأمّا مادة (ع م ل) فقد تكررت كثيرًا في القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ البقرة .

- ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ آل عمران .

- ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ سبأ .

• ونخلُص مما سبق إلى أن العمل عام يشمل: الخير والشرَّ ، وأنه قد لا يحتاج إلى الإتقان والمهارة، وكل ما هناك أن العمل فعلٌ مقصود من فاعله كما نقلنا عن الراغب .

• أمّا آية (سبأ) فيما يتعلق بالجن، فقد جاءت كلمة ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بدلًا من (يصنعون) على الرغم مما تحتاج إليه هذه الأشياء من مهارة وإحكام وإتقان؛ لبيان أن هذا شيءٌ سهلٌ على الجن فهم (يعملونه) بيُسر وبساطة، كما تُعْمَل

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/٥١ .

الأشياء التى لا تحتاج إلى إحكام ومهارة وإتقان، ولعل المراد بيان أنهم ممتهنون بالعَمَل، فهم يقومون بهذه العجائب على وجه التسخير والامتهان، لا لأنهم صَنَعةٌ مهرة، والله أعلم بمراده .

• **أما الصُّنْع فيتميز بالمهارة والإتقان سواء أكان خيرًا أم شَرًّا .**

******

❑ ٥/١٤ الصَّنَم - الوَثَن:

• الصَّنَم فى اللغة: ما نُحِتَ من خشب أو فِضَّة أو نحاس وله صورة آدمىٍّ أو غيره، ليُتَّخذ معبودًا من دون الله[١] .

• والوَثَنُ فى اللغة: حجارة كانت تُعْبَد من دون الله[٢] .

وجرى المُفَسِّرون على هذه التفرقة بينهما، فالصَّنَم لابُدَّ أن يكون له صورة، وهو خاص بما نُحِتَ من خشب أو فضة أو نحاس ، أما الوَثَن فليس له صورة، فقد يكون حجرًا لم يُنْحَتْ ليتخذ شكلًا أو صورة معينة، كما لا يُشتَرط أن يكون من الخشب أو الفضة أو النحاس .

وقد تكرر ذكر الأصنام فى القرآن الكريم خمس مرات فى الآيات التالية:

- ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ الأنعام .

- ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ الأعراف: ١٣٨ .

- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥ .

- ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الأنبياء .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص ن م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (و ث ن) .

- ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ الشعراء .

السياقات التى وردت فيها كلمة الأصنام فى هذه الآيات الكريمة - تشير إلى أنها شىءٌ مصنوع مبالغ فى نَحْتِه ونقشه وتصويره، ففى آية الأنعام نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام يَنْعى على أبيه أن "يَتَّخذ" أصنامًا آلهة، ولفظة (اتَّخَذَ) بصيغتها الصرفية ومعناها المعجمى تدلُّ على التكلُّف وبذل الجُهد، فهى إذن أصنام مصنوعة منحوتة مصوَّرة فى هيئة وشكل .

ومثل ذلك آية الأعراف؛ بدليل أن قوم موسى اتخذوا من بعده من حُلِيِّهم عجلًا جسدًا له خُوار ، فهم صنعوا هذا العجل ليكون صنمًا يعبدونه كتلك الأصنام التى رأوا هؤلاء القوم يعبدونها، وكانت تماثيل بقر[1] .

والآيات الثلاثة الأخرى جاءت الأصنام فى آيتين منها على لسان إبراهيم عليه السلام، والثالثة على لسان قومه فى آية الشعراء، وهى الأصنام التى كانوا ينحتونها، وذكرها إبراهيم عليه السلام فى معرض معاتبة أبيه لاتخاذه آلهة من دون اللَّه .

وأمّا الأوثان فقد ذُكرت فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ الحج: ٣٠ .

- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ العنكبوت: ١٧ .

- ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ العنكبوت .

قال أبو حيان:

---

(١) الكشاف ٢/ ١١٠ .

قد يُتَصَوَّر استعمالُ الوَثَن فى بناء وغير ذلك ممّا لم يجرِّمه الشرع، ولكن عبادة الوَثَن هى المأمور باجتنابه[(١)] .

وقد بنى أبو حيان تفسيره هذا على اعتقاد جازم بأن الوَثَن هو الحجر غير المنحوت على صورة معينة .

وهذه التفرقة بين الصَّنَم والوَثَن هى المعتمدة عند كثير من المفسِّرين وعلماء اللغة وغريب الألفاظ، منهم ابن عرفة، والراغب الأصفهانى، والجصّاص، والشافعى وغيرهم[(٢)] .

• **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الصَّنَم - الوَثَن) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث إنهما يشتركان فى عدة ملامح دلالية هى:**

• **أن كليهما جسم مادِىّ .**

• **وأنه يُتَّخذ إلهًا معبودًا من دون الله .**

ويختلفان فى بعض الملامح الفارقة، حيث إن الصَّنَم:

• **لابُدَّ أن يكون مُصَوَّرًا منحوتًا .**

• **ولابُدَّ أن يُصنع من خشب أو نحاس أو فضة أو ذهب .**

• **أما الوَثَن فهو مجرد حجر لا صورة له ولا نقش .**

******

❑ ٦/١٤ صِهْر - نَسَب:

• الصِّهْر فى اللغة: أهل بيت المرأة، ومن العرب مَنْ يستخدم لفظ (الصِّهْر)

---

(١) البحر المحيط ٦/٣٦٦ .

(٢) انظر: مفردات الأصفهانى، عمدة الحُفّاظ (ص ن م، و ث ن) .

للدلالة على أهل بيت المرأة وهم الأَخْتان، وأهل بيت الرَّجُل وهم الأَحْماء[(١)] .

• والنَّسَبُ فى اللغة: القرابة التى يُنْسَب إليها[(٢)] .

وقد ورد اللفظان معطوفين فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان: ٥٤ .

فالمراد بالصِّهْر: ما يَحِلُّ التزوُّج به من القرابة وغيرها .

والمراد بالنَّسَب: ما لا يَحِلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .

قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما[(٣)]: حرَّم اللَّه سبعًا من النَّسب، وخمسًا من الصِّهْر، فالسبع المحرَّمة من النَّسَب فى قوله ﷻ:

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ النساء: ٢٣ .

والخمس التى من الصِّهْر فى قوله ﷻ:

- ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

النساء .

وبذلك يكون القرآن الكريم قد انتقل بدلالة اللفظين من المعنى اللغوى إلى دلالة اصطلاحية خاصة .

---

(١) تهذيب اللغة، اللسان (ص هـ ر) .

(٢) تهذيب اللغة، اللسان (ن س ب) .

(٣) راجع تفسير الآية فى: تفسير ابن عباس، ابن كثير، البغوى، البحر المحيط، الرازى، النسفى، أبى السعود، الألوسى، التحرير والتنوير .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (صِهْر - نَسَب) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى معنى: القرابة .

ويتميز كلٌّ منهما بملمح دلالىٍّ خاص جاء من الاستعمال الاصطلاحى لهما، وهو:

● دلالة الصِّهْر على: ما يحلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .

● ودلالة النَّسَب على: ما لا يحلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .

******

حرف الضاد (١٥)

١)	أَضْغاث ، أَمْشاج	٢)	الضَّلال، الغَيّ .

❑ ١/١٥ أَضْغاث - أَمْشاج:

• الأَضْغاث فى اللغة: جمع ضِغْث، وهو كل شىءٍ مختلط ملتبس بعضه ببعض، وأَضْغاث الأحلام: المختلطة التى لا يَصِحُّ تأويلها[١] .

• والأَمْشاج فى اللغة: جمع مَشْج ومَشِجٍ ومَشيجٍ، وهى الأشياء المختلطة من أنواع مختلفة، وسُمِّيت النُّطْفَة بالأمشاج لأنها ممتزجة من ماء الرجل وماء المرأة[٢] .

وقد وردت كلمة (أَضْغاث) فى القرآن الكريم ثلاث مرات: مرة بصيغة المفرد فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ ص: ٤٤ .

أى قبضة أو حزمة صغيرة من حشيش أو ريحانٍ أو غير ذلك من عيدان الشجر[٣] ، وقد عُبِّر بالمفرد هنا للتقليل .

ومرتين الكلمة بصيغة الجمع ، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يوسف .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ض غ ث) .

(٢) اللسان (م ش ج) .

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧٧، مفردات الأصفهانى (ض غ ث)، العمدة فى غريب القرآن، ص٢٦٠ .

- ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ الأنبياء .

عُبِّر فى الآيتين بلفظ (الأَضْغاث) عن الأحلام المختلطة الملتبسة التى لا يصح تأويلها ولا يمكن تبيُّن حقائقها، كأنها حِزَم أخلاط ملتبس بعضها ببعض[١] .

أما كلمة (أَمْشاج) فقد وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان .

عَبَّرت الآية الكريمة بلفظ (أَمْشاج) الدالِّ على الاختلاط، ولكن لكل شىء من هذه الأخلاط حقيقة، كما أن اللفظ يحتمل معنى: الألوان والأطوار المختلفة من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك[٢]، أوْ هِىَ عبارة عمّا جعله اللّه ﷻ بالنطفة من القُوَى المختلفة المشار إليها بقول اللّه ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ المؤمنون .

فالأَمْشاج - إذن - أخلاط متمايزة مختلفة، وقد آثر القرآن الكريم هذه الكلمة فى وصف مراحل وأطوار خلْق الإنسان؛ لتمايز هذه الأطوار واختلافها وإنْ كانت مختلطة، فهو اختلاط ليس فيه التباس، بل لكل شىء دوره وترتيبه[٣] .

بينما آثر القرآن الكريم لفظ (الأَضْغاث) فى وصف الأحلام المختلطة المتداخلة التى لا يمكن تبيُّنها، فلفظ الأَضْغاث فيه اختلاط شديد وليس فيه

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٤، مفردات الأصفهانى (ض غ ث) .

(٢) انظر: الكشاف ٤/ ١٩٤، البحر المحيط ٨/ ٣٩٣ .

(٣) مفردات الأصفهانى (م ش ج) .

تمايز للأشياء المختلطة، وهذا الوصف أدقُّ وصف لاختلاط الأحلام بحيث لا تبين ملامحها ولا يمكن تأويلها، أو لا حقيقة لها .

• **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (أَضْغاث - أَمْشاج) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى ملمح الاختلاط .**

والملامح الدلالية المميِّزة للأَضْغاث هى:

• **الالتباس والتداخل .** • **عدم الوضوح .**

• **مناقضة الحقائق .**

بينما الملامح الدلالية المميِّزة لكلمة (أَمْشاج) هى:

• **الاختلاف والتنوع .** • **الدلالة على المرحليَّة .**

• **أشياء لها حقائق .**

****

❑ ٢/١٥ الضَّلال - الغَيّ:

• الضَّلال فى اللغة: ضياع الشىء وذهابه فى غير حقِّه، وكل جائر عن القصد ضالّ[١] .

• والغَيُّ فى اللغة: الانهماك فى الباطل، يقال: غوَى يَغْوِى غَيًّا، قال المرقّش الأصغر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أمرَهُ ... ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ علَى الغَيِّ لائِما[٢]

وهو مشتقٌّ من الغياية، وهى الغُبْرة والظلمة، كأنَّ ذا الغَيِّ قد غشيه ما لا

---

(١) مقاييس اللغة، الصحاح، النهاية، اللسان (ض ل ل) .

(٢) أنشده ابن فارس، وهو فى المفضليات ٢/ ٤٧ .

يرى معه سبيل حق[١] .

فالضَّلال : ذَهابٌ عن الحقِّ ومَيْلٌ عن سبيله، أمّا الغَيُّ فأشدُّ من ذلك؛ لأنه انهماك فى الباطل وكأن صاحبه قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حق .

ولذلك استُعْمِلَ الضَّلال فى القرآن لكلِّ عدول عن المنهج عمدًا كان أو سَهْوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فمن هنا عُبِّر به عن كل من يكون منه خطأ؛ ولذلك نُسِبَ الضَّلال إلى الأنبياء (صلوات اللَّه وسلامه عليهم)، وإلى الكُفّار، وإن كانَ بين الضلالين بون بعيد . فقال فى حق النبى محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ الضحى، أى: غير مُهْتَدٍ لِما سبق من النبوَّة، وقال فى حق يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ يوسف، وقال أولاده: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف: ٨ ، إشارة إلى شغفه بيوسف عليه السلام وشوقه إليه ، وقال فى حق موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ الشعراء، تنبيهًا على أن ذلك سهو منه ، واستُعمل فى النسيان الموضوع عن الإنسان ذنبه، فى قوله ﷻ: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ البقرة: ٢٨٢ ، وأمّا الضَّلال الذى هو نقيض الاهتداء، والجور عن الحق، ففى نحو قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٣٦، وهو الضلال فى معرفة اللَّه ﷻ ووحدانيته والنبوّات، وغير ذلك من أركان الإيمان، وعن معرفة الأحكام الشرعية والعبادات[٢] .

كما استُعْمِلَ الضَّلال فى القرآن بمعانٍ أخرى، منها:

■ الغياب[٣]، فى نحو قوله ﷻ:

---

(١) مقاييس اللغة (غ و ى) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ض ل ل) .

(٣) الكشاف ٢/ ١١ .

- ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ٢٤، الأعراف: ٥٣، يونس: ٣٠، هود: ٢١، النحل: ٨٧، القصص: ٧٥ .

- ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام: ٩٤ .

■ البطلان والضياع[١]، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ الكهف .

■ الذهاب فى الأرض والاختلاط بترابها[٢]، وهو كناية عن الموت، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ السجدة: ١٠ .

■ الخطأ، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ طه .

لا يَضِلّ: لا يُخْطِئ ﷻ[٣].

فالضَّلال - إذن - بكل درجاته يشمله معنى: عدم الاهتداء، والبعد عن الطريق المستقيم فى كل شىء، ويكون عن جهل، فالضالُّ يسلك طريق الباطل ويترك الحق عن غير علم[٤] .

وأما الغَيّ فهو مجانبة الحق والانهماك فى الباطل مع العلم بذلك[٥]، وليس عن جهل، أو عن اعتقاد فاسد[٦]، فهو أشَدُّ من الضلال .

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٠، البحر المحيط ٦/ ١٦٧ .

(٢) الكشاف ٣/ ٢٤٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٦٤ .

(٥) ابن كثير ٤/ ٢٦٤ .

(٦) مفردات الأصفهانى (غ و ى) .

وقد ورد الغَىُّ فى القرآن بعدَّة معانٍ:

■ الكفر، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

فالغَىُّ هنا: الكفر بعد ما استبانت الأدلَّة الهادية إلى الإيمان[١]، وهو عدول مقصود، وميل عن الحق مع العلم به .

■ الشَّرّ، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ مريم .

الغَىّ: كلُّ شَرٍّ، ومنه الخسران والهلاك والعذاب، وبكلٍّ فُسِّر (غيًّا) فى الآية[٢]، واستشهد الزمخشرى على أن الغىَّ معناه عند العرب: كل شرٍّ، ببيت المرقّش المذكور فى أول هذا المبحث .

وعلى ذلك فالغَىُّ اسم جامع للشرِّ، والانهماك فى الباطل، والبعد عن الخير والحقِّ، مع العلم بذلك، ففيه قصديَّة دائمًا .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الضَّلال - الغَىّ) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى عامٍّ هو مجانبة الحق .**

● **ويختص الغَىُّ بملامح فارقة تميِّزه عن الضَّلال، وهى:**

الشدَّة، والانهماك فى فعل الشر، والبعد عن الحق، والعلم بذلك، وفساد الاعتقاد .

● **أما الضَّلال فقد لا يكون عن علم ولا عن قصد، وهو يتراوح فى درجات**

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٧، البحر المحيط ٢/ ٢٨٢ .

(٢) الكشاف ٢/ ٥١٤، البحر المحيط ٦/ ٢٠١ .

الشدة ؛ ولذلك يحمل معانى متعددة حسب السياقات، وهى:

السهو، الخطأ، النسيان، الذهاب، الغياب، البطلان، الضياع، الجَوْر عن الحق عن جهل .

****

حرف الطاء (١٦)

١)	طائفة، فرقة		

❑ ١/١٦ طائفة - فِرْقة:

لم تفرِّق المعاجم بين الفِرْقة والطائفة؛ حيث ذكرت أن:

- الطائفة: الجماعة من الناس[١].
- الفِرْقة: الطائفة من الناس[٢].

إلَّا أن الاستعمال القرآني يفرِّق بينهما، كما يتضح من قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢.

قال الزمخشري: الفِرْقة: الجماعة الكثيرة، والطائفة: الجماعة القليلة[٣].

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظي (طائفة - فرقة) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان في الدلالة على العدد، والفارق الدلالي بين الكلمتين هو كثرة العدد في الفِرْقة، وقلَّته في الطائفة. والقرآن الحكيم لم يُهْدِر هذا الملمح الدلاليّ المميِّز في استعمال الكلمتين.**

****

(١) اللسان (ط و ف).

(٢) اللسان (ف ر ق).

(٣) الكشاف ٢/٢٢١.

حرف العين (١٨)

١)	عَبْد، مَمْلوك	٢)	أَعَدَّ، أَعْتَدَ
٣)	عَدْل، قِسْط	٤)	عَذاب، عِقاب
٥)	مَعْرِفة، عِلْم، يَقين	٦)	عَقْد، عَهْد، ميثاق
٧)	علم اليقين، عين اليقين، حَقّ اليقين	٨)	العَمَه، العَمَى

❑ ١/١٨ عَبْد - مَمْلوك:

العَبْد والمَمْلوك فى اللغة سواء، جاء فى المعاجم:

• العَبْد: المَمْلوك، خلاف الحُرّ[١] .

ولكن الاستعمال القرآنى فرَّق بين اللفظين، كما يتضح ذلك من وصف العبد بالمَمْلوك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ النحل .

والصفة خلاف الموصوف، وإلّا كانت لغوًا، فكلمة (مَمْلوكًا) هنا أضافت معنى جديدًا ، وهو أنه غير حُرٌ ولا قادر على التصرف[٢]؛ وذلك لأن اسم العبد يدل على الإنسان عمومًا، فكل إنسان عَبْدٌ للَّه ﷻ، ولكن جاء الوصف (مَمْلوكًا) هنا إيضاحًا وتفسيرًا لهذا العَبْد المقصود، وهو المَمْلوك

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع ب د) .

(٢) انظر: الكشاف ٢/ ٤٢٠ .

العاجز عن التصرف، وكأنه جماد مُسخَّرٌ لا إرادة له ولا قدرة .

أما العبودية للّه ﷻ فهى غير ذلك، ولقد شرَّف اللّه ﷻ عباده بنسبتهم إليه ﷻ، كما فى الآيات التالية:

- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣ .

- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ الإسراء .

- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ الكهف .

العبودية هنا تكريم وتشريف ورفع لقدرة الإنسان، على عكس العبد (المملوك) العاجز مسلوب الإرادة .

فوصف العبد بالمملوك فى آية النحل رقم (٧٥) أُرِيدَ به إبراز المفارقة بين لونين من العبودية: عبوديَّة الإنسان للإنسان، وبها يصير العبد (شيئًا) من الأشياء، كالجمادات . . وعبودية الإنسان للّه ﷻ، وبها يبلغ الإنسان أرفع درجات الكمال البشريّ، وهو ما أشار إليه النبيُّ ﷺ حين خُيِّر بين أن يكون مَلِكًا نبيًّا، أو يكون عبدًا نبيًّا، فأشار عليه جبريل عليه السلام أن يختار العبودية فقال ﷺ: "بل أكون عبدًا نبيًّا"[1] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (عَبْد - مَمْلوك) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث يشتركان فى معنى الذل والخضوع، ولكن شتّان بينهما، فالعبودية تتضمن نوعين:**

- **عبودية الإنسان للّه ﷻ، وبها يسمو ويعلو قَدْرُه .**

- **وعبوديَّة الإنسان للإنسان، وبها ينحطُّ إلى درجة الجمادات .**

---

(١) فتح البارى، شرح الحافظ ابن حجر العسقلانى للحديث رقم (٤٩٧٩)، تحفة الأحوذى، شرح الحديث رقم (١٧٥٣) .

● أمّا (المَمْلوك) فيقتصر على معنى واحد هو العبوديَّة للبشر، وهو كالجمادات لا قدرة له ولا إرادة .

****

❑ ٢/١٨ أَعَدَّ - أَعْتَدَ:

● كلا الفعلين فى اللغة بمعنى: هَيَّأ . وقيل إن التاء فى (أَعْتَدَ) مبدلة من الدال، فيقال: أَعْتَدْتُ، بدلًا من: أَعْدَدْتُ[١] .

وذكر ابن فارس (أَعْتَدَ) فى مادة (ع ت د)، بينما ذكر (أَعَدَّ) فى مادة (ع د د)، قال فى الموضع الأول: العُدَّة: ما أُعِدَّ لأمرٍ يحدث، يقال: أَعْدَدْتُ الشىءَ أُعِدُّه إعدادًا[٢] .

وقال فى الموضع الثانى: العين والتاء والدالُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حضور وقرب . قال الخليل: تقول: عَتُدَ الشىءُ، فهو عتيدٌ حاضرٌ . وقد أَعْتَدْناه وهيَّأناه لأمرٍ إنْ حَزَبَ[٣] .

وورود اللفظين فى القرآن الكريم شاهدٌ على اختلافهما، وإن كان ذلك الاختلاف شيئًا يسيرًا، فقد تكرَّر ذلك الفعل (أَعْتَدَ) فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة، ومن شواهده:

- ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ النساء .

---

(١) اللسان (ع ت د) .

(٢) مقاييس اللغة (ع د د) .

(٣) مقاييس اللغة (ع ت د) .

- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ يوسف: ٣١ .
- ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الأحزاب .

ولو كانت التاء مُبْدَلة من الدال فى (أَعْتَدَ) المسند إلى (نا) الفاعلين طلبًا للخفَّة، لَما كان ذلك جائزًا فى (وأَعْتَدَتْ) فى آية يوسف، فإن الإدغام هو المعتمَد فى هذه الحالة، فيقال: وأَعَدَّتْ لهن مُتَّكئًا .

فلابدَّ أن هناك سرًّا فى عدول القرآن الكريم عن (أَعَدَّ) إلى (أَعْتَدَ)، وقد أشار الراغب الأصفهانى إلى ذلك حين جعل (أَعْتَدَ) من العَتاد[١]، وهو ما رجَّحَه الأزهرىُّ أيضًا[٢] .

ويلاحظ فى السياقات القرآنية لهذا الفعل أن أكثر وروده مع النار والعذاب (١٢) مرة ، ومرةً واحدة مع المُتَّكَأ فى سورة يوسف، وأخرى مع الرزق الكريم فى آية الأحزاب .

وسياقات الفعل (أَعَدَّ) جاءت فى ذكر الجنة، والنار، والأجر، والمغفرة، والعُدَّة، وآلة الحرب، ومن شواهده:

- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ البقرة .
- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ آل عمران .
- ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠ .
- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ التوبة: ٤٦ .
- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ التوبة: ٨٩ .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ع ت د) .

(٢) تهذيب اللغة (ع ت د) .

- ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الأحزاب .

• ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (أَعَدَّ - أَعْتَدَ) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى معنى التهيئة .

• ويختص (أَعَدَّ) بتعدُّد معانيه، مما يشير إلى اتِّساع المدى الدلالى له؛ حيث يرد مع الجنة، والنار، والرزق، والأجر، والمغفرة، والعُدَّة، وآلة الحرب .

• بينما اقتصر استعمال (أَعْتَدَ) فى القرآن الكريم على النار والعذاب فى أكثر المواضع (١٤) مرة وندر استعماله مع الرزق (مرة واحدة)، ومع المجلس أو المُتَّكأ (مرة واحدة) أيضًا .

وهذا يعنى أن (أَعْتَدَ) أخصُّ من (أَعَدَّ) .

******

❑ ٣/١٨ العَدْل - القِسْط:

• العَدْل فى اللغة: الاستواء والاستقامة، يقال: عَدَلْتُه حتَّى اعْتَدَلَ، أى: أَقَمْتُهُ حتَّى استقام واستوى .

• والعَدْل: قيمة الشيء . . والعَدْل: نقيض الجَوْر، وكل هذا من المعادَلة، وهى الاستواء . ومن معانى العَدْل أيضًا: الاعوجاج والانحراف[١] .

فالعَدْل من ألفاظ الأضداد .

• والقِسْطُ فى اللغة أيضًا يُستعمل بمعنيين متضادَّين: العَدْل والجَوْر، ومن معانيه أيضًا: الميزان، والنصيب[٢] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع د ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ق س ط) .

هكذا نرى أن الكلمتين (عَدْل - قِسْط) فى اللغة بينهما ترادف شبه تامٌّ .

وقد تكرَّر ذكر العَدْل فى القرآن الكريم، والمعنى الجامع لدلالاته المتنوعة فى السياقات القرآنية هو معنى المُعادَلة، أى المساواة، كما فى الآيات التالية:

- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ البقرة .

فالعدل هنا: الفِدية؛ لأنها مُعادِلة (أى مساوية) للَمفْدِىّ[١] .

ومثل ذلك العدل فى قوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ النحل: ٩٠ .

فالعَدْل: المماثلة والمساواة وأن يُقابَل الشىء بمثله إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ . والإحسان: أن يُقابَلَ الخير بأكثر منه والشرُّ بأقَلَّ منه[٢] .

وقد يُعَبَّر بالعدل عن الجَوْر والانحراف عن الحق، نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ الأنعام .

أى: ينحرفون ويميلون عن الحق والإنصاف . وكلمة (يَعْدِلون) هنا تحتمل معنى التسوية، أى يجعل للَّه ندًّا يُسَوُّونه به، تعالى اللَّه عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ، كما تحتمل معنى الانحراف والميل، أى: يجورون وينحرفون بعبادتهم عن اللَّه ﷻ ويصرفونها إلى غيره[٣] .

---

(١) انظر: الكشاف١/ ٢٧٩ .

(٢) البحر الميحط ٥/ ٥٢٩، مفردات الأصفهانى (ع د ل) .

(٣) الكشاف ٤/ ٢، البحر المحيط ٤/ ٦٩، مفردات الأصفهانى (ع د ل) .

هكذا نجد الاستعمال القرآنى لكلمة (العَدْل) فى جميع مواضعها مرتبطًا بالأصل الدلالى لها، وهو المماثلة والمساواة، وحتى المواضع التى تحتمل معنى العدول (أى الاعوجاج والانحراف والجَوْر) مرتبطة أيضًا بالأصل الدلالى؛ لأن الجَوْر يتأتّى من التسوية بين الخالق والمخلوق .

أمّا القِسْط فقد تكرر ذكره فى عدة مواضع من كتاب اللّه الكريم، ومن شواهده:

- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران: ١٨ .

- ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ النساء .

- ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ﴾ الحجرات: ٩ .

لم يفرِّق المفسِّرون - ولا علماء اللغة - بين العَدْل والقِسْط، وجعلوهما مترادفين ترادفًا تامًّا .

وأجمعوا على أن المُقْسِط هو العادل، والقاسط هو الجائر[١]، وهذا من دلالة الصيغة الصرفية، فالمُقْسِط من يعطى كلَّ أحدٍ قِسْطَه بالحق، والقاسط مَنْ يمنعه قِسْطَه، أى نصيبه العادل[٢] .

وإذا صَحَّ الترادف التامُّ بين العَدْل والقِسْط حال إفراد كل منهما، فإن هذا لا يصح فى حال عطفهما؛ لأن العطف يوجب التغاير، وقد عُطف العَدْل والقِسْط فى قول اللّه ﷻ:

---

(١) انظر: الكشاف ١/ ٢٠٤، ٢١٧، البحر المحيط ٢/ ٣٥١، التحرير والتنوير ٣/ ١٨٧، مفردات الأصفهانى (ق س ط)، العمدة فى غريب القرآن، ص ٩٧، ١٠٥، ٢٤٢، ٣٠٤ .

(٢) الكشاف ٣/ ٥٦٤، مفردات الأصفهانى (ق س ط) .

- ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ (الحجرات: ٩).

والذى نراه أن القِسْط أخصُّ من العَدْل؛ ولذلك سُمِّى الميزان بالقِسْط والقِسْطاس، فالقِسْطُ عَدْل بَيِّنٌ ظاهر، كأنه يقسم الأمور قسمًا ويُقَدِّرها تقديرًا ماديًّا بالوزن الظاهر.

وأمّا العَدْل فقد يكون ظاهرًا، وقد يكون خفيًّا باطنًا. ولَمّا كان العَدْل الإلهىُّ ظاهرًا وباطنًا أُطلِق الوصفان على اللَّه ﷻ، فهو العَدْل، وهو المُقْسِط ﷻ.

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (العَدْل - القِسْط) بينهما تقارب دلالىٌّ كبير؛ فكلاهما يعنى: الإنصاف والمساواة، ولكن القِسْط يختص بملمح دلالىّ مميز هو ظهور هذا الإنصاف وتلك المساواة ظهورًا بيِّنًا، كأنما قُدِّر الأمر بالميزان الذى تُوزَن به الأشياء الماديَّة.

******

❑ ٤/١٨ العَذاب - العِقاب:

• العذاب والعقاب فى اللغة مترادفان، كلاهما بمعنى النكال، أو مجازاة الذنب بمثله[١].

ولكن الأصل الدلالى لكلٍّ منهما يفيد بأنهما متغايران، فأحد أصول مادة (ع ذ ب): الضرب، واستشهدوا لذلك بقول زهير فى وصف الناقة:

وخَلْفَها سائقٌ يحدُو إذا خَشِيَتْ   منه العذابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ والعُنُقا

وحكى الخليل: عذَّبته تعذيبًا، أى: فَطَمْتُه. وهذا من باب الامتناع من المأكل والمشرب. ثم استُعيرَ العذاب لكل شدة[٢].

---

(١) اللسان (ع ذ ب ، ع ق ب).

(٢) مقاييس اللغة (ع ذ ب).

• وأصل مادة (ع ق ب): تأخير شيء وإتيانه بعد غيره ، والعقاب من هذا الباب؛ سُمِّى بذلك لأنه يأتى عَقِبَ الذنب (أى بعده)[١] .

يُفْهَم من هذا التأصيل الدلالى أن العقاب لابُدَّ أن يسبقه ذنب، أمّا التعذيب فقد لا يسبقه ذنب .

وقد راعى القرآن الكريم الأصل اللغوى فى استعماله للَّفظين، فمن شواهد العذاب المسبوق بذنب قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠ .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ آل عمران: ٤ .

ومن العذاب غير المسبوق بذنب قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ البقرة .

ومما يؤكِّد أن عذاب فرعون لبنى إسرائيل لم يكن مسبوقًا بذنب منهم قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ القصص .

ولو أنَّ هذا العذاب كان بذنب سابق منهم لَما وصف فرعون بالإفساد، ولما خاطبه موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ طه: ٤٧ .

أما العِقاب فلابد أن يسبقه ذنب، ومن شواهده فى القرآن الكريم:

- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦) .

- ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ ص .

---

(١) مقاييس اللغة (ع ق ب) .

فالعِقاب مجازاة بالذنب، ولا يُشترط أن يكون شديدًا أو أليمًا أو مهينًا . . . إلى آخر تلك الصفات التى وُصِف بها العذاب فى كتاب اللَّه الحكيم . والعذاب يتضمَّن دائمًا ملمح الشدة، حتى وإنْ لم يُوصَف بالشديد أو الأليم ونحو ذلك، أمّا العقاب فقد يكون يسيرًا؛ لارتباط العقوبة بالذنب، فإذا عظم الذنب عظمت العقوبة، وإذا صغر كان العقاب على قدره . ويوضح ذلك بجلاء قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ النحل: ١٢٦ .

المعنى: إن صُنِعَ بكم سوءٌ من قتلٍ أو نحوه فقابِلوه بمثله ولا تزيدوا عليه؛ وسُمِّىَ الفعلُ الأوَّل باسْم الثانى للمزاوجة بين اللفظين، والمراد: إنْ بُغِىَ عليكم فرُدُّوا هذا البغىَ بمثله(١) .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (العَذاب - العقاب) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يشتركان فى معنى: النَّكال والمجازاة .**

● **لكن يتميَّز العِقاب بأنَّه قد يكون شديدًا وقد يكون يسيرًا، وأنَّه يُنبئ عن الاستحقاق؛ لأنه لا يكون إلا عَقِبَ الذنوب .**

● **بينما يتميَّز العذاب بملمحين هما: الشدَّة، وكَوْنه عامًّا فيمن يستحقُّه ومَنْ لا يستحقُّه .**

******

❑ ١٨/ ٥ المَعْرِفة - العِلْم - اليَقين:

● المَعْرِفة فى اللغة: إدراك الشىء بتفكُّر وتدبُّر لأثَرِه(٢) .

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٥ .

(٢) مفردات الأصفهانى (ع ر ف) .

• والعِلْم فى اللغة: إدراك الشىء بحقيقته ودليله[١]، مأخوذ من العلامة، أى: السِّمَة التى تميِّز الشىء، أو من العَلَم وهو الدليل[٢].

• واليَقين: العِلْم الذى يُزيل الشَّكَّ ويَسْكُنُ معه الفهم ويثبُت الحُكْم[٣].

هكذا تتدرَّج المعانى فى هذه الألفاظ المتقاربة الدلالة، فالمَعْرِفة أعمُّ هذه الألفاظ، والعِلْم أخصُّ من المعرفة؛ لأنه معرفة الشىء بحقيقته ودليله، أما اليَقين فهو أخصُّ الألفاظ الثلاثة؛ لأنه علم يزول معه كل شكٍّ ويسكن إليه الفهم ويثبت معه الحُكم.

وقد راعى القرآن الكريم درجات المعنى هذه، فنجد أن المعرفة قد وردت فى عدة آيات منها قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ البقرة: ٨٩.

- ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾ البقرة: ٢٧٣.

فمعرفة اليهود للحقِّ شىء بَدَهِىٌّ واضح لهم لا يحتاج إلى دليل؛ لأنهم كما قال اللَّه ﷻ:

- ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠.

لهذا آثر القرآن الكريم الفعل (عَرَف) بدلًا من (عَلِم) فى هذا السياق. وكذا فى وصف الفقراء المتعفِّفين عن مسألة الناس؛ إذْ لا يَخْفَى حالُهم بل هو بَيِّنٌ من رثاثة مظهرهم وصُفرة وجوههم[٤].

أما العِلْم فالسياقات القرآنية التى ورد فيها تفيد إدراك الشىء بحقيقته

(١) مفردات الأصفهانى (ع ل م).

(٢) انظر: اللسان (ع ل م).

(٣) اللسان، مفردات الأصفهانى (ى ق ن).

(٤) انظر: الكشاف ١/ ٣٩٨.

ودليله؛ لا لأن الشيء واضح بذاته، بل لأن العالِمَ قد مَيَّزه وأحاط به وأدرك حقيقته بالدليل، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ النساء: ٨٣ .

أي: لَعَلِمَ تدبير ما أخبروا به وعَلِمَ صِحَّتَه وفساده[١] .

فالعِلْم - إذن - أعلى درجةً من المعرفة .

وأما اليقين فهو أعلى درجات الإدراك، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ البقرة .

- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ النمل .

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ التكاثر .

فاليقين: إتقان العلم بانتفاء الشك والشُّبْهة عنه[٢] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني للكلمات الثلاث: (المَعْرِفة - العِلْم - اليَقين) يُظهِر اشتراكها في معنى: الإدراك .**

- **والملمح المميِّز للمَعْرِفة هو أنها أعمُّ هذه الألفاظ، فهي مجرد إدراك الشيء، ويسبقها جهل .**

- **بينما الملمح المميِّز للعِلْم هو: حضور الدليل، ولا يسبقه جهل؛ لذلك يُقال: اللَّه عالم، ولا يقال: اللَّه عارف .**

---

(١) الكشاف ١/٥٤٧، ٥٤٨ .

(٢) الكشاف ١/١٣٧ .

● **والملمح المميِّز لليقين هو: القطعيَّة وثبوت الحكم وانتفاء الشك .**

****

❑ ٦/١٨ العَقْد - العَهْد - الميثاق:

● أصل العَقْد فى اللغة: نقيض الحَلِّ، واستُعِيرَ لمعنى توكيد اليمين والعَهْد . فالعَقْد: أشَدُّ العهود توكيدًا[١] .

● والعَهْد فى اللغة: الإقرار بالمحافظة على الشىء، يقال: تَعَهَّد الشىءَ وتعاهَدَهُ، أى حافَظَ عليه . والعَهْد: الوصيَّة، والالتزام[٢] .

● والميثاق فى اللغة: حبلٌ أو قيد يُشَدُّ به الأسير، ثم أُطلق على العَهْد المحكم[٣]، من باب تشبيه شدة الالتزام بذلك الحبل الذى لا يمكن الخلاص منه .

ومما سبق يتضح أن هذه الألفاظ المتقاربة فى المعنى، على درجات فى القوة والشدة:

- فأعلاها الميثاق، المستعار من الحبل المحكم والقيد الذى لا مخلص منه .

- ثم العَقْد، وهو العَهْد المؤكَّد، تشبيهًا له بالشىء المعقود، والشىء المعقود يمكن حلُّه، بخلاف الوثاق .

- ثم العَهْد المُعَبَّر به عن المحافظة والالتزام .

وقد راعَى القرآن الكريم هذه الدرجات من الشدة فى استعماله للألفاظ المذكورة .

---

(١) اللسان (ع ق د) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ع هـ د) .

(٣) اللسان (و ث ق) .

ففى العَقْد يقول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ المائدة: ١ .

- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ﴾ المائدة: ٨٩ .

العقود: العهود التى ألزم اللَّه بها عباده من تكاليف شرعية وأمانات وغيرها، شُبِّه العَهْد المؤكَّد بعُقْدة الحبل ونحوه[١]، ثم استُعمل مجازًا فى الالتزام فغلب استعماله حتى صار حقيقة عرفية، فالعهود عقود، والتحالف من العقود والتبايع والمؤاجرة ونحوها من العقود[٢] . ووصف اليمين المؤكَّد بالعَقْد، كأنه عُقِد بالقصد والنيَّة[٣] .

أمّا العَهْد فتكرر ذكره فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهده:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ البقرة: ٢٧ .

- ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ الرعد .

- ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء: ٣٤ .

ذِكْر الميثاق بعد العهد يُفيد أنهما متغايران، فالعَهْد: إقرار والتزام، والميثاق: شدة توكيد العَهْد وإحكامه[٤].

ولذلك استُعمِل الميثاق تعبيرًا عن عَهْد اللَّه ﷻ إلى أنبيائه (صلوات اللَّه وسلامه عليهم)؛ ولشدة أمر هذا العَهْد وقوته، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ

(١) الكشاف١/ ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٢) التحرير والتنوير ٦/ ٢٤-٢٥ .

(٣) الكشاف ١/ ٦٤٠ .

(٤) الكشاف ١/ ٢٦٨ .

أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ آل عمران .

وعُبِّر به عن الالتزام بعهد الإيمان والإقرار بالربوبية، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ البقرة .

وعُبِّر به عن المعاهدات والمصالحات بين الناس؛ توكيدًا لأمر هذه المعاهدات، كما في قوله ﷻ:

- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ النساء: ٩٠ .

كما عُبِّر به عن المعاشرة بين الأزواج، نحو قوله ﷻ:

- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ النساء .

وُصِف الميثاق بالغلظ لقوَّته وعظمته .

• ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (عَقْد - عَهْد - ميثاق) بينها تقارب دلاليّ؛ حيث تشترك في معنى الالتزام والمحافظة . وتتدرَّج في الشدة: فأعلاها الميثاق، ثم العَقْد، ثم العَهْد .

****

❑ ٧/١٨ عِلْم اليقين - عَيْن اليقين - حَقُّ اليقين:

• اليقين في اللغة: زوال الشَّكّ[١] .

وقد استُعمل اليقين مفردًا في القرآن الكريم في الآيات التالية:

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ى ق ن) .

- ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧) .
- ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ الحجر .
- ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢٢) .
- ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ المدثر .

● واليقين: عِلْمٌ يزول معه الشك ويسكن الفهم ويثبت الحكم[(١)] .

كما استُعمل اليقين فى القرآن مضافًا إلى ثلاثة أشياء: العلم، العين، والحق، فأمّا إضافة إلى (عِلْم، عَيْن) فقد جاء فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ التكاثر .

وجاء مضافًا إلى (حَقّ) فى قوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ الواقعة .
- ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ الحاقة .

على هذا النحو قسَّم المتأمِّلون فى كتاب اللَّه مراتب اليقين إلى ثلاث درجات:

■ عِلْم اليقين: هو يقين الخبر، وهو سكون القلب إلى خبر المُخْبِر ووثوقه به واطمئنانه إلى صدقه بالدليل الجازم .

■ عَيْن اليقين: هو يقين الدلالة، وهو ما استغنَى به صاحِبُه عن طلب الدليل؛ لأنه يراه رَأْىَ العين فلا حاجة - إذن - إلى الدليل .

■ حَقّ اليقين: هو يقين المشاهدة، وهذه منزلة الرسل صلوات اللَّه وسلامه

---

(١) مفردات الأصفهانى (ى ق ن) .

عليهم، فقد رأى نبيُّنا ﷺ الجنة والنار بعينه .

وبعد أن ساق ابن القيم ما تقدم ذكره من مراتب اليقين ضرب لذلك مثلًا فقال: "ومما يوضح ذلك أن يخبرك شخص أن عنده عسلًا، وأنت لا تشكُّ فى صدقه ، ثم أراك إيّاه فازددت يقينًا، ثم ذُقْتَ منه ؛ فالأول علم اليقين، والثانى عين اليقين، والثالث حق اليقين . . وعِلْمُنا الآن بالجنَّة والنار: عِلْم اليقين، فإذا أُزلفت الجنة للمتقين وشاهدها الخلائق، وبُرِّزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك : عَيْن اليقين ، فإذا أُدْخِلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ، وأهلُ النارِ النارَ فذلك حينئذٍ : حَقّ اليقين[1] .

● **ونخلص مما سبق إلى أنَّ لليقين فى القرآن الكريم ثلاث درجات:**

١- عِلْم اليقين: وهو يقين الخبر .

٢- عَيْن اليقين: وهو يقين الدلالة .

٣- حَقّ اليقين: وهو يقين المكاشفة .

******

❑ ٨/١٨ العَمَه - العَمَى:

● العَمَه فى اللغة: ترديد النظر، قال الشاعر:

مَتَى تَعْمَهْ إلى عُثْمانَ تَعْمَهْ إلَى ضَخْمِ السُّرادِقِ والقِبابِ

أى: تُرَدِّد النظر إليه ، ومن هذا المعنى أُخِذَ معنى: التحيُّر وعدم الاهتداء؛ لأن المتحيِّر يُرَدِّد النظر لا يدرى أين يذهب[2] .

(١) مدارج السالكين ٢/٤١٨-٤٢٠، بصائر ذوى التمييز (ى ق ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ع م هـ) .

• والعَمَى فى اللغة: أصله السَّتْر والتغطية، ومنه العَمَى الذى هو ذهاب البصر كُلّه . ويُستعار لفقد البصيرة[١] .

وقد راعَى القرآن الكريم فى استعماله للكلمتين هذا الفارق الدلالى بينهما، فقد اقتصر العَمَه على فَقْد البصيرة فى جميع شواهده، وهى الآيات التالية:

- ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ البقرة .

- ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام: ١١٠ .

- ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ الأعراف .

فكلمة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ فى هذه الآيات جميعًا بمعْنى: الضلال والحيرة وعدم الاهتداء[٢] .

أما لفظ (العَمَى) ومشتقاته فقد استُعمل فى القرآن الكريم بدلالتين:

■ العَمَى المادىّ، أى فقد حاسَّة البصر، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ النور: ٦١، الفتح: ١٧ .

- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ عبس: ١-٢ .

فالمراد هنا: عَمَى البصر .

■ العَمَى المجازىّ، وهو الضلال وانطماس البصيرة وعدم الاهتداء إلى الحق، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ﴾ الأنعام: ١٠٤ .

---

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان(ع م ى) .

(٢) الكشاف ١/ ١٩٠، مفردات الأصفهانى (ع م هـ) .

- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ الرعد: ١٩ .

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ الحج .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (العَمَه - العَمَى) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: عدم الاهتداء .**

● **ويختصُّ العَمَه بالبصيرة .**

● **بينما يُستعمل العَمَى فى فقد حاسة البصر، وفقد البصيرة أيضًا، أى فى الماديّات والمعنويّات .**

******

حرف الغين (١٩)

١)	الغيث، المطر .		

❑ ١/١٩ الغَيْث - المَطَر:

● الغَيْث فى اللغة: المطر والكَلأ[١] .

● والمَطَر: الماء المنسكب من السحاب[٢] .

فاللغة تُسَوِّى فى الاستعمال بين الغَيْث والمَطَر .

أمّا الاستخدام القرآنى للكلمتين فله خصوصيَّةٌ نلحظها بتأمل السياقات القرآنية لهما؛ حيث وردت كلمة (الغَيْث) دائمًا فى معنى: المطر النافع المخصب للأرض والنبت، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ لقمان .

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ الشورى: ٢٨ .

وأمّا المطر فالمتأمِّل فى السياقات القرآنية التى ورد فيها يجد أنها قد استُخدمت فى سياق العقاب الإلهى للطاغين والمفسدين، كما فى قوله تعالى:

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ هود: ٨٢ .

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ الشعراء .

---

(١) اللسان (غ ى ث) .

(٢) اللسان (م ط ر) .

فالمطر هنا: حجارة من السماء أهلكت هؤلاء الطغاة المجرمين[١] .

وكذا فى سائر المواضع التى ورد فيها المطر فى القرآن الكريم، اقترن بالعذاب والإهلاك .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (الغَيْث - المَطَر) يُظهِر اشتراكهما فيما يسقط من السماء .**
- **ويتميز الغَيْث فى الاستخدام القرآنى بملمح النفع والخير والخصب .**
- **بينما اختص المطر بالعذاب والهلاك .**

وهذا الاستخدام من خصائص القرآن الحكيم .

******

(١) الكشاف ٣/١٢٦ .

حرف الفاء (٢٠)

١)	التَّفرُّق، التَّنازُع	٢)	فَصَمَ، قَصَفَ، قَصَمَ
٣)	الفِقْه، الفَهْم	٤)	الفَلاح، النَّجاح

❑ ٢٠/ ١ التَّفرُّق - التنازُع:

• التَّفَرُّق فى اللغة: انفصال الشيء عن الشيء وتميُّزه منه[١]، وهو ضدّ الاجتماع[٢].

• والتَّنازُع فى اللغة: مأخوذ من النَّزْع، وهو الجذب والقَلْع[٣]، فكأنَّ المتنازعَيْنِ يتجاذبان الحُجَجَ بينهما.

وقد ورد لفظ (التَّفرُّق) بهذه الصيغة فى القرآن الكريم ثمانى مرات منها الآيات التالية:

- ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ آل عمران: ١٠٣.
- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ آل عمران: ١٠٥.
- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ النساء: ١٣٠.
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الأنعام: ١٥٣.

التَّفرُّق فى آيتى آل عمران (١٠٣، ١٠٥) معناه: الاختلاف الذى يؤدِّى

---

(١) مقاييس اللغة (ف ر ق).
(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف ر ق).
(٣) اللسان (ن ز ع).

إلى زوال الاجتماع والألفة، ونشوب البغضاء والعداوة[١] .

والتَّفَرُّق فى آية الأنعام: اتِّباع الأهواء والشهوات والتباعد عن الدين الحق وهو صراط اللَّه المستقيم[٢] .

والتَّفَرُّق فى آية النساء: أن يفارق كلٌّ منهما صاحبَه[٣] .

فالتَّفَرُّق - إذن - يكون جسديًّا ماديًّا، ويكون معنويًّا وهو الاختلاف المؤدِّى إلى التباغض والعداوة، أو الاختلاف فى أصول الدين واتِّباع الشهوات والأهواء ومجانبة الحق .

وأمّا التَّنازُع فقد ورد فى القرآن الكريم بهذه الصيغة سبع مرات، منها الآيات التالية:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٥٢ .

- ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩ .

- ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ الطور: ٢٣ .

ذكر المفسِّرون ما يفيد أن التَّنازُع فى آيتى آل عمران والنساء هو: الاختلاف[٤] .

---

(١) الكشاف ١/ ٤٥١، ٤٥٣، البحر المحيط ٣/ ١٨، ٢١ .

(٢) الكشاف ٢/ ٦٢، البحر المحيط ٤/ ٢٥٤ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٦٩ .

(٤) الكشاف ١/ ٤٧٠، ٥٣٥ ، ٢/ ١٦١ ، ٢٦٢؛ البحر المحيط ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩، ٤/ ٥٠١، ٥٠٣ .

ومعنى التَّنازُع فى آية الطور ﴿يَتَنَزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ : التعاطى والتبادل والتجاذب على سبيل الملاعبة؛ فإنَّ لأهل الدنيا فى ذلك التجاذب لذة، وكذلك فى الجنة[1].

فالتَّنازُع قد يكون معنويًّا وهو اختلاف الآراء والمذاهب، وقد يكون ماديًّا وهو التجاذب . وإذن فقد سوَّى العلماء بين التَّنازُع والتَّفَرُّق فى دلالة كلٍّ منهما على الاختلاف، إلّا أنَّ التَّفَرُّق أقوى من التنازع؛ لأن التفرُّق فيه تشتيت للوحدة وتمزيق للجماعة، أما التَّنازُع فقد لا يؤدِّى إلى تمزيق وحدة الجماعة، ومما يؤذن بذلك قوله ﷺ:

- ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩ .

فهذا تنازع، ولكنه يرتفع ويزول بِرَدِّ الأمر إلى اللَّه ورسوله .

وللتفرُّق معنى حِسِّىٌّ هو الفراق والتباعد، وللتَّنازُع معنى حسىٌّ آخر هو التجاذب .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (التَّفَرُّق - التَّنازُع) بينهما تقارب دلالىّ؛ حيث يجتمعان فى معنى الاختلاف .**
- **ويختص التفرُّق بملمح الشدَّة بما يفضى إلى التمزُّق والعداوة .**
- **كما أن للتَّفَرُّق معنى ماديًّا خاصًّا به هو مفارقة الأبدان، بينما للتَّنازُع معنى مادىٌّ آخر خاص به هو: التجاذب .**

******

❑ ٢/٢٠ فَصَمَ - قَصَفَ - قَصَمَ:

- الفَصْم فى اللغة: كسر الشيء دون أن ينفصل بعضه عن بعض

(١) الكشاف ٤/ ٢٤، البحر المحيط ٨/ ١٤٩ .

والانفصام : الانقطاع[١] .

● القَصْف فى اللغة: الكسر، يقال: قَصَفَ العُودَ، أى كَسرهُ، وقَصِفَ العودُ: إذا كان خَوّارًا ضعيفًا، وكذلك الرجل، ورعد قاصف أى شديد، كأنَّه يقصف الأشياء بشدتِه[٢] .

● والقَصْم فى اللغة: الكسر الشديد للشىءِ حتى ينفصل بعضه عن بعض، يقال: قَصَمْتُ الشىءَ حتى ينفصل بعضه عن بعض، يقال: قَصَمْتُ الشىءَ، أى كَسَرْتُه حتى يَبين[٣] .

ومن المعانى اللغوية لهذه الألفاظ يظهر لنا أنها متدرِّجةٌ فى الشِّدَّة، فالفَصْم أدناها، والقَصْم أشدَّها، والقَصْف بينهما فى الشِّدَّة .

وقد راعَى الاستعمال القرآنى للألفاظ الثلاثة هذا التدرُّج فى دلالتها على الشدَّة، وقد ورد كلٌّ منها فى القرآن الكريم مرة واحدة . ورد الانفصام فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

أى لا انقطاع لها، والانفصام: الانقطاع أو الكسر من غير بينونة؛ ولذلك كان نفى الانفصام فى الآية أبلغ من نفى الانقصام[٤] . والمعنى أنه عهد وثيق لا ينقطع أدنى انقطاع .

أمّا القَصْف فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قوله ﷻ:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ف ص م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ق ص ف) .

(٣) المحكم، اللسان (ق ص م) .

(٤) عمدة الحفاظ (ف ص م) .

- ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ الإسراء: ٦٩ .

أى: ريحًا شديدة لها صوت شديد تكسِّر ما تمرُّ عليه من بِناءٍ وشجرٍ وغير ذلك[١] .

فالملمح المميِّز للقَصْف هو أنه مصحوب بصوت شديد .

وأمّا القَصْمُ فقد ورد فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ الأنبياء: ١١ .

أى: أهلكْنا، عُبِّر عن الإهلاك بالقَصْم، وهو الكسر الذى يفصل الشىءَ بعضه عن بعض[٢] .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (فَصَمَ - قَصَفَ - قَصَمَ) بينها تقارب دلالىٌّ؛ إذْ تشترك جميعها فى معنى: القطع والكسر .

● ويتميز الفَصْم بكونه أهْوَنَها؛ لأنه قطع لا تَبين معه أجزاء الشىء المكسور أو المقطوع .

● بينما يتميز القَصْف بشدة الصوت المصاحب للكسر، وقد استُعْمِل فى سياق التخويف، فتظاهرت شدة الكسر مع شدة الصوت لهذا الغرض .

● وأمّا القَصْمُ فاستُعْمِلَ فى وصف إهلاك اللَّه للقُرَى الظالمة، وهو إهلاك قد حدث بالفعل، ولم يترك من آثار تلك القرى شيئًا؛ والملمح الدلالىّ الذى يميز القَصْم: إبانة أجزاء الشىء بعضها عن بعض .

****

(١) الكشاف ٢/٤٥٨، عمدة الحُفّاظ (ق ص ف) .

(٢) الكشاف ٢/٥٦٤، عمدة الحُفّاظ (ق ص م) .

❑ ٢٠/٣ الفِقْه - الفَهْم:

- الفِقْه فى اللغة: إدراك الشىء والعلم به والفطنة له[(١)] .
- والفَهْم فى اللغة: العلم بالشىء[(٢)] .

وإذن فالفِقْه يتميز عن الفَهْم بدلالته على الفطنة بالإضافة إلى العلم بالشىء .

وقد تكرر ذكر الفِقْه فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

- ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨ .
- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام: ٢٥ .
- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام: ٦٥ .
- ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ هود: ٩١ .

قال الراغب الأصفهانىّ: الفِقْه هو التَّوَصُّل إلى علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ[(٣)] .

وعلى ذلك استعمال الفِقْه فى السياقات القرآنية، فهو ليس مجرد العلم بالشىء، بل فيه معانى الفطنة، وقياس الغائب على الحاضر، وفيه أيضًا معانى التريُّث وطول النظر والتأمُّل، وعمق الاستيعاب للجوانب الخفية والغامضة، واستنباط المعانى وتوليدها؛ ولذلك لا يقال للرجل (فقيه) حتى يبلغ مبلغًا عظيمًا من العلم بالأحكام الشرعية وطرق استنباط الأدِلَّة، والإحاطة الشاملة بذلك، مع فطنة وقدرة على التأمُّل وطول النظر .

فقوله ﷻ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ معناه: أنهم لا يعلمون أنَّ اللَّه ﷻ هو باسط الأرزاق وقابضها على حسب إرادته وعلمه وتدبيره تبارك وتعالى[(٤)]

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان، النهاية لابن الأثير (ف ق هـ) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف هـ م) .

(٣) المفردات (ف ق هـ) .

(٤) الكشاف ١/ ٥٤٥ .

وذلك لأنهم جعلوا بعض الحوادث من اللَّه وبعضها من غير الله، وبذلك فهم لا يفقهون؛ لأنهم لو فقهوا لعَلِموا أن للحوادث مؤثرًا، وسببًا وأدلَّةً تنبئ عنها وعن عواقبها، فالله ﷻ خالق المؤثرات والأسباب، وهو الذى يضرب الأدلَّة للناس على المنافع والمضارِّ بمختلف الأدلَّة، وعلَّمهم طرق الوصول إليها، وأرشدهم إلى عواقبها الظاهرة والخفية، وهيَّأ الأسبابَ لتحصيل الخير والشرِّ.. ولِكَوْن هذه القضية دقيقة الفهم نبَّه اللَّه تعالى على قلَّة فهمهم بقوله ﷻ: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨، فذلك حديث لا يعقله إلّا من تَفَطَّن وأعمَلَ فكره واستنبط الأدلَّة وأدرك الجوانب الخفية من الأشياء موضع التأمّل والعِلم[١].

فالقرآن لم يَنْفِ عنهم صفة الفهم، بل نفى عنهم (الفِقْه)، ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام: ٢٥، فهم لهم عقول وإدراك، ولكن أهواءهم أضلَّتهم عن الفقه بالتعمُّق وطول النظر والتأمُّل فى القرآن الكريم[٢].

أمّا الفَهْم فقد ورد فى القرآن الكريم مرَّةً واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الأنبياء: ٧٩.

والسرُّ فى استعمال لفظ (فَهَّمْنا) هنا دون (فَقَّهْنا) هو أن داود وسليمان (عليهما السلام) كليهما كانا فقيهين بدليل ختام الآية بقول اللَّه ﷻ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، لكن سليمان عليه السلام كان أسرع إلى إدراك القضية والبتِّ فيها، فالفَهْم يدلُّ على سرعة الإدراك دون التأمُّل والتعمق والإحاطة واستنباط الأدلة وكشف الغامض، فإنَّ ذلك كان إلهامًا من اللَّه ﷻ لسليمان عليه السلام جعله

(١) التحرير والتنوير ٥/١٣١- ١٣٣.

(٢) المرجع السابق ٧/١٧٩.

(يفهم) المسألة فهمًا فوريًا على وجه السرعة، دونما حاجة إلى تقليب النظر وإطالة التأمُّل فيها .

- **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (الفِقْه - الفَهْم) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى: العلم بالشىء وإدراكه .**
- **ويتميز الفِقْه بملامح دلالية فارقة هى:**

١- التأمُّل .

٢- إطالة النظر والتريُّث .

٣- الاستنباط والإحاطة .

٤- غموض جوانب المسألة المنظور فيها وتشعُّبها .

- **بينما يتميز الفَهْم بملمح السرعة .**

******

❑ ٤/٢٠ الفَلاح - النَّجاح:

- الفَلاح فى اللغة: الفوز والنَّجاة والبقاء فى النعيم والخير، قال الشاعر:

ثُمَّ بَعْدَ الفَلاحِ والرُّشْدِ والأُمَّـ ـةِ وارَتْـهُـمُ هُـنـاكَ الـقُـبـورُ

وقال آخر:

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الـهُـمومِ سَعَهْ والمُسْىُ والصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ

أى: لا بقاء فى هذا العالم المتغيِّر بالإصباح والإمساء .

ومعنى "حىّ على الفَلاح" فى الأذان: هلُمَّ إلى الفوز بالخير والبقاء الدائم[١].

---

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ف ل ح) .

• والنَّجاح في اللغة: الظَّفَر بالشيء وإدراكه[١] .

فالمعنى اللغوى يبيِّن اشتراك المادتين (ف ل ح)، و(ن ج ح) فى ملمح عام هو: الفوز . إلّا أن النَّجاح يختص بإدراك الأشياء، أمّا الفَلاح فيتضمَّن ملامح دلالية أخرى هى: البقاء، والخير، والنجاة .

ومن هنا آثر القرآن الحكيم التعبير بلفظ (الفَلاح)، ولم ترد مادة (ن ج ح) فى القرآن الكريم .

والاستعمال القرآنى للفَلاح ومشتقاته يبيِّن لنا هذه الملامح الدلالية للمادة، كما فى الآيات التالية:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩ .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ آل عمران .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ الحج .

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ المؤمنون .

هكذا تجمع الآيات الكريمة صفات عديدة لكى يتحقق الفلاح فيمن اتصف بها ؛ ففى الآيات الأولى من سورة البقرة جُمِعَ للمفلحين عدة صفات

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ن ج ح) .

هى: التقوى، والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالآخرة . يقول الزمخشرى:

المُفْلِح هو: الفائز بالبُغْيَة، كأنَّه الذى انفتحت له وجوه الظَّفَر ولم تستغلق عليه[١] .

يشير الزمخشرى إلى أصل مادة (ف ل ح) وهو الشَّقُّ، يقال: فَلَحَ الأرضَ، أى شَقَّها، ومنه سُمِّىَ الفَلّاح . ويربط بين هذا الأصل الدلالى للمادة وبين معنى الفَلاح، والملمح المشترك بينهما هو السَّعَة الملحوظة فى معنى الشَّقّ والفتح .

وقال أبو حيان:

وَصَفَ المتقين بصفات مدحٍ فصَّلت جهات التقوى، ثم أشار إليهم وأعْلَمَ بأن من حاز هذه الأوصاف الشريفة هو على هدى، وهو المُفْلِح . ومعنى (المُفْلِحون): الباقون فى نعيم الآخرة[٢] .

أمّا النَّجاح فيقتصر أمره على الظفر بالحاجة .

- **فالنَّجاح - إذن - دنيوىّ، وفى جانب واحد .**

- **أمّا الفَلاح فيجمع بين الدنيا والآخرة، فهو ثمرة لنجاحات متعددة، وفيه جَنْىٌ لثمار النجاح، وفيه إدراك كل مأمول، وفيه معنى السعة، ومعنى التيسير، ومعنى البقاء والخير .**

- **وقد ينجح الإنسان ولا يكون مُفْلِحًا؛ لأن النجاح مجرد الظفر بالحاجة، أمّا الفَلاح فيتضمن كل الملامح الدلالية المذكورة، ومن هنا جاء فى القرآن الكريم للتعبير عن هذه المعانى المذكورة، جمعها اللَّه ﷻ لعباده المؤمنين المتقين .**

******

(١) الكشاف ١/١٤٩ .

(٢) البحر المحيط ١/٤٣ ، ٤٤ .

حرف القاف (٢١)

١)	القُنوط، اليأُس		

❑ ١/٢١ القُنوط - اليأْس:

• القُنوط فى اللغة: أشدُّ اليأس من الشيء[(١)].

• واليأُس فى اللغة: نقيض الرجاء[(٢)].

وبهذا يتضح أن القُنوط ضرب من اليأس، فكلاهما نقيض الرجاء، ولكن القُنوط درجة عالية من اليأُس ينتفى معها كل رجاء ويغيب معها كل أمل.

وقد ورد اللفظان (القُنوط - اليأُس) متجاورين فى آية واحدة من آيات الذكر الحكيم هى قول اللّه ﷻ:

- ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ فصلت.

وباستقراء الآيات التى وردت فيها كلمة (اليأُس) ومشتقاتها فى القرآن الكريم نجد أن اليأُس وصف للقلب بانقطاع الأمل وخيبة الرجاء كما يتجلّى فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ المائدة: ٣.

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ الممتحنة.

---

(١) النهاية لابن الأثير، اللسان (ق ن ط).

(٢) النهاية لابن الأثير، اللسان (ى أ س).

أما القُنوط فهو أشدُّ وأبلغ من اليَأْس؛ ومن هنا كان تكرار الوصف فى آية فُصِّلت، فمرَّةً وُصِفَ باليَأْس وهو انقطاع الأمل وفقدان الرجاء، وذلك محلُّه القلب، ومرَّةً ثانية وُصِفَ بالقُنوط، وهو "أن يظهر عليه أثر اليَأْس فيتضاءل وينكسر"[١]، فالقُنوط "انفعالٌ بدنىٌّ تالٍ لليَأْس، بعد أن يتجاوز إحساسُ اليأسِ القلبَ ويظهر على البدن"[٢]، فنرى ذلك على تعبيرات الوجه، وفى نبرة الصوت، وفى انكسار الإنسان وتضاؤله وتنكيس رأسه.

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنىّ لكلمتى (اليَأْس - القُنوط) يوردهما بمعنى متقارب، حيث يشتركان فى ملمح فقدان الرجاء، وبين الكلمتين ملمح فارق هو أن اليَأْس محلُّه القلب، والقُنوط ظهور آثار اليَأْس على البدن، وهو أشدُّ وأبلغ من اليَأْس .**

******

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٧ .

(٢) التحرير والتنوير ١٢/ ١٠ ، ١١ .

حرف اللام (٢٣)

١)	اللَّعِب، اللَّهو	٢)	اللُّغوب، النَّصَب
٣)	اللَّمْز، الهَمْز		

❑ ٢٣/ ١ اللَّعِب - اللَّهْو:

• اللَّعِب فى اللغة: ضِدّ الجِدِّ، ويُقال لكل من عَمِلَ عملًا لا يُجْدِى عليه نفعًا: إنَّما أنت لاعب[١]. وفى حديث تميم الدارىّ ﷺ والجسّاسة: "صادَفْنا البحرَ حين اغْتَلَمَ (أى اضطرب) فَلَعِبَ بنا المَوْجُ شهْرًا"[٢]. سَمَّى اضطراب الموج لَعِبًا لَمّا لَمْ يَسِرْ بِهم إلى الوجه الذى أرادوه[٣]. ولَعِبَ فلانٌ: إذا كان فعْلُه غير قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا[٤]؛ فاللَّعِب فعل يخلو من الحكمة والجدوى.

• واللَّهو فى اللغة: كل ما يشغل الإنسان عمّا يعنيه ويُهِمُّه، ومن وسائله: الهَوَى والطَّرَب واللذّات، والغفلة والانصراف عن الخير[٥].

والفارق بين الكلمتين فى اللغة هو أن اللَّعِب فِعْلٌ، بينما اللَّهْو انصراف وانشغال، وقد لا يكون فِعْلًا، نحو الغفلة، فهى من أعمال القلوب.

وقد تكرر ذكر اللَّعِب فى القرآن الكريم، ومن شواهده:

---

(١) اللسان (ل ع ب).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٥٢٣٥).
(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر (ل ع ب).
(٤) مفردات الأصفهانى (ل ع ب).
(٥) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (ل هـ و).

- ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ الأنعام .

- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ يوسف .

- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ الأنبياء .

وتكرر ذكر اللَّهو فى القرآن الكريم أيضًا، ومن شواهده:

- ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ الأنبياء .

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ لقمان .

- ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ الجمعة .

واجتمع اللَّعِب واللَّهْو معطوفين فى ست آيات: أربع منها تقدَّم فيها اللَّعِب، وهى:

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الأنعام .

- ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ محمد .

- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ الحديد .

وتقدَّم اللَّهْو على اللَّعِب فى آيتين هما:

- ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف .

- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ العنكبوت .

والنصوص القرآنية توضِّح بجلاءٍ أن اللَّعِب: عَمَلٌ لا يهدف إلى غاية أو منفعة، وليس فيه حكمة، وهو مجلبة لِلَّذَّة وراحة البال؛ ولذلك كان فى أكثره يُطْلَق على أعمال الصبيان، فشُبِّه بذلك عملُ الكبار إذا خلا من المقصد والغاية والحكمة وكان لمجرد اجتلاب اللَّذَّة[1].

واللَّهْو: انصراف النفس عن الجِدِّ إلى الهَزْل[2].

ومما يدل على أن اللَّهْو هو التشاغل، وقد لا يتضمن فعلًا قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأنبياء .

فاللَّهْو هنا: ذهول القلب وغفلته، ولا يلزم أن يكون بالفعل والحركة .

والتعبير عن أعمال الكفار باللَّعِب تشبيه لها بأعمال الصبيان، وفيه رمز

(١) البحر المحيط ٤/١٠٨، التحرير والتنوير ٧/١٩٣ .

(٢) البحر المحيط ٤/١٠٨، التحرير والتنوير ٧/١٩٣ .

لحقارتها حيث لم يترتَّبْ عليها مقصد ولا منفعة؛ ولهذا قُدِّم اللعب على اللهو فى المواضع الأربعة بيانًا للخلو من المقصد والجدوى والحكمة، وثُنِّى باللهو وهو الانشغال عن الجدِّ والانصراف عنه . بينما تقدم اللَّهْو على اللَّعِب فى موضعين (الأعراف: ٥١، العنكبوت: ٦٤) حيث ذكر النسيان فى سورة الأعراف فى قوله ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف.

وتقدَّم معنى الغفلة والذهول والانصراف فى العنكبوت فى قوله ﷻ:

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ العنكبوت .

فهذه حقائق لو سُئلوا عنها نسبوها إلى خالقها، وهذا يقتضى منهم أنْ لا يكفروا، فلمّا انصرفوا عن علمهم بهذه الحقائق وتشاغلوا عنها كفروا باللَّه ﷻ، ومرجع ذلك نسيانهم وغفلتهم وتشاغلهم؛ فلذلك تقدم اللَّهْو فى هذين الموضعين[1] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (لَعِب - لَهْو) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى الخُلُوِّ من الحكمة والمقصد الصحيح .**
- **ويتميز اللَّعِب بملمح دلالىّ فارق حيث إنه لابُدَّ أن يكون فعلًا .**
- **بينما يتميز اللَّهْو بملمح دلالىّ فارق هو أنه قد لا يكون فعلًا، فقد يكون تشاغلًا وغفلة عن الجِدِّ .**

******

(١) خصائص التعبير القرآنى، د . عبد العظيم المطعنى ٢/ ١٩٩، ٢٠٠ .

❑ ٢٣/ ٢ اللُّغوب - النَّصَب:

• اللُّغوب فى اللغة: الضعف والتعب والإعياء الشديد[١] .

• والنَّصَب فى اللغة: العناء، مأخوذ من الانتصاب، وكأن الإنسان لا يزال منتصبًا للشىء حتى يُصيبه الإعياء[٢] .

وقد وردت كلمة (لُغوب) فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فاطر: ٣٥ .

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ ق .

أمّا النَّصَب فقد تكرر فى القرآن الكريم سبع مرات، ومن شواهده:

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ التوبة: ١٢٠ .

- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ الكهف .

- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ الشرح .

لم يُفرّق الراغب الأصفهانى بين اللُّغوب والنَّصَب[٣]، وذهب كثير من المفسّرين إلى التفرقة بين الكلمتين على نحو ما جاء فى المعاجم اللغوية، قال الزمخشرىّ معلقًا على الآية رقم (٣٥) من سورة فاطر: "فإن قلتَ: ما

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ل غ ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ن ص ب) .

(٣) المفردات (ل غ ب، ن ص ب) .

الفرق بين النَّصب واللُّغوب؟ قلتُ: النَّصَبُ: التَّعَبُ والمشقَّةُ التى تصيب المنتصِبَ للأمر المزاوِلَ له، وأمّا اللُّغُوب فهو: ما يلحقه من الفتور (أى الضعف والإعياء) بسبب النَّصب، فالنَّصَبُ نَفْسُ المشقَّة والكُلْفة، واللُّغوب نتيجته وما يحدث منه من الكَلال والفترة"[1] .

وفرَّق أبو حيان بين الكلمتين بقوله:

"نَصَبٌ أى تَعَبُ بَدَنٍ، ولُغوبٌ أى تَعَبُ نَفْسٍ، وهو لازم عن تَعَبِ البدن"[2].

وفَرَّق بينهما الطاهر بن عاشور بقوله:

"النَّصَبُ: التَّعَبُ من نحو شدّة حرٍّ أو بَرْد . واللُّغوبُ: الإعياء من جَرّاء عَمَلٍ أو جَرْى"[3] .

ولعلَّ أَوْضَحَ فَرْقٍ بينهما هو ما قاله الزمخشرىّ؛ حيث جعل النَّصَبَ مرتبطًا باشتقاقه اللغوى الأصلى، وهو المعاناة المصاحِبة لمزاوَلة الأمر . أمّا اللُّغوب فهو الإعياء الشديد الذى يعقُب النَّصَبَ، ويدلُّ على ذلك أمر اللَّه ﷻ لنبيه ﷺ بالنَّصَب فى قول اللَّه ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ الشرح، أى: اجتهدْ فى العبادة[4]، واللَّه ﷻ لا يأمر نبيَّه بأن يبالغ فى مزاولة العناء والشقاء حتى يصل إلى درجة الإعياء والضعف الشديد، بل لقد ثبت عكس ذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ طه .

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣١٤ .

(٣) التحرير والتنوير، ٢٢/ ٣١٧ .

(٤) الكشاف ٤/ ٢٦٧، البحر ٨/ ٤٨٨ .

رُوِىَ فى تفسير الآيتين أن النبى ﷺ صلَّى بالليل حتى تورَّمت قدماه، فقال له جبريل عليه السلام: "أَبْقِ على نفسك فإنَّ لها عليك حقًّا" . أى: ما أنزلناه لتُنْهِكَ نفسَك بالعبادة وتُذيقَها المشقةَ الفادحة[1] .

وإذن فاللُّغوب: فَرْط الإعياء الناتج عن مزاولة المشاقّ والعناء، وله أثر فى البدن والنفس معًا .

والنَّصَب هو: المشقَّة التى تصاحب انتصاب الإنسان لأمرٍ وعناءه فيه .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن لفظى (اللُّغوب - النَّصَب) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى التَّعَب .**

ويتميَّز كلٌّ منهما بملمح دلالىّ فارق:

● **فالنَّصَبُ: التعب والعناء نفسه أثناء مزاولة الأمر .**

● **واللُّغوبُ: الإعياء بعد الانتهاء من عمل شاقٍّ، ويكون فى البدن والنفس .**

******

❑ ٣/٢٣ اللَّمْز - الهَمْز:

● اللَّمْز فى اللغة: العيب فى المواجهة، وأصله الإشارة بالعين والرأس والشَّفَة مع كلام خَفِىٍّ[2] .

● والهَمْز فى اللغة: أصله نَخْس الدابَّة بالعَصا، ويكون ذلك من وراء، ومنه أُخِذ معنى العيب بالغيب دون مواجهة مَنْ يعيبه[3] .

وقد راعي القرآن الكريم هذا الفارق الدلالىّ بين الكلمتين فى استعماله

---

(١) الكشاف ٢/٥٢٩ .

(٢) اللسان (ل م ز) .

(٣) انظر: اللسان (ل م ز، هـ م ز) .

لهما، فقد ورد اللَّمْز فى أربع آيات هى:

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ التوبة .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجرات .

- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ الهمزة .

- ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ التوبة .

يَلْمِزك فى الصدقات: يعيبك ويطعن عليك، وسبب نزول هذه الآية أن ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج دخل على رسول اللَّه ﷺ وهو يقسم غنائم غزوة حنين فخاطبه قائلًا: اعدلْ يا رسول الله . فقال ﷺ: "ويلَك! إنْ لم أعْدِلْ فمَنْ يَعْدِل؟!"[(١)] .

وواضح من سِياق الآية وسبب نزولها أن المراد باللَّمْز: الطعن والعيب فى المواجهة .

أمَّا الهَمْز فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ المؤمنون .

- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ القلم .

- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ الهمزة .

قال الزمخشرىّ فى آية المؤمنون رقم (٩٧):

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٤٣، ٤٤٧، الكشاف ٢/ ١٩٦، ١٩٧ .

"الهَمْز: النَّخْس ... ومنه مِهْماز الرائض (الذى يروض الدابة)، والمعنى أن الشياطين يحثُّون الناس على المعاصى ويُغْرونهم عليها كما تهمز الراضة (المدرِّبون) الدوابَّ حَثًّا لها على المشى[١] .

سُمِّيَت وسوسةُ الشياطين همزاتٍ (لا لَمَزات)؛ لأنها خفيَّةٌ .

وجمع بين الهَمْز واللَّمْز فى سورة الهُمَزَة للتحذير من العيب والطعن والوقوع فى الناس سواء فى المواجهة (وهو اللَّمْز) . أو فى الغيب (وهو الهَمْز) .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (اللَّمْز والهَمْز) متقاربان دلاليًّا؛ حيث يشتركان فى معنى: العيب والطعن فى الناس .**
- **ويتميَّز اللَّمْز بملمح الظهور، فهو عيب فى المواجهة .**
- **بينما يتميَّز الهَمْز بملمح الخفاء، فهو العيب بالغيب .**

******

(١) الكشاف ٣/ ٤٢ .

حرف النون (٢٥)

١)	النَّصيحة، الوَصِية		

❑ ١/٢٥ النَّصيحة - الوَصِيَّة:

• النَّصيحة فى اللغة: الإخلاص والصدق، وكل شىء خالص يقال له: ناصح، كالعسل الناصح وغيره[١].

وفى الحديث: "الدين النصيحة، للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم"[٢].

قال ابن الأثير: "النصيحة: كلمة يُعَبَّر بها عن جملة، هى إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعَبَّر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها. وأصل النصح فى اللغة: الخلوص، يقال: نَصَحْتُه، ونَصَحْتُ له. ومعنى النصيحة للَّه: صحَّة الاعتقاد فى وحدانيته، وإخلاص النية فى عبادته. والنصيحة لكتاب اللَّه: هو التصديق به والعمل بما فيه. ونصيحة رسوله: التصديق بنبوته ورسالته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه. ونصيحة الأئمة: أن يطيعهم فى الحق، ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا. ونصيحة عامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم"[٣].

• والوَصِيَّة فى اللغة: مأخوذة من مادة (و ص ى) الدالة على معنى وصل شىءٍ، يقال: وَصَيْتُ الليلةَ باليوم، أى وَصَلْتُها، والوَصِيَّة كلام يُوصَى أى

(١) اللسان (ن ص ح).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٨٢.

(٣) النهاية (ن ص ح).

يُوصَل[١] . والوَصِيَّة: العَهْد[٢]؛ لأنها تَصِلُ من المُوصِي إلى المُوصَى .

فالنَّصيحة والوَصِيَّة متقاربان فى المعنى، فالمقصود بهما إرادة الخير للمنصوح له والموصَى ودعاؤه إلى ما فيه صلاحه .

إلّا أنَّ النَّصيحة تختصُّ بملمح الإخلاص، بينما تختصُّ الوَصِيَّة بملامح المحبة والتأكيد ومزيد الاهتمام[٣] .

ويتأكد هذا الفارق الدلالىّ الدقيق بين اللفظين حين ننظر إلى الاستعمال القرآنىّ لكل منهما، فنجد النَّصيحة واردة فى سياق ذكر الإخلاص والمبالغة فى الصدق، كقول نوح عليه السلام لقومه:

- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ الأعراف: ٦٢ .

وقول هود عليه السلام لقومه:

- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ الأعراف .

وقول شعيب عليه السلام لقومه:

- ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ الأعراف: ٩٣ .

ونجد الوصيَّة واردة فى سياق العهد، بما يتضمنه ذلك من محبة وإشفاق على المُوصَى، وتأكيد للاهتمام بالأمر المُوصَى به، كما فى الآيات التالية:

- ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ البقرة .

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ

---

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى (و ص ى) .

(٢) اللسان (و ص ى) .

(٣) نضرة النعيم ٨/ ٣٤٩٢ .

ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ النساء .

- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (لقمان: ١٤) .

- ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ سورة العصر .

فكل هذه السياقات وغيرها مما ورد فيه لفظ الوصية والتواصى تدل على الأمر المؤكَّد الذى لابُدَّ من التزامه، وفيه شفقة ولطف وإحسان من المُوصِى بالمُوصَى[1] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (النَّصيحة - الوَصِيَّة) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث يشتركان فى معنى عام هو: إرادة الخير والإرشاد إليه . ويختص كلٌّ منهما بملمح دلالىّ يميِّزه عن الآخر:**

● **فالنَّصيحة تتميز بملمح الإخلاص .**

● **والوَصِيَّة تتميز بملمحين هما: الإشفاق، وشدة الاهتمام والتأكيد .**

****

(١) انظر: البحر المحيط ٤/ ٢٥٢ .

ملحق بالفروق الدلالية
بين الألفاظ القرآنية

أسماء القرآن الكريم (٢٩)

خَصَّ اللَّه ﷻ القرآن المجيد بعدة أسماء لم تُطْلَق على أيٍّ من الكتب سوى هذا الكتاب العزيز، وقد بلغت هذه الأسماء عند بعض العلماء نيِّفًا وتسعين اسمًا، وعند بعضهم خمسًا وخمسين اسمًا، قال القاضي أبو المعالي:

اعلم أن اللَّه ﷻ سمَّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا:

١- سمَّاه كتابًا فقال ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ الدخان.

٢- وسمَّاه قرآنًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ الواقعة.

٣- وسمَّاه كلامًا فقال ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦.

٤- وسمَّاه نُورًا فقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١٧٤.

٥- وسمَّاه هُدًى فقال ﷻ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ لقمان.

٦- وسمَّاه رَحْمَةً فقال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ يونس: ٥٨.

٧- وسمَّاه فُرْقانًا فقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ الفرقان: ١.

٨- وسمَّاه شِفاءً فقال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ الإسراء: ٨٢.

٩- وسمَّاه مَوْعِظةً فقال ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يونس: ٥٧.

١٠- وسمّاه ذِكْرًا فقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الأنبياء: ٥٠.

١١- وسمَّاه كريمًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ الواقعة.

١٢- وسمَّاه عليًّا فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ الزخرف.

١٣- وسمَّاه حِكْمَةً فقال ﷻ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ القمر: ٥.

١٤- وسمَّاه حكيمًا فقال ﷻ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ يونس .

١٥- وسمَّاه مُهَيْمِنًا فقال ﷻ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨ .

١٦- وسمَّاه مباركًا فقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ ص: ٢٩ .

١٧- وسمَّاه حَبْلًا فقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ آل عمران: ١٠٣

١٨- وسمَّاه الصِّراطَ المستقيمَ فقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ الأنعام: ١٥٣ .

١٩- وسمَّاه القيِّمَ فقال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ الكهف .

٢٠- وسمَّاه فَصْلًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ الطارق .

٢١- وسمَّاه نبأً عظيمًا فقال ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ النبأ .

٢٢- وسمَّاه أحسن الحديث فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣

٢٣- وسمَّاه تنزيلًا فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ الشعراء .

٢٤- وسمَّاه رُوحًا فقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢ .

٢٥- وسماه وَحْيًا فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ الأنبياء:٤٥ .

٢٦- وسمَّاه المثانىَ فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ الحجر .

٢٧- وسمَّاه عربيًّا فقال ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ الزمر .

٢٨- وسمَّاه قولًا فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ القصص .

٢٩- وسمَّاه بصائرَ فقال ﷻ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الجاثية .

٣٠- وسمَّاه بيانًا فقال ﷻ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ آل عمران .

٣١- وسمَّاه عِلْمًا فقال ﷻ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الرعد: ٣٧ .

٣٢- وسمَّاه حَقًّا فقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢ .

٣٣- وسمَّاه الهادىَ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: ٩ .

٣٤- وسمَّاه عَجَبًا فقال ﷻ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ الجن .

٣٥- وسمَّاه تذكرةً فقال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ المدثر .

٣٦- وسمَّاه بالعُرْوة الوُثْقَى فقال ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ لقمان: ٢٢ .

٣٧- وسمَّاه متشابهًا فقال ﷻ: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ الزمر: ٢٣ .

٣٨- وسمَّاه صِدْقًا فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الزمر .

٣٩- وسمَّاه عدلًا فقال ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: ١١٥ .

٤٠- وسمَّاه إيمانًا فقال ﷻ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ آل عمران: ١٩٣ .

٤١- وسمَّاه أمرًا فقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ الطلاق: ٥ .

٤٢- وسمَّاه بُشْرَى فقال ﷻ: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ النمل .

٤٣- وسمَّاه مجيدًا فقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ البروج .

٤٤- وسمَّاه زبورًا فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ الأنبياء .

٤٥- وسمَّاه مبينًا فقال ﷻ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ يوسف .

٤٦ ، ٤٧ - وسمَّاه بشيرًا ونذيرًا فقال ﷻ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ فصلت .

٤٨- وسمَّاه عزيزًا فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ فصلت: ٤١ .

٤٩- وسمَّاه بلاغًا فقال ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ إبراهيم .

٥٠- وسمَّاه قصصًا فقال ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ يوسف .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ - وسمَّاه أربعة أسامى فى آية واحدة[1] فقال ﷻ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤﴾ عبس[2] .

ولكننا سنقتصر هنا على الأسماء الدالَّة على القرآن نفسه لا صفاته؛ فإن أوصاف القرآن لا يحيط بها حصر .

وأشهر الأسماء التى صارت أعلامًا على القرآن الكريم هى:

القُرْآن ـ الفُرْقان ـ الكِتاب ـ الذِّكْر ـ التَّنْزيل .

---

(١) كذا فى البرهان، والصحيح أنهما آيتان، وهو سهو، أو تصحيف ناسخ .

(٢) البرهان للزركشى ١/ ٢٧٣-٢٧٦ .

وهى الأسماء التى تُذْكَر عند الاقتباس أو الاستشهاد بآيات القرآن، كأن يُقالَ: وفى القرآن، وفى التنزيل، وفى الذكر الحكيم، وفى الكتاب الكريم، وفى الفرقان، ونحو ذلك من العبارات التى يُفْهَم منها أن المراد بالقرآن والكتاب والفرقان والذكر والتنزيل هو كتاب اللَّه المنزَّل على قلب سيدنا محمد ﷺ، المُتَحَدَّى به، المتعبَّد بتلاوته .

❑ ٢٩/ ١ القُرْآن:

ورد هذا الاسم الكريم فى عدة مواضع علمًا على القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ البقرة: ١٨٥ .

- ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ الأنعام: ١٩ .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ﴾ التوبة: ١١١ .

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ يوسف: ٢ .

اختلف العلماء فى اشتقاق (القُرْآن)، فذهب بعضهم إلى أنه من (قرأ)، يقال: قَرَأَ الشيء يقرؤه قَرْءًا وقُرآنًا، أى لفظ به مجموعًا بعضُه إلى بعض، والأصل فى مادة (ق ر أ): الجمع، فكل شىءٍ جمعته فقد قرأته؛ وسُمِّىَ القرآن بذلك لأنه جمع القصص، والأمر والنهى، والوعد والوعيد، والآيات والسُّور بعضها إلى بعض[١]، ولأنه ضم للحروف والكلمات بعضها إلى بعض؛ إذْ لا يقال للحرف الواحد إذا تُفُوِّهَ به قراءة، وكذا لأنه جمع ثمرة

(١) النهاية لابن الأثير، اللسان (ق ر أ) .

كتب اللّه تعالى كلّها، وثمرة جميع العلوم كما أشار إلى ذلك بقوله ﷻ:

- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ النحل: ٨٩ .

وهو مصدر على وزن فُعْلان، مثل رُجْحان، وكُفْران[١] .

وقيل: مأخوذ من (ق ر ى)، وهذه المادة أيضًا تدور معانيها جميعًا حول الجمع والضم[٢] .

وذهب بعض العلماء إلى أنه مشتق من (ق ر أ) ولكن ليس بمعنى الجمع، بل بمعنى التلاوة، واحتجُّوا لذلك بقوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ القيامة . فقد عُطِفَ الجمع على القرآن، والعطف يُوجِب المغايرة؛ وإذن فالمراد بجمع القرآن: جمعه فى قلب النبى ﷺ حفظًا، وعلى لسانه تلاوةً، ومعنى (قَرَأَ) على هذا الوجه: أَظْهَرَ، والقرآن: الظهور؛ وذلك لأن القارئ يُظْهِرُ القرآنَ ويُخرِجه[٣] .

وذهب بعض العلماء (ومنهم الأشعرىّ والقرطبىّ) إلى أنه مشتقٌّ من (قَرَنَ)، يقال: قَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ، أى: ضَمَمْتُه إليه؛ فسُمِّىَ بذلك لقِران السور والآيات والحروف فيه[٤] .

وذهب بعض العلماء (كالشافعىّ والبيهقىّ) إلى أن القُرآن اسم لكتاب اللّه غير مهموز (قُران)، وهو عَلَمٌ غير مشتق كالتوراة والإنجيل[٥] .

---

(١) مفردات الأصفهانى (ق ر أ) .

(٢) الصحاح، مقاييس اللغة (ق ر ى) .

(٣) البرهان ١/ ٢٧٧ .

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٧٨ .

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٧٨ .

ولعلَّ أقوى هذه الوجوه أن (القُرْآن) عَلَمٌ على كتاب اللَّه المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ، وهو مشتق من (ق ر أ) بمعنى التلاوة، وهو ما ذهب إليه الزجاج وأبو على الفارسِيّ[1] .

وهو أشهر أعلام القُرْآن بالطبع، وأعمُّها دلالةً .

❑ ٢/٢٩ الفُرْقان:

تكرر ذكر الفُرْقان فى القرآن الكريم علمًا عليه، ومن أشهر مواضعه سورة كاملة سُمِّيت باسم (الفرقان)، وأوَّلها قول اللَّه ﷻ:

- ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ .

وهو عَلَمٌ على القرآن الكريم؛ مصدر (فَرَقَ)؛ بين الشيئين، إذا فصل بينهما، وسُمِّى به القرآن لأنه فَرَق بين الحق والباطل، وبين المؤمن والمشرك، أو لأنه نَزَل مُفَرَّقًا مفصولًا بعضه عن بعض[2] .

وذهب الراغب الأصفهانىّ إلى أن (الفُرْقان) اسم لكلام اللَّه ﷻ؛ سُمِّىَ بذلك لفَرْقِهِ بين الحق والباطل فى الاعتقاد، وذلك فى القرآن والتوراة والإنجيل[3]، واحْتَجَّ لذلك بقول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ البقرة: ٥٣ .
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الأنبياء: ٤٨ .

وإلى مثل هذا ذهب الأزهرىّ وغيره[4] .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) الكشاف ٣/ ٨٠، واقتصر الزركشى على الوجه الأول (البرهان ١/ ٢٨٠) .

(٣) مفردات الأصفهانى (ف ر ق) .

(٤) انظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ف ر ق) .

ولكن اشتراك الكتب السماوية الأخرى مع القرآن الكريم فى الوصف بالفُرْقان، هو إشارة إلى الأصل الدلالى للمادة، أى الفرق بين الحق والباطل ولكن اسم الفُرْقان صار عَلَمًا بالغَلَبة على القرآن الكريم بحيث لا يُفْهَم من اسم (الفُرْقان) سوى أنه عَلَمٌ على القُرْآن؛ ولذلك عددته فى أسماء القرآن الكريم . والملمح الدلالىّ المميِّز لهذا العَلَم هو معنى: الفَصْل والتمييز .

❑ ٣/٢٩ الكِتاب:

ورد هذا الاسم فى مواضع كثيرة عَلَمًا على القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة: ٢ .
- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ آل عمران: ٣ .
- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام: ١٥٥ .

والكتاب فى اللغة اسم من: كَتَبَ الشىءَ يكتبه كتابةً، أى جمع بعضه إلى بعض[(١)] . هذا أصل مادة (ك ت ب)، ثم أصبح معناه المتعارف عليه: ضمّ الحروف بعضها إلى بعض بالخَطّ . والكِتابُ فى الأصل مصدر، ثم سُمِّىَ المكتوبُ فيه كتابًا[(٢)] .

ولن نتعرَّض هنا للمواضع التى ورد فيها (الكِتاب) بمعانٍ أخرى سوى القُرْآن الكريم؛ إذْ إنَّ كلمة (الكِتاب) استُعملت فى القرآن الكريم بمعانٍ شَتَّى لا محلَّ لبسطها هنا[(٣)] .

والملمح الدلالىّ المميِّز للفظ (كتاب) بوصفه عَلَمًا على القرآن الكريم هو

---

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ك ت ب) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ك ت ب) .

(٣) انظر المرجع السابق .

ملمح الجمع والضم عن طريق الخَطّ، وفيه إشارة إلى تعظيم القرآن وحفظه، وأنه أوَّل (كتاب) نال هذه المنزلة عند العرب حتى كتبوه حفاظًا عليه من التبديل والتحريف، بل هو أوَّل كتاب عَرَبىٍّ على الإطلاق؛ إذ لم يكن للعرب قبل نزول القرآن كتاب .

❑ ٢٩/ ٤ الذِّكْر:

ورد هذا الاسم عَلَمًا على القرآن الكريم فى عدة مواضع ، منها الآيات التالية:

- ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ آل عمران .

- ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ الحجر .

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ النحل .

والذِّكر فى اللغة: حفظ الشيء، وعدم نسيانه، ثم أُطلق على الشرف وبُعْدِ الصِّيت، وبه وصف كتاب اللّه تعالى[١]؛ لكونه محفوظًا شريف القدر، ولما فيه من تذكير بما تضمَّن من قصص ومواعظ[٢] .

والملمح الدلالىّ المميِّز لهذا الاسم هو: الشرف والعلاء .

❑ ٢٩/ ٥ التنزيل:

وصف اللّه ﷻ القرآن الكريم بقوله ﷷ:

- ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ (الواقعة: ٨٠، الحاقة: ٤٣) .

---

(١) اللسان، المفردات (ذ ك ر) .

(٢) البرهان ١/ ٢٧٩ .

وسُمِّى القرآن تنزيلًا ؛ لأنه مُنَزَّلٌ من عند اللَّه ﷻ، نزل به جبريل عليه السلام حتى بلَّغه إلى النبى ﷺ فأَدَّاه كما جاء به من عند الله[1] .

والملمح الدلالىّ المميِّز لهذا الاسم هو نزوله من اللَّه ﷻ على طريقة مخصوصة .

○ ونخلص مما سبق إلى أن للقرآن العظيم أسماءً كثيرة، بعضها صارت أعلامًا له، ولكلٍّ منها ملمح دلالىٌّ يميِّزه:

○ فالقُرْآن: أعمُّ هذه الأسماء؛ لدلالته على مطلق الجمع .

○ والفُرْقان: يختصُّ بملمح التفرقة والفصل، كما يختص بملمح التفريق، لنزوله مفرَّقًا .

○ والكِتاب: يختصُّ بملمح الجمع عن طريق الخطّ .

○ والذِّكْر: يختصُّ بملامح الحفظ والشرف والتذكير .

○ والتَّنْزيل: يختص بملمح النزول على طريقة مخصوصة من اللَّه ﷻ .

****

---

(١) السابق ١/ ٢٨٢، الكشاف ٢/ ٣٨٧ .

أسماء الجنَّة (٣٠)

للجنَّة فى القرآن الكريم أسماء عديدة، يُعَبِّر كلٌّ منها عن جانب من جوانب عظمتها ورفعتها، وما فيها من نعيم وسلام وطمأنينة ورضا، وما ينال أهلها من الكرامة .

بعض هذه الأسماء تجرى مجرَى الأعلام، بحيث إذا أُطْلِقَتْ انصرف ذهن السامع أو القارئ إلى الجنة دون غيرها، وعرف أنَّ هذا اسمٌ آخَرُ من أسمائها، وهى الأسماء التالية:

❑ ١/٣٠ الجَنَّة:

تكرَّر هذا الاسم فى القرآن الكريم كثيرًا، مفردًا ومثنًّى ومجموعًا، ومن شواهده:

- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ البقرة: ٢٥ .

- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ الرحمن .

- ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ الفجر .

واشتقاق الجَنَّة فى اللغة من (جَنَّ)، وهذه المادة كما يقول ابن فارس: أصل واحد، هو السَّتْر، فالجَنَّةُ: ما يصير إليه المسلمون فى الآخرة، وهو ثواب مستورٌ عنهم اليومَ[1] .

وذهب أبو على الفارسى إلى أنَّ الجنَّة سُمِّيت بهذا من الاجْتِنانِ، وهو السَّتْر؛ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، قال: وسُمِّيت بالجَنَّة،

(١) مقاييس اللغة (ج ن ن) .

وهى المَرَّة الواحدة من مصدر (جَنَّهُ) جَنًّا إذا ستَرَه، فكأنَّها سَتْرَةٌ واحدة لشدة التفافها وإظلالها[١] .

وهو ما ذهب إليه جمعٌ من المفسِّرين منهم الراغب الأصفهانى[٢]، والزمخشرى[٣]، وأبو حيان[٤]، والطاهر بن عاشور[٥] .

والسرُّ فى تسمية الجَنَّة بهذا الاسم أن أجمل البساتين وأكرمها منظرًا ما كانت أشجاره مظللة متكاثفة الظلال، وهذا جارٍ على ما أودعه اللَّه فى النفوس من حُبِّ المناظر الجميلة، وفى الشجر الملتَفِّ المتكاثف جمال الشكل واللون، وفيه أُنْسٌ للنفوس لِما فيه من حياة وبهجة، وهو وسيلة من وسائل التنعُّم والتَّرفُّه عند البشر قاطبةً، لا سيَّما فى بلاد تغلب عليها الحرارة الشديدة كبلاد العرب[٦] .

وأمَّا عن استعمال الجَنَّة بصيغ مختلفة:

○ فالمفرد اسم لدار الثواب كلها .

○ والجمع لأنها مشتملة على جنان كثيرة مُرَتَّبة على حسب استحقاقات العاملين لكلِّ طبقة منهم جنَّات من تلك الجِنان[٧] .

○ والمثنى (جنَّتان) فى سورة الرحمن؛ لأن الخطاب للإنس والجن، فجنَّةٌ

---

(١) نقله ابن منظور فى اللسان (ج ن ن) ولم يثبت غيره فى تفسير الجنة، عن كتاب (التذكرة) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ج ن ن) .

(٣) الكشاف ١/٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٤) البحر المحيط ١/١٠٩ .

(٥) التحرير والتنوير ١/٣٥٣، ٣٥٤ .

(٦) انظر: الكشاف ١/٢٥٧، التحرير والتنوير ١/٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٧) الكشاف ١/٢٥٧ .

للإنسيِّ، والأخرى للجِنِّيِّ . أو جَنَّة لفعل الطاعات، وجَنَّة لترك المعاصى . أو جَنَّة يُثابُ بها، وأخرى تضَمُّ إليها على وجه التفَضُّل من اللَّه ﷻ[1] .

هذا، وقد وردت الجَنَّةُ فى القرآن الكريم بمعنى البستان من بساتين الدنيا، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الرعد .

- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ الكهف .

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾ سبأ: ١٥ .

غير أن أكثر إطلاقها فى دار الثواب فى الآخرة .

ونخلص مما سبق إلى أن المراد بالجَنَّة: دار الثواب فى الآخرة، وسُمِّيت بهذا الاسم الجارى مجْرَى العَلَم؛ لشدَّة التفاف أشجارها وإظلالها مَنْ فيها كأنَّما تسترهم بتلك الأغصان المتكاثفة والمؤنقة .

❑ ٣٠/ ٢ الحُسْنَى:

إذا أُطْلِقَتْ كلمة (الحُسْنَى) فى القرآن الحكيم فالمراد بها فى أكثر المواضع: الجَنَّة، فقد وردت الكلمة فى القرآن الكريم سبع عشرة مرة، أُطْلِقَتْ من قيد الوصف فى اثنى عشر موضعًا، وجاءت وصفًا فى خمسة مواضع: وصفًا للأسماء فى أربعة منها:

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠ .

- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء: ١١٠ .

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩ .

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ طه: ٨ .

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الحشر: ٢٤ .

وجاءت وصفًا للكلمة فى موضع واحد هو قول اللَّه ﷻ:

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ الأعراف: ١٣٧ .

وأمَّا المواضع التى أطلقت فيها كلمة (الحُسْنَى)، ففى موضعين منها لا تدل على الجنة، وهما:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧﴾ التوبة: ١٠٧ .

- ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ۝٨٨﴾ الكهف: ٨٨ .

بينما استُعْمِلَت اسمًا للجنة فى عشرة مواضع هى الآيات التالية:

- ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٩٥﴾ النساء .

- ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ يونس .

- ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٨﴾ الرعد .

- ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ۝٦٢﴾ النحل .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ الأنبياء .

- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ فصلت: ٥٠ .

- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ النجم .

- ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الحديد: ١٠ .

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الليل .

ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالحُسْنَى فى الآيات السابقة: الجَنَّة، وأجمعوا على ذلك فى الآية (٩٥) من سورة النساء[١] .

وشرح الشيخ الطاهر بن عاشور كلمة (الحُسْنَى) فى الآية رقم (٢٦) من سورة يونس بقوله:

"الحُسْنَى فى الأصل: صفة أنثى الأَحْسَن، ثم عُومِلَتْ معاملة الجنس فأُدْخِلَتْ عليها لام تعريف الجنس، فبعدت عن الوصفيَّة ولم تتبع موصوفَها . . . والمعنى: للذين أحسنوا جِنْس الأحوال الحُسْنَى عندهم، أى لهم ذلك فى الآخرة، وبذلك تعيَّن أنَّ ماصدقها الذى أُريدَ بها (أى ما تدلُّ عليه الكلمة) هو الجنة؛ لأنها أحسنُ مثوبةٍ يصير إليها الذين أحسنوا، وبذلك صيَّرها القرآن علمًا بالغلبة على الجنة ونعيمها[٢] .

---

(١) انظر تفسير الآيات فى الكشاف: ١(٥٥٦)، ٢(٢١٤، ٢٣٣، ٣٥٦، ٤٩٧، ٥٨٤)، ٣(٤٥٧)، ٤(٣٢، ٦٣، ٢٦١)، البحر المحيط: ٣ (٣٣٣)، ٥(٩٩، ١٤٦، ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٠٦)، ٦(٣٤٢)، ٧(٥٠٤، ٥٠٥)، ٨(١٦٤، ٢١٩، ٤٨٣) .

(٢) التحرير والتنوير ١١/١٤٦ .

○ ونخلص مما سبق إلى أن كلمة الحُسْنَى إذا أُطْلِقَتْ فى القرآن الكريم (أى بعُدت عن الوصفية ولم تتبع موصوفها)، فالمراد بها ـ فى أكثر المواضع ـ الجنة؛ وذلك لأن الجنة هى أحسن ثواب يصير إليه المؤمنون، كما أن فى اشتقاقها من مادة (ح س ن) إشارة إلى أنَّ أهلها إنَّما استحقُّوها لأنهم مُحْسِنون .

❑ ٣٠/ ٣ دار السَّلام:

ورد هذا الاسم من أسماء الجَنَّة فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ الأنعام .

- ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يونس: ٢٥ .

المراد بدار السَّلام: الجنَّة؛ وذلك بإضافتها إلى اسم من أسماء اللَّه الحُسْنَى هو: السَّلام، أى دار اللَّه ﷻ، أضافها إلى نفسه تعظيمًا لها ، أو لأنها دار السَّلام بمعنى السلامة من كلِّ آفةٍ وكَدَر ومكروه ، أو لانتشار تحية السَّلام بين أهليها وتسليم الملائكة عليهم[1] .

ولفظ (السَّلام) يحتمل هذه المعانى جميعًا .

وعلى هذا فتسمية الجنَّةِ (دار السَّلام) إشارة إلى:

○ تشريفها وتعظيمها بإضافتها إلى اسم من أسماء اللَّه الحسنى .

○ حصول الأمن والسَّلامة فيها من كل آفة وكدر .

○ انتشار تحية السَّلام بين أهلها، وتسليم الملائكة عليهم .

---

(١) الكشاف ٢(٤٩، ٢٣٣)، البحر المحيط ٤(٢١٩)، ٥(١٤٥)، التحرير والتنوير ٥/ ٦٤، مفردات الأصفهانى (س ل م) .

❑ ٣٠/ ٤ رَوْضَة:

الرَّوْضَة فى كلام العرب: كلُّ أرض ذات نبات وماء وأزهار، والمراد بها فى القرآن: الجَنَّة[١] .

وورد هذا الاسم للجَنَّة فى القرآن الكريم مرتين، فى أُولاهما مطلقًا غير مقيد، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ الروم .

وفى الموضع الآخر قُيِّدَ بإضافته إلى الجنَّات، وهو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ الشورى: ٢٢ .

ولم تَرِد الكلمة فى القرآن الكريم فى غير هذين الموضعين؛ ولذلك جعلتها هنا ضمن أسماء الجنة .

○ ولعلَّ الفارق بين الرَّوْضَة والجَنَّة أنَّ الرَّوْضَة تشير إلى ما فى دار الثواب من حسن وجمال وبهجة ظاهرة، والجَنَّة تشير إلى ما فيها من حسن وجمال وبهجة خفيَّة .

❑ ٣٠/ ٥ عَدْن:

ورد هذا الاسم للجنَّة فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ولم يُستَعْمَلْ إلَّا مضافًا إلى (جَنّات)، وقد نَصَّ الزمخشريّ على كونه عَلَمًا[٢]؛ لذا أوردته ضمن الأسماء الدالة على الجَنَّة، ولشهرته بين جمهور المسلمين بحيث لا يشك أحدٌ منهم أن المراد به: الجَنَّة، ومن شواهده فى القرآن الكريم :

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٧، التحرير والتنوير ١٠/ ٢١-٦٤ .

(٢) الكشاف ٢/ ٢٠٢ .

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة .

- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ الرعد .

- ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ مريم .

وقد اختُلِفَ فى معنى (عَدْن)، فقيل: جنات (عَدْن) أى إقامة، من قولهم: عدَن بالمكان، إذا أقام به ، وقيل: وسط الجنة، وقيل: نهر فى الجنة ، وقيل: مدينة فى الجنة لا يدخلها إلا النبيُّون والصِّدِّيقون والشهداء ، وقيل: قصور من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وقيل: أعلى درجة فى الجنة ، وكلها أقوال مرويَّة عن السلف، وفيها كثير من الاضطراب والاختلاف[1] .

ولكن سياق الكلمة فى الآية رقم (٧٢) من سورة التوبة يوحى بأن الجنة شىء غير جنات عدن، حيث عطف بينهما: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ . والعطف يقتضى المغايرة، كما أن الشىء لا يضاف إلى نفسه، فالمركب الإضافى ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ يعنى ـ وفقًا للقواعد النحوية ـ أن ﴿عَدْنٍ﴾ شىء، و﴿جَنَّٰتِ﴾ شىءٌ آخر .

ولعل قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ يُرَجِّح قول من قال إنها قصور فى الجنة، أو درجة من درجاتها العالية .

○ ونخلص مما سبق إلى أن المراد بجَنّات عَدْن: درجة عالية رفيعة فى الجنّة .

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٧١ .

❑ ٣٠/٦ الغُرْفة (الغُرَف ـ الغُرُفات):

ورد هذا الاسم للجنَّة فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ الفرقان.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ العنكبوت: ٥٨.

- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الزمر: ٢٠.

- ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ سبأ.

جاءت كلمة (الغُرْفة) مفردة فى آيات الفرقان، ومجموعة فى المواضع الأربعة الأخرى، قال الزمخشرىّ فى ذلك[١]:

المراد: يُجْزَوْنَ الغُرُفات، وهى العلالى فى الجنة، فوحَّد اقتصارًا على الواحد على الجنس، والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

وذكر أبو حيان فى الغُرْفة عدة تأويلات منها ما اقتصر عليه الزمخشرىّ، والأوجه الأخرى هى: الغُرْفة من أسماء الجنة، وقيل: السماء السابعة، وقيل: أعلى منازل الجنة، وقيل: العلوّ فى الدرجات[٢].

واقتصر الراغب الأصفهانى على هذا الوجه[٣]، وهو ما اقتصر عليه

---

(١) الكشاف ٣/١٠٢.

(٢) البحر ٦/٥١٧.

(٣) مفردات الأصفهانى (غ ر ف).

الطاهر بن عاشور أيضًا[١] .

ولعل أرجح هذه الوجوه أن الغُرْفَة: درجة عالية فى الجنة؛ وذلك بناءً على اشتقاقها فى اللغة، فالغُرْفَة فى كلام العرب تعنى: العُلِّيَّة[٢] ؛ وإذن فهى درجة عالية فى الجنة، ثم شاع استعمالها بمعنى الجنة نفسها من باب تعميم الدلالة، ونُقِلَ عن بعض المفسرين أنها اسم من أسماء الجنة، وفى ذلك إشارة إلى رفعتها وعُلُوِّ مقام أهلها .

❑ ٣٠/ ٧ الفِرْدَوْس:

الفِرْدَوْس: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمرة .

وورد هذا الاسم للجَنَّة فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ الكهف .
- ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ المؤمنون .

أورد أبو حيان عدة معانٍ للفِرْدَوْس ، ثم قال: والظاهر أن معنى ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾: بساتين حول الفِرْدَوْس؛ ولذلك أضاف الجنات إليه، والفِرْدَوْس: ما اجتمع نخله وعَرَّش على أرضه[٣] .

وقد ورد فى الحديث أن الفِرْدَوْس أعلى الجنَّة، أو وسط الجنَّة[٤] . ولا شك أن السُّنَّة مبيِّنة للقرآن؛ وعلى ذلك يكون الفِرْدَوْس أعلى درجة فى الجَنَّة .

○ ونخلص مما سبق إلى أنَّ للجنَّة فى القرآن الكريم عدة أسماء متقاربة فى

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/٩، ٨٤ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (غ ر ف) .

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٦٨ .

(٤) مسند أحمد، رقم (٨٠٦٧) .

الدلالة؛ حيث تدل جميعها على دار الثواب التى ينالها المؤمنون الصالحون فى الآخرة .

○ وتعدَّدت أسماؤها للإشارة إلى معانٍ متنوعة، على النحو التالى:

○ الجنَّة: إشارة إلى كثرة أشجارها وكثافة ظِلِّها، وما فيها من نعيم مستور عن أهل الدنيا .

○ الحُسْنَى: للإشارة إلى حسن ثواب اللَّه ﷻ، وإلى أن أهلها استحقوها بإحسانهم فى الدنيا .

○ دار السَّلام: إشارة إلى شرف الجنة، وتعظيمًا لها بإضافتها إلى اسم من أسماء اللَّه الحسنى، ولسلامة أهلها من كل مكروه، وتسليم بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم .

○ رَوْضة (رَوْضات): للإشارة إلى الحسن والجمال والبهجة الظاهرة .

○ عَدْن: للإشارة إلى الدرجات العالية فى الجنة .

○ الغُرفة (الغُرَف ـ الغُرُفات): درجة عالية فى الجنة، ثم عُمِّمت دلالتها على الجنة كُلِّها، إشارة إلى رفعة درجاتها وعُلُوِّ مقامات أهلها .

○ الفِرْدَوْس: أعلى منازل الجنة، وفيه إشارة إلى سعتها وتنوع ثمارها، وعظمة شأنها .

******

أسماء القيامة (٣١)

ليوم القيامة فى القرآن الكريم أسماء كثيرة، منها ما صار علمًا على هذا اليوم بحيث إذا أُطْلِقَ كان دالًّا على ذلك دون غيره بدون إضافة مبيِّنة أو وصفٍ مُفَسِّر، ومنها ما يدل على يوم القيامة ولكن بإضافته أو وَصْفِه .

ولكل واحد من هذه الأسماء جانب يتناوله ويدل عليه من جوانب ذلك اليوم العظيم، أو مرحلة من مراحِلِه، أو موقف من مواقفه .

فالأسماء التى صارت علمًا على يوم القيامة هى:

❑ ٣١/ ١ الآزِفة:

تدور مادة (أزف) حول معنى: الدُّنُوّ والمقاربة، يقال: أَزِفَ الرحيلُ، أى اقتربَ ودَنا[١] .

ووردت هذه المادة فى القرآن الكريم مرتين ، هما :

- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ غافر: ١٨ .

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ النجم .

سُمِّيت القيامة آزفة؛ لأُزوفِها، أى لِقُرْبِها وإن استبعد الناسُ مداها[٢] .

وأورد الزمخشرىّ وجهًا آخر فى تفسير الآزِفة، قال: ويجوز أن يريد بيوم الآزِفة: وقت الخُطَّة الآزفة، وهى مشارَفَتُهم دخول النار[٣] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ ز ف) .

(٢) القرطبى ١٧/ ١٢٢، الكشاف ٣/ ٤٢٠، مفردات الأصفهانى (أ ز ف)، العمدة فى غريب القرآن، ص٢٨٨ .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢٠ .

ولكنَّ المعنى الأول هو الأرجح؛ لأن القرآن الكريم وصف القيامة بالقرب، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ الأنبياء .

- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ القمر .

وعلى ذلك فلفظ (الآزِفة) رُوعِىَ فيه التنبيهُ على قُرْبِ وقت القيامة .

❑ ٣١/ ٢ الحاقَّة:

جاء هذا الاسم علمًا على القيامة فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ الحاقة .

ولهذا الاسم عدة معانٍ:

١- حاقَّة: اسم فاعل (من حَقَّتْ تَحِقُّ) بمعنى: ثابتة آتية لا ريب فيها .

٢- اسم فاعل بمعنى: تَحُقُّ لكل عامل عملَه أى تُثبِته .

٣- اسم فاعل بمعنى: تُحَقُّ فيها الأمور، أى تُعْرَف على حقائقها .

٤- اسم فاعل بمعنى: تُحاقُّ كلَّ مُحاقٍّ (أى مجادِل مخاصِم) فى دين اللَّه بالباطل فتَحُقُّه، أى تغلبه .

٥- وقيل: هى مصدر على وزن فاعِلة، كالعافية (بمعنى العفو)[1] .

وقال العلَّامة الطاهر بن عاشور بعد أن أورد الاحتمالين فى صوغ الكلمة (أى كونها اسم فاعل، أو مصدرًا على وزن فاعلة):

---

(١) الكشاف ٤/١٤٦، ولم يذكر الوجهين ٤، ٥، البحر المحيط ٨/ ٣٢٠، وانظر: تهذيب اللغة، اللسان (ح ق ق) . واقتصر الأصفهانى على الوجهين الثانى والرابع (المفردات: ح ق ق) .

"وعلى الوجهين فيجوز أن يكون المراد بالحاقَّةِ المعنى الوصفىُّ، أى حادثةٌ تَحِقُّ، أو حَقٌّ يَحِقّ .

ويجوز أن يكون المراد بها لقبًا ليوم القيامة، وهو الذى درج عليه المفسِّرون؛ لأنه يوم محقَّقٌ وقوعُه، أو لأنه تَحِقُّ فيه الحقوق ولا يُضاع الجزاءُ عليها" .

ثم أضاف تفصيلًا بديعًا لإيثار مادة (ح ق ق) وصيغة (فاعلة)، وأن ذلك "يسمح باندراج معانٍ صالحة بهذا المقام، فيكون ذلك من الإيجاز البديع؛ لتذهب نفوس السامعين كل مذهب ممكن من مذاهب الهول والتخويف بما يَحِقُّ حُلولهُ بهم .

فيجوز أيضًا أن تكون "الحاقّة" وصفًا لموصوف محذوف تقديره: الساعة الحاقّة، أو الواقعة الحاقّة، فيكون تهديدًا بيوم أو وقعة يكون فيها عقاب شديد للمعرَّض بهم مثل يوم بدر أو وقعته، وأن ذلك حق لا ريب فى وقوعه، أو وصفًا للكلمة، أى كلمة اللَّه التى حقَّت على المشركين من أهل مكة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ غافر، أو التى حقت للنبى ﷺ أنه ينصره الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ الصافات .

ويجوز أن تكون مصدرًا بمعنى الحقّ، فيصحُّ أن يكون وصفًا ليوم القيامة بأنه حقّ كقول اللَّه تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، أو وصفًا للقرآن كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ (آل عمران: ٦٢)، أو أُريدَ به الحقُّ كله مما جاء به القرآن من الحق، قال ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ (الجاثية: ٢٩)[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ١١٢-١١٣ .

وعلى ذلك فقد رُوعِيَ فى هذا الاسم من أسماء القيامة:

١- تحقُّق وقوعها بلا شك في ذلك .

٢- كشف حقائق الأمور فيها .

٣- إحقاق الحقوق لكل عاملٍ وعدالة الحساب والجزاء فيها .

٤- كونها قاطعة غالبة لكل معاند مجادل .

❑ ٣/٣١ الرّاجفة، الرّادفة:

ورد هذان الاسمان فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ النازعات .

الرّاجفة: الواقعة التى ترجف عندها الأرض والجبال، وهى النفخة الأولى، والرّادفة: النفخة الثانية؛ لأنها تَرْدُف الأُولَى .

وقيل: هى القيامة، رادفةٌ لأنها قريبة .

وقيل: الرّاجفة الزلزلة، والرّادفة الصيحة .

وقيل: الرّاجفة الأرض، والرّادفة الساعة .

وقيل: الرّاجفة الأرض والجبال، والرادفة السماء والكواكب[1] .

ولعلَّ أقرب التأويلات لمعنى الرّاجفة والرّادفة: أن الرّاجفة هى الزلزلة التى تضطرب لها الأرض وتندكُّ بما عليها، والرّادفة هى التى تَرْدُف ذلك أى تليه، أو النفخة التى يُبْعَث بها الخَلْقُ، واللّه أعلم .

وعلى ذلك يكون لفظ الرّاجفة اسمًا لحدث من أحداث القيامة هو زلزلة الأرض وما عليها، ولفظ (الرّادفة) اسمًا لحدث تالٍ هو الصيحة التى يعقبها

(١) الكشاف ٤/ ٢١٢، البحر المحيط ٨/ ٤٢٠، القرطبى ١٩/ ١٩٥ .

قيام الخلق ونشورهم .

وهذا التفسير يبعد بالكلمتين عن العَلَمِيَّة، فكلتاهما وصف لحدث بعينه من أحداث يوم القيامة، وليس وصفًا لذلك اليوم، ومثل ذلك يقال فى الزلزلة والصعقة والنفخة .

❑ ٤/٣١ الساعة:

هذا الاسم من أشهر الأسماء التى صارت عَلَمًا على يوم القيامة، وقد تكررت فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدها:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ الأنعام: ٣١ .

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ النحل: ٧٧ .

- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾﴾ القمر .

وفى سِرِّ إطلاق اسم الساعة علمًا على يوم القيامة أقوالٌ عدَّة، منها:

○ سرعة مجيئها، فكأن الوقت الذى بين الدنيا وبين القيامة لم يستغرق سوى هذا الجزء اليسير من الزمان .

○ لسرعة انقضاء الحساب فيها .

○ ما وَرَدَ فى ذلك من أن المجرمين يقسمون يومها أنَّهم: ﴿مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٍۚ﴾[1] الروم: ١٢ .

---

(١) [illegible] الكشاف ٢/ ١٤، ٢/ ٤٢١ .

وكلها أقوال متقاربة، واللفظ يحتملها جميعًا؛ وعلى ذلك يكون هذا الاسم علمًا على القيامة لقربها، وسرعة وقوعها، وسرعة الحساب فيها .

❑ ٣١/ ٥ الصَّاخَّة:

ورد هذا الاسم ليوم القيامة فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قول اللَّه ﷻ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ عبس

جاء فى تفسير الصَّاخَّة: تقول العرب: صَخَّ لحديثه، مثل أصاخ له، فوُصِفَت النفخة بالصَّاخَّة مجازًا؛ لأن الناس يصخُّون لها[١] (أى يستمعون) .

وقيل: لأن نبأها يُصِمُّ الآذان، تقول العرب: صَخَّتْهُم الصَّاخَّة ونابتهم النائبة، أى الداهية[٢] .

وقال أبو بكر بن العربى: الصَّاخَّةُ هى التى تُورِثُ الصَّمَمَ، وإنَّها لمسمِعة . . . ولَعَمْرُ اللَّه إنَّ صيحة القيامة مُسْمِعة تُصِمُّ عن الدنيا وتُسْمِعُ أمور الآخرة[٣] .

وهذا هو ما ذهب إليه ابن فارس، قال:

"الصاد والخاء أصلٌ يدلُّ على صوت من الأصوات . من ذلك الصَّاخَّة، يقال إنها الصيحةُ تُصِمُّ الآذان"[٤] .

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٠ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٤٩ .

(٣) السابق .

(٤) مقاييس اللغة (ص خ خ) .

ومثله فى المحكم واللسان (ص خ خ)، وكذا فى مفردات الراغب الأصفهانى .

وجاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى سياق وصف ذهول الإنسان حتى عن أخيه وأمه وأبيه . . . إلخ، وذلك حين يسمع هذا الصوت المروِّع فيفيق من ذهوله ويصيبه نوع آخر من الذهول، وهو أن يذهل عن الدنيا وما فيها، ولا يُصْغِى لصوت آخر سوى ذلك الصوت الذى يقوده إلى مصيره .

○ ونخلص مما سبق إلى أن اسم (الصَّاخَّة) يدل على لحظة من لحظات يوم القيامة، هى لحظة النفخ فى الصُّور، وما يصاحب ذلك من صمم عن الدنيا وذهول عنها، والإقبال على شأن الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب .

❑ ٦/٣١ الطَّامَّة:

ورد هذا الاسم من أسماء القيامة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ النازعات .

الطَّمُّ فى اللغة: تغطية الشىء للشىء حتَّى يغمره . من ذلك قولهم: طَمَّ البئرَ بالتراب، أى ملأها وسوَّاها، وقولهم: طَمَّ الأمرُ إذا عَلا وغَلَبَ؛ ولذلك سُمِّيت القيامة الطَّامَّة لأنها تَطُمُّ على كل هائلة (أى تعلو وتغلب)[١] .

وجاءت كلمة (الطَّامَّة) وصفًا للقيامة فى سياق الامتنان على الإنسان بخلق اللَّه فى السماوات والأرض والجبال وما فيها من متاع للإنسان ودلائل على قدرة اللَّه ﷻ، ثم إذا جاءت (الطَّامَّةُ) دُكَّ هذا كُلُّه وطُمَّ؛ فإن يوم القيامة تنفطر السماء وتُشَقَّق الأرض وتُنْسَفُ الجبال . . وهذا هو الجانب المادىُّ

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ط م م)، الكشاف ٤/ ٢١٥ .

للطَّمِّ، وثمة جانبٌ معنويّ إذْ إن يوم القيامة تَطُمّ أهواله على ما عداه من أهوال، أى تَعْلو وتفوق كل هائلة .

❑ ٣١/ ٧ الغاشية:

ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ يوسف .

- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ الغاشية .

معنى (غاشية) فى آية يوسف: عذاب يغشاهم فيغمرهم[١] . والغاشية: الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها، وهى القيامة، وهذا الوصف للقيامة ورد فى مواضع أخرى من القرآن الكريم، نحو قول اللّه ﷻ:

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ (العنكبوت: ٥٥) . هذا أرجح الأقوال فى تفسير الغاشية، وهو قول الجمهور[٢] .

وسياق الكلمة فى القرآن الكريم يقطع بأن المراد: يوم القيامة، بما يغشى الناس فيه من أهوال وشدائد، وما يعلو وجوههم من خشوع ونَصَبٍ، أو نضرة وإشراق .

فالمعنى الذى تركِّز عليه هذه الكلمة هو الغشيان أى الغَمْر، وهو مادىٌّ ومعنوىٌّ فى آنٍ واحد، مادىٌّ بما يعلو الوجوه من قتر ورهق أو من نضرة وإشراق، ومعنوىٌّ لغشيان أهوال القيامة على قلوب الخَلْق وتغطيتها على كل ما عداها من أحداث عرفها الخلق فى الدنيا .

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٦ .

(٢) انظر: الكشاف ٤/ ٢٤٦، البحر المحيط ٨/ ٤٦٢، مقاييس اللغة، مفردات الأصفهانى، اللسان (غ ش ى) .

❑ ٣١/٨ القارعة:

تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ الرعد: ٣١ .

- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ الحاقة .

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ القارعة .

قارعة: داهية تَقْرَعُهم بما يُحِلُّ اللّه بهم من صنوف البلايا والمصائب[١] .

وسُمِّيت القيامة بالقارعة؛ لأنها تقرع الناس (أى تضربهم وتصيبهم) بالأهوال كانشقاق السماء والأرض ودكِّ الجبال وطمس النجوم[٢] .

وأصل القَرْع: الضرب؛ وبه سميت القيامة لأنها تضرب الناس وتصيبهم بشدائدها[٣] .

وسورة القارعة تبيِّن بجلاء معنى هذا الاسم من أسماء القيامة، فبعد أن ذُكِرَت القارعة بالسؤال ثلاث مرات تعظيمًا لشأنها جاء التفسير:

- ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾

فهذا قرعٌ مادىٌّ محسوس حيث يتناثر الناس كالفراش، وتتطاير الجبال كالصوف المنفوش، وليس بعد هذا فى الشدة قَرْعٌ .

وهناك أيضًا قرع معنوىّ، بما يُفْزِع الناسَ من أهوال القيامة وشدائدها .

❑ ٣١/٩ القيامة:

تكرر هذا الاسم فى القرآن الكريم كثيرًا، وهو أشهر الأسماء الدالة على

---

(١) الكشاف ٢/٣٦١ .

(٢) الكشاف ٤/١٤٦ .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ق ر ع) .

يوم البعث والحساب، ومن شواهده:

- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥ .

- ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ النساء: ٨٧، الأنعام: ١٢ .

- ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ القيامة .

والقيامة إشارة إلى قيام الناس المذكور فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢﴾ الروم .

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ المطففين .

وأصل القيامة فى اللغة: القيام دفعةً واحدة، وذلك حين يقوم الناس من قبورهم[١] .

فالمعنى المشار إليه بهذا الاسم العَلَم هو: قيام الناس من قبورهم، ويكون ذلك دفعة واحدة، لشدَّة النفخة التى تصعق من فى السماوات والأرض إلَّا من شاء اللَّه . ولهذا المعنى ينطوى اسم القيامة على كل الأوصاف الواردة فى الأسماء الأخرى الدالة على هذا اليوم العظيم .

❑ ٣١/ ١٠ الواقعة:

جاء ذكر هذا الاسم فى القرآن الكريم مرتين، أولاهما فى سورة (الواقعة) وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ .

والثانية فى سورة الحاقة، فى قوله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهانى، اللسان (ق و م) .

- ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ .

ومعنى الواقعة: الحادثة؛ وُصِفَت بالوقوع لأنها تقع لا محالة[1]، فالوقوع على هذا التفسير يعنى الحدوث . وقيل: الواقعة هى القيامة لأنها تقع (أى تنزل) بالخلق فتغشاهم[2] .

ولعلَّ كلام الراغب الأصفهانى فى تفسير الواقعة أكثر من غيره بسطًا وأوضح دليلًا، قال:

الوقوع: ثبوت الشىء .. والواقعة لا تقال إلَّا فى الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء فى القرآن من لفظ (وقع) جاء فى العذاب والشدائد، وهو تأكيد للوجوب[3] .

وساق الراغب على هذا المعنى عددًا من آيات القرآن التى ورد فيها لفظ الوقوع .

○ ونخلص مما سبق إلى أن تسمية القيامة بالواقعة، إشارة إلى ثبوتها وتأكيدًا لوجوبها وحلولها، كما أن اشتقاقها من مادة (و ق ع) يفيد شِدَّتَها وثِقَلَها .

○ هذه هى الأسماء التى صارت علمًا على يوم القيامة، ومنها أسماء سُمِّيت بها سور كاملة، مثل: (الواقعة ـ الحاقَّة ـ القيامة ـ الغاشية ـ القارعة) .

○ ولا يشكُّ عربىٌّ يقرأ القرآن فى أن المراد بهذه الأسماء الأحد عشر: يوم القيامة .

○ ولكن لكل اسم منها ـ بالإضافة إلى هذا المعنى العامّ ـ ملامح دلالية خاصة، على نحو ما بيَّناه فيما تقدم .

(١) الكشاف ٤/ ٥١، مفردات الأصفهانى (و ق ع) .

(٢) مقاييس اللغة (و ق ع) .

(٣) مفردات الأصفهانى (و ق ع) .

وليوم القيامة أوصاف أخرى فى القرآن الكريم، لم نذكرها هنا؛ لأنها ليست من باب التقارب الدلالىّ، بل هى وصف لحوادث ومواقف تقع فى ذلك اليوم، ومن تلك الأوصاف:

يوم البعث ـ يوم الجمع ـ يوم الحساب ـ اليوم الآخِر ـ الآخرة ـ يوم الحسرة ـ يوم الحشر ـ يوم الخروج ـ يوم الخلود ـ يوم الدين ـ اليوم المشهود ـ يوم عَسِرٌ ـ يوم عظيم ـ يوم عقيم ـ يوم معلوم ـ يوم الوقت المعلوم ـ يوم التغابن ـ يوم الفتح ـ يوم الفزع الأكبر ـ يوم الفصل ـ يوم التلاقى ـ النبأ العظيم ـ يوم التَّناد ـ يوم النشور ـ الوعد ـ الوعيد ـ اليوم الموعود ـ الميقات .

وغير ذلك من أوصافٍ ذُكِرَتْ بألفاظ أخرى .

ولكنْ كلّ هذه أوصاف ولم تصبح أعلامًا دالَّةً على ذلك اليوم نفسه، وهى تستحق بحثًا مفصَّلًا يُجَلِّى خوافيها ومكنونات معانيها، ويُبيِّن أسرارها اللغوية وسياقاتها القرآنية .

❋ ❋ ❋

ثانيًا: الفروق الدلالية
بين الأبنية الصرفية المتشابهة

١- اختلاف صيغة الفعل

٢- اختلاف صيغة المصدر

٣- اختلاف صيغ المشتقات

٤- اختلاف صيغ الجموع

٥- بين الإفراد والجمع

١- اختلاف صيغة الفعل (٣٢)

❑ ٣٢/ ١ بَعُدَ - بَعِدَ:

لم تُفَرِّق المعاجم اللغوية بين الفعلين، قال ابن فارس: " البُعْدُ خلاف القُرْبِ، والبُعْدُ والبَعَدُ: الهلاك . وقالوا فى قول اللَّه تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود: ٩٥، أى : هَلَكَتْ . وقياس ذلك واحد"[١] .

يريد: أن الهلاك بُعْدٌ للهالك .

وفى اللسان:

"البُعْدُ: خلاف القرب . بَعُدَ الرَّجُلُ (بالضمّ)، وبَعِدَ (بالكسر) بُعْدًا وبَعَدًا، فهو بعيد"[٢] .

وقد ورد الفعل المضموم العين فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ التوبة: ٤٢ .

وورد الفعل المكسور العين ومصدره فى قوله ﷻ:

- ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود: ٩٥ .

فعبَّر القرآن عن البُعْدِ فى المسافة بالفعل المضموم العين (بَعُدَ)، بينما عَبَّر عن الهلاك بالفعل المكسور العين (بَعِدَ) .

قال الزمخشرىّ: المعنى فى البناءين واحد، وهو نقيض القرب، إلَّا أنهم

---

(١) مقاييس اللغة (ب ع د) .

(٢) اللسان (ب ع د) .

أرادوا الفصل بين البُعْدِ من جهة الهلاك وبين غيره فغيَّروا البناء كما فرَّقوا بين ضمان الخير والشرّ فقالوا: وَعَدَ، وأَوْعَدَ[1] .

● ونقل أبو حيان كلام الزمخشريّ وغيره، ومحصّله أن أكثر استعمال (بَعُدَ) بضم العين فى التعبير عن البُعْد فى المسافة، وأكثر استعمال (بَعِدَ) بكسر العين فى التعبير عن الهلاك[2] .

ومراعاة القرآن التفرقةَ بين معنى الفعلين عن طريق الصيغة الصرفية، هو الأسلوب الأمثل فى التعبير اللغوى، على عادة القرآن الحكيم فى ذلك .

ومثل ذلك استعمال الفعلين (قَسَطَ ـ أَقْسَطَ) والوصف منهما (قاسط ـ مُقْسِط)، فالمجرد بمعنى الظلم والجَوْر، والمزيد بالهمز بمعنى العدل، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ الجن .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة: ٤٢، الحجرات: ٩، الممتحنة: ٨ .

****

❏ ٣٢/ ٢ تَبِعَ ـ اتَّبَعَ:

قال اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة .

- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ طه .

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩١ .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٥٨، وانظر مفردات الأصفهانى (ب ع د) .

• فى آية البقرة جاء الفعل المجرد (تَبِعَ) وهو يدلُّ على مجرد الوصف بالاتِّباع . أما فى آية طه فاقتضى السياق أن يُستَعْمَل الفعل المزيد (اتَّبَعَ) بوزن (افْتَعَلَ) وهو يفيد التجدُّد والتكلُّف ، أى وجود مشقة فى الفعل ؛ وذلك لأن الآية فى سورة طه جاءت عقب ذكر عداوة إبليس لآدم ﷺ، فناسب ذلك تجديد الاتِّباع للهدى والاجتهاد فى بلوغه، وعُبِّر عن ذلك بالفعل المزيد (اتَّبِع) الدالّ على التجديد والقوة والقصد .

****

❑ ٣٢/ ٣ شَرَى ـ اشْتَرَى :

○ تدور مادة (ش ر ى) فى اللغة حول معنى: المماثلة بين أمرين أخذًا وعطاءً[١]؛ ولما كان البيع والشراء يتلازمان فقد استُعمل الشراء بمعنى البيع، كما استُعمل البيع بمعنى الشراء[٢].

ولذا يُستعمل الفعلان (شَرَى ـ اشْتَرَى) تارةً بمعنى أخذ الشىء، وتارة بمعنى دفع الثمن .

لكن الاستعمال القرآنى فرَّق بين الفعلين، فخصَّص الصيغة المجردة (شَرَى) فى معنى: باعَ الشىءَ وأخَذَ الثمن، كما فى الآيات التالية:

- ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ

---

(١) مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ش ر ى) .

(٢) مفردات الأصفهانى (ش ر ى) .

وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ البقرة .

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة.

- ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ النساء .

- ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يوسف .

فقوله ﷻ: ﴿شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ﴾ معناه: باعوها[1] .

وقوله ﷻ: ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ معناه: يبيعها[2]، أى يبذلها فى رضا اللَّه ﷻ .

وقوله ﷻ: ﴿يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ﴾ معناه: يبيعونها ويُؤْثِرون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها[3] .

وقوله ﷻ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أى: باعوه[4] .

أما الفعل المزيد بتاء الافتعال (اشْتَرَى) فقد تكرَّر فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وكان بمعنى الشراء فى هذه المواضع كلِّها، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ البقرة: ١٦ .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾ التوبة: ١١١ .

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ يوسف: ٢١ .

---

(١) الكشاف ١/ ٣٠١ .

(٢) الكشاف ١/ ٣٥٢ .

(٣) البحر المحيط ٣/ ٢٩٥، الكشاف ١/ ٤٥٢ .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٠٩ .

والشراء هنا هو أخذ الثمن مقابل الشىء، سواء أكان هذا الثمن ماديًا كما فى آية يوسف رقم (٢١) ، أو معنويًّا كما فى سائر المواضع الأخرى[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى غاير بين دلالتى (شَرَى - اشْتَرَى)، فجاءت الصيغة المجردة بمعنى البيع، والصيغة المزيدة بمعنى الشراء .**

******

❑ ٣٢/ ٤ اسْتَطاع - اسْطاع:

ورد هذان الفعلان فى آية واحدة هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ الكهف .

● **وإيثار صيغة (اسْتَفعل/ اسْتَطاع) مع النقب؛ لدلالة الصيغة بتمامها على الطلب والمحاولة، فهم وإن كانوا عاجزين عن نقب السَّدِّ، إلا أنهم يحاولون غير يائسين من نقبه .**

● **أما صيغة (اسْطاع) بحذف التاء، ففيها إيحاء بالعجز التام واليأس حتى من مجرد محاولة تسلُّق السد والصعود عليه .**

كما أن فى المخالفة بين اللفظين المتجاورين مراعاةً لجرس الكلام ونغمه، وهى سمة جمالية من خصائص التعبير القرآنى الذى تتعانق فيه الأصوات والتراكيب والدلالات وتتآزر لأداء المعنى على أدق وجه وأكمل صورة .

******

❑ ٣٢/ ٥ فَسَحَ - تَفَسَّحَ:

● صيغة الفعل المجرد (فَسَحَ) تدل على الإطلاق، فمعنى (فَسَحَ): أَوْسَعَ،

---

(١) انظر: خصائص التعبير القرآنى ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦ .

بينما تدلُّ الصيغة المزيدة بالتاء وتضعيف العين على التكلُّف، فمعنى (تَفَسَّحَ): تكلَّفَ ذلك .

وقد ورد الفعلان فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ المجادلة: ١١ .

فكلمة (تفسَّحوا) معناها : أن يفسح بعضهم لبعضٍ ويُوجِد كلٌّ منهم فُسْحةً لغيره فى المكان، وذلك بالتضامِّ والتقارُب .

أمَّا الفعل (افْسَحوا) فهو أمرٌ من الثلاثى المجرَّد (فَسَحَ)، وليس فيه معنى التكلُّف، بل هو فَعْلُ ذلك دون تكلُّف أو إبداءٍ لمشقَّة ذلك؛ ولذا جُوزِىَ مَنْ يستجيب ويُوسِع لغيره بالسَّعة من اللَّه ﷻ، وهى مطلقة فى الرزق والعلم والقلب والقبر وغير ذلك[١] .

● ونخلص من ذلك إلى أن الفعل المزيد (تَفَسَّحَ) فيه تكلُّف وشعور بالمشقة . أما الفعل المجرد ففيه إطلاق، وأداء للفعل دون إبداء تكلُّف أو شعور بالمشقة .

******

❑ ٦/٣٢ كَسَبَ ـ اكْتَسَبَ:

تدور مادة (ك س ب) حول معنى: جلب النفع من مال وغيره، أو تخصيل ما هو مَظِنَّةٌ للنفع .

○ والكَسْبُ: تحصيل ذلك، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ البقرة: ٢٦٧ .

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٥، التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٧ ، ٣٨ .

وقد يُستعمل الكَسْبُ فى السَّيِّئ، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ الأنعام: ١٢٠ .

- ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩ .

○ والاكتساب: جاء على صيغة الافتعال الدالة على شدة الطلب، وقد غلب استعماله فى الشرِّ والسَّيِّئ؛ لأن صيغة الافتعال تدل على المحاولة والاجتهاد فى الطلب، والنفوس تنجذب إلى شهواتها السيئة، فعُبِّر عن ذلك بصيغة الافتعال، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦ . أى: لها عملها الصالح وعليها عملها السَّيِّئ .

وقد يُسْتَعْمَل الاكتساب فى معنى الخير كما فى قوله ﷻ:

- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ النساء: ٣٢ .

● **ولكن يبدو أن الكسب لا يُستعمل إلَّا فى الخير، وأما الآيات التى ورد فيها بمعنى السيئ؛ فلأن من يكسب سوءًا أو إثمًا يظن فى ذلك خيرًا وتحصيل نفع .**

● **كما غلب استعمال الاكتساب فى الشرِّ .**

● **وباستقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ الاكتساب، لا نجده ورد بمعنى كسب الحسنات؛ ولم يعبِّر القرآن عن الحسنات والصالحات إلا بلفظ (كسب) .**

● **وأمَّا استعمال القرآن للفعل المجرد (كَسَبَ) فى المعاصى والسيئات فهو على معنى التعوُّد، فالعاصى قد اعتاد العصيان، فناسَبَهُ أن يُسْنَد إليه الفعلُ بصيغته المجردة (كَسَبَ) . أما الصيغة المزيدة (اكْتَسَبَ) فتدل على بذل**

الجهد، فناسب استعمالها فى معنى الاجتهاد فى تحصيل النفع أو ما هو مَظِنَّة النفع وإن كان شرًّا .

******

❑ ٧/٣٢ مَدَّ ـ أَمَدَّ:

ومن ذلك أيضًا استعمال القرآن الكريم ـ في الأعم الأغلب ـ الفعل (مَدَّ) فى الخير، والمهموز (أَمَدَّ) فى الشر، قال اللَّه ﷻ:

- ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الشعراء .

فهذا فى الخير .

وقال ﷻ:

- ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ الأعراف: ٢٠٢ .

فهذا فى الشر . والصيغة الصرفية لها وظيفة دلالية مهمَّة فى التعبير القرآنى .

******

❑ ٨/٣٢ نَبَّأَ ـ أَنْبَأَ:

ورد الفعلان: المضعَّف والمهموز، فى آية واحدة، هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ التحريم .

فتكرر الفعل المضعَّف فى الآية ثلاث مرات، فُصِلَ بينها بالسؤال الذى جاء الفعل منه مهموزًا: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا﴾ .

● **وصيغة الفعل المضعَّف تدل على الكثرة والقوة؛ لذا عُبِّر بها عن الخبر التام الذى قد حدث فعلًا: ﴿نَبَّأَتْ بِهِ﴾ ، ﴿نَبَّأَهَا بِهِ﴾ ، والوحى الإلهى:**

﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ .

● بينما عُبِّر بصيغة المهموز (أَنْبَأَ) فى مقام السؤال عمَّن نقل هذا النبأ إلى النبى ﷺ . ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ﴾ ، وصيغة المهموز أنسب بهذا المقام لدلالتها على التعدية، أى نقل النبأ .

****

٢- اختلاف صيغة المصدر (٣٢)

❑ ٩/٣٢ البَأْس ـ البَأْساء:

○ تدور مادة (ب أ س) فى اللغة حول معنى الشِّدَّة، من فقر وخوف وجوع وحرب[١] .

ولم تُفَرِّق المعاجم اللغوية بين البأس والبأساء، وجعلهما الراغب الأصفهانى أيضًا بمعنى واحد، قال:

"البُؤْس والبَأْس والبَأْساء: الشِّدَّة والمكروه، إلَّا أن البُؤْسَ فى الفقر والحرب أكثرُ، والبَأْسَ والبَأْساءَ فى النِّكاية"[٢] .

ولكن ورود اللفظين (البَأْساء، البَأْس) معطوفين فى القرآن الكريم يقتضى تغايرهما، وذلك كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ البقرة: ١٧٧ .

والذى نُرَجِّحه ما ذهب إليه أكثر المفسِّرين، وهو أن البَأْساء: الفقر، والضَّرَّاء: المرض، والبَأْس: القتال . وهذا من باب الترقِّى فى الصبر من الشديد إلى الأَشَدِّ، فذكر أولًا الصبر على الفقر (البَأْساء)، ثم الصبر على المرض (الضرَّاء) وهو أشدُّ من الفقر، ثم الصبر على القتال(البَأْس)، وهو أشَدُّ من الفقر والمرض[٣] .

---

(١) المقاييس، اللسان (ب أ س) .

(٢) مفردات الأصفهانى-(ب أ س) .

(٣) البحر المحيط ٢/٨ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (البَأس ـ البَأساء) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى الشدَّة والمكروه .

● ويتميَّز لفظ (البَأساء) بنوع من الشدة هى شدة الفقر، بينما يتميَّز (البَأس) بنوع من الشدة هى شدة القتال والعذاب والنَّكال .

****

❑ ٣٢/ ١٠ سِخْرِيًّا ـ سُخْرِيًّا :

كلا اللفظين يجمعهما أصل دلالىٌّ واحدٌ هو (س خ ر)، ولم يفرِّق اللغويون بينهما، حيث جعلوهما اسمًا من سَخِرَ كالسُّخْرِيَة[١] .

وقد وردت كلمة (سِخْرِيًّا) ـ بالكسر ـ فى القرآن الكريم مرتين[٢]، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِى﴾ المؤمنون: ١١٠ .

- ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ ص .

ذهب الخليل وسيبويه إلى التسوية بين ضم السين وكسرها فى (سخْرِيًّا)، وذهب الكسائى والفراء إلى أن كسر السين معناه الهُزْء، (أى السُّخْرِيَة)، وضم السين معناه السُّخْرة أى العبوديَّة[٣] .

---

(١) انظر: اللسان (س خ ر) .

(٢) اختلف القراء فى (سخْرِيًّا) فى آيتى المؤمنون وص، فقرأهما المدنيان وحمزة والكسائى وخلف بضم السين فى الموضعين، وقرأ الباقون بكسر السين فى الموضعين . واتفقوا جميعًا على ضم السين فى آية الزخرف؛ لأنها من السُّخْرة لا من الهُزء (النشر فى القراءات العشر ٢/ ٣٢٩) . والمعتمد هنا قراءة من قرأ بكسر السين فى الموضعين المذكورين، ومنهم حفص عن عاصم .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٤ ، ٣/ ٣٨٠ .

وإلى مثل ذلك ذهب القرطبيّ[١] وأبو حيان[٢] .

وأجمع القُرَّاء على ضم السين فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف: ٣٢ .

وإجماع القراء على ضم السين هنا يُرَجِّح أن هناك فرقًا بين الكلمة مضمومة السين ومكسورة السين على نحو ما بينَّا .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين وإن تقاربَتا صوتيًّا وصرفيًّا (إذْ لا فارق بينهما سوى كسر السين أو ضمِّها)، فإن بينهما اختلافًا كبيرًا فى المعنى .**
- **فالسِّخْرىُّ بالكسر: السُّخْرِيَة والهُزْء .**
- **والسُّخْرِىُّ بالضم: السُّخْرة والاستعباد.**

والياء فيهما للمبالغة، كالياء فى خُصوصِيَّة، وأصلها (خُصوص) .

******

❑ ٣٢/ ١١ السِّلْم ـ السَّلْم ـ السَّلَم:

○ لم تفرِّق المعاجم بين السِّلْم والسَّلْم، قال ابن منظور: السَّلْم والسِّلْم: الصُّلح، يُفْتَح ويُكْسَر[٣] .

○ بينما ذكرت المعاجم أن السَّلَم (بفتح اللام) يعنى: الاستسلام والإذعان والانقياد[٤] .

---

(١) القرطبى ١٢/ ١٥٥ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ٤٢٣ .

(٣) اللسان (س ل م)، وانظر: الصحاح، التهذيب، مقاييس اللغة (س ل م) .

(٤) النهاية، اللسان (س ل م) .

وقد ورد السِّلْم (مكسور السين ساكن اللام) فى القرآن الكريم مرة واحدة (على قراءة غير نافع وابن كثير والكسائى وأبى جعفر) فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ البقرة .

السِّلْم: الاستسلام والطاعة، أى استسلموا للَّه وأطيعوه، وقيل: هو الإسلام[1]، أنشد الكسائى وغيره من علماء اللغة قول امرئ القيس بن عابس الكندىّ:

دَعْوْتُ عَشيرتِى للسِّلْم لمَّا   رَأَيْتُهُمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينا

فَلَسْتُ مُبَدِّلًا باللَّه ربًّا   وَلا مُسْتَبْدِلًا بالسِّلْم دِينا

أى: دعوتُ قومى للإسلام، قال ذلك لمَّا ارتدَّت قبيلة كندة مع الأشعث ابن قيس . وقال آخر فى فتح مكة:

شَرائِعُ السِّلْمِ قَدْ بانَتْ مَعالِمُها   فَما يَرَى الكُفْرَ إلَّا مَنْ بِهِ خَلَلُ

يريد: الإسلام؛ لأنه قابَلَه بالكفر . وقيل: (السِّلم) بالكسر: الإسلام، وبالفتح: الصُّلْح[2] .

والأرجح من بين هذه الأقوال قول أبى عمرو بن العلاء، وهو أحد القُرَّاء السبعة، الذى يرى أن السِّلْم بكسر السين هو الإسلام، والسَّلْم بفتح السين هو المسالمة[3] .

والسَّلْم (بفتح السين وسكون اللام) ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

---

(١) الكشاف ١/٣٥٣ .

(٢) البحر المحيط ٢/١٠٩ .

(٣) نقله الطاهر بن عاشور فى: التحرير والتنوير ٢/٢٧٦ .

- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الأنفال: ٦١ .
- ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ محمد .

وهى فى الموضعين بمعنى المسالمة كما سبق ذكره، وكما فى كثير من كتب التفسير(١) .

○ أما السَّلَم بفتح السين واللام فقد تكررت فى القرآن الكريم خمس مرات فى الآيات التالية:

- ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء: ٩٠ .
- ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ النساء: ٩١ .
- ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٢٨ .
- ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ النحل .
- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الزمر: ٢٩ .

السَّلَم فى هذه الآيات بمعنى: الانقياد والاستسلام(٢)، عدا آية الزمر فمعنى قوله ﷻ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ : خالصًا له لا يَشْرَكُه فيه أحد(٣) .

(١) انظر: الكشاف ٢/ ١٦٦، ٣/ ٥٣٩، البحر المحيط ٤/ ٥١٣، ٨/ ٨٥ .
(٢) الكشاف ١/ ٥٥٢، ٢/ ٤٠٧، ٢/ ٤٢٤ .
(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٧ .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (سِلْم ـ سَلْم ـ سَلَم) بينها تقارب دلالىّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الخلوص .

● فالسِّلْم: خُلوص الطاعة والإيمان والعمل للَّه ﷻ .

● والسَّلْم: خُلوص الرغبة فى الصلح .

● والسَّلَم: خُلوص الانقياد والاستسلام، أو خلوص الشىء لمالكه فلا يَشْركه فيه أحد .

****

❑ ٣٢/ ١٢ صَدّ ـ صُدود:

قال اللَّه ﷻ:

- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ البقرة: ٢١٧ .

- ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ النساء .

وقال ﷻ فى موطن آخر:

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ النساء .

● استُعمل المصدر (صدًّا) لما كان فِعلُه متعديًا، أى: يصُدُّون غيرَهم، فهو بمعنى المنع .

● واستُعمل المصدر (صُدودًا) لما لم يكن متعديًا، فهو بمعنى الإعراض .

****

❑ ١٣/٣٢ صَوْم - صِيام:

استخدم القرآن الكريم الفعل "صام" الذى يدل على معنى الإمساك عن الطعام والشراب، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام .

وقد حرص القرآن على أن يميِّز فى المصدر بين النوعين، فاستخدم للمعنى الأول كلمة "صيام" كما فى قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة .

واستخدم للمعنى الثانى كلمة "صوم" كما فى قوله تعالى:

- ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ مريم : ٢٦[١] .

******

❑ ١٤/٣٢ كَرْه - كُرْه:

○ كلا اللفظين مصدر (كَرِهَ) . وقيل: الكُرْه اسم، والكَرْه مصدر . وقيل: الكُرْه المشقَّة، وهو فِعْل المختار، والكَرْهُ: أن تُكلَّفَ الشىء فتعمله كارهًا، وهو فعل المضطَرّ[٢] .

وإذن فاللفظان يشتركان فى معنى إباء النفس للشىء وثقله ومشقته وعدم الرِّضا به .

أكثر أهل اللغة يرون أن اللفظين مترادفان، إلَّا الفرَّاء فإنه زعم أن الكُرْه

---

(١) كمال اللغة القرآنية، ص ١٠٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر هـ) .

(بالضم): ما أكرهت نفسك عليه، والكَرْه (بالفتح): ما أكرهك غيرك عليه[١] .

وقد ورد لفظ (الكُرْه) بالضم فى القرآن الكريم ثلاث مرات[٢]، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ الأحقاف: ١٥

وسياق الآيتين لا يُرَجِّح ما ذهب إليه الفرَّاء من أن الكُرْه - بالضم - هو ما أكرهت نفسك عليه، والأَصَحُّ أن يقال: إن الكُرْه: ما كَرِهَتْه النفس لمشقته وثقله عليها، ولكن النفس تختاره وتُقْبِل عليه برغم مشقته، فالقتال كريه للنفوس؛ لأنه يَحول بين المقاتِل وبين طمأنينته ولَذَّاته ونومه وطعامه وأهل بيته، ويعرِّضه للهلاك أو ألم الجراح، ولكن فيه دفع المذلَّة، فهو من الضرورات التى لابد منها؛ لأن تركه يُفْضِى إلى ضرر أعظم وأشد . وكراهية الطبع لا تُنافِى تلقِّى التكليف به برضًا؛ لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة[٣] .

ومثل ذلك الحمل والوضع فى آية الأحقاف، فهما وإن كان فيهما ثقل ومشقة وألمٌ ـ إلَّا أن المرأة تَقْبَل هذه المشقة وتتجشَّمها راضيةً سعيدة، لأجل الولد .

- **ففى كلمة (كُرْه) ثلاثة ملامح دلالية:**

١- الشدة والمشقة .

٢- الرضا بهذه المشقة .

---

(١) اللسان (ك ر هـ) .

(٢) هذا على قراءة عاصم، وهو ما يوافق رسم المصحف، وقد اختلف القُرَّاء فى بعض هذه المواضع، ولكنهم أجمعوا على ضم الكُرْه فى سورة البقرة (انظر: المفصل فى القراءات) .

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٣٢٠-٣٢١ .

٣- كونه مفروضًا من الخارج .

أمّا (الكَرْه) بفتح الكاف فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مرات[١]، فى الآيات التالية:

- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ آل عمران .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ النساء .

- ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ التوبة .

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ الرعد .

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فصلت .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الملامح الدلالية المميِّزة للكَرْه فى هذه الآيات: المشقة، والإجبار (ضد الطَّوْع والإرادة)، وعدم قبول النفس للأمر عن رضا .**

- **والملمح الأخير هو الملمح الدلالىّ الفارق بين الكُرْه والكَرْه؛ حيث يشتركان فى ملمحين هما:**

١- الشدة والمشقة .

٢- كونه مفروضًا من الخارج .

---

(١) هذا على قراءة عاصم، واختلف فيه القراء، ولم يُجمعوا إلّا على ضم كلمة (الكُرْه) فى سور البقرة، كما سبق .

● **ويتميز المضموم بملمح الرِّضا، بينما يتميز المفتوح بعدم الرِّضا .**

****

❑ ٣٢/ ١٥ ضُرّ ـ ضَرّ ـ ضَرَر ـ ضِرار ـ ضَرَّاء:

بمراجعة مادة (ض ر ر) فى المعاجم لم نظفر بطائل من ملامح دلالية تُفَرِّق بين هذه الكلمات المختلفة، فمن ذلك ما ذكره ابن منظور:

"الضَّرُّ والضُّرُّ لغتان: ضِدُّ النفع . والضَّرُّ المصدر، والضُّرُّ الاسْمُ، وقيل: هما لغتان كالشَّهْد والشُّهْد، فإذا جمعت بين الضَّرِّ والنفع فتحت الضادَ، وإذا أفردْتَ الضُّرَّ ضَمَمْتَ الضادَ إذا لم تجعله مصدرًا كقولك: ضَرَرتُ ضَرًّا، هكذا تستعمله العرب . قال أبو الدقيش: الضَّرُّ ضد النَّفْعِ، والضُّرُّ بالضم: الهُزال وسوء الحال . . . وكل ما كان من سوء حال وفقرٍ أو شدَّةٍ فى بدن فهو ضُرٌّ، وما كان ضدَّ النفع فهو ضَرٌّ . . . والضَّرَرُ: ضد النفع، وهو فِعْلُ الواحِدِ، والضِّرار فعل الاثنين، أى يُضارّ كل واحد منهما صاحبَه . . . والضَّرَّاء: السَنَةُ (أى الجدب)، والضَّرَّاء: الحالة التى تَضُرُّ من الفقر والشدة والعذاب"[١] .

وأمَّا القرآن الكريم فيفرِّق بين هذه الألفاظ بملامح دلاليَّةٍ واضحة، على النحو التالى:

■ **الضُّرّ:**

تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم تسع عشرة مرة، ومن شواهدها:

- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ١٧، يونس: ١٠٧ .

- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ

(١) اللسان (ض ر ر) .

كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ يونس: ١٢ .

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨ .

- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ﴾ الإسراء: ٦٧ .

قال المفسِّرون: الضُّرُّ (بالضَّمِّ): البلاء من مرض أو فقرٍ أو غير ذلك[١]، وهو ظاهر الآيات السابقة . فليس الضُّرُّ مقصورًا على نوع بعينه من البلاء، بل هو عامٌّ فى كل بلاء يصيب الإنسان، وهو اسم للحال التى تؤلم الإنسان[٢] .

● **الضَّرّ:**

تكرَّرت هذه الكلمة فى القرآن الكريم عشر مرات، ومن شواهدها:

- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾ المائدة: ٧٦ .

- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

- ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ الجن .

وفى أكثر هذه الشواهد (٩) عُطِفَ الضَرُّ على النفع، وفى شاهد واحد عطف الضرُّ على الرشد، ولم يرد الضَّرُّ (بفتح الضاد) مفردًا فى القرآن الكريم . وهذا يؤكد ما قاله ابن منظور، وهو أن الضُّر بالضم اسم، وبالفتح مصدر، وهو معنى قول أبى حيَّان: الضَّرّ (بالفتح): ضد النفع .

ومعنى هذا أن الضُّر اسمٌ لحالة البلاء، أما الضَّرُّ فهو إلحاق الضَّرَر بالآخرين .

فقول اللَّه ﷻ: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾ معناه: لا يستطيع أن

---

(١) الكشاف ٢/ ٩، البحر المحيط ٤/ ٨٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٧/ ١٦٣ .

يُلحِقَ بكم البلايا والمصائب فى الأنفس والأموال[١] .

فالضَّر حَدَثٌ أى فِعْلٌ، يُلْحِقه الإنسانُ بغيره .

● **الضَّرر:**

لم يرد الضَّرَر فى كتاب اللَّه سوى مرة واحدة، فى قوله ﷻ:

- ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ النساء: ٩٥ .

والمراد بالضَّرَر: المرض أو العاهة من عمى أو عَرَجٍ أو نحوهما[٢] .

وأضاف الشيخ الطاهر بن عاشور أن أشهر استعمالات الضَّرَر فى العَمَى؛ ولذلك يُقال للأعمى: ضرير، وبناء الضَّرَر على صيغة (فَعَل) مثل بناء العَمَى والعَرَج والحَصَر ونحوها، وهذا يدل على أن المراد به العاهة . قال: ولا نعرف فى كلام العرب إطلاق الضَّرَر على غير العاهات الضَّارَّة[٣] .

ومما يؤيِّد ما ذكره العلَّامة الطاهر بن عاشور أن هذه الآية نزلت فى ابن أم مكتوم الضرير، جاء فى الصحيحين: عن سهل بن سعد الساعدىّ أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسًا في المسجد، فأقبلتُ حتى جلستُ إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول اللَّه ﷺ أَمْلَى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال: فجاءه ابنُ أمِّ مكتوم وهو يُمِلُّها علىَّ فقال: يا رسول الله، لو أستطيعُ الجهادَ لجاهدت . وكان رجلًا أعمَى، فأنزل اللَّه تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذُه على فخذى فثَقُلَتْ علىَّ حتَّى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فخذى، ثم سُرِّىَ عنه، فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾[٤] .

---

(١) الكشاف ١/ ٦٣٥، البحر المحيط ٣/ ٥٣٨ .

(٢) الكشاف ١/ ٥٥٥، البحر المحيط ٣/ ٣٣٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٥/ ١٧١ .

(٤) البخارى: كتاب الجهاد والسير، رقم: ٢٦١٩، ٢٦٢٠، كتاب تفسير القرآن، رقم: ٤٢٢٦، ٤٢٢٧، ٤٢٢٨، كتاب فضائل القرآن، رقم: ٤٦٠٦؛ مسلم: كتاب الإمارة، رقم: ٣٥١٦، ٣٥١٧ .

وراوى الحديث هو زيد بن ثابت كاتب الوحى، فتعيَّن أن المراد بالضرر فى هذه الآية: العَمَى؛ وذلك لأن أشهر استعمالات الضَّرَر فى العمى، ولأن الصيغة الصرفية (فَعَل) تُسْتَعمل فى الدلالة على العاهة، وأن سبب نزول الآية فى شأن رجلٍ أعمى هو عبد اللَّه ابن أم مكتوم رضي الله عنه .

● **الضِّرار:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ التوبة .

الضِّرار: مصدر (ضارَّ)، يقال: ضارَّهُ ضِرارًا ومُضارَّةً، نحو قاتله قتالًا ومقاتلة[(١)] .

وأصل صيغة المفاعلة (فِعال ومُفاعلة/ ضِرار ومُضارَّة) أن تدلَّ على وقوع الفعل من الجانبين مثل (خاصَمَ)، وقد تُستعَمل فى الدلالة على قُوَّة الفعل مثل: عافاك الله، والظاهر أنَّها مستعملة هنا للمبالغة فى الضرِّ؛ تشنيعًا على من يفعله[(٢)] .

فالضِّرار: المبالغة فى الضَّرِّ وإلحاق الأذى بالغير .

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٢١٤، البحر المحيط ٢/ ٢٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٤٢١ .

● **الضَّرَّاء:**

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم تسع مرات، منها:

- ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ البقرة.

- ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ آل عمران.

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ الأنعام.

- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)﴾ فصلت.

واتفق المفسِّرون على أن الضَّرَّاء تعنى: البلاء الذى يصيب البدن من أمراضٍ وجوعٍ وعُرْيٍ، ونحوها[١].

● **ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (ضُرّ ـ ضَرّ ـ ضَرَر ـ ضِرار ـ ضَرَّاء) بينها تقارب دلالىٌّ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى: البلاء والشدَّة.**

ويختص كل لفظ منها بملمح دلالىٍّ مميِّز على النحو التالى:

● **الضُّرّ: اسم لحالة البلاء، وهو عامٌّ.**

---

(١) الكشاف ١/ ٣٣١، البحر المحيط ٢/ ٨، القرطبى ٦/ ٤٢٤.

- **الضَّرّ: إحداث البلاء وإلحاقه بالغير .**
- **الضَّرَر: العاهة (والعَمَى خاصَّةً) .**
- **الضِّرار: المبالغة فى إلحاق البلاء بالغير .**
- **الضرَّاء: البلاء الذى يصيب البدن خاصَّةً .**

******

❑ ١٦/٣٢ النِّعْمَة ـ النَّعْماء:

وردت كلمة (نِعْمَة) فى كثير من المواضع، ولم ترد (نَعْماء) إلَّا فى موضع واحد من القرآن الكريم، وهو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ هود .

ومن مواضع كلمة (نِعْمَة) قوله ﷻ:

- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ البقرة: ٢٣١ .

- **فالنِّعْمَة: هى الشىء الذى يَستلذُّ به الإنسان وينعم به ، والحالة الحسيَّة التى هو عليها من إحساس باللذة .**
- **والسياقات التى وردت فيها كثيرة، وتشمل النِّعْمَة الظاهرة والنِّعْمَة الباطنة .**
- **أما النَّعْماء فالسياق الذى وردت فيه يحدِّد معناها فى النِّعْمَة التى تكون بعد حال من الشقاء، فقد وردت فى مقابل الضَّرَّاء .**

******

❑ ٣٢/ ١٧ النِّعْمَة ـ النَّعيم:

لم تُفرِّق المعاجم اللغوية بين النِّعْمة والنَّعيم، جاء في اللسان: "النَّعيم والنُّعْمَى والنَّعماء والنِّعْمَة، كلُّه: الخفض والدَّعَة والمال"[١] .

ولكن الاستعمال القرآنى للفظين خصَّ (النِّعْمَة) بما أنعم اللَّه به على عباده فى الدنيا لا فى الآخرة، سواء أكانت خيرًا ماديًّا كالمال والجاه والصحَّة، أم خيرًا معنويًّا نحو الهداية والإرشاد إلى الصواب والتوفيق للعمل به . وجاء هذا المعنى فى (٤٩) موضعًا من القرآن الكريم، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٤٠، ٤٧، ١٢٢ .

- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ النمل .

- ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ الزمر .

○ أما كلمة (نَعيم) فقد استخدمها القرآن الكريم فيما أنعم اللَّه به على عباده المقرَّبين: فى الآخرة دون غيرها، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ الطور .

- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ الواقعة .

ولا خلاف بين المفسِّرين على أن المراد بالنَّعيم هو ما ينعم اللَّه به على عباده فى الآخرة، إلَّا فى قوله ﷻ:

- ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ التكاثر .

---

(١) اللسان (ن ع م) .

بعض المفسرين قالوا: نِعَمُ الدنيا، وبعضهم قالوا: نِعَمُ الآخرة[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن النِّعْمَة تُستعمل فى القرآن الكريم ـ فى الأعم الأغلب ـ للدلالة على ما أنعم اللَّه به على الخَلْق فى الدنيا . بينما اختص لفظ (النعيم) بالدلالة على ما أنعم اللَّه به على عباده فى الآخرة .**

● **ولعل السِّرَّ فى هذه التفرقة يرجع إلى صيغة (فعيل) الدالَّة على المبالغة، فالنَّعيم: نِعْمَة كثيرة مضاعفة لا مثيل لها فى الدنيا .**

******

❑ ١٨/٣٢ ضَلال ـ ضَلالة:

الضَّلال والضَّلالة فى اللغة كلاهما مصدر (ضَلَّ ـ يَضِلُّ)، وهو ضياع الشىء وذهابه فى غير حقِّه، وكل جائر عن القصد ضالٌّ[٢] .

ولكن الاستعمال القرآنى للكلمتين يوضِّح مدى دقة اختيار اللفظ فى هذا الكتاب الحكيم، كما يتبيَّن من قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ الأعراف .

قال الزمخشرى: فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ ولَمْ يَقُلْ (ضلال) كما قالوا؟ قلتُ: الضَّلالة أخَصُّ من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بى شىءٌ من الضَّلال، كما لَوْ قيلَ لك: ألَكَ تمر؟ فقلت: ما لِى تمرةٌ[٣] .

---

(١) خصائص التعبير القرآنى ١/ ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ض ل ل) .

(٣) الكشاف ٢/ ٨٥ .

وعلَّق ابن المنير فى حاشيته على كلام الزمخشرى بقوله: التحقيق أن يقال: الضَّلالة أَدْنَى من الضلال وأَقَلُّ؛ لأنها لا تُطْلَق إلَّا على الفعلة الواحدة منه، وأمَّا الضَّلال فيُطلق على القليل والكثير من جنسه، ونفى الأدنَى أبلغ من نفى الأعلى، لا من حيث كونه أَخَصّ، وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وهذا الذى ذهب إليه ابن المنير هو ما رآه الدكتور حسن طبل؛ حيث قال:

نفى سيدنا نوح عليه السلام تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر (ضَلال) التى وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنَّه عدل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرَّة (ضَلالة)، مبالغةً فى النفى؛ وذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرَّة فلا يدلُّ إلَّا على الفَعْلة الواحدة، ونفى الأدنى أو الأقلّ أبلغ من نفى الأكثر .

لقد جاء الاتِّهام بالضَّلال على لسان الملأ مؤكَّدًا مبالغًا فيه، عن طريق التعبير بفعل الرؤية وتأكيده بإنَّ واللام، ثم تعديته بحرف الجر (فى) المفيد لمعنى الإحاطة والظرفية، وقد اقتضى ذلك أن يسلك نفى هذا الاتهام على لسان نوح عليه السلام مسلكًا آكَدَ وأبلغ؛ فكان الالتفات عن صيغة المصدر إلى اسم المرة، وإيقاعها فى سياق النفى، ثم إيثار حرف الجر (الباء)؛ حتى ينفى على نحو قاطع أن يكون قد عَلِق به أدنى قدر ممَّا يُسَمَّى ضلالة[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الصيغة الصرفية (ضَلالة) ـ بدلالتها على المصدر واسم المرة معًا ـ أفادت التقليل، بخلاف الصيغة (ضَلال) الدالة على المصدر فقط، فهى تنطبق على القليل والكثير .**

******

(١) أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية، د . حسن طبل، ص٧١، ٧٢ .

٣- اختلاف صيغ المشتقات (٣٢)

❑ ١٩/٣٢ الرَّحْمَن - الرَّحيم:

قال اللَّه ﷻ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ الفاتحة.

جاء فى الكشاف: "فى (الرَّحْمن) من المبالغة ما ليس فى (الرَّحيم)، ويقولون: إن الزيادة فى البناء زيادة فى المعنى، قال الزجاج فى الغَضْبان: هو الممتلئ غضبًا. ومما طَنَّ على أذنى من مُلَح العرب أنهم يسمون مركبًا من مراكبهم بالشُّقْدَف، وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى. قال: هذا اسمه الشقنداف، فزاد فى بناء الاسم، لزيادة المسمى.

كما أن صيغة (فَعْلان) تفيد الحدوث والتجدُّد، وصيغة (فعيل) تفيد الثبوت، فجمع اللَّه ﷻ لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر على (رَحْمَن) لَظَنَّ ظانٌّ أن هذه صفة طارئة قد تزول كعَطْشان ورَيَّان، ولو اقتصر على (رَحيم) لظنَّ أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه استمرار الرحمة وتجددها؛ إذ قد تمرُّ على الكريم أوقاتٌ لا يَكْرُم فيها، وقد تمرُّ على الرحيم أوقاتٌ لا يَرْحَمُ فيها، واللَّه ﷻ متصفٌ بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هى الرحمة، وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع؛ حتى لا يستبدَّ به الوهم بأن رحمة اللَّه ﷻ تعرض ثم تنقطع أو قد يأتى وقت لا يرحم فيه سبحانه، فجمع اللَّه كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه[1].

---

(١) الكشاف ١/ ٣٤.

وقال ابن القيم: إن فى اسم (الرَّحْمَن) الذى هو على وزن فَعْلان ما فيه من سَعَة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غَضْبان، للممتلئ غضبًا، ونَدْمان وحَيْران وسَكْران ولَهْفان، لمن مُلئ بذلك؟ فبناء (فَعْلان) للسعة والشمول؛ ولهذا يُقْرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله ﷺ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ الفرقان: ٥٩، فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات[١] .

وزاد السهيلىّ: "إنَّ الرَّحْمَن من أبنية المبالغة كغَضْبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان فى آخره ألف ونون كالتثنية، فإن التثنية فى الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة، فكأن غَضْبان وسَكْران لضِعفين من الغضب والسُّكر، فكان اللفظ مضارعًا للفظ التثنية؛ لأن التثنية ضِعْفان فى الحقيقة"[٢].

وزاد ابن جماعة أن : (فَعْلان) صيغة مبالغة فى كثرة الشىء وعِظَمِه وأَلَّا مُتَلاء منه، ولا يلزم منه الدواء من ذلك، كغَضْبان ونَوْمان وسَكْران ، وصيغة (فَعِيل) لدوام الصفة ككريم وظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمة الدائمها[٣] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن تجاور الصفتين (الرَّحمن ـ الرَّحيم) يُراد به: الثبوت واللزوم المفهوم من صيغة فَعيل فى اسم اللّه (الرَّحيم)، والتجدد والاستمرار والمبالغة المفهومة من الصيغة الصرفية فَعْلان فى اسم اللّه (الرَّحْمَن) .**

******

(١) التفسير القيم ص٣٣ .

(٢) بدائع الفوائد ١/ ٢٣ .

(٣) كشف المعاني في متشابه المثاني ص ٥٠ .

❑ ٣٢/ ٢٠ الرّازق ـ الرَّزَّاق:

ورد هذان الاسمان للَّه ﷻ فى القرآن الكريم بدلالتين متقاربتين، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ المائدة: ١١٤ .
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ الذاريات: ٥٨ .

● **الوصف (رازق) صيغة اسم فاعل، ومعناه أن اللَّه ﷻ هو الذى يرزق عباده. والملاحظ فى جميع السياقات التى وردت فيها هذه الصيغة أنها جاءت جمعًا ومضافة إلى اسم التفضيل (خَيْر). ومعنى ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أنه ﷻ أفضل الرّازقين وأكثرهم خيرًا. وهذا يعنى أن صفة (الرّازق) ليست خاصَّة باللَّه ﷻ؛ ولذلك جاءت على وزن اسم الفاعل لتشمل المخلوقين، والمركب الإضافى فى ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يخصِّص اللَّه ﷻ بالخيريَّة والأفضليَّة.**

● **أما الوصف (رَزَّاق) فورد بصورة المفرد، فى آية الذاريات، وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال) لإفادة كثرة الرزق وتعدُّد وجوهه، ولم يوصَف به غير اللَّه ﷻ.**

******

❑ ٣٢/ ٢١ ساحر ـ سحَّار:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢﴾ الأعراف.

وفى موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ الشعراء.

● **استُعملت صيغة اسم الفاعل (ساحر) فى آية الأعراف؛ لعدم الحاجة إلى المبالغة فى الوصف، حيث الآية السابقة لم يذكر فيها السحر، وهى قول الله ﷻ:** ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الأعراف .

● **بينما استُعملت صيغة المبالغة (سَحَّار) فى آية الشعراء؛ لتقدم قول الله ﷻ:**

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ﴾ الشعراء: ٣٥، **فلما وصفه بالسحر كان جوابهم عليه أن يأتوه بمن هو أعلى منه كعبًا فى السحر، فاستُخدمت صيغة المبالغة للتعبير عن هذا .**

******

❑ ٣٢/ ٢٢ مُشْتَبِه ـ مُتَشابِه:

ورد هذان اللفظان فى آية واحدة، هى قول الله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ الأنعام: ٩٩ .

● **والفارق بين اللفظين أن (المُشْتَبِه) يحتمل معنيين:**

○ الأول: التشابه . الثانى: اللَّبْس المؤدِّى إلى الحيرة .

● **فنفَى (التَّشابه)، أى: التساوى والتماثل . وأثبت (الاشتباه)، أى: وجود شَبَه قوىّ يقود إلى اللَّبْس والحيرة؛ وذلك لأنَّ هذه الثمار مختلف بعضها عن بعض اختلافًا جوهريًّا، وإن بدا أنها متشابهة ظاهريًّا؛ مصداقًا لقول الله ﷻ:**

- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الرعد .

******

❑ ٣٢/ ٢٣ صَبَّار ـ شَكور:

قال الله ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ إبراهيم .

● جاءت كلمة (صَبَّار) على صيغة (فعَّال) الدالة على الكثرة، ولم تُستعمل صيغة (صَبور ـ فَعول) الدالة على المداومة؛ لأنَّ الصبر يكون على المكروه والأذى، وهو شيء لا تُطيق النفوسُ أن تَدوم عليه، فاكتفى بالصيغة الدالَّة على الكثرة دون أن تدل على الدوام؛ رفقًا بالعباد ورعاية للجانب البشريّ الضعيف في نفوسهم . وكأنَّ في الصيغة إيماءً إلى أنه يكفي كثرة الصبر ولا حاجة إلى الدوام عليه .

● بينما جاءت كلمة (شَكور) على صيغة (فَعول) وهي صيغة مبالغة تدل على الدوام، والشكر يكون على النعم، وهي متجددة في كل وقت، فتحتاج إلى الشكر في كل حين، فاختُير لذلك الصيغة الدالة على الكثرة والدوام معًا . هذا مع مراعاة فواصل الآيات والجانب الموسيقيّ للألفاظ .

******

❑ ٣٢/ ٢٤ ضيِّق ـ ضائِق:

قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ﴾ الأنعام: ١٢٥ .

- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ هود: ١٢ .

عبَّرت آية هود باسم الفاعل (ضائق)؛ لأنها في خطاب النبي ﷺ، للدلالة

على أنه شيء عارضٌ غير ثابت؛ لأن رسول اللَّه ﷺ كان أفسَحَ الناس صدرًا، ومثله قولك: زيد سيِّد وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين؛ فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد(١) .

بينما عبَّرت آية الأنعام بالصفة المشبهة (ضيِّق) الدالَّة على أمر مستقرٍّ ثابت؛ لأنها في وصف الضالِّين .

- **ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (ضيِّق ـ ضائِق) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث إنَّ كليهما دالٌّ على الضِّيق .**
- **ولكن كلمة (ضائق) تدلُّ على ضيق عارض عابر، وكلمة (ضيِّق) تدلُّ على ضيق ثابت متأصِّل . وهذا مستفادٌ من البناء الصرفيِّ للكلمتين .**

******

❑ ٣٢/ ٢٥ عَجيب ـ عُجاب:

○ كلا اللفظين في اللغة يدلُّ على المبالغة في العجب . قال الخليل في الفرق بينهما: فأمَّا العجيب فالأمرُ يُتَعَجَّبُ منه، وأمَّا العُجاب فالذي يُجاوز حَدَّ العَجَب. ومثل ذلك الطَّويل والطُّوال، فالطَّويل في الناس كثير، والطُّوال: الأهوج (أي المُفْرِط) الطُّولِ(٢) .

وقد ورد الوصف (عجيب) في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ هود .

---

(١) الكشاف ١/ ٥٥٣، ٢/ ٩٢، ٢/ ٤٢٦، وانظر: شرح الرضي على الكافية ٢/ ٢٢٠، الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/ ٢٠١، ٢٠٦، الكليات لأبي البقاء، ص ٢٣٢، شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٨٢، ٨٣ .

(٢) المقاييس، اللسان (ع ج ب) .

- ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ ق: ٢ .

الآية الأولى جاءت على لسان السيدة سارة زوج إبراهيم عليه السلام حين بشَّرتها الملائكة بإسحاق ومن وراءه يعقوب ـ عليهما السلام ـ فتعجَّبت أن يُولَد لها ولدٌ وهى عجوز وزوجها قد أسَنَّ، وهو استبعاد بحكم ما اعتاده البشر فى هذا الشأن[1] .

وفى الآية الثانية تعجَّب الكافرون من إرسال الرسل ومن البعث بعد الموت .

بينما وردت كلمة (عُجاب) فى القرآن الكريم مرةً واحدةً، فى قول اللَّه عز وجل:

- ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ ص .

والسياق هنا سياق مبالغة فى العجب؛ لأنهم تعجَّبوا من فكرة الإله الواحد، إذْ هم قد درجوا على تعدُّد الآلهة، فلمَّا دعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى التوحيد أنكروا ذلك إنكارًا شديدًا وتعجبَّوا منه أشدَّ العَجَب؛ ولذلك عَبَّر القرآن الكريم بصيغة المبالغة (عُجاب) على وزن (فُعال) الدالِّ على المبالغة أكثر من دلالة (فعيل/عجيب)، وكأنهم قالوا: أجعل الجماعة واحدًا؟! إن ذلك من المُحال[2] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (عَجيب ـ عُجاب) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث إنَّ كليهما دالٌّ على شدة العَجَب .**

● **ولكن كلمة (عُجاب) أكثر مبالغة من (عجيب)، وهذا مستفادٌ من البناء الصرفىِّ، كما فى: طويل ـ طُوال .**

******

(١) الكشاف ٢/ ٢٨١ .

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٠ .

❑ ٣٢/٢٦ عاصِف ـ عاصِفة:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ يونس: ٢٢ .
- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ الأنبياء: ٨١ .

• ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ أي: ذات عَصْف، كقولهم: امرأة طالق وحائض وطامث، وقاعد للآيسة من الحيض، فلم يأتوا فيه بالتاء وإن كان وصفًا للمؤنث؛ وذلك لأنه لم يجر على الفعل، وإنما يلزم الفرق ما كان جاريًا على الفعل، والوصف (عاصِف) هو بمنزلة المنسوب إلى العَصْف"[1] .

• ولما أراد الحدث أنَّث الصفة فقال ﷻ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ أي: تعصف .

• **ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (عاصِف ـ عاصِفة) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث إنَّ كليهما دالٌّ على شدَّة هبوب الريح .**

• **ولكن كلمة (عاصِف) فى وصف الريح ذاتها، أمَّا كلمة (عاصِفة) فهى فى وصف حركة الريح .**

****

❑ ٣٢/٢٧ عالم ـ عليم ـ علَّام:

كل هذه الألفاظ تفيد الاتِّصاف بالعلم، غير أن البنية الصرفية لكل واحد منها تجعل له ملمحًا دلاليًّا متميزًا .

▪ فالعالم: اسم فاعل من (علِم)، وهو يفيد الاتِّصاف بالعلم .

---

(١) الشرح المفصل ٥/ ١٠٠ .

■ والعليم: صيغة مبالغة تفيد المبالغة فى الوصف بالعلم، أى المحيط بظواهر الأمور وبواطنها .

■ والعلّام: صيغة مبالغة تفيد كثرة العلم.

وقد وردت الكلمات الثلاث فى القرآن الكريم لأداء معنى الوصف بالعلم، ولكن لكلٍّ واحدة منها سياقات تقتضى هذه الكلمة دون تلك .

والملاحظ فى الاستخدام القرآنى لكلمة (عالِم) أنَّها جاءت وصفًا للَّه ﷻ فى حال إفرادها، وفى كل المواضع التى وردت فيها بصيغة المفرد كانت مضافة: إمَّا إلى (الغيب)، أو إلى (الغيب والشهادة)، أو إلى (غيب السماوات والأرض) كما فى الآيات التالية:

- ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ الأنعام: ٧٣، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، السجدة: ٦، الحشر: ٢٢، التغابن: ١٨

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فاطر: ٣٨ .

- ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ الجن .

ونلاحظ فى جميع الآيات إفراد كلمة (الغيب)؛ لذلك آثر القرآن الكريم استخدام صيغة اسم الفاعل (عالم) الدالَّة على الاتِّصاف بالعلم، والمعنى: أن اللَّه هو الذى يعلم الغيب والشهادة . ولا يَسوغ هنا استخدام صيغة (عليم) التى تدل على المبالغة فى الوصف بالعلم؛ لأن سياق الآيات يُرادُ به تقرير وإثبات صفة العلم بالغيب والشهادة للَّه ﷻ .

أما صيغة المبالغة (عليم) فجاءت فى سياقات تقتضى المبالغة فى الوصف بالعلم، وكثيرًا ما جاءت مقترنة بوصف (الحكيم)، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة .

فالملائكة يصحُّ أن يُوصَفوا بالعلم، وكلٌّ منهم (عالم) لِما علَّمه الله، وقد

نزَّه الملائكة (سلام اللَّه عليهم) اللَّه ﷻ ، فنفَوْا عن أنفسهم العلم إلَّا ما علَّمهم الله، وأما العلم الكامل ـ الذى يعنى الإحاطة بظواهر الأمور وبواطنها ـ فأسندوا ذلك إلى اللَّه ﷻ، وقرنوا ذلك العلم التامَّ الكامل بوصف الحكمة: (العليم الحكيم) .

وأمَّا صيغة المبالغة (فعَّال/ علَّام) الدالَّة ـ ببنيتها الصرفية ـ على كثرة العلم وتعدُّده، فالملاحَظ فى الاستخدام القرآنى أنَّها قد أُضيفت دائمًا إلى كلمة (الغيوب) بصيغة الجمع، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١٠٩ .

أى: إنَّ علمه ﷻ لا ينتهى إليه علم أحد[١] .

وقد استُخدمت كلمة (علَّام) بصيغة (فعَّال) الدالَّة على التعدُّد فى هذه السياقات؛ لأن هناك غيوبًا وحجبًا كثيرة لا يعلمها ولا يعلم ما وراءها إلَّا اللَّه ﷻ، والمعنى أن علمه ﷻ كثير متعدد بتعدد الغيوب الكثيرة فى السماوات والأرض .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنىّ للأوصاف الثلاثة (عالم ـ عليم ـ علَّام) يفيد اشتراكها جميعًا فى معنى الوصف بالعلم .**

- **غير أن كلمة (عالم) تدل على مجرد الوصف بالعلم، فهى أعمُّ هذه الألفاظ .**

- **والملمح الدلالى المميِّز لكلمة (عليم) هو: المبالغة فى الوصف بالعلم الشامل التام الكامل .**

- **والملمح الدلالى المميِّز لكلمة (علّام) هو: كثرة العلم وتعدُّد أنواعه .**

******

(١) الكشاف ١/ ٦٥٥ .

❏ ٣٢/٢٨ الغافر ـ الغَفور ـ الغَفّار ـ ذو المَغْفِرَة ـ أَهْل المَغْفِرَة:

○ الأصل اللغوى لمادة (غ ف ر): السَّتْر والتغطية[١] .

غير أن لكلٍّ من هذه الألفاظ والتعبيرات فى القرآن الكريم معناه الذى يتناسب مع سياقه وموقعه .

فالغافر ورد فى القرآن الكريم مرتين، مرة بصيغة المفرد، وأخرى بصيغة الجمع، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ الأعراف: ١٥٥ .

- ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ غافر: ٣ .

صيغة (فاعِل) تدل على الحدث والحدوث وفاعله[٢]؛ ولذلك جاءت فى الآيتين فى صورة مركَّبٍ إضافىٍّ، فقوله ﷻ: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ معناه: المُتَّصِفُ بالغفران وصفًا دائمًا مستقرًّا[٣]؛ ولهذا جِىءَ بصيغة (فاعل/ غافر) الدالَّة على الحدث أى المغفرة، والحدوث أى حصولها، والمُحْدِث لذلك وفاعله وهو اللَّه ﷻ .

وإيثار صيغة اسم الفاعل فى الآيتين للجمع بين هذه الثلاثة، مع الإشارة إلى ثبوت هذه الصفة للَّه ﷻ وتجدُّدها معًا .

● **أمَّا كلمة (غَفور) فقد وردت فى القرآن الكريم إحدى وتسعين مرة، ومن شواهدها قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩، المائدة: ٣٩، الأنفال: ٦٩، التوبة: ٥، النور: ٦٢، الممتحنة: ١٢، المزمل: ٢٠ .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (غ ف ر) .

(٢) معانى الأبنية، ص٤١، التصريح ٢/ ٦٥ .

(٣) تفسير الرازى، البحر المحيط ٧/ ٤٤٨ .

وقد تجاورت الصفتان (غَفور)، (رَحيم) فى أكثر هذه الشواهد القرآنية، كما جاءت فى بعض الشواهد مقترنة بصفات أخرى مماثلة لها فى الصيغة الصرفية مثل (عَفُوّ، وَدود، شَكور)، أو قريبة منها مثل (حَليم، عَزيز) . وفى هذا مراعاة للنغم الموسيقىّ للفاصلة القرآنية والصيغ المتجاورة عند رءوس الآى، إلى جانب توكيد صفة المغفرة وشمولها وتنوعها .

كذلك فإن صيغة (فَعول) تفيد دوام الفعل وكثرته وقوّة الفاعل عليه[١]، أى أن كلمة (غَفور) يُراد بها دوام المغفرة وكثرتها مع قدرة اللَّه ﷻ على ذلك . والسياقات التى وردت فيها هذه الكلمة تفيد هذه المعانى .

● **وكلمة (غَفَّار) وردت فى القرآن الكريم خمس مرات، ومن شواهدها:**

- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه .
- ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ ص .
- ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ نوح .

وصيغة (فَعَّال) تدل على كثرة وقوع الفعل وتكراره مرَّةً بعد مرة . كما أنها تُسْتَعمل للدلالة على الحرْفة نحو: عَطَّار، جَمَّال، بَقَّال، نَحَّاس، حَدَّاد . . . إلخ . ثم نُقِلَ هذا البناء الصرفىُّ إلى معنى المبالغة، فعندما نقول: فلانٌ صَبَّار، فكأنما هو شخص حرفته وصنعته الصبر[٢] .

قال الفخر الرازى فى تفسير آية نوح رقم (١٠):

"فكأنَّ هذا هو حرفته وصناعته"[٣] .

وعلى هذا فمعنى كلمة (غَفَّار): كثير المغفرة، مع تكرار ذلك وتجدُّده وملازمته، وتعدُّد متعَلَّقات المغفرة وأسبابها .

---

(١) ديوان الأدب للفارابى١/ ٨٥، همع الهوامع ٢/ ٩٧، درَّة الغواص، ص٨٩ .

(٢) انظر شرح ذلك وتفصيله فى: معانى الأبنية العربية، ص٩٤ - ٩٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازى٣٠ / ١٣٨ .

● **وأمَّا الوصف (ذو مَغْفِرَة) فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:**

- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الرعد: ٦ .

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ فصلت: ٤٣ .

كلمة (ذو) تُسْتَعمَل بمعنى صاحب الشيء ومالكه، وأُرِيدَ بها فى الآيتين: مالك المغفرة القادر على منحها أو منعها؛ ولذلك اقترنت بالكلمة الدالَّة على معنى الملكيَّة (ذو)، وعُطِفت على الوصف بالعقاب الشديد أو الأليم .

فمعنى (ذو المَغْفِرَة): ذو القدرة على منحها أو منعها .

● وأمَّا الوصف (أَهْل المَغْفِرَة) فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ المدثر .

أى: هو الحقيق بالمغفرة، الجدير بذلك دون غيره ﷻ[1] .

● **ونخلُص ممَّا سبق إلى تقارب هذه الصفات للَّه ﷻ، حيث تشترك جميعها فى إثبات المغفرة للَّه ﷻ، وتختلف فيما بينها بملامح دلالية مميِّزة لكلِّ صيغة صرفية أو تركيب نحوىّ بحسب ما أُضيفَ إليه الوصف:**

● **فالغافِر: تتميز بالجمع بين وصف (المغفرة)، ووقوع هذه المغفرة، وفاعلها وهو اللَّه ﷻ ، وهذا يدل على الثبات والتجدُّد معًا .**

● **والغَفور: تفيد دوام المغفرة وكثرتها، وقدرة اللَّه على ذلك .**

● **والغَفَّار: تفيد كثرة المغفرة، وتكرارها، وتجدُّدها، وملازمتها، وتعدُّد متعلَّقاتها ودواعيها .**

---

(١) انظر: الكشاف ٤/ ١٨٨، التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٣٤ .

● **والتعبير (ذو المَغْفِرَة) يفيد: ملكيَّة اللَّه ﷻ للمَغْفِرَة، مع قدرته ﷻ على منحها أو منعها .**

● **والتعبير (أَهْل المَغْفِرَة) يفيد الجدارة والاستحقاق لهذا الوصف .**

******

❑ ٢٩/٣٢ القادر ـ المُقْتَدِر ـ القَدير:

وردت هذه الأسماء الحسنى في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الأنعام: ٣٧ .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٠، ١٠٩، ١٤٨ .

- ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ القمر .

○ الاسم (قادر) مَصوغ على وزن اسم الفاعل، الدالّ على الاتِّصاف بصفة القدرة . والمقام يقتضى هذه الصيغة دون غيرها؛ لأن إنزال آية ـ عند اللَّه ـ لا يحتاج إلى المبالغة فى القدرة، وكذا فى السياقات الأخرى التى استعمل القرآن فيها صيغة اسم الفاعل، نحو قوله ﷻ:

- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ القيامة: ٤٠ .

○ والاسم (قَدير) مَصوغ على وزن من أوزان المبالغة (فعيل) للدلالة على المبالغة فى اتِّصاف اللَّه ﷻ بالقدرة، والسياق يقتضى استخدام صيغة المبالغة؛ لأنه ينُصّ على إحاطة قدرة اللَّه على (كلّ شىء)، واستُخدمت (إن) مع لفظ (كلّ) لتأكيد شمول القدرة الإلهية والمبالغة فيها .

○ والاسم (مُقْتَدِر) مَصوغ على وزن اسم الفاعل (مُفْتَعِل) من الفعل المزيد

(اقْتَدَرَ)، والزيادة فى المبنى تدل على زيادة فى المعنى، فالمُقْتَدِر فيه معنى زائد على معنى (القادر)، وهو أبلغ وأشدُّ فى الوصف بالقدرة؛ ولذلك استُعْمِل فى سياقات العذاب كما فى آية القمر (٤٢).

كما استُعْمِل فى الدلالة على المُلْك كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ القمر .

أى: مليك مهيمن بالغ القدرة والسيطرة .

● **ونخلُص مما سبق إلى أن:**

● **القادِر: وصف للّه ﷻ بالقدرة .**

● **القَدير: مبالغة فى وصف اللَّه ﷻ بالقدرة على كل شىء، فلا يعجزه شىء ولا يخرج عن قدرته شىء .**

● **المُقْتَدِر: المهيمن والمسيطر، وغلب استعماله فى السياقات الدالة على المُلك والعذاب .**

****

❑ ٣٢/ ٣٠ القاهِر - القَهَّار:

○ القاهِر: اسم فاعل من القهر .

○ والقَهَّار: صيغة مبالغة من القهر .

والاسمان يشتركان فى وصف اللَّه ﷻ بصفة القهر، أى: الغلبة والعُلُوّ والقدرة على ما أراد طوعًا وكرهًا[١] .

إلَّا أن اسم الفاعل يدل على التجدُّد والحدوث؛ لمشابهته الفعل، فالمراد

(١) مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (ق هـ ر) .

بالقاهر مجرد إثبات صفة القهر للّه ﷻ وتجدُّد تلك الصفة(١) .

أما القَهَّار فيدل على المبالغة فى القهر كمًّا وكيفًا(٢) .

وقد ورد الاسم (القاهِر) فى القرآن الكريم مرتين، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الأنعام: ١٨، ٦١ .

ويُلاحَظ هنا ارتباط الوصف (قاهِر) بكلمة (فَوْق)؛ ثم المضاف إليه (عباده)، فهو فى سياق وصف اللّه ﷻ بالاستعلاء والغلبة والقدرة على عباده، وهذا المعنى لا يحتاج إلى المبالغة والتوكيد .

أما صيغة (القَهَّار) فتكررت فى القرآن الكريم ست مرات فى الآيات التالية:

- ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ يوسف .

- ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الرعد: ١٦ .

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ إبراهيم .

- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ ص .

- ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ الزمر .

- ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ غافر .

والملاحظ أن صفة القَهَّار فى هذه الآيات جميعًا قد ارتبطت بلفظ

---

(١) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، د . أحمد مختار عمر، ص١٢٨ .

(٢) المصدر السابق .

الجلالة، وصفة أخرى هى (الواحد)؛ كما أنها جاءت فى سياقات تقتضى المبالغة فى الوصف وتأكيده وإثبات تعدُّد أنواعه، وهى سياقات الحديث عن مطلق القدرة والعظمة والتصرُّف والتمكُّن، كأهوال الآخرة، والمقارنة بين العبادة الحقَّة ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وعبادة غير اللَّه ﷻ، وفى سياق الآيات الكونيَّة، وكل هذا يقتضى المبالغة فى توكيد صفة القهر والعزَّة والغلبة، وبيان القدرة وتعدُّد صورها . وكلُّ ذلك عن طريق الصيغة الصرفية (فَعَّال/ قَهَّار) الدالَّة على المبالغة والتكثير والتوكيد .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الوصفين (القاهِر ـ القَهَّار) يشتركان فى الاتِّصاف بالقهر .**
- **إلا أن صيغة (القاهِر) لمجرد إثبات صفة القهر للَّه ﷻ .**
- **بينما جاءت صيغة (القَهَّار) لتوكيد الصفة والمبالغة فيها وبيان تعدُّد صورها .**

******

❑ ٣٢/ ٣١ كَبير ـ كُبَّار:

وردت الصفة (كَبير) فى كثير من آيات الذكر الحكيم، وتعددت معانيها بحسب السياقات الواردة فيها، ومن ذلك:

- **الزائد فى الإحسان والعظمة وكلِّ معانى الجلال والجمال على غيره، كما فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ الرعد .

- **وصفٌ لتقدُّم السن، كما فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص: ٢٣ .

- **وصف للعدد أو الحجم، كما فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٨٢ .

المراد فى الآية السابقة: حجم الدَّيْن، وهو هنا وصف للمعنوىّ، ومثله وصف الفضل والذنب والفساد وغير ذلك من المعنويات .

● **الزَّعيم والسَّيِّد المُقَدَّم على قومه كما فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ طه: ٧١ .

أما الوصف (كُبَّار) فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة وصفًا لمعنوىّ (هو المَكْر) فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝﴾ نوح .

والكُبَّار: أقصى مبالغة فى الوصف بالكِبْر؛ لأن الكبر يوصف بثلاث كلمات فى العربية تتدرَّج فى المبالغة على النحو التالى:

كَبير ـ كُبار ـ كُبَّار .

إلا أن (الكُبَّار) لا يليق أن يوصف بها اللَّه ﷻ؛ لأنَّ اللَّه لا يوصف إلا بما جاء به الوحى فى كتابه أو على لسان أنبيائه صلوات اللَّه عليهم وسلامه .

كما أنه لا يحمل هذه الدلالات المتنوّعة التى يحملها الوصف (كَبير) .

● **والخلاصة أن الكُبَّار أبلغ من الكبير، لكنه أخصُّ منه دلاليًا وأقل منه تعبيرًا عن تنوعات المعنى ودرجاته .**

****

❑ ٣٢/ ٣٢ كَفّار ـ كَفور:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: ٣٤ .

- ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ نوح .

- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ الشورى .
- ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ سبأ .

• كلمة (كَفَّار) على وزن فَعَّال، وهذا الوزن يفيد كثرة المزاولة للفعل وتكراره، قال ابن سيده: الباب فيما كان صنعة ومعالجة (يريد: ممارسة) أن يجيء على (فَعَّال)؛ لأن فعَّالًا لتكثير الفعل، وصاحب الصنعة مداوم لصنعته، فجُعِلَ له البناء الدال على التكثير كالبزَّاز والعطَّار وغير ذلك[١] . فكأن الكَفَّار قد صار الكفر له حرفة يُزاوِلها .

• أمَّا كلمة (كَفور) فإنَّ صوغها على وزن (فَعول) يفيد الدلالة على المبالغة مع التجدُّد والاستمرار، كأن المعنى أن الإنسان المبالغ فى الكفر بمنزلة مادة تُستنفَد فى الكفر وتفنَى فيه؛ وذلك لأنه جاء على وزن منقول من أسماء الأشياء التى يُفْعَل بها كالوَضوء والوَقود والسَّحور والغَسول والبَخور . . . إلخ، ومن هنا استُعير هذا البناء للدلالة على المبالغة التى ليس بعدها مزيد[٢] .

وكلا الوصفين مقصود فى وصف الكفر .

• **والخلاصة أن كلمة (كَفَّار) تفيد التكرار والتجدُّد والاستمرار والملازمة، بينما كلمة (كَفور) تفيد المبالغة التى ليس بعدها مزيد .**

****

(١) المخصص ٦٩/١٥ .

(٢) معانى الأبنية فى العربية، د . فاضل صالح السامرائى، ص ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، وانظر: المخصص ٦٩/١٥، شرح المفصل ١٣/٦، الخصائص لابن جنى ٤٦/٣، إصلاح المنطق لابن السّكّيت، ص٣٥٩، كشف الطرة، ص٧٩، ٨٠، درة الغواص، ص٨٩، المقتضب للمبرد ١٦١/٣، أدب الكاتب لابن قتيبة ص٢٥١ ، ٢٥٢، المزهر للسيوطى ٣٠٠/٢، همع الهوامع للسيوطى ٩٧/٢، مبادئ اللغة للإسكافى، ص ١١٩، ١٢٠، الكشاف ٧/٣ .

❑ ٣٢/ ٣٣ مَيْت ـ مَيِّت:

وردت كلمة (مَيِّت) بالياء المشدَّدة فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة، للدلالة على مخلوق حىّ ما زال فيه روح وهو ينتظر الموت، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ الزمر.

بينما وردت كلمة (مَيْت) بالياء الساكنة فى القرآن الكريم خمس مرات، للدلالة على مخلوق فارقته الروح وأصبح جثة هامدة لا حياة فيها:

- فاستُعمل للدلالة على الإنسان الذى وافاه أجلُه وانتهت حياته، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ الحجرات: ١٢ .

- وللدلالة على الأرض المجدبة التى لانبات فيها، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ يس: ٣٣ .

- **البهيمة التى قُتلت أو نَفَقت ولم تُذْبَح على الطريقة الشرعيَّة، كما فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ المائدة: ٣ .

- **والفارق بين اللفظين كما توضِّح السياقات القرآنية أن:**
- **المَيِّت (بالتشديد): يدل على حَىٍّ ينتظر الموت .**
- **المَيْت (بالسكون): المخلوق الذى مات فعلًا وفارقته الروح .**

****

٤- اختلاف صيغ الجموع (٣٢)

❑ ٣٢/ ٣٤ أَسْرَى - أُسارى:

كلا اللفظين فى اللغة مأخوذ من مادة (أ س ر)، ومعناها: الحَبْس والإمساك[١]. وكلاهما جمع لأسير كما جاء فى المعاجم المختلفة كالتالى:

"الأَسير: المسجون، والجمع أُسَراء وأُسارَى وأَسارَى وأَسْرَى"[٢].

وقيل: جمع الأسير أَسْرَى، والأَسارى والأُسارَى جمع الجمع[٣].

ولم تفرِّق المعاجم بين اللفظين بأكثر من هذا.

وقد ورد الجمع (أَسْرَى) فى القرآن الكريم مرتين فى الآيتين التاليتين:

- ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الأنفال: ٦٧.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠﴾ الأنفال.

بينما ورد الجمع (أُسارى) مرة واحدة، وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾[٤] البقرة: ٨٥.

وهناك فارق دقيقٌ بين الجمعين فى الاستعمال القرآنىّ كما يتضح من الآيات المذكورة:

---

(١) مقاييس اللغة (أ س ر).

(٢) اللسان (أ س ر).

(٣) اللسان (أ س ر).

(٤) هذه قراءة الجمهور، وقرأ حمزة: "أَسْرَى"، ووافقه الأعمش والحسن (انظر: الميسَّر فى القراءات الأربعة عشر، ص١٣).

● **فالأَسْرَى: الذين فى أيدى أعدائهم .**

● **والأُسارَى: الذين فى القيد[١] .**

والمعروف أن صيغة (فَعْلَى) يكثُر استعمالها جمعًا فيما دلَّ على هلاك أو توجُّع، كالقتيل والمريض والجريح، وقد حُمِلَ عليه لفظ الأسير؛ لأنه لمَّا أُصيبَ بالأَسْر صار كالجريح واللَّديغ، فجُمِع على فَعْلَى[٢] .

وأمَّا صيغة (فُعالَى) فقد كَثُرَ استعمالها فى معنى الضعف والتعب، نحو: كُسالى - سُكارَى - فُرادَى .

● **وإذن فصيغة (أَسْرَى/ فَعْلَى) جاءت للتعبير عن المأخوذين فى يد أعدائهم، فهم بمثابة القَتْلَى والصَّرْعَى والجَرْحَى . . . إلى آخر ذلك من الصيغ الدالَّة على هلاك أو توجُّع .**

● **بينما استُعْمِلت الصيغة (فُعالى: أُسارَى) للتعبير عن الأَسْرَى المُوثَّقين فى القيد، إشارة إلى حالتهم من الضعف والإعياء وقد أتوا قومهم تحت وطأة القيود .**

وممَّا يدل على ما ذهبنا إليه أن صيغة (أَسْرَى) جاءت حيث كان المأخوذون فى يد أعدائهم: ﴿لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ ، ﴿فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ ؛ على حين اقترنت صيغة (أُسارى) بكلمة ﴿يَأْتُوكُمْ﴾ ، فهم ليسوا فى أيدى أعدائهم، بل (أتوا) قومَهم، فى حالٍ من الضعف والإعياء .

******

---

(١) ذكره أبو حيان عن أبى عمرو بن العلاء وأبى حاتم والأخفش (البحر المحيط ٤/ ٥١٨) .

(٢) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٠٩ .

❑ ٣٢/ ٣٥ آلاف ـ أُلوف:

أصل اللفظين فى اللغة: جمع لاسم العدد (أَلْف)، غير أن كلمة (آلاف) جمع للقلَّة، فيقال: ثلاثة آلاف إلى عشرة آلاف، وكلمة (أُلوف) جمع كثرة لما زاد على ذلك[١] .

وقد ورد الجمع (آلاف) فى القرآن الكريم مرتين، هما قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ آل عمران .

والناظر إلى الآيتين يجد أن لفظ (آلاف) جاء فى الأُولَى تمييزًا للعدد (ثلاثة)، وفى الآية الثانية تمييزًا للعدد (خمسة) .

أما الجمع (أُلوف) فقد ورد فى موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ البقرة: ٢٤٣ .

جاء فى التفسير أنهم كانوا عشرة آلاف، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون، وفى لفظ الأُلوف دليل على الكثرة[٢] .

وسياق استعمال الجمع (أُلوف) فى الآية الكريمة يقتضى الدلالة على الكثرة، وذلك لإبراز التقابل بين ضخامة العدد، وما أصابهم من هلع وذعر حتى خرجوا من ديارهم مع كثرتهم[٣] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (آلاف ـ أُلوف) قد وردا فى القرآن**

---

(١) اللسان (أ ل ف) .

(٢) الكشاف ١/ ٣٧٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٤٧٨ .

الكريم جمعًا للعدد (أَلْف)، ولكن بينهما فارقًا دلاليًا يتمثل فى:

○ دلالة (آلاف) على القلة .

○ ودلالة (أُلوف) على الكثرة .

****

❑ ٣٢/٣٦ أَبْحُر - بِحار:

كلا اللفظين فى اللغة: جمع لكلمة (بَحْر)[١] .

والفرق بينهما أن صيغة (أَبْحُر) تأتى لجمع القِلَّة (من ثلاثة إلى عشرة)، وصيغة (بِحار) تُستعمل لجمع الكثرة .

والاستعمال القرآنى للفظين راعَى هذه الدلالة الصرفية للكلمتين، فقد ورد الجمع (أَبْحُر) فى موضع واحد من كتاب الله، وهو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ لقمان: ٢٧ .

فناسب هنا تمييز العدد (سبعة) بجمع القِلَّة (أَبْحُر) .

قال الأنصارىّ: فإن قلتَ: المقصود هنا التفخيم والتعظيم، فكيف أتى بجمع القلة فى قوله: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ ؟ قلت: جمع القلّة هنا أبلغ فى المقصود؛ لأن جمع القِلَّة إذا لم ينفد بما ذُكِرَ من الأقلام والمِداد، فكيف ينفد به جمع الكثرة؟[٢] .

بينما ورد جمع الكثرة (بِحار) فى موضعين من القرآن، هما:

- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ التكوير .

---

(١) اللسان (ب ح ر) .

(٢) فتح الرحمن، ص٣٣٠ .

- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ الانفطار .

ومن الجَلِيِّ أن الآيتين فى سياق الكثرة، والمراد: جميع البحار، فناسب هنا استعمال صيغة جمع الكثرة .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للصيغتين (أَبْحُر - بِحار) يوردهما بدلالة متقاربة، مع وجود ملمح دلالىّ فارق هو:**

○ **استعمال صيغة (أَبْحُر) فى الدلالة على القِلَّة .**

○ **واستعمال صيغة (بِحار) فى الدلالة على الكثرة .**

******

❑ ٣٢/ ٣٧ أَبْرار - بَرَرَة:

○ أصل مادة (ب ر ر) فى اللغة: الصدق، يقال: بَرَّت يمينُه، أى صدقت، وبَرَّ اللهُ حجَّك وأبَرَّه، وحجَّة مبرورة، أى قُبِلَتْ قبول العمل الصادق، وقولهم: يَبَرُّ ربَّه، أى يطيعه، وهو من الصِّدْق[١] .

وعَمَّمَ بعض العلماء البِرَّ فى الدلالة على الخير[٢] .

واختُلِفَ فى صيغتى الجمع (أَبْرار - بَرَرَة)، فقيل: أَبْرار جمع بَرٍّ، وبَرَرَة جمع بارٍّ[٣]، وقيل بالعكس[٤]، وأنكر بعضهم صيغة (بارّ)[٥] .

وذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن كِلا اللفظين جمع لمفرد واحد

---

(١) مقاييس اللغة (ب ر ر) .

(٢) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، اللسان (ب ر ر) .

(٣) اللسان (ب ر ر) .

(٤) مفردات الأصفهانى (ب ر ر) .

(٥) اللسان (ب ر ر) .

هو (بَرّ)؛ بدليل أن لفظ (بارّ) لم يرد فى القرآن الكريم، كما أن القاعدة الصرفية تقول إن جمع (فاعل/ بارّ) على (أفعال/أَبْرار) هو ممَّا يُحْفَظ ولا يُقاس عليه[١] .

ويؤيده ما جاء فى "عمدة الحُفَّاظ" :

"رَجُلٌ بارٌّ وبَرٌّ، فقيل بوضعه على حِدَةٍ، وقيل: مقصور من بارٍّ"[٢] .

وبتأمُّل السياقات القرآنية للفظين، نجد أن الجمع (أَبْرار) ورد فى القرآن الكريم ست مرات، منها قول اللّه تعالى:

- ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ آل عمران : ١٩٣ .

- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ الإنسان .

- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ الانفطار ، المطففين: ٢٢ .

بينما ورد الجمع (بَرَرَة) مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ عبس .

● **والملاحظ أن الجمع (أَبْرار) فى القرآن الكريم ورد فى وصف البشر، بينما ورد الجمع (بَرَرَة) وصفًا للملائكة، وهذا يرجِّح ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائىّ؛ حيث يرى أن (الأَبْرار) جمع قلة، فهو وإنْ وُصِفَ به الناس (وهم كثرة) فهؤلاء قِلَّة بالقياس إلى الفُجَّار من الناس .**

● **أما الجمع (بَرَرَة) فهو جمع كثرة؛ ولذلك استُعْمِل وصفًا للملائكة لأنهم جميعًا بَرَرَة[٣] .**

---

(١) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٣٥ .

(٢) عمدة الحُفّاظ (ب ر ر) .

(٣) معانى الأبنية فى العربية، ص١٤٣ .

هذا بالإضافة إلى ملاءمة الصيغة للفاصلة القرآنية، فجاءت صيغة (بَرَرَة) فى سورة عبس لموافقة الفواصل قبلها وبعدها: (تَذْكِرَة ـ ذَكَرَه ـ مُكَرَّمة ـ مُطَهَّرة ـ سَفَرَة ـ بَرَرَة ـ أَكْفَرَه ـ فَقَدَّره . . . إلخ).

******

❑ ٣٨/٣٢ جاريات ـ جوارٍ:

كلا اللفظين جمع لـ (جارية)، وهى السفينة، والشمس، والريح، والنجوم أيضًا جوارٍ؛ لأنها تجرى[١] .

وقد ورد اللفظان فى القرآن الكريم جمعًا لـ (جارية) .

وورد الجمع (جاريات) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾ الذاريات .

أى السفن التى تجرى جَرْيًا ذا يُسْرٍ وسهولة[٢] .

فالكلمة مستعملة هنا مرادًا بها الوصفية، أى وصف السفن حال جريانها فى الماء .

وأمَّا الجوارى فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية :

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢﴾ الشورى .
- ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٢٤﴾ الرحمن .
- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ التكوير .

(الجوارى) فى آيتى الشورى والرحمن: السفن[٣]، وهو وصف غلب

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج ر ى) .

(٢) الكشاف ٤/ ١٣، البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٧١، ٤/ ٤٥، البحر المحيط ٧/٥٢٠، ٨/ ١٩٢ .

على السفن حتى صار اسمًا لها، وأصل الكلام: السفن الجوارى، ثم حُذِفَ الموصوف (السفن) وأُقِيمَت الصفة مقامه[١] . والجوارى فى آية التكوير: النجوم، وهى جوارٍ فى السماء[٢]، وقيل: الظِّباء[٣] .

وعلى كلا التفسيرين يتحدَّد معنى الجوارى بأنه وصف غالب على النجوم؛ لأنها تجرى فى السماء، أو على الظِّباء لأنها تجرى فى الأرض . وهو أيضًا كسابقه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الصيغة الصرفية (جاريات) أُريدَ بها الوصفية، أما صيغة (جوارٍ) فأُريد بها الاسمية[٤] .**

****

❑ ٣٢/ ٣٩ حُكَّام ـ حاكمون:

كلا اللفظين فى اللغة جمع لحاكم، وكلاهما من مادة (ح ك م)، وأصل معناها: المنع، وسُمِّى الحاكِم بهذا الاسم لأنه يمنع من الظلم[٥] .

ورد الجمع (حُكَّام) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ البقرة.

الحُكَّام: القُضاة[٦] .

---

(١) البحر المحيط ٧/٥٢٠ .

(٢) انظر: دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٢١ .

(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٣ ، ٢٢٤، البحر المحيط ٨/ ٤٣٤ .

(٤) البحر المحيط ٨/ ٤٣٤ .

(٥) التهذيب، النهاية لابن الأثير، اللسان (ح ك م) .

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٥ .

وورد الجمع (حاكمين) فى القرآن الكريم أربع مرات، مضافًا فيها جميعًا، وهى الآيات التالية:

- ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ الأعراف: ٨٧ .
- ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يونس: ١٠٩ .
- ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠ .
- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ التين .

- **والفرق بين الصيغتين (حُكّام ـ حاكمين) أن المراد بالحُكّام: القضاة الذين يحكمون بين الناس، فالمراد به الاسمية .**
- **والمراد بالحاكمين معنى الوصفية[1]، أى كل مَن اتّصف بصفة الحُكم .**
- **فالملمح البارز فى (الحُكّام) ثبات الصفة؛ للدلالة على الاسمية أو المهنة .**
- **والملمح البارز فى (الحاكمين) أنه لمجرد الوصف، دون أن يكون هذا الحكم ثابتًا أو دائمًا .**

******

❑ ٣٢/ ٤٠ حَمير ـ حُمُر:

كلا اللفظين فى اللغة جمع (حِمار)، سواءٌ أكان أهليًّا أو وحشيًّا؛ فجمع (حمار): أَحْمِرةٌ، وحُمُر، وحَمير، وحُمْر، وحُمور[2] .

ولكن الاستخدام القرآنىّ للكلمتين قد اقتصر على ذكر (الحَمير) جمعًا للحمار الأهلى المستأنس، كما فى قول اللَّه ﷻ:

---

(١) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٢١ .

(٢) تهذيب اللغة، اللسان (ح م ر) .

- ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ (النحل: ٨) .

والقرينة على ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ ؛ وذلك لأن الحمار الوحشىَّ لا يُرْكَب .

فى حين استخدم القرآن الكريم لفظ (حُمُر) جمعًا للحمار الوحشى، وذلك فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ المدثر .

وقد أجمع المفسِّرون على أن المراد بالحُمُر هنا: الحُمُر الوحشية؛ لأن من عادتها النفار الشديد إذا استنفرها مُستنفِر[(١)] .

● **ونخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم قد استخدم كلمتى (حَمير ـ حُمُر) جمعًا لـ (حِمار)، بَيْدَ أن:**

● **الحمير: جمع للحِمار الأهلىّ المستأنس .**

● **الحُمُر: جمع للحِمار الوحشىّ .**

وفى هذا مراعاة للدقة والمغايرة، بدرجة لم تعرفها العربية نفسها؛ لأن العرب لم يفرِّقوا فى الاستخدام اللغوىّ بين الجمعين (حَمير ـ حُمُر) .

******

❑ ٣٢/ ٤١ الخبائث ـ الخبيثات:

كلا اللفظين فى اللغة: جمع (خبيثة)[(٢)] . لكن الاستعمال القرآنى للفظين فرَّق بينهما بملمح دلالىّ مميِّز لكلٍّ منهما .

---

(١) انظر مثلًا: الكشاف ١٨٨/٤، التحرير والتنوير ٣٢٩/١٤ .

(٢) اللسان (خ ب ث) .

فقد وردت كلمة (الخبيثات) فى القرآن الكريم مرتين فى آية واحدة، هى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ النور .

رجَّح المفسِّرون أن الخبيثات هنا بمعنى: النساء الموصوفات بالخبث، والمعنى: النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والنساء الطيبات للطيبين من الرجال، فهو قريب من قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ النور .

ويرجِّح هذا التأويل مقابلتُه للذكور، وأنَّ الآية نزلت فى براءة أم المؤمنين عائشة ـ رضى اللَّه عنها ـ مما رماها به أهل الإفك، فبرَّأها اللَّه ﷻ، ثم بيَّن أن النبى ﷺ مُبرَّأٌ من أن تكون له أزواج خبيثات؛ لأن عِصْمته وكرامته على اللَّه ﷻ يأبَى اللَّه معها أن تكون أزوج النبى ﷺ غير طيبات(١) .

واستُعْمِل جمع المؤنث السالم الدالّ على العاقل؛ لأن المراد هنا وصف النساء .

أمَّا كلمة (الخبائث) فوردت فى القرآن الكريم مرتين أيضًا، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف: ١٥٧ .

- ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ الأنبياء: ٧٤ .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٤١، التحرير والتنوير ١٨/ ١٩٤ .

الخبائث هنا وصف لغير العاقل، أى الأعمال الموصوفة بالخبث، نحو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير اللَّه به، أو ما خَبُثَ فى الحكم كالرِّبا والرِّشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة[١] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن (الخبيثات ـ الخبائث) كليهما جمع (خبيثة) .**
- **إلَّا أن (الخبيثات) جمع مؤنث سالم؛ لذلك استُعْمِل لوصف العاقل .**
- **أمَّا (الخبائث) فهى جمع تكسير؛ ولذلك استُعمل لوصف غير العاقل .**

******

❑ ٣٢/ ٤٢ خَزَنة ـ خازنون:

كلا اللفظين فى اللغة جمع (خازن) من: خَزَنَ الشىءَ، إذا حفظه وصانه[٢] .

وقد وردت صيغة الجمع (خَزَنَة) فى القرآن الكريم أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ الزمر .

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الزمر: ٧٣ .

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ غافر: ٤٩ .

---

(١) الكشاف ٢/ ١٢٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (خ ز ن) .

- ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ الملك: ٨ .

أما صيغة (خازنون) فوردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه :

- ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ الحجر: ٢٢ .

والمراد بالخَزَنَة فى القرآن الكريم: حُرَّاسُ الجَنّة فى آية الزمر رقم (٧٣)، وحُرّاس جهنَّم فى الآيات الثلاث الأخرى.

أما صيغة (خازنون) فالمراد بها: حافظون لهذا الماء نجعله مَعينًا وينابيع فى الأرض، ولو شاء اللَّه ﷻ لأغاره وذهب به[١] .

ومن دقة اللفظ القرآنى استعمال صيغة (فَعَلة) للدلالة على الاسمية، أى بيان وظيفة هؤلاء الحُرَّاس، بينما استُعمِلَت صيغة (خازنين) استعمالًا وَصْفيًا، أى أُريدَ بها بيان الحدث[٢]، أى: لستم بقادرين على أن تخزنوه وتحفظوه من الضياع .

- **وعلى هذا فالمراد بصيغة (خَزَنَة): الاسمية لبيان وظيفة هؤلاء الحُرَّاس، والأسماء تدلُّ على مُسَمَّاها دلالة ثابتة دائمة، فالخَزَنَة اسم ثابت لحُرّاس الجنة والنار .**

- **أما صيغة (خازنون) فالمراد بها: الوصفية لبيان الحدث، والأحداث متجدِّدة عارضة، أى: لا تقدرون على أن تحفظوه فى أى وقت من الأوقات المتجدِّدة العابرة .**

******

❑ ٤٣/٣٢ خطايا ـ خطيئات :

كلا اللفظين فى اللغة جمع (خطيئة) (خطايا): جمع تكسير،

---

(١) ابن كثير ٢/٥٤٩ .

(٢) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٢٠ .

(خطيئات): جمع مؤنث سالم . وقد ورد اللفظان فى آيتين متشابهتين ـ معنًى ولفظًا ـ فى القرآن الكريم، هما:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ الأعراف .

وكلتا الآيتين فى سياق تذكير اليهود بنعمة اللَّه ﷻ عليهم .

غير أن آية البقرة استُخدم فيها جمع التكسير ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ الدال على الكثرة؛ لأن هذه الآية تضمنت مزيدًا من التكريم والفضل الإلهىّ تمثَّل فى وصف الأكل بالرَّغَد؛ فناسب ذلك غفران (الخطايا) الكثيرة .

وأما آية الأعراف فلم تتضمَّن وصف الأكل بالرغد، كما أن القول فيها مسند لمجهول (قيل)؛ فلم يَقْتَضِ ذلك غفران الذنوب جميعها، فكان جمع القلة ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ أنسب فى هذا السياق[١] .

● **ونخلص مما سبق إلى دقة الاستخدام القرآنى للجموع المختلفة؛ حيث استُخدم جمع الكثرة (خطايا) فى حال إسناد القول إلى اللَّه (قلنا)، وفى حال وصف النعمة بالرغد، ولمَّا أُسْنِد الخطاب لمجهول، ولم تُوصَف النعمة بالرغد؛ لَمْ يقتضِ ذلك غفران الذنوب الكثيرة .**

******

❑ ٣٢/ ٤٤ ذُكور ـ ذُكْران:

ورد كلا اللفظين جمعًا لـ (ذَكَر) فى موضعين من القرآن الكريم، ومن ذلك

---

(١) انظر: كشف المعانى ١/ ٥٩ .

قول اللَّه تعالى:

- ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ الشورى .

وكلا اللفظين جمع لكلمة (ذَكَر)، إلا أن الشائع منهما (ذُكور)، أما (ذُكْران) فهو نادر، ولم يُسْتعمل فى العربية (فُعْلان) جمعًا لـ(فَعَل) إلَّا هذه اللفظة .

• ولعل القرآن الكريم استعمل الجمع الشائع (ذُكور) وهو من صِيَغ جموع الكثرة؛ للتعبير عن كثرة وقوع الحدث المذكور وشيوعه، وهو أمر جليٌّ فى آية الشورى رقم (٤٩)، وكذا فى قول اللَّه :

- ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الأنعام: ١٣٩ .

فشيوع الذكور بين الناس أمر جليّ .

• أما الجمع (ذُكْران) فاستُعمل فى سياقات تشير إلى الغرابة والندرة، كما فى آية الشورى رقم (٥٠)، حيث يندر ولادة التوائم قياسًا على ولادة طفل واحد ذكرًا أو أنثى . والموضع الآخر الذى استُعمل فيه الجمع (ذُكران) فهو قول اللَّه :

- ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ الشعراء .

وهو أمر نادر الحدوث شاذٌّ لا يُقاس عليه .

وقد سلك القرآن أسلوبًا فريدًا فى التعبير عن الندرة، وذلك باستعمال جمع نادر فى اللغة ـ من حيث الصياغة الصرفية ـ للتعبير عن ندرة الحدث وغرابته .

******

❑ ٣٢/ ٤٥ رواسٍ - راسيات:

كلا اللفظين فى اللغة جمع (راسية)، وأصل مادة (ر س و): الثبات[١] .

ولم تفرِّق المعاجم بين صيغتى الجمع (رواسٍ - راسيات)، بَيْدَ أن الاستعمال القرآنى للكلمتين قد فرَّق بينهما بملمح الاسمية فى (رواسٍ)، وملمح الوصفية فى (راسيات) .

ففى جميع السياقات التى وردت فيها كلمة (رواسٍ) فى القرآن الكريم، كانت بمعنى: الجبال، وكأنَّ الصفة حلَّت محلَّ الموصوف فأصبحت تعبِّر عنه بذاتها وبدون ذكر الموصوف بالرُّسُوِّ أى الثبات والاستقرار . وقد اختار التعبير القرآنى صيغة جمع التكسير (رواسٍ) للدلالة على الجبال، وجمع التكسير أدَلُّ على الاسمية من دلالته على الوصفية .

ومن شواهد الكلمة فى القرآن الكريم:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ الرعد: ٣ .

- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ الحجر .

- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ المرسلات .

والدليل على إرادة الاسمية فى صيغة (رواسٍ) وصفها بـ (شامخات) فى آية المرسلات، أى: جبالًا ثابتة مستقرة، وهو جمع (رواسٍ) الذى يُطْلَق على الجبل بمنزلة الوصف الغالب، وصيغة (فواعل) فى جمع فاعل من النوادر فى العربية[٢] .

---

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ر س و) .

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢١

أما الجمع (راسيات) فقد ورد فى القرآن الكريم مرَّة واحدة، فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ سبأ: ١٣ .

والمراد بصيغة جمع المؤنث السالم (راسيات) هنا: الوصفية، أى وصف تلك القدور بالثبات والاستقرار، ولا نجد هنا ملمح الاسمية الذى للوصف بصيغة جمع التكسير .

• ونخلُص ممَّا سبق إلى أنَّ الكلمتين (رواسٍ ـ راسيات) بينهما تقارب دلالىّ كبير؛ إذ يشتركان فى المعنى الأصلىّ، ولا يفترقان إلَّا فى ملمح دلالىّ واحد، ناشئٍ من الصيغة الصرفية لكلتا الكلمتين، وهو ملمح الوصفية فى (راسيات)، وملمح الاسمية فى (رواسٍ) .

******

❑ ٣٢/ ٤٦ رُكَّع ـ راكعون:

ورد كلا اللفظين فى عدة مواضع من القرآن الكريم، جمعًا لـ (راكع)، ومن شواهدهما:

- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥ .

• الرّاكعون: جمع مذكَّر سالم، وهو لمجرد الوصف دون مبالغة فى الصفة، ويدل على التجدُّد والحدوث .

• الرُّكَّع: جمع تكسير، وصيغته تدل على المبالغة فى الركوع والمداومة عليه .

******

□ ٣٢/ ٤٧ زُرَّاع ـ زارعون:

كلتا الكلمتين جمع (زارع)، الأولى جمع تكسير، والثانية جمع مذكر سالم . وقد وردت كل منهما فى القرآن الكريم مرة واحدة:

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ الفتح .

- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الواقعة .

• استُعمِل (الزَّارعون) عند إرادة الوصفية؛ وذلك لأن اسم الفاعل يدل على إرادة الحدث، وهو يشابه الفعل[1]. والمراد أن الله هو الذى يُنبِت الزرع .

• أما صيغة جمع التكسير (الزُّرَّاع) فاستُعمِلَت عند إرادة الاسمية؛ وذلك لأن جمع التكسير يبعد عن إرادة الحدث ويُقَرِّب الكلمة إلى الاسمية[2]، ومن هنا جاءت فى الآية للدلالة على مَنْ كانت مهنتهم الزراعة[3] .

□ ٣٢/ ٤٨ سُجَّد ـ سجُود:

ورد اللفظان فى القرآن الكريم جمعًا لساجد، ومن شواهدهما:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ البقرة .

---

(١) معانى الأبنية فى العربية، د . فاضل صالح السامرائى، ص١٢٦، ١٢٧ .

(٢) السابق، ١٢٧ .

(٣) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٣٠ - ٢٣١ .

- ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥ .

- **صيغة (سُجَّد) تدل على المبالغة فى الاتِّصاف بالسجود والمداومة عليه، وهى الأكثر ورودًا فى القرآن الكريم (إحدى عشرة مرة) .**

- **أما صيغة (سُجود) فليس فيها معنى المبالغة فى الاتِّصاف بالسجود، إلا أنَّها جاءت فى فاصلة آيتى البقرة والحج لتحقيق التناسق الصوتى مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة .**

******

❑ ٣٢/ ٤٩ سنابل - سُنْبُلات:

ورد اللفظان جمعًا لكلمة (سُنْبُلة) فى الآيات التالية:

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ يوسف: ٤٣ .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يوسف .

- **كلمة (سَنابل) من صيغ جموع الكثرة؛ ولذا استُعملت فى سياق التعبير عن زيادة الأجر ومضاعفة الثواب فى آية البقرة .**

- **أما كلمة (سُنْبُلات) فجاءت فى صيغة جمع المؤنث السالم، وهو من جموع القلة، فى سياق يدل على القلة؛ حيث جاءت تمييزًا للعدد سبعة .**

******

❑ ٣٢/ ٥٠ أَساوِر ـ أَسْوِرَة:

كلا اللفظين جمع (سِوار)، وقيل: الجمع أَسْوِرة، والأساوِر جمع الجمع[1].

وقد ورد الجمع (أَسْوِرَة) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه:

- ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الزخرف.

● صيغة (أَسْوِرَة) جاءت فى هذا السياق على وزن (أَفْعِلَة)، وهو من الأوزان الدالَّة على القِلَّة؛ وقد عَبَّر بها القرآن فى هذا الموضع؛ لأنَّ الحديث عن فرد واحد هو موسى عليه السلام، فاختِيرَ لذلك صيغة جمع القلة.

أما الجمع (أساور) فقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ الكهف: ٣١، الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣.
- ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الإنسان: ٢١.

● وكلمة (أَساور) ـ كما سبق ـ إمَّا أنها من صيغ جموع الكثرة، أو هى جمع للجمع، فهى أيضًا دالَّة على الكثرة؛ ولِذا عُبِّرَ بها فى سياق الحديث عن نعيم الجنة، للدلالة على كثرة ما يُحَلَّى به أهلُها من الحُلِىّ وأنواع الزينة[2].

******

(١) انظر: اللسان (س و ر).

(٢) انظر: دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢٠٨.

❑ ٣٢/ ٥١ أَشِدَّاء ـ شِداد:

كِلا اللفظين جمع (شديد) أى قوىّ[١].

بَيْدَ أن الاستخدام القرآنىّ قد أعطى لكلٍّ من اللفظين ملامح دلالية تميِّزه عن الآخر، فاستعمل الجمع (شِداد) للدلالة على القوَّة الماديَّة كما فى الآيات التالية:

- ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يوسف: ٤٨.

أى سبع سنوات مجدبة، وهذا نوع من الشدة الماديَّة.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم.

فجمع للملائكة وصف الشدَّة المعنوية بالوصف ﴿غِلَاظٌ﴾ أى قُساة فى معاملة أهل النار، والشدَّة الماديّة بالوصف ﴿شِدَادٌ﴾ أى أقوياء الأبدان[٢].

- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ النبأ.

أى سبع سماوات موثَّقة البنيان مُحْكَمَة الخَلْق[٣].

وأما كلمة (أَشِدَّاء) فجاءت فى موضع واحد من القرآن الكريم هو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩.

فالوصف ﴿أَشِدَّآءُ﴾ هنا تعبير عن القوة المعنوية، ففى مقابل كونهم رحماء

---

(١) مفردات الأصفهانى، اللسان (ش د د).

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٩١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٢.

بينهم، هم أَشِدّاء ـ أى قُساة ـ على الكفار[١] .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنىّ لكلمتى (أَشِدَّاء ـ شِداد) يُظهر اشتراكهما فى معنى القوة .**
- **والملمح المميِّز لكلمة (أَشِدَّاء) هو القوة المعنويَّة .**
- **بينما الملمح المميِّز لكلمة (شِداد) هو القوة المادِّيَّة .**

******

❑ ٥٢/٣٢ أَشْهُر ـ شُهور:

كلا اللفظين جمع شَهْر، بَيْدَ أن (أَشْهُر) جمع قِلَّة، و(شهور) جمع كثرة[٢] .

وقد راعى القرآن الكريم الدقة فى التعبير عن العدد، فاستخدم جمع القلة (أَشْهُر) فى تمييز عدد لا يزيد على أربعة، وذلك فى الآيات التالية:

- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ البقرة: ١٩٧ .
- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة: ٢٢٦ .
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة: ٢٣٤ .
- ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ التوبة .
- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة: ٥ .

---

(١) الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم (دراسة إحصائية)، د . أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٣ ، ص١١٩ .

(٢) اللسان (ش هـ ر) .

- ﴿وَٱلَّٰٓئِى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ الطلاق: ٤ .

أما جمع الكثرة (شُهور) فقد ورد فى موضع واحد من كتاب اللَّه هو قوله :

- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ التوبة: ٣٦ .

استُخدم هنا جمع الكثرة تمييزًا لعدد أكبر من عشرة: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ﴾ .

● **ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنىّ لكلمتى (أَشْهُر ـ شُهور) يفيد اشتراكهما فى الدلالة على جمع شَهْر، غير أن الأول جمع قلة (لمعدود أقل من عشرة)، والثانى جمع كثرة (لمعدود أكبر من عشرة) .**

******

❑ ٣٢/ ٥٣ أَشْياع ـ شِيَع :

كلا اللفظين جمع (شيعة)، وهو كل جماعة اجتمعوا على أمر واحد(١) .

والمتأمِّل فى السياقات القرآنية التى ورد فيها كلا اللفظين يجد أن كلمة (أَشْياع) جاءت للدلالة على التجمُّع والتوحُّد، كما فى قول اللَّه :

- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ سبأ: ٥٤ .

أى: بأمثالهم ومن كان مذهبُه مذهبَهم(٢) .

أما الجمع (شِيَع) فقد ورد فى سياق التفرُّق والتشرذم والاختلاف، كما فى قول اللَّه :

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ الأنعام: ١٥٩ .

---

(١) اللسان (ش ى ع) .

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٧ .

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ : أى فِرَقًا مختلفة[١].

- **ونخلُص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (أَشْياع - شِيَع) يُظهِر اشتراكهما فى الدلالة على معنى جمع شِيعة أى جماعة وفِرقة .**
- **والملمح المميِّز لكلمة (أَشْياع) هو التماثل والتشابه .**
- **بينما الملمح المميِّز لكلمة (شِيعَ) هو التفرُّق والاختلاف .**

******

❑ ٣٢/ ٥٤ طِفْل - أَطْفال:

قوله :

- ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج: ٥ .

حيث جاء الحال بلفظ المفرد، وصاحبها بصيغة الجمع، وكلمة (طِفْل) مفرد لفظًا، جمع فى المعنى .

وهناك وجه آخر: أن تكون مفردة، والمعنى: ثم نخرج كلَّ واحد منكم طِفْلًا[٢].

والملاحظ في الاستعمال القرآنى أنه جاء بصيغة اسم الجمع (طِفْل) فى ثلاثة مواضع: (الحج: ٥، النور: ٣١، غافر: ٦٧). وفى هذه المواضع جميعًا يراد **بالطِّفْل: الذين لم يبلغوا الحُلُم .**

أما صيغة الجمع (أطفال) فقد وردت مرة واحدة فى قوله تعالى:

- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾ النور: ٥٩ .

---

(١) الكشاف ٢/ ٦٤ .

(٢) الكشاف٣ / ٦، البحر المحيط ٦/ ٣٥٢ .

ونلحظ هنا أن صيغة الجمع (أطفال) مستعملة للدلالة على: الذين بلغوا الحلم .

وهذا سرٌّ من أسرار لغة القرآن؛ حيث يستعمل الألفاظ المترادفة، أو التى شاع استخدامها على الترادف، لكي يشير ـ بهذا الاختلاف في الصيغة ـ إلى فارق دلالىّ دقيق قد لا يخطر بالبال فى الوهلة الأولى، ومع تتبُّع السياقات القرآنية المختلفة وتأملها تنجلى هذه التمايزات، والملامح الدلالية المرهفة التى تحتملها الألفاظ المختلفة فى الصيغة، وإن شاع اتفاقها فى المعنى .

******

❑ ٣٢/ ٥٥ عِباد ـ عَبيد:

ورد اللفظان فى القرآن الكريم جمعًا لكلمة (عَبْد)، ومن شواهدهما:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦ .

- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ آل عمرآن: ١٨٢، الأنفال: ٥١، الحج: ١٠ .

- **لفظ (عِباد) جمع للعَبْد بمعنى العابد لربه .**
- **ولفظ (عَبيد) جمع للعَبْد المملوك الرَّقيق .**

وقد أُضيف إلى اللَّه ﷻ ؛ لأن اللَّه هو المالك الحق لرقاب الناس، وهو المستحِقُّ للعبودية دون سواه .

أما (العِباد) فلم يُستعمَل فى القرآن إلا بمعنى العابدين المخلصين، وإن ورد فى بعض المواضع مضافًا إلى غير اللَّه ﷻ فالمراد بذلك التنبيه على المساواة بين (العبيد المملوكين) وسادتهم؛ لأن الجميع عبادٌ للَّه ﷻ، وذلك فى نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ النور: ٣٢ .

وذلك لحكمة هى الإشارة إلى أنه يجب معاملة هؤلاء العبيد كبشر لهم كامل الحق فى الحياة، وبخاصة لما يتميزون به من صلاح وطاعة للَّه ﷻ[1].

******

❑ ٥٦/٣٢ أَعْيُن - عُيون:

كلا اللفظين جمع (عَيْن) سواء أكانت العين حاسة الإبصار، أو عين ماءٍ، أو غير ذلك[2].

ولكن المتأمِّل للسياقات القرآنية التى ورد فيها كلا اللفظين، يجد أن كلمة (أَعْيُن) جاءت جمعًا للعين التى هى حاسَّة البصر، كما فى قول اللَّه تعالى:

- ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ الأعراف.

- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ﴾ الأعراف: ١٧٩.

- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ﴾ الأنفال: ٤٤.

وأمَّا صيغة (عُيون) فجاءت فى جميع مواضعها من القرآن الكريم جمعًا لعين الماء، ومن ذلك قول اللَّه تعالى:

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ الحجر، الذاريات: ١٥.

- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ القمر.

وليس المعتبر فى استخدام القرآن للكلمتين البنية الصرفية الدالة على جمع

---

(١) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص٢١٥.

(٢) انظر: اللسان (ع ى ن).

الكثرة فى (عُيون)، وعلى جمع القلة فى (أَعْيُن)؛ لورود كلٍّ منهما فى سياقات تفيد الكثرة . ولكن القرآن عَبَّر بالبنية الصرفية (أَعْيُن) عن حاسَّة البصر، وعبَّر بالبنية (عُيون) عن عُيون الماء[1] .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنىّ للكلمتين (أَعْيُن ـ عُيون) يُظهِر اشتراكهما فى معنى: جمع عَيْن، وكلمة (عَيْن) من المشترك اللفظىّ الدالّ على مدلولات كثيرة كحاسة البصر، وعين الماء، وعين الجيش (الجاسوس) . . . إلخ .

● وقد خصَّص الاستخدام القرآنىّ الجمع (أَعْيُن) فى أحد معانى هذا المشترك اللفظىّ، وهو جمع العين التى هى حاسة البصر، بينما خصَّص الجمع (عُيون) فى أحد معانى هذا المشترك اللفظى، وهو جمع عين الماء .

******

❑ ٣٢/ ٥٧ غُرَف ـ غُرُفات:

ورد الجمع (غُرَف) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، اثنتان منهما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ الزمر: ٢٠

أما الجمع (غُرُفات) فقد ورد مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سبأ .

● وكلا اللفظين جمع لـ (غُرْفة)، إلا أن (غُرَف) من صيغ جموع الكثرة، و(غُرُفات) من صيغ جموع القلة .

---

(١) الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم، ص١١٥، ١١٦ .

● **وقد عبَّر القرآن الكريم بصيغة جمع الكثرة فى سياق بيان كثرة الغُرَف التى يسكنها أهل الجنة من المتقين، وهم كثير بالقياس إلى من اجتمع لهم مع التقوى المال والولد والنفوذ المتحدَّث عنهم فى آية سبأ؛ ولذا عبِّر فيها بجمع القلة (الغُرُفات) لقلة عددهم بالقياس إلى عامَّة المتقين المذكورين فى آية الزمر .**

******

❑ ٥٨/٣٢ فِتْيَة ـ فِتْيان:

ورد الجمع (فِتْيَة) فى موضعين من القرآن الكريم، هما:

- ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ الكهف .

- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ الكهف .

وورد الجمع (فِتْيان) فى موضع واحد، هو قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ يوسف: ٦٢ .

● **الجمع (فِتْيَة) من صيغ جموع القلة؛ ولذا استُعمل فى التعبير عن أهل الكهف وعددهم ما بين الثلاثة والسبعة، ولم يقل أحد من المفسرين إن عددهم جاوز السبعة .**

● **والجمع (فِتْيان) من صيغ جموع الكثرة؛ ولذا عُبِّر به فى آية يوسف عن عُمَّاله الموكَّلين بالكيل، ولا شك أن عددهم كان كبيرًا .**

******

❑ ٥٩/٣٢ فُجَّار ـ فَجَرَة:

كلا اللفظين جمع (فاجِر)، وهو المنبعث فى المعاصى والمحارم[١] .

وقد ورد الجمع (فُجَّار) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ص .

- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ الانفطار .

- ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ المطففين .

أما الجمع (فَجَرَة) فورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ عبس .

والصيغتان تشتركان فى كونهما جمعًا لفاجر، إلَّا أن كُلًّا منهما قد استُعمِلت فى موقعها بدقة فتناسبت مع سياقها دلاليًّا، كما ناسبت ما جاورها من الفواصل موسيقيًّا .

ذلك أن كلمة (فُجَّار) على وزن (فُعَّال)، وهذا الجمع يدل على كثرة القيام بالفعل والمبالغة فيه، نحو: زُرَّاع، حُفَّاظ، قُرَّاء[٢] .

ولا تُطلَق مثل هذه الصفات إلَّا على من كَثُرَ منه الفِعْلُ حتى صار حرفة له أو كالحرفة[٣] .كما أن كلمة (الفُجّار) جاءت فى فاصلة آية ص رقم (٢٨) مجاورة لمثيلاتها قبل وبعد:

---

(١) اللسان (ف ج ر) .

(٢) شرح ابن عقيل ٢/ ٤٦١ ، ٤٦٢، الهمع ٢/ ١٧٧ .

(٣) معانى الأبنية فى العربية، ص١٣٠ .

(النّار ـ الألْباب ـ الجِياد ـ الحِجاب . . . إلخ)، حيث خُتِمت فواصل هذه السورة بكلمة فيها ألف مَدٌ بعدها حرف صامت .

أما كلمة (فَجَرَة) فهى على وزن (فَعَلَة)، وهذا الوزن ليس فيه معنى التكثير الذى فى صيغة (فُعَّال)، ولكن فيه معنى الاسمية، فهذا البناء يُحَوِّل الوصف إلى الاسمية كما فى: الباعة، الصّاغة، الطّلبة، القادة[1] . . . إلخ .

وتحويل الوصف إلى الاسمية يقتضى الدوام والثبات؛ لأن الاسم لا يَنْفَكُّ عن مُسَمَّاه .

وقد خُتِمت سورة (عبس) بكلمة (الفَجَرَة) للتعبير عن ثبوت هذا الوصف لهم، حتى استحقوا أن تغشاهم مظاهر الكفر والفجور من غبرة وقترة .

وكذلك جاءت صيغة (فَجَرَة) هنا لتتناسب مع سائر الفواصل (سَفَرَة ـ مُسْتَبْشِرَة ـ غَبَرَة ـ قَتَرَة)، وأيضًا مع الكلمة المعطوفة عليها: (الكَفَرَة) .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الصيغتين (فُجّار ـ فَجَرَة) كلتيهما جمع (فاجِر)، وكلتيهما تدل على الوصف بالفُجور .**
- **إلا أن صيغة (فُجَّار) تتميز بملمح دلالىّ فارق هو الكثرة والمبالغة .**
- **بينما الملمح الدلالىّ المميِّز لصيغة (فَجَرَة) هو الدوام والثبات المأخوذ من دلالة الاسمية فى هذه الصيغة الصرفية .**

******

❑ ٣٢/ ٦٠ قاعدون ـ قُعود:

كلتا الصيغتين جمع (قاعد)، إلَّا أن الأول جمع مذكر سالم، وهو الأصل فى جمع الصفة؛ لأن الصفة (قاعد) تشبه الفعل (يقعد)، ومن هنا جُمعت

---

(١) معانى الأبنية فى العربية، ص١٣٢ .

على (قاعدون)، كما أن الواو تدل على الجمع فى الفعل (يقعدون)[١] .

وهذا يدلُّنا على أن جمع السلامة يفيد معنى الحدث، فالجمع (قاعدون) يدل على حدث القعود .

بينما الجمع (قُعود) جاء على صيغة المصدر (قَعَدَ - قُعودًا)، والجمع على وزن المصدر يُراد به الدلالة على المعنى الحقيقىّ للفعل[٢] .

وقد ورد الجمع (قاعدون) فى القرآن الكريم ست مرات، ومن شواهده:

- ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ النساء: ٩٥ .

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ المائدة .

- ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ التوبة .

والمراد بالقاعدين: الذين قعدوا عن الجهاد وتقاعسوا عنه، فالمنصوص عليه هنا ذمُّ فعل القعود وفاعليه معًا، وصيغة (القاعدون) تعادل تركيب (الذين قعدوا) .

أمَّا الجمع (قُعود) فقد ورد فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ البروج .

استُعْمِلَ هنا لفظ الجمع (قُعود) على وزن المصدر، تعبيرًا عن ملازمتهم للقعود على الأخدود لمراقبة المؤمنين الذين أُلْقِىَ بهم فى النار، هذا إذا

---

(١) شرح الرضى على الشافية ٢/ ١١٦ .

(٢) معانى الأبنية، ص١٣٩-١٤٠ .

اعتبرنا الضمير (هم) عائدًا على أصحاب الأخدود . وعلى احتمال أن المراد بالضمير : المؤمنون المعذَّبون، فالقعود حقيقة، واستُعمِل الجمع على صيغة المصدر للدلالة على حقيقة فعل القعود، بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود[1] .

هذا بالإضافة إلى مناسبة صيغة (قُعود) للصيغ الواردة فى فواصل آيات سورة البروج المبنية على واو أو (ياء) المدِّ، يليها حرف صامت كالجيم أو الدال، مثل : (البُروج ـ المَوْعود ـ مَشْهود ـ الأُخْدود ـ الوَقود ـ قُعود ـ شُهود ـ الحَميد ـ شَهيد . . . إلخ) .

- **ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين (قاعدون)، (قُعود) كلتيهما جمع (قاعد) .**
- **إلا أن جمع السلامة (قاعدون) يدل على الفعل وفاعله .**
- **أما الجمع على وزن المصدر (قُعود) فيدل على حقيقة فعل القعود، فهو منصرف إلى بيان حقيقة الفعل .**

******

❑ ٣٢/ ٦١ كُبَراء ـ أَكابِر :

ورد اللفظان فى القرآن الكريم مرة لكل منهما، فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ الأحزاب .
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ الأنعام .

- **الكُبَراء : جمع للصفة المشبَّهة (كَبير) ، والمراد بها : رؤساء الأقوام وسادتهم .**

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢٤٣ .

● **الأكابِر: جمع أكْبَر، فهى جمع لاسم التفضيل، وهو أبلغ من الوصف (كُبراء).**

****

❏ ٣٢/ ٦٢ أَمْوات ـ مَوْتَى ـ مَيِّتون:

وردت الألفاظ الثلاثة فى القرآن الكريم بمعانٍ متقاربة، كما يظهر من الآيات التالية:

- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ البقرة: ٢٨ .
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ البقرة: ٢٦٠ .
- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠ .

● **صيغة (أَمْوات) جمع تكسير مفرده (مَيْت) بسكون الميم، ولا يُستعمَل إلّا لما انقضى أجله وفارقته الروح .**

● **وصيغة (مَوْتَى) جمع تكسير مفرده (مَيِّت) بكسر الياء وتشديدها، وهو يُستعمَل فى الدلالة على ما فارقته الروح، وأيضًا لما ستفارقه الروح فى المستقبل، لكن السياقات القرآنية حددت معناه فى الموت الحقيقىّ ومفارقة الروح للبدن، ولعلَّ فيه مبالغة أكثر مما فى الجمع (أَمْوات)، فقد جاء هذا الأخير فى مقابلة دلالية واتساق صوتىّ وصرفىّ مع (أحياء) خمس مرات، أما المَوْتَى فلم يرد فى تقابل صوتىّ وصرفىّ مع الأحياء، وإنما اقترن ـ غالبًا ـ بالفعل المضارع (يُحْيِى) .**

● **أما صيغة جمع المذكر السالم (مَيِّتون) فهى جمع مَيِّت، وجميع سياقاته فى القرآن الكريم تحدد معناه فيما يُنتَظَر موتُه فى المستقبل .**

****

❑ ٣٢/ ٦٣ أَنْصار ـ ناصرون:

ورد اللفظان فى عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن شواهدهما:

- ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ البقرة: ٢٧٠، المائدة: ٧٢ .

- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ التوبة: ١٠٠ .

- ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ آل عمران: ٢٢، ٥٦، ٩١، النحل: ٣٧، الروم: ٢٩ .

• صيغة (أَنْصار) جمع نَصير، نحو شريف وأشراف، فهو جمع لصيغة المبالغة الدالة على ثبوت الصفة مع المبالغة فيها؛ ولذا أُطلِق على أهل المدينة ممن نصروا رسول اللَّه وجاهدوا معه .

• وصيغة (ناصرين) جمع مذكر سالم مفرده (ناصر)، ويدل على مجرد إثبات الصفة دون مبالغة فيها؛ ولذلك جاء فى أكثر سياقاته لنفى النصرة عن الظالمين، فنفى عنهم مجرد النصر . أما فى نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ آل عمران .

فقد أضيف إلى غيره مما يعنى الاشتراك فى الصفة مع تفضيل اللَّه ﷻ على ما سواه من الناصرين .

******

❑ ٣٢/ ٦٤ أَنْعُم ـ نِعَم:

ورد هذان اللفظان فى القرآن الكريم بدلالتين متقاربتين، الأولى فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل .

- ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ النحل .

والثانية فى قوله ﷻ:

- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان: ٢٠ .

● صيغة (أَنْعُم) على وزن (أَفْعُل) وهو من أوزان جموع القلة، وقد وردت الكلمة فى موضعين من القرآن الكريم (النحل:١١٢، ١٢١)، فى سياق الحديث عن أهل قرية واحدة بعينها (النحل: ١١٢)، وفى سياق الحديث عن شخص واحد هو إبراهيم عليه السلام (النحل: ١٢١)، ومحدودية العدد اقتضت صياغة الجمع على صيغة من الصيغ الدالة على القلة، فالعدد المحدود من البشر يلائمه العدد المحدود من النِّعَم .

● أما صيغة (نِعَم) فهى من صيغ جموع الكثرة، وجاءت فى سياق الحديث عن سعة العطاء الإلهىّ لجميع الناس، مع تنوع هذه النِّعَم واختلاف أنواعها، فناسب ذلك أن يُستَعمَل جمع الكثرة (نِعَم) الدالِّ على كثرة أفضال اللَّه على عباده وسعة رزقه وجوده تبارك وتعالى .

******

٥- بين الإفراد والجمع (٣٢)

❑ ٣٢/ ٦٥ دَرَجَة ـ دَرَجات:

قال اللَّه ﷻ:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ النساء.

● **جاءت كلمة ﴿دَرَجَةً﴾ مفردة فى الآية الأولى؛ لأن المراد: فى الدنيا، وجُمِعت فى الآية التالية ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ ؛ لأن المراد: فى الآخرة.**

******

❑ ٣٢/ ٦٦ دار ـ دِيار:

قال اللَّه ﷻ:

- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ الأعراف: ٧٨.

- ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ هود: ٩٤.

● **أُفرِد لفظ الدار فى آية الأعراف؛ لأن الرَّجْفة ـ وهى الزلزلة ـ دمَّرت بلدهم تدميرًا، فجاء اللفظ واحدًا باعتبار بلدهم المدمَّر.**

● **وجُمِع اللفظ فى آية هود؛ لأن الصيحة جاءت من السماء، وهى أقوى وأعنف من الرَّجْفة، فجاء اللفظ مجموعًا لبيان عِظَم التدمير وقوته وفداحة آثاره.**

******

❑ ٣٢/ ٦٧ رِيح - رِياح:

نَصَّت المعاجم العربية على أن الرِّيح مفرد الرِّياح[(١)] .

ولكن بعض المفسِّرين فرقوا بين الكلمتين وقالوا: الرِّيحُ فى العذاب، والرِّياح فى الرحمة[(٢)]، واستشهدوا لذلك بما تواتر من قراءة عاصم أنه كان يقرأ ما كان من رحمة بصيغة الجمع (رِياح)، وما كان من عذاب بصيغة الإفراد (رِيح) . وإن كان غير عاصم من القُرَّاء قد اختلفوا فى الرحمة فمنهم من قرأه بالجمع ومنهم من قرأه بالإفراد، لكنَّهم جميعًا اتفقوا على ما كان من عذاب فقرأوه بصيغة المفرد (ريح)، قال الفراء بعد أن ذكر القراءات فى الرِّيح والرِّياح:

"ونرى أنهم اختاروا الرِّياح للرحمة؛ لأن رياح الرحمة تكون من الصَّبا والجَنوب والشمال من الثلاث المعروفة، وما لا مطر فيه الدَّبُور؛ لأن الدَّبُور لا تكاد تَلْقَح؛ فسُمِّيت ريحًا موحَّدةً لأنها لا تدور كما تدور اللواقح"[(٣)] .

وهذا التوجيه مُطَّرِدٌ فى أكثر مواضع الكلمتين فى القرآن الكريم، ويزيده بيانًا ورود اللفظين فى آيات متتالية من سورة الروم، حيث تكررت صيغة الجمع مرتين فى الآيتين (٤٦، ٤٨)، وهما فى سياق الرحمة والبشارة، ثم جيء بصيغة المفرد فى سياق العذاب فى الآية رقم (٥١)، وهى الآيات التالية:

- ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الروم: ٤٦ .

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الروم .

(١) تهذيب اللغة، الصحاح، لسان العرب (ر و ح) .

(٢) مفردات الأصفهانى، عمدة الحُفَّاظ (ر و ح) .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٢٦٩ .

- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ الروم: ٥١ .

قال الزمخشريّ متفقًا مع الفرَّاء: الرياح هى الجنوب والشمال والصَّبا وهى رياح الرحمة، وأما الدَّبُور فرِيحُ العذاب، ومنه قول النبى ﷺ: "اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا"، ... فإذا أَرْسَلَ رِيحًا فضرب زروعهم بالصَّفارِ ضَجُّوا وكفروا ... والريح التى اصفرَّ لها النبات يجوز أن تكون حَرورًا وحَرْجَفًا، فكلتاهما مِمَّا يُصَوِّح لها النبات ويصبح هشيمًا[1] .

وهذا الحديث الذى ذكره الزمخشريّ يدل على أن مواضع الرَّحْمَة والبُشْرَى أَوْلَى بصيغة الجمع، ومواضع العذاب أَوْلَى بالانفراد .

• والتفرقة بين الصيغتين ليست على إطلاقها، فلا يقال إن الرِّيح للعذاب والرِّياح للرحمة، والأَوْلَى أن يُقالَ: إنَّ العذاب قد خُصَّ بلفظ المفرد (ريح)، ولا يُقال فى العذاب (رياح) قَطّ، أمَّا الرحمة فقد تكون بلفظ المفرد، والأكثر أن تكون بلفظ الجمع .

******

❑ ٣٢/٦٨ السَّمْع - الأَبْصار:

وردت كلمة (السَّمْع) فى جميع المواضع القرآنية مفردةً، بينما وردت كلمة (الأَبْصار) بصيغة الجمع، وقُدِّم السَّمْعُ على الأَبْصار، وذلك فى الآيات التالية:

- ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ يونس .

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

(١) الكشاف ٣/٢٢٥ ، ٢٢٦ .

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ المؤمنون - ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ السجدة .

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الملك .

أُفْرِد السمع وجُمعت الأبصار حيثما وردا فى القرآن الحكيم، كما قُدِّم السمعُ على البصر؛ وذلك لأن:

- **جهاز السمع والاتزان عند الجنين يكتمل فى عمر (٧) أسابيع تقريبًا، بينما لا يَرى الطفل الوليد مباشرة إلَّا بعد مرور حوالى (١٨) يومًا من ولادته .**
- **مجال السمع مقداره (٣٦٠) درجة، بينما مجال البصر مقداره (١٨٠) درجة .**
- **الطفل فاقد السمع لا يمكنه أن يتعلَّم الكلام؛ لأن تعلُّم الكلام يتأتَّى بالمحاكاة عن طريق سماع المحيطين به، بينما يستطيع الطفل الأعمى أن يتعلم عن طريق السمع .**
- **كما أنَّ المَشاهِدَ التى يراها البصر متعدِّدة فى المجال الواحد، فعن اليمين رؤية ومشهد، وعن اليسار مشهد آخر، ومن الخلف مشهد ثالث، ومن الأمام مشهد رابع، فى حين أنَّ السَّمع واحد لا يختلف باختلاف الجهة .**

لكل هذا أُفْرِد السمع وجُمعت الأبصار، وقُدِّم السَّمع على البصر فى النظم القرآنىّ الحكيم .

******

❑ ٣٢/ ٦٩ ذَلِكَ ـ ذَلِكُمْ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ البقرة: ٢٣٢ .

- ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الطلاق: ٢ .

● **جاء الخطاب فى آية البقرة بضمير المخاطب المفرد، وهو للنبى ﷺ، وقُدِّمَ خطابه مفردًا تشريفًا له وتكريمًا، ثم عُمِّم الخطاب ليشمل الأمة جميعًا فى الآية نفسها، فى قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ البقرة: ٢٣٢ .

● **أما آية الطلاق فالخطاب للنبى ﷺ وللأمَّة كلها، فكان ضمير الخطاب للجمع ﴿ذَٰلِكُم﴾ ، وقد تقدَّم فى الآية الأولى من سورة الطلاق خطاب النبى ﷺ بقول اللَّه ﷻ:**

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ الطلاق .

تشريفًا له ﷺ وتكريمًا، ثم تلا ذلك فى الآية الثانية خطابه وأمته فى آن واحد بقول اللَّه ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ .

******

❑ ٣٢/ ٧٠ إفراد الضمير وجمعه:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يونس .

● آية الأنعام نزلت فى أبى جهل والنضر بن الحارث وشيبة بن ربيعة، وهم قلة؛ وجاء ضمير المفرد مناسبًا لعددهم القليل .

● أما آية يونس الأولى فهى عامَّة فى جميع الكفار؛ فناسبها ضمير الجمع فى ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ .

● وآية يونس الأخرى أُفرِد فيها الضمير فى ﴿يَنظُرُ﴾ ؛ لأن المراد نظر المستهزئين، وهم قلة بالقياس إلى المستمعين للقرآن .

******

❑ ٣٢/ ٧١ بنات العَمّ والخال ـ بنات العَمَّات والخالات:

قال الله ﷻ:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾

الأحزاب: ٥٠ .

● جاء لفظ العَمّ والخال بصيغة الإفراد، أما سائر الألفاظ فجاءت بصيغة جمع المؤنث، وإفراد المذكر هنا يُراد به عموم الجنس؛ لأنه مفرد أُضيف إلى الجمع: بنات عَمّك، وبنات خالك، ولم يقل: وبنات أعمامك وبنات أخوالك؛ لأن فى هذا ثقلًا لفظيًّا؛ فخفّف هذا الثقل بإفراد المذكر وإضافته إلى الجمع .

● أما (عَمّاتك وخالاتك) فلا يجوز إفرادهما مع إرادة الجنس، فلو قيل:

وبنات عَمَّتِك وبنات خالتك؛ لاحتملَ اللفظ أن المقصود بنات عَمّة بعينها أو خالة بعينها، وهذا غير مقصود فى الآية؛ إذ المراد فيها بيان حِلّ كل بنات العَمّ، وبنات الخال، وبنات العَمّات، وبنات الخالات .

والمفرد المذكر لا يلتبس إذا أضيف إلى الجمع، بينما المفرد المؤنث يؤدى إلى اللبس ولا يدل على عموم الجنس وإن أُضيف إلى الجمع .

******

❑ ٣٢/ ٧٢ ظُلُمات ـ رَعْد ـ بَرْق:

قال اللَّه ﷻ:

- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ البقرة: ١٩ .

- **فأُفرد الرَّعْد والبَرْق، وجُمعت الظُّلُمات؛ وذلك لأن الرَّعْد والبَرْق منشؤهما واحد، أما الظُّلُمات فمصادرها متعددة كالليل وغياب الشمس والمطر وتكاثف السحب، والخسوف والكسوف، وغير ذلك .**

- **كما أن سياق الآية يركِّز على الخوف، فجُمعت الظُّلُمات لإثارة الخوف فى النفوس، بينما جاء الرَّعْد والبَرْق مفردين لأنهما يحملان الرجاء مع الخوف، فكثَّر الخوف بإيراد ما يدل عليه وحده: ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾ بصيغة الجمع، وإيراد ما يدل على غيره ـ أو يحمل فى طياته معنى الرجاء والأمل ـ فى صورة المفرد .**

******

❑ ٣٢/ ٧٣ النُّور ـ الظُّلُمات:

فى جميع المواضع التى وردت فيها كلمة (النُّور) فى القرآن الكريم جاءت مفردة، بينما جاءت كلمة (الظُّلُمات) فى جميع المواضع جمعًا .

● والحكمة فى ذلك أن النور مصدره واحد وهو الله ﷻ، قال الله ﷻ:

- ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ النور .

- ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ النور .

● أمَّا الظُّلُمات فقد تعددت أسبابها ومصادرها، كالشياطين، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء؛ ولهذا تعددت الظلمات تبعًا لتعدد مصادرها[١] .

ومن المواضع التى تجاورت فيها الكلمتان:

- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ البقرة .

- ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ البقرة: ٢٥٧ .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إبراهيم: ٥ .

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ﴾ الرعد: ١٦

---

(١) خصائص التعبير القرآن، د . عبد العظيم المطعنى ٢/ ٣٩٦ ، ٣٩٧، وانظر: الكشاف ٢/ ٣ .

• ومن بديع القرآن وحكمة استعماله للكلمات أنه جمع الظُّلُمات وأفرد النُّور؛ إبرازًا للتناقض بينهما، حتى من حيث اللفظ، فالتناقض بين النور والظلمة له عدة أوجه:

١) تناقض المصدر والمبدأ، فالنور مصدره إلهيٌّ، والظلمات مصادرها الشيطان والهوى والطاغوت ورفاق السوء.

٢) تناقض المعنى، فالنور يعني الإشراق، والهداية والإيمان، وكلُّها من عطاء الله، بينما الظلمات تعني الكفر والمعصية والجهل والعذاب، وكلُّها شرور تجرُّ إليها شياطين الغواية والأهواء والضلال.

٣) تناقض لفظيّ؛ حيث جاء النور بصيغة المفرد، بينما جاءت الظلمات بصيغة الجمع.

❊ ❊ ❊

ثالثًا: الفروق الدلالية
بين التراكيب المتشابهة

- ❑ الفواصل القرآنية المتشابهة
  - تناسب الفواصل القرآنية مع المعنى
  - التناظر فى البناء الموسيقى للفواصل القرآنية والمعنى
  - توافق الفواصل القرآنية وإن تعددت صورها
- ❑ تنوَّع أساليب النظم فى القرآن الكريم
  - التنوع والدقة فى ألفاظ الجملة القرآنية
  - تنوُّع الاسم الموصول
  - التنوع فى أساليب العطف
  - تنوُّع صور الاستفهام المنفى
- ❑ التقديم والتأخير

الفواصل القرآنية المتشابهة (٣٣)

• تناسب الفواصل القرآنية مع المعنى:

الفواصل القرآنية تأتى فى ختام الآية متفقة مع ما قبلها، ويمكن ملاحظة الفرق الدلالى بين الفواصل المتشابهة على النحو التالى:

❑ ٣٣/ ١ لقومٍ يعلمون ـ لقومٍ يفقهون ـ لقومٍ يؤمنون:

قول اللَّه ﷻ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الأنعام.

اختلفت الفواصل فى رءوس الآيات؛ لاختلاف المخاطَب بها:

• فى الآية الأولى ذِكْرُ حركة الشمس والقمر والنجوم، والاهتداء بها، وذلك من شأن العلماء؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

• وفى الآية الثانية ذِكْرُ إنشاء الخلائق من نفس واحدة، ونقلهم من صلب إلى رحم، ثم إلى حياة وموت . . والنظر فى ذلك كله يحتاج إلى تأمل وتدبر وتفكر عميق فعبِّر عن ذلك بالفقه، وهو الفهم العميق؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

• أما الآية الثالثة ففيها ذِكْرُ نعمة اللَّه على عباده، وسعة أرزاقه وتعدد أنواع

الثمار والأقوات، ومن أقرَّ بذلك كله مؤمنًا؛ لذلك ناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

******

❑ ٢/٣٣ إلَّا ضَلالًا - إلَّا تبارًا:

قول اللَّه ﷻ في موضعين من سورة نوح:

- ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ .
- ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ .

• لما قال في الآية الأولى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ؛ ناسب قوله ﷻ : ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ .

• وقال في آخر السورة: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ ، وهو دعاء بالهلاك؛ ناسب قوله ﷻ: ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكًا .

******

❑ ٣/٣٣ وكان اللَّهُ عليمًا حكيمًا - وكان اللَّهُ عزيزًا حكيمًا:

قول اللَّه ﷻ في موضعين متقاربين من سورة الفتح:

- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ .
- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ .

• لما ذكر ذلك النصر وما يترتب عليه من فتح مكة ومغفرة له، وتمام لنعمته عليه، وهدايته، مع ظهور صدِّهم، وما لاقوا من عنت الكفار؛ ختم الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي عليمًا بما يترتب على ذلك الصدِّ من الفتح وصلاح الأحوال، حكيمًا فيما دبَّره لك من كتاب

الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح .

• وأما فى الآية الثانية فلما ذكر ما أعدَّه للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات، وتعذيب المنافقين والمشركين؛ ختمها بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أى قادرًا على ذلك، حكيمًا فيما يفعله من إكرام المؤمن وتعذيب الكافر .

******

❑ ٣٣/ ٤ بما كُنْتُمْ تَكْفُرون ـ بما كُنْتُمْ تكْسِبون:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنفال .

- ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ الأعراف .

• آية الأنفال فى قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية فناسب ختمها بوصف الكفر .

• وآية الأعراف فى قوم ضلُّوا وأضلُّوا غيرهم، فقيل لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أى: بما كسبوا من إضلال غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب وتضعيفه؛ لزيادة الكسب فى الضلالة .

******

❑ ٣٣/ ٥ توَّاب حكيم ـ رَءوفٌ رَحيم:

قول اللَّه ﷻ فى سورة النور:

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ .

وقال ﷻ بعده:

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ .

• الآية الأولى تقدمها ذكر الزنا والجَلْد؛ فناسب ختمها بصفة (توَّاب)؛ حثًّا على التوبة، وأنها مقبولة من التائب، وناسب أنه ﷻ (حكيم)؛ لأن الحكمة اقتضت ما قدَّمه من العقوبة؛ لما فيه من الزجر عن الزنا وما يترتب عليه من المفاسد .

• وأما الثانية فجاء قوله ﷻ: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بعد ما وقع به أصحاب الإفك، فبيَّن أنه لولا رأفته ورحمته لعاجَلَهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك؛ ولذلك قال ﷻ فيما تقدمه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ .

******

❑ ٦/٣٣ أَنْ نكونَ نَحْنُ المُلْقين ـ أَنْ نكونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ .

وفى سورة طه:

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ .

اختلفت فاصلتا الآيتين لتُناسِبَ كلٌّ منهما ما قبلها وما بعدها من فواصل:

• فآيات الأعراف السابقة واللاحقة تقوم فواصلها على المدِّ بالواو أو (الياء) ثم النون غالبًا أو الميم فى النادر، ولننظر إلى كلمات الفواصل للآيات (١٠٦- ١٢٥)، وهى:

﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، ﴿مُّبِينٌ﴾ ، ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ ، ﴿عَلِيمٌ﴾ ، ﴿تَأْمُرُونَ﴾ ،

﴿حَٰشِرِينَ﴾ ، ﴿عَلِيمٌ﴾ ، ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ، ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ، ﴿ٱلْمُلْقِينَ﴾ ، ﴿عَظِيمٌ﴾ ، ﴿يَأْفِكُونَ﴾ ، ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿صَٰغِرِينَ﴾ ، ﴿سَٰجِدِينَ﴾ ، ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿وَهَٰرُونَ﴾ ، ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ، ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ ... إلخ .

● أما آيات سورة طه السابقة واللاحقة فتعتمد فواصلها على المد بالألف اللينة، ومن ذلك فواصل الآيات (٥٥-٧٠)، وهى على النحو التالى:

﴿أُخْرَىٰ﴾ ، ﴿وَأَبَىٰ﴾ ، ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ ، ﴿سُوًى﴾ ، ﴿ضُحًى﴾ ، ﴿أَتَىٰ﴾ ، ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ ، ﴿ٱلنَّجْوَىٰ﴾ ، ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ ، ﴿ٱسْتَعْلَىٰ﴾ ، ﴿أَلْقَىٰ﴾ ، ﴿تَسْعَىٰ﴾ ﴿مُّوسَىٰ﴾ ، ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ، ﴿أَتَىٰ﴾ ، ﴿وَمُوسَىٰ﴾ ... إلخ .

******

□ ٣٣/ ٧ لَعَلَّكُمْ تعْقِلون ـ لَعَلَّكُمْ تذَكَّرون ـ لَعَلَّكُمْ تتَّقون:

فى سورة الأنعام ثلاث آيات متتالية تنوَّعت رءوسها فخُتِمت كل آية بما يليق بسياقها من معنى، وهى:

- ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

● اشتملت الآية الأولى على خمس وصايا كلها عظيمة ذات خطر وجلال، وهى:

١) الابتعاد عن الشرك باللَّه، وذلك لا يكون مع العقل الذى يدل صاحبه على توحيد اللَّه وعظمته وقدرته .

٢) ترك عقوق الوالدين، وهو أمر ينفر منه العقل؛ لما سبق من إحسانهم وبرِّهم بكل الطرق .

٣) النهى عن قتل الأولاد بسبب الفقر مع وجود الرزق، وذلك أمر يَنْهَى عنه العقلُ أيضًا .

٤) ترك الفواحش، وإتيانها أمرٌ يُنافِى العقل .

٥) قتل النفس فى غير حق، ولا شك أن قتل النفس ـ بدافع الغيظ أو الغضب مثلاً ـ أمرٌ ينافى العقل .

كل هذا بالإضافة إلى أن العقل أشرف ما فى الإنسان؛ لذلك ناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

• أما الآية الثانية لتعلقها بالحقوق المالية والمعنوية، فالوصية فيها تجرى مجرى الوعظ والتذكير؛ فناسب أن تُختم بقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أى: لعلكم تَذَكَّرون فى أنفسكم أنكم لن ترضوا بضياع حقوقكم لو كنتم يتامى، ولن ترضوا بشهادة الزور لو كانت عليكم . . فاذكروا ذلك حتى لا تضيعوا حقوق غيركم مالية كانت أو معنوية .

• وأما الآية الثالثة فاشتملت على الوصية باتباع الصراط المستقيم، واجتناب ما ينافيه وما يؤدى إلى عذاب الله؛ فناسب ذلك أن تُختم بقول اللَّه ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، أى: لعلكم تتجنبون ما يخالف الصراط المستقيم وما يؤدِّى إلى غضب اللَّه وعذابه .

*****

❑ ٣٣/ ٨ أَفَلا تَسْمَعون ـ أَفَلا تُبْصِرون:

قول اللَّه ﷻ فى سورة القَصَص:

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ .

• قدم ذكر الليل على النهار، وخُتمت الآية الأولى بقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، وخُتمت الآية الثانية بقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ وذلك لأن الليل هو الأصل السابق على الضياء بالشمس، لزواله بطلوعها، ولأن عموم منافع النهار أعظم من منافع الليل؛ فقدَّم المنَّة بالنعمة العُظمى .

• وقوله ﷻ في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ؛ لأن عموم المسموعات في النهار ـ بسبب كثرة الحركات والكلام والمخاطبات والمعاش ـ أكثر من الليل؛ أو لأن الليل لا يبصر فيه الإنسان، وإنما يكون السمع أكثر من الإبصار؛ فناسب ذكر السمع . وقوله ﷻ في الآية الثانية: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ لأن ظلام الليل يُغشى الأبصار كلها، أو لأن النهار به ضوء الشمس، وناسب لحاسَّة البصر أكثر من السمع؛ فناسب ختمها بذكر البصر .

******

❑ ٩/٣٣ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصون ـ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الزخرف .

- ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الجاثية .

• آية الزخرف في جَعْلِهم الملائكةَ بناتِ الله، وذلك كذب محض قطعًا؛

فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ .

• وآية الجاثية فى إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعًا؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ .

******

❑ ٣٣/ ١٠ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَليم ـ وَلِلْكافِرين عَذابٌ مُهين:

قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة المجادلة:

- ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ .

- ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ .

• لما قابل فى الآية الأولى الإيمان بالكفر فى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ؛ قال : ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، وكل عذاب مؤلمٍ مُهينٌ .

• ولما قال تعالى فى الآية الثانية: ﴿كُبِتُوا﴾ ، والكَبْتُ هو الإذلال والإهانة؛ ناسب ختمها بـ ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

******

❑ ٣٣/ ١١ اشْهَدوا بِأَنَّا مُسْلِمون ـ وَاشْهَدْ بِأَنّنا مُسْلِمون:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ آل عمران .

- ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ المائدة: ١١١ .

• آية المائدة فى خطاب اللَّه ﷻ لهم أولًا، وفى سياق تعدد نعمه عليهم أولًا؛ فناسب سياقُها تأكيد انقيادهم إليه أولًا عند إيحائه إليهم .

• وآية آل عمران فى خطابهم المسيح لا فى سياق تعدد النعم، فاكتفى ثانيًا

﴿بِأَنَا﴾ ؛ لحصول المقصود به .

******

❑ ٣٣/ ١٢ أَوَّل المُسْلِمين ـ أَوَّل المُؤْمنين ـ مِنَ المُسْلِمين:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأنعام على لسان نبيِّنا محمد ﷺ:

- ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٦٣ .

وفى سورة يونس على لسان سيدنا نوح عليه السلام:

- ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٢ .

وفى سورة الأعراف على لسان سيدنا موسى عليه السلام:

- ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٣ .

● المراد فى آية الأنعام: أول المسلمين من أهل مكة المكرمة .

● وفى آية يونس: أن أكون واحدًا من المسلمين؛ لأن نوحًا عليه السلام لم يكن أول المسلمين .

● وفى آية الأعراف: أول المصدِّقين بامتناع رؤية اللَّه ﷻ فى الدنيا، وليس المراد بالإيمان الدين .

****

❑ ٣٣/ ١٣ وَما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّه إِنَّ اللَّهَ عَزِيز حَكيم ـ وَما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكيم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ آل عمران : ١٢٦ .

- ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال : ١٠ .

• آية الأنفال نزلت فى قتال بدر أولًا، مبيِّنةً أولًا أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَدٍ أو عُدَد؛ ولذلك علَّلهُ بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره .

• وآية آل عمران نزلت فى وقعة أُحُد ثانيًا، فأحال فى الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند اللَّه العزيز الحكيم الذى تقدم إعلامُكم أن النصر من عنده؛ فناسب التعريف بعد التنكير .

*****

❑ ٣٣/ ١٤ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثيم ـ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كان مُخْتالًا فخَورًا ـ إنَّ اللَّه لا يُحِبُّ مَنْ كان خَوَّانًا أثيمًا ـ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فخور:

فى سورة البقرة خُتمت آية الربا بقوله ﷻ:

- ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: ٢٧٦ .

وفى مواضع أخرى تغيَّرت الفاصلة على النحو التالى:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء : ٣٦ .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ النساء : ١٠٧ .

- ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد : ٢٣ .

وذلك لأنَّ:

• آية البقرة نزلت فى ثقيف وقريش حين أصرُّوا على التعامل بالربا وعارضوا حكم اللَّه ﷻ؛ فهم كُفَّار بالدين، آثمون بأكل الربا؛ ولذلك خُتمت الآية بالصفتين الدالتين على ذلك (كَفَّار، أثيم) .

• وآية النساء رقم (٣٦) جاءت بعد الأمر بعبادة اللَّه والإحسان إلى الوالدين،

والعبادة هى غاية الخضوع والتذلل للمعبود، كما أن الإحسان إلى الوالدين يقتضى التواضع لهما، وذلك يناقض الاختيال والفخر؛ فناسب ذلك ختم الآية بالاختيال والفخر .

• وفى آية الحديد أيضًا تقدم النهى عن التفاخر والتجبُّر .

• أما آية النساء رقم (١٠٧) فقد نزلت فى طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة ابن النعمان، والسرقة خيانة؛ فناسب ذلك ختم الآية بصفتى الخيانة والإثم .

******

❑ ٣٣/ ١٥ فَجَعَلْناهُمُ الأَخْسَرين ـ فَجَعَلْناهُمُ الأَسْفَلين:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ الأنبياء .

- ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾ الصافات .

• وصفهم بالأَخْسَرين فى آية الأنبياء؛ لأنهم أرادوا إهلاك نبى اللَّه إبراهيم ﷺ بالإحراق فنجَّاهُ اللَّه وأهلكهم، فخسروا الدنيا والآخرة؛ فعُبِّر عن ذلك بوصفهم بالأَخْسَرين .

• أما آية الصافات فوصفتهم بالأَسْفَلين؛ لما تقدَّم من قوله ﷻ:

- ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ۝٩٧﴾ .

فرفعه اللَّه ﷻ، وجعلهم من الأَسْفَلين فى الدنيا والآخرة؛ لأنهم قصدوا العلوَّ على نبىّ اللَّه إبراهيم ﵇ .

******

❑ ٣٣/ ١٦ قليلًا ما تُؤمِنون ـ قَليلًا ما تَذَكَّرون:

قول اللَّه ﷻ:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الحاقة .

• خُتمت الأولى بقوله ﷻ: ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ ؛ وذلك لأن مخالفة نظم القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة، فلا يخفى على أحد، فقول من قال: شعر، كفر وعناد محض؛ فناسب ختمه بهذا الختام .

• وأما مخالفته لنظم الكُهّان وألفاظهم فيحتاج إلى تذكير وتدبر؛ لأن كلاً منهما ليس على أوزان الشعر ونظمه، ولكن يفترقان بما فى القرآن من الفصاحة والبلاغة والبديع، وتبَعُ بديعه لبيانه، وألفاظه لمعانيه، بخلاف ألفاظ الكُهّان؛ لأنها بخلاف ذلك كله ؛ فناسب ختمه بقوله ﷻ: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

*****

❑ ١٧/٣٣ واللَّهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظّالمين ـ واللَّهُ لا يَهْدى القَوْمَ الفاسِقين ـ واللَّهُ لا يَهْدى القومَ الكافرين:

قول اللَّه ﷻ فى ثلاثة مواضع متقاربة من سورة التوبة:

- ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

- ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .

- ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ

لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ .

• خُتمت الآية الأولى بوصف (الظالمين)؛ لأنها تتحدث عن وضع الشيء في غير موضعه، وهو تصوُّرهم أن سقاية الحاج كالجهاد فى سبيل اللَّه . وهذا معنى الظلم: جعل الشىء فى غير موضعه .

• وخُتمت الآية الثانية بوصف (الفاسقين)؛ لأنها تتحدث عن المسلمين الذين اتخذوا من أقاربهم الكفار أولياء، وهذا خروج عن شرع الله، وهو معنى الفسق .

• بينما خُتمت الآية الثالثة بوصف (الكافرين)؛ لأنها بدأت بتقرير حكم الكفر على من كانوا يفعلون النسىء، وهو تأخير الأشهر الحرم عن موعدها لِيُحِلُّوا فيها ما حرَّم اللَّه ويُحَرِّموا ما أحلَّ اللَّه ؛ فلما بدأت الآية بنسبة الكفر إلى من يفعل ذلك، خُتِمت بما يناسبها .

*****

❑ ١٨/٣٣ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرون ـ لِلْعالِمين ـ لِقَوْمٍ يَسْمَعون ـ لِقَوْمٍ يَعْقِلون:

قول اللَّه ﷻ:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الروم .

• **خُتمت الآية الأولى بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ لأن التفكُّر يصل بصاحبه إلى إدراك ما فى السكن والمودة والرحمة والتآلف من**

آيات الله، فهذه مشاعر وعواطف يناسبها التفكُّر فى آيات الله ﷻ .

• وخُتمت الآية الثانية بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ ؛ لأن العلم هو الموصِّل لإدراك ما فى السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان من آيات اللَّه ﷻ . وقُرِئ: (للعالَمين) بفتح اللام، ومناسبته ظاهرة؛ لأن هذه الآيات ظاهرة للجميع .

• وخُتمت الآية الثالثة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ، أى: يستجيبون لما يدعوهم إليه .

• وخُتمت الآية الرابعة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ؛ لما ذُكِرَ من البرق والمطر وإحياء الأرض بعد موتها، وهذه آيات لا تظهر إلَّا لمن يعقل ما يراه .

وهكذا ناسبت كل فاصلة سياقها .

*****

○ التناظر فى البناء الموسيقى للفواصل القرآنية والمعنى:

❑ ١٩/٣٣ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلون - بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفون:

من قواعد بناء الفواصل القرآنية مراعاة التناظر بين ألفاظها، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ الأعراف .

وفى موضع آخر فى سياق القصة نفسها:

- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ النمل .

● **اختلفت فواصل الآيات فى بنائها اللفظىّ، وبتأمُّل الآيات السابقة فى كل من سورة الأعراف وسورة النمل نجد أن فواصل سورة الأعراف أغلبها أسماء (على صيغة جمع المذكر السالم)، والآيات (٧٤ ـ ٨١) من هذه السورة خُتمت كلها بأسماء على النحو التالى:**

● ﴿مُفْسِدِينَ﴾ ، ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿كَٰفِرُونَ﴾ ، ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ، ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ، ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ .

● بينما خُتمت آيات سورة النمل فى معظمها بأفعال، وكانت الآيات (٥٢-٥٦) كلها مختومة بأفعال، على النحو التالى:

- ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿يَتَّقُونَ﴾ ، ﴿تُبْصِرُونَ﴾ ، ﴿تَجْهَلُونَ﴾ ، ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ .

وهذا التناظر فى البناء اللفظىّ لفواصل الآيات سرٌّ من أسرار القرآن العظيم .

*****

○ توافق الفواصل القرآنية وإن تعددت صورها:

فى القرآن الكريم كثير من التراكيب التى قد نظنها متساوية فى المعنى، لكن بنظرة متأمِّلة متدبِّرة فى كلام اللَّه ﷻ يتبيَّن لنا أن هناك فروقًا دقيقة فى المعنى بين كل تركيب وغيره، وهذه بعض الأمثلة:

❑ ٣٣/ ٢٠ إِنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمين ـ إِنَّ فى ذَلِكَ لآيةً للمُؤْمِنينَ:

فى سورة الحجر نقرأ هاتين الآيتين:

- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ .

- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ .

● **جاءت الفاصلة فى الآية الأولى ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ؛ لأنها ذُكرت فى ختام**

قصتى إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقد ورد فيهما آيات متعددة؛ لذلك جاءت كلمة (آيات) فى صورة الجمع ، كما أنها آيات تخاطب كل ناظر (متوسِّم) يتأمل آثار الأمم السابقة، سواءٌ أكان مؤمنًا أم لا .

● **أمَّا فاصلة الآية الثانية فجاءت كلمة (آية) مفردة؛ لأن كل ما ذُكِرَ هو بمنزلة (آية)، وهذا باعتبار المخاطَب بها، وهم المؤمنون؛ وخُصَّ المؤمنون بهذه الآية لأنها فى خطاب المؤمنين وحدهم، ولم يسبق توجيه إلى تأمُّل الآثار التى بقيت من الأمم السابقة، بل سبقها قول اللَّه ﷻ:**

- ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ .

فناسب خطاب المؤمنين بهذه الآية؛ لأنهم هم الذين هداهم اللَّه ﷻ إلى السبيل المقيم .

******

❑ ٣٣/ ٢١ قاصراتُ الطَّرْف عِين ـ قاصراتُ الطَّرْف أَتْراب:

قول اللَّه ﷻ فى وصف نساء الجنة:

- ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ الصافات .

- ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ ص.

● **جاءت فاصلة كلتا الآيتين متوافقة مع الفواصل السابقة واللاحقة فى السورة، فسورة الصافات بُنِيَتْ فواصلها على المد بالياء أو الواو ثم النون أو الميم، ومن فواصلها:**

(معلوم ـ مكرمون ـ النعيم ـ متقابلين ـ معين ـ للشاربين ـ ينزفون ـ عِين ـ مكنون . . . إلخ) .

● **أما سورة ص فقد بُنيت فواصلها على الردف بالألف ثم حرف صامت (هو**

الباء غالبًا)، ومن فواصلها:

(مآب ـ الأبواب ـ وشراب ـ أتراب ـ الحساب ـ نفاد ـ مآب . . . إلخ) .

وكلتا الكلمتين (عِين ـ أتراب) من وصف نساء الجنة، ولكن استُعمِلَ كلٌّ وصف حيث توافق مع الفواصل السابقة واللاحقة .

******

❑ ٣٣/ ٢٢ أنَّ لهم أجرًا كبيرًا ـ أنَّ لهم أجرًا حَسَنًا:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ الإسراء .

- ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ الكهف .

وُصِفَ الأجر فى آية الإسراء بأنه كبير، وفى آية الكهف بأنه حسن، والمراد بالأجر: الجنة، وهو أجر يتصف بالوصفين معًا: الكِبَر والحُسن، وغير ذلك مما وصف به ثواب اللَّه ﷻ .

• لكن لختام الآية فى كلتا السورتين سببًا صوتيًا، فآيات الإسراء تقوم فواصلها على المدّ، نحو:

(وكيلاً، كبيرًا، مفعولاً، نظيرًا، تتبيرًا، حصيرًا، كبيرًا، أليمًا . . . إلخ).

• بينما بُنيت فواصل آيات الكهف على الحركات القصيرة المتوالية، نحو:

(عِوَجا، حَسَنًا، أَبَدًا، وَلَدًا، كَذِبًا، أَسَفًا، عَمَلًا، جُرُزًا، عَجَبًا . . . إلخ).

******

□ ٣٣/٢٣ فيأخذكم عذاب أليم ـ فيأخذكم عذاب قريب ـ فيأخذكم عذاب يوم عظيم:

قول اللَّه ﷻ فى مواضع من قصة ناقة صالح عليه السلام:

- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ الأعراف .

- ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ هود .

- ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ الشعراء .

● **خُتِمت آية الأعراف بقول اللَّه ﷻ:** ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **؛ لأن فى هذه السورة مبالغة فى الوعظ والوعيد والإنذار، فناسب ذلك وصف العذاب بأنه أليم .**

● **أما آية هود فخُتمت بقول اللَّه ﷻ:** ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ **؛ لأن الآية التالية حددت لعذابهم موعدًا قريبًا، وهو قوله ﷻ:** ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ **؛ فناسب وصف العذاب بالقرب .**

● **وأما آية الشعراء فخُتمت بقول اللَّه ﷻ:** ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ **فذكر اليوم؛ لتقدم قول اللَّه ﷻ:** ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾**، فلما جاوزوا ما فرض اللَّه وهو أنْ يشربوا يومًا، ويتركوا الناقة تشرب يومًا؛ ذُكِر فى ختام هذه الآية اليوم الذى سيُعذَّبون فيه، لتجاوزهم فى اليوم المحدَّد لهم، ووصف ذلك اليوم الموعود بأنه يوم عظيم، لا كمثل هذه الأيام التى**

يحيونها، بل هو يوم سينالهم فيه العذاب، وسيكون ذلك عظيمًا عليهم لا يطيقونه ولا يستطيعون له ردًّا .

******

❑ ٣٣/ ٢٤ هُدًى لِلْمُتَّقين ـ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنين:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة .

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣﴾ لقمان .

● **فجعل للمتقين (الهدى)، وجعل للمحسنين (الرحمة والهدى)؛ والإحسان أعلى درجة من التقوى، فكان القرآن للمتقين هدى، وللمحسنين هُدًى ورحمة .**

******

تنوُّع أساليب النظم فى القرآن الكريم

○ بين التذكير والتأنيث:

❑ ٣٣/ ٢٥ فَنَفَخْنا فيها ـ فَنَفَخْنا فِيهِ:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ الأنبياء .

- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ التحريم .

جاء الضمير التالى لحرف الجر فى آية الأنبياء مؤنثًا، بينما جاء مذكرًا فى

آية التحريم؛ وذلك لأن المقصود فى سورة الأنبياء **ذكر مريم عليها السلام، فأعاد الضمير عليها**، بينما المقصود فى آية التحريم **ذكر إحصانها وعفتها، فعاد الضمير على الفَرْج، وهو مذكر .**

******

❑ ٢٦/٣٣ نُسْقِيكُمْ مِمّا فى بُطُونِهِ - نُسْقِيكُمُ مِمّا فى بُطُونِها :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ النحل .

• جِيءَ بالضمير مذكَّرًا فى (بُطُونِهِ)؛ لأنه يُراد به القِلَّة، فالمراد: الأنعام الإناث، والمعنى: نسقيكم مما فى بطون بعضه (وهو الإناث خاصة)، **فتقدير البعض أوجَبَ استعمال الضمير المذكر ليعود على هذا البعض المُقَدَّر**، والآية لم تذكر من منافع الأنعام سوى اللبن خاصة، وهو من الإناث دون الذكور .

وفى سورة المؤمنون جاء الضمير مؤنثًا فى (بُطُونِها)، فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

• وذلك ليعمَّ الأنعام كلها؛ حيث عدَّدت الآية كثيرًا من منافع الأنعام إلى جانب اللبن، وهذه المنافع موجودة فى ذكورها وإناثها، **فكان ضمير المؤنث هو المناسب هنا ليعم المنافع التى تعود على الإنسان من الأنعام كلها ذكورها وإناثها .**

******

❑ ٢٧/٣٣ فَأَنْفُخُ فِيهِ ـ فَتَنْفُخُ فِيها :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آل عمران .

- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ المائدة .

● ذُكِّر الضمير فى آية آل عمران؛ لأنها تذكر كلام المسيح ﵇ قبل أن تكون للطير صورة ، فناسَبَ ذلك **إعادة الضمير إلى الطين، وهو مذكر** .

● أما آية المائدة فتذكر كلام اللَّه ﷻ يوم القيامة للمسيح ﵇، وقد سبق له مرات عديدة أن صنع من الطين طيرًا بإذن الله؛ فناسب ذلك **تأنيث الضمير ليدل على جماعة الطير التى سبق أن صوَّرها ونفخ فيها** .

*****

○ بين التعريف والتنكير :

❑ ٢٩/٣٣ فيما فَعَلْنَ فى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْروفِ ـ فِيما فَعَلْنَ فى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْروفٍ :

فى موضعين متقاربين من سورة البقرة نقرأ هاتين الآيتين:

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ .

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ .

● جاءت كلمة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فى الآية الأولى معرفة بـ(أل) التى للعهد الذهنى، أى الأحكام المعهودة التى شرعها اللَّه وبيَّنها لهنَّ من التعرض للخِطْبة دون تجاوز هذه الأحكام . واقترنت الكلمة بحرف الإلصاق (الباء)؛ للدلالة على شدة التمسك بأحكام اللَّه ﷻ .

● أمَّا الآية الأخرى ففيها تخيير للنساء بين عدة أمور: كالتزيُّن للخُطَّاب، والزواج أو عدمه، والسفر . . . وغير ذلك مما أُبِيحَ لهنَّ فعله؛ ولذلك جاء منكرًا ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ ، لأن النكرة تفيد العموم، كما اقترن بـ (مِنْ) الدالة على التبعيض؛ لبيان تخيير النساء فى أن يفعلن فى أنفسهن أى شىء من هذه الأشياء المذكورة .

******

❑ ٣٠/٣٣ بِغَيْرِ الحَقِّ - بِغَيْرِ حَقٍّ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ﴾ آل عمران: ١١٢ .

• فى سورة البقرة جاءت كلمة (الحَقّ) معرفة، و(أل) فيها لتعريف العهد، أى: الحق الموجب للقتل، ذلك الحق المعهود فى الشريعة اليهودية، وإنما كان قتلهم الأنبياء ظلمًا وعدوانًا، وذلك فى شأن اليهود الأقدمين .

• أمَّا آية آل عمران فهى فى شأن اليهود المعاصرين للنبى ﷺ، وقد كانوا حريصين على قتل النبى ﷺ ، وسعوا لذلك كثيرًا، حتى دسُّوا له السمَّ، ولكن اللَّه نجَّاهُ من كيدهم . وقد جاءت كلمة ﴿حَقٍّ﴾ نكرة لتفيد معنى الشمول والعموم، أى: يقتلون الأنبياء من غير أن يكون لجُرمهم هذا أىُّ حقٍّ يُذْكَر .

ولا شك أن قتل الأنبياء يكون دائمًا على غير حقٍّ، فلماذا ذُيِّلت الآيات بعبارتَى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ؟!

إن ذلك لمزيد من التشنيع والتقبيح لجريمتهم؛ إذ إنهم يقتلون أنبياء الله، وفوق ذلك يقتلونهم بغير موجبٍ لذلك .

******

❑ ٣٣/ ٣٠ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَدًا آمِنًا ـ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمنًا :

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ البقرة: ١٢٦ .
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥ .

• المشار إليه فى آية البقرة هو المكان الذى أقيمت عليه مكة، أى لم تكن مكة قد بُنِيَتْ بَعْدُ؛ ولذلك جاء المشار إليه نكرة: ﴿بَلَدًا﴾ ، وسياق الآية فى دعاء إبراهيم عليه السلام عندما ترك هاجر وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ فى ذلك الوادى .

• أما الآية الثانية فقد جاء المشار إليه فيها معرفة: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ ؛ لأنه ذُكِر فى دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة بعد رجوعه إليها وبنائها، فالمشار إليه معرفة

موجود بالفعل .

******

❑ ٣٣/ ٣١ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ ـ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ الصف: ٧ .

وفى سائر المواضع:

- ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

[الأنعام: ٢١، ٩٣، ١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس:١٧، هود:١٨، الكهف:١٥، العنكبوت: ٦٨] .

● المراد بآية الصف كذب خاص، وهو جعلهم البينات سحرًا، والمراد فى بقية المواضع: أى كذب كان؛ ولذلك نُكِّر وعُطِف عليه: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ الأنعام: ٢١، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ﴾ الأنعام: ٩٣، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ العنكبوت: ٦٨ . وشبه ذلك .

******

○ بين الفعل المضارع والوصف:

❑ ٣٣/ ٣٢ يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ـ مُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَىّ:

فى سورة الأنعام نقرأ قول اللَّه ﷻ :

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ .

وفى غير ذلك باستعمال الفعل المضارع، نحو قوله ﷻ :

- ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ يونس .

- ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ الروم .

● فى آية الأنعام جاءت كلمة ﴿وَمُخْرِجُ﴾ على صيغة اسم الفاعل؛ لوقوعها بين عدة أسماء فاعل نحو: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ ، واسم الفاعل يشبه كُلًّا من الاسم والفعل:

- يشبه الاسم فى دخول (أل) عليه، وقبوله التنوين والنداء والجر، وغيرها من علامات الاسمية .

- ويشبه الفعل لأنه يعمل عملَه .

وقد رُوعى فى آية الأنعام تشابه اسم الفاعل مع كلٍّ من الاسم والفعل؛ فجاءت إحدى الجملتين بالفعل﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ ، وجاءت الجملة الأخرى باسم الفاعل: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ .

● وذلك بخلاف المواضع الأخرى التى جاءت الكلمتان فيها بلفظ الفعل فى الجملتين: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ؛ لأن ما قبله وما بعده أفعال .

□ ٣٣/ ٣٣ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ـ وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ:

قول الله ﷻ فى قصة نوح عليه السلام:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾الأعراف .

وقال ﷻ فى قصة هود:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ الأعراف .

عبر بالفعل المضارع في قصة نوح عليه السلام؛ لأن ما سبق من آيات تحدثت عن الضلال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ ، **والضلال فعلٌ يتجدَّد بترك الصواب إلى ضده؛ فقابله بفعل يناسبه في المعنى؛ فقال: ﴿وَأَنصَحُ﴾ .**

بينما عبر بالوصف (ناصح) في قصة هود عليه السلام؛ لأن ما سبق من آيات تحدثت عن السفاهة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾ ، والسفاهة صفة لازمة لصاحبها؛ فقابلها بصفة في المعنى، فقال: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ .

*****

○ بين الوصف والإضافة:

❑ ٣٣/ ٣٤ وللدَّارُ الآخرةُ خَيْرٌ ـ وَلَدارُ الآخرةِ خَيْرٌ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٣٢﴾ الأنعام.

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ١٠٩ .

● **في آية الأنعام عُرِّفت (الدار) ووُصفت بالآخرة، في مقابل ما تقدم أول الآية: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَآ﴾ ؛ ليكون هناك تناسق في التراكيب، فلمَّا وُصفت ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مُعَرَّفةً ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ ناسب أن يأتي في مقابله تركيب وصفي مكون من الموصوف والوصف (الدار + الآخرة)، وكذا قول الله ﷻ:**

- ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ١٦٩ .

● أما فى آية يوسف فنُكِّرت كلمة (دار) وأُضيفت إلى (الآخرة)؛ حيث لم يتقدَّمها وصف الحياة الدنيا، وكذا قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ يوسف: ١٠٩ .

******

○ بين إثبات الصِّفة وحذفها:

❑ ٣٣/ ٣٥ قال المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ ـ قالَ المَلأُ الَّذِين كَفَروا مِنْ قَوْمِهِ:

فى موضعين متقاربين من سورة الأعراف نقرأ قول اللَّه ﷻ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ .

● وُصِف الملأ من قوم هود فى الآية رقم (٦٦) بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ لأن بعض أشراف قوم هود عليه السلام قد آمنوا له .

● أمَّا الآية رقم (٦٠) فقد خلت من الصفة؛ لأن المقصود بها جميع قوم نوح عليه السلام ، لأنه لم يؤمن منهم أحد .

******

○ بين الفعل المتعدِّى لواحد والمتعدى لمفعولين:

❑ ٣٣/ ٣٦ ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ ـ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ الأنبياء.
- ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ النمل .
- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ الروم .

● فى آية الأنبياء استُعمل الفعل المتعدى لواحد: (يَسْمَع)، فنسب السماع إليهم؛ لذا لمْ يَحْتَجْ إلى توكيد، والمعنى أنهم لا يسمعون الدعاء لتشاغلهم عن ذلك، فهم كالصُّمّ .

● أما فى آيتى النمل والروم، فاستُعمل الفعل المتعدى لمفعولين: (تُسْمِع)، فنسب الإسماع إلى النبى ﷺ؛ لذا بالغ فى إظهار عدم القدرة على إسماعهم دعوته، فختم الآية بقوله ﷻ: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ مشبهًا إياهم تشبيهين: أنهم كالصُّمِّ، وأنهم كالمولِّى عمن يدعوه لكى لا يسمع كلامه . وهذه المبالغة مرادٌ بها بسط العذر للنبى ﷺ، كما قال له اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ القصص: ٥٦ .

*****

❑ ٣٣/ ٣٧ فلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُم ولا أَوْلادُهُم ـ فلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُم وأَوْلادُهُم:

فى موضعين من سورة التوبة نقرأ هاتين الآيتين:

- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ .
- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ .

● فى الآية الأولى جاءت (لا) مقترنة بالفاء الدالة على السببية؛ لِما تقدمها

من أفعال مضارعة تتضمن معنى الشرط، كأنما قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات، فلا تعجبك أموالهم . . . إلخ .

كما عُطِفت الأموال والأولاد بالأداة (ولا) لزيادة التأكيد؛ لما تقدم من أساليب التوكيد نحو ﴿إِلَّا وَهُمْ﴾ فى قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ التوبة : ٥٤ . فجاء التوكيد بزيادة ﴿وَلَآ﴾ ،لمناسبة أساليب التوكيد المذكورة قبله .

ورُبِط الفعلان (يريد) و(يعذبهم) باللام؛ لأنَّ مفعول (يريد) محذوف تقديره: إنما يريد اللَّه ذلك (أى: أموالهم وأولادهم)؛ لأجل تعذيبهم فى حياتهم بما يصيبهم من جرَّاء فقدها .

وذكر الموصوف ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ؛ لأن ذلك واقع فى حياتهم، أى أنه عذاب لجسدٍ حىٍّ يحس ويتأثر .

● وفى الآية الثانية استُعملت واو العطف بدلًا من الفاء؛ لما تقدم من أفعال ماضية لا تعطى معنى الشرط، فناسبها العطف بالواو .

وعُطفت الأموال على الأولاد بالواو لأنها لم تتضمن أساليب التوكيد التى تضمنتها الآية الأولى .

ورُبِط الفعلان (يريد)، (يعذبهم) بالحرف (أنْ)؛ لأنَّ الأفعال السابقة عليه ماضية لا تصلح للشرط .

كما حذف الموصوف ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وأُقيمت الصفة مقامه ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ فى الآية الثانية؛ اكتفاءً بورود الموصوف والصفة فى الآية السابقة .

******

❑ ٣٨/٣٣ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ ـ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ الأنعام .

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥، القلم: ٧ .

• الأصل فى الوصف باسم التفضيل (أَعْلَمُ) أن تتبعه الباء، لتقوية العامل على العمل فيما بعده ، وعلى هذا جاءت آيتا النحل والقلم، وفقًا للأصل فى التركيب. وجاء الفعل فيهما (ضَلَّ) بلفظ الماضى؛ لأنهما فى سياق الإخبار بمَنْ وقع منه الضلال، فناسب الفعل الماضى .

• أما آية الأنعام فحُذفت منها الباء؛ لورود قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ الأنعام: ١٢٤، واستُعمِلَ الفعل المضارع (يَضِلُّ)؛ لإفادة وقوع الضلال فى المستقبل؛ ولتحقيق التناسب التركيبى مع ما تقدم من قوله ﷻ:

- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأنعام: ١١٦ .

وكذلك لتحقيق التناسب التركيبى مع ما تلاه من قوله ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام: ١١٩ .

*****

❑ ٣٣/ ٤٠ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِر ـ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِر ـ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه وَيَقْدِرُ لَهُ:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ العنكبوت: ٦٢ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ القصص: ٨٢ .

- ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ . [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، الروم: ٣٧، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢] .

وذلك لأن أحوال الناس فى الرزق ثلاثة:

○ الأول: من يُبسَط رزقُه تارةً ويُضيَّق عليه أخرى، وهو يُفهَم من آية العنكبوت بقوله ﷻ: ﴿لَهُۥٓ﴾ .

○ والثانى: يُوسَّع على قوم مطلقًا ويُضيَّق على قوم مطلقًا، ويُفهَم من آية القصص .

○ والثالث: الإطلاق من غير تعيينِ بسطٍ ولا قبض، فأُطلق من غير ذكر (عباد) .

● وخُصَّت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ العنكبوت: ٦٠ ، ثم فصَّل حالهم فى بسطه تارة وقبضه تارة .

● وأما آية القصص فتقدمها قصة قارون؛ فناسب الحال الثانى أنه يبسط الرزق لمن يشاء مطلقًا لا لكرامته، حتى ولو كان قارون، ويقبضه لمن يشاء لا لهوانه كالفقراء من الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم .

● وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين، كالآدميين وغيرهم .

*****

❑ ٤١/٣٣ كُلٌّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى - كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ لقمان: ٢٩ .

- ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ فاطر: ١٣، الزمر: ٥

• آية لقمان تقدَّم عليها ذكر البعث والنشور بقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ ، وبعدها قوله ﷻ: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾ لقمان: ٣٣؛ لذلك ناسب مجىء (إلى) الدالة على انتهاء الغاية، لأن القيامة غاية جريان ذلك .

• وفى فاطر والزمر تقدمها ذكر نعم اللَّه ﷻ مما خلق لمصالح الخلق؛ فناسب المجىء باللام بمعنى(لأجل) .

*****

❑ ٣٣/ ٤١ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ـ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ البقرة .
- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ الجمعة .

• جاءت آية البقرة فى سياق دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة؛ لذلك أكّد نفى هذه الدَّعوى بـ(لن)، لأنها أبلغ فى النفى من (لا)، وأيضًا وردت آية البقرة بعد ما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء، فناسب حرف المبالغة فى نفى تمنيهم الموت، لما يعلمون ما لهم بعده من عذاب؛ لأن (لن) أبلغ فى النفى عند كثير من أئمة العربيَّة .

• وفى آية الجمعة ادَّعَوْا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية للَّه اختصاصهم بثواب اللَّه وجنَّته، فأتى بـ(لا) النافية للولاية، كما أن الجمعة لم يتقدَّمها ذكر خطاياهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء ؛ فجاءت بـ(لا) الدالة على مطلق النفى من غير مبالغة .

*****

❑ ٤٢/٣٣ ولا يُقبَل منها شفاعة ولا يُؤخَذ منها عدل ـ ولا يُقبَل منها عدل ولا تنفعها شفاعة:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ البقرة: ٤٨ .

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ البقرة: ١٢٣ .

ما فائدة التقديم والتأخير، والتعبير بقبول الشفاعة تارةً وبالنفع أخرى؟ .

• والجواب: أن الضمير فى ﴿مِنْهَا﴾ فى آية البقرة : ٤٨ راجع إلى النفس الأولى، وفى آية البقرة : ١٢٣ راجع إلى النفس الثانية، كأنه بيَّنَ فى الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تُقبَل منها شفاعة، ولا يُؤْخَذ منها عدل؛ ولأن الشافع يُقدِّم الشفاعة على بذل العدل عنها .

• وبيَّن فى الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يُقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقَدَّم بدل العدل الحاجةَ إلى الشفاعة عند ردِّه؛ فلذلك كله قال فى الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ ، وفى الثانية ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ ؛ لأن الشفاعة إنَّما تُقبَل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له .

*****

❑ ٤٣/٣٣ قُلْ إنَّ هُدَى اللَّه هُوَ الهُدَى ـ قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ:

قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ البقرة: ١٢٠ .

- ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ٧٣ .

• المراد بالهُدى فى البقرة تحويل القبلة؛ لأن الآية نزلت فيه .

• والمراد بالهُدَى فى آل عمرآن الدين؛ لتقدم قول اللَّه ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ آل عمران : ٧٣ ، ومعناه أن دين اللَّه هو الإسلام .

*****

○ التنوع والدقة فى ألفاظ الجملة القرآنية:

❑ ٣٣/ ٤٤ ولو شاء اللَّهُ ما فعلوه ـ ولو شاء رَبُّكَ ما فعلوه:

يأتى اللفظ القرآنى دقيقًا فى محلِّه مناسبًا لسياقه؛ ولذلك تتباين الألفاظ وإن تقاربت دلالاتها ، مثال ذلك قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة الأنعام:

- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ .

الفارق بين الآيتين أن الفاعل فى الأولى ﴿رَبُّكَ﴾ ، وفى الآية الأخرى ﴿اللَّه﴾ .

• جاء لفظ ﴿رَبُّكَ﴾ فى الآية الأولى؛ لتقدم لفظ الرب عدة مرات، نحو قوله ﷻ:

- ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الأنعام: ١٠٤ .

- ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الأنعام: ١٠٦ .

كما أن فى لفظ (الرَّبّ) معنى الرعاية والحفظ، وقد تقدم فى أوَّل آية الأنعام رقم (١١٢) قوله ﷻ:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ .

فناسب ذلك أن تُختم الآية بما فيه عزاء للنبى ﷺ، وذكر لفظ (الرّبّ) فى

مقام التصبير أدَلُّ وأنسب؛ لتضمنه معنى الحفظ والرعاية .

• أما فى الآية رقم (١٣٧) فجاء لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ ؛ لتقدم قوله ﷻ فى الآية السابقة:

- ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الأنعام: ١٣٦ .

فناسب لفظ ﴿اللَّهُ﴾ فى الآية التالية، أى: ولو شاء اللَّه ـ الذى جعلوا له ذلك ـ ما فعلوه . ولفظ الجلالة هنا مُشْعِرٌ بالعظمة والقدرة ونفى الشركاء، وهو سياق الآية .

*****

❑ ٣٣/ ٤٥ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ـ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض:

قول اللَّه ﷻ فى صفة المنافقين:

- ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٦٧ .

ثم قال ﷻ فى صفة المؤمنين:

- ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٧١ .

• وذلك لأن المنافقين ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهودًا وبعضهم مشركين، فقال ﷻ: ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ ، أى: فى الكفر والنفاق .

• والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وشريعته الظاهرة فقال ﷻ: ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فى النصرة وفى اجتماع القلوب على دينهم؛ ولذلك قال ﷻ فى المؤمنين﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠ . وقال فى المنافقين: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ الحشر: ١٤ .

*****

❑ ٤٦/٣٣ وخلق منها زوجها ـ وجعل منها زوجها :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ النساء: ١ .

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ .

● آية النساء فى آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ ؛ لأنها خُلِقَتْ منه؛ فناسب التعبير بقوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ﴾ .

● وآية الأعراف قيل: فى قُصَىّ أو غيره من المشركين، ولم تُخلق زوجته منه، فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ﴾ ؛ لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، فمعناه: جعل من جنسها زوجها .

*****

❑ ٤٧/٣٣ كذلك كذَّب الذين من قبلهم ـ كذلك فعل الذين من قبلهم:

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ الأنعام: ١٤٨ .

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ النحل: ٣٥ .

● عبَّرت آية الأنعام بالفعل (كذَّب)؛ لأنه تقدَّم عليها قوله ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾ الأنعام: ١٤٧ .

● وعبَّرت آية النحل بالفعل (فعَل) لأنَّه تقدَّم عليها أفعال فى مطلع الآية المذكورة، وهو قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ

مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ : ٣٥ .

*****

❑ ٤٨/٣٣ يُرْسِلُ الرِّياحَ - أَرْسَلَ الرِّياحَ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ : الأعراف:٥٧ .

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ الروم: ٤٨ .

وفى مواضع أخرى بالفعل الماضى، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ الفرقان: ٤٨ .

- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ فاطر .

● استُعمل الفعل المضارع (يُرْسِل) فى آية الأعراف؛ لمناسبة ما تقدَّم من قول اللَّه ﷻ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ الأعراف: ٥٤، وقوله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ الأعراف: ٥٥؛ لأن الدعاء إنَّما يكون لما يأتى . وكذلك فى آية الروم؛ لمناسبة ما تقدَّم عليها من قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ الروم: ٤٦ .

أما آية الفرقان فتقدَّم عليها أفعال ماضية فى قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ .

● وأما آية فاطر فتقدَّم عليها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فاطر: ٣ . وهو المطر، وإنما يُذَكِّر بشكر النعم

الماضية؛ فناسب استعمال الفعل الماضى: ﴿أَرْسَلَ﴾ .

❑ ٤٩/٣٣ وما بَثَّ فيهما من دابَّة ـ وما يَبُثُّ من دابَّة:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ الجاثية: ٤ .

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ الشورى: ٢٩ .

المراد فى آية الجاثية ذكر استمرار نعمة اللَّه وقدرته على الناس قومًا بعد قومٍ، والمراد بآية الشورى ابتداء خلق اللَّه الدوابّ وبثّها فى الأرض .

******

❑ ٣٣/ ٥٠ محصَنات غير مسافحات ـ محصِنين غير مسافحين:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء: ٢٥ .

- ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ المائدة: ٥ .

- آية النساء فى نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنَّث بالإحصان .

- وآية المائدة فى مَنْ يحلُّ للرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدَّم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال أيضًا تسويةً بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما .

******

❏ ٣٣/ ٥١ أُبَلِّغُكُمْ رِسالةَ رَبِّى ـ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى:

قول اللَّه ﷻ فى قصة نوح وهود وشعيب عليهم السلام:

- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ الأعراف: ٦٢، ٦٨، ٩٣ .

وقال فى صالح عليه السلام:

- ﴿رِسَالَةَ رَبِّى﴾ الأعراف: ٧٩ .

• وذلك لأن قصتهم ـ عليهم السلام ـ تضمَّنت أنواعًا من التبليغات، مع طول مدة نوح؛ فجمع لذلك، وقصة صالح ليست كذلك فأفرد .

******

❏ ٣٣/ ٥٢ إنَّه سميع عليم ـ إنَّه هو السميع العليم:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ .

وفى سورة فصلت:

- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ .

• وذلك لأنَّ آية الأعراف نزلت أولًا، وآية فصلت نزلت ثانيًا، فحَسُنَ التعريف فى آية فصلت، أى: هو السميع العليم الذى تقدَّم ذكره أولًا عند نزوغ الشيطان .

******

❏ ٣٣/ ٥٣ حَقٌّ مَعْلومٌ ـ حَقٌّ للسّائلِ وَالْمَحْرومِ:

قول اللَّه ﷻ:

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ المعارج .

- ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ١٩﴾ الذاريات .

المراد بآية الذاريات: الصدقات النوافل؛ لقرينة تقدُّم ذكر النوافل، والمراد بآية المعارج: الزكاة؛ لتقدم ذِكْرِ الصلاة، لأنها معلومة مقدَّرة .

******

❑ ٣٣/ ٥٤ متاعًا بالمعروفِ حَقًّا على المُحْسنين ـ متاعٌ بالمعروفِ حَقًّا على المُتَّقين:

قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة البقرة:

- ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ٢٣٦﴾ .

- ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ .

● الآية الأولى فى المطلقة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء فى حقها إحسان لا فى قبالة شيء ، وهو ـ وإن أوجبه قومٌ ـ فى الصورة مجرد إحسان؛ فناسب قوله ﷻ: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

● والآية الثانية فى المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين: النفقة، ونفقة الرجعية واجبة؛ فناسب قوله ﷻ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ، ورجَّحَ أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله ﷻ: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ البقرة: ٢٤٠ . والمراد به: النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال ﷻ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ فظهر أنَّ المراد به: النفقة فى عدة الرجعية، بخلاف المطلقة البائن بخلع، فإنَّ الطلاق من جهتها، فكيف تُعطَى المتعة التى شُرِعَتْ جبرًا للكسر بالطلاق، وهى الراغبة فيه وباذلة المال فيه؟ كما أنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقى حكم المطلقة الرجعية، فيُحمل عليه .

******

❑ ٥٥/٣٣ إنْ تُبْدُوا شيئًا ـ إنْ تُبْدُوا خيرًا:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ النساء.

- ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ الأحزاب.

• مفعول ﴿تُبْـدُواْ﴾ فى آية النساء ﴿خَيْرًا﴾ ؛ وذلك فى مقابلة ذكر السوء فى الآية السابقة، وهى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ النساء: ١٤٨.

فجاء الخير هنا فى مقابلة السوء، ثم نبَّه على ترك الجهر من المظلوم إمَّا بعدم المؤاخذة أو العفو.

• أمَّا مفعول ﴿تُبْـدُواْ﴾ فى آية الأحزاب فهو أعمُّ الألفاظ: ﴿شَيْـًٔا﴾ ، وسياق الآية ذكر علم اللَّه ﷻ بما فى القلوب؛ وذلك لتقدم قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ الأحزاب: ٥١ . وكلمة (ما) اسم موصول مشترك بين المفرد والجمع، وبين العاقل وغير العاقل، فهو عامُّ الدلالة؛ فناسب ذلك استعمال اللفظ الدال على العموم خيرًا كان أو شرًّا، كما أنَّ آية الأحزاب نزلت فى شأن نساء النبى ﷺ ، والمراد: إنْ تُبدوا فى أمر نساء النبى ﷺ شيئًا أو تُخفوه، باللفظ الأعمِّ؛ تخويفًا لهم.

******

❑ ٥٦/٣٣ فلا تقربوها ـ فلا تعتدوها:

قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة البقرة:

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ البقرة: ١٨٧.

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ البقرة: ٢٢٩ .

• الآية الأولى وردت فى سياق ذكر المحرمات أثناء الصيام والاعتكاف، واقتصرت على ذكر هذه المحرمات (من الأكل والشرب والوطء)؛ فناسب ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ ، لأنها جميعًا مُحَرَّمات .

• أما الآية الثانية فقد وردت فى سياق ذكر أحكام متعددة: فى النكاح، وأحكام الطلاق والعدة والإيلاء والرجعة، وليست جميعها من المحرمات؛ لذلك كان لفظ ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ أليق بالمعنى المراد، أى: لا تتجاوزوا هذه الأحكام التى بيَّنها اللَّه لكم فيما هو حلال وما هو حرام؛ ولذلك خُتمت الآية بقوله ﷻ:

- ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ .

وخُتمت الآية التالية بقوله ﷻ:

- ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ .

*****

❑ ٣٣/ ٥٧ فأتوا بسورة من مثله ـ فأْتُوا بسورة مثله ـ فأتوا بعشر سور مثله :

قول اللَّه ﷻ فى التحدِّى بالقرآن:

- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة .

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ يونس .

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ هود .

• فى سورة البقرة بُدِئت الآية بقول اللَّه ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ، وهو تقرير لكون القرآن منزَّلًا من عند اللَّه ﷻ، ومعنى ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ : أنَّه تنزَّل معهم فى هذه المرتبة من طلب المماثل إلى طلب شىء مما يماثل ، كأنه يقول: لا أكلفكم بالمماثلة التامة، بل حسبكم أن تأتوا بشىء فيه جنس المماثلة ومطلقها، وبما يكون مِثْلاً على التقريب لا التحديد ، وهذا أقصى ما يمكن من التنزُّل؛ ولذا كان هو آخر صيغ التحدى نزولاً ، فلم يجئ التحدى بلفظ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ إلَّا فى سورة البقرة المدنية، وسائر المرات بلفظ (مثله) فى السور التى نزلت قبل ذلك بمكة .

• وآية يونس بُدِئت بقوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ ، وجاء الرد عليهم: فأنتم الفصحاء البلغاء فهل تقدرون على أن تأتوا بسورة مثل القرآن فى فصاحته وبلاغته؟ وكذا فى آية هود . . إلا أنَّ آية هود زادت لفظ (عشر)؛ وذلك للتدرُّج فى التحدِّى بالقرآن، فتحدَّاهم أولًا أن يأتوا بعشر سور، ثم بسورة واحدة، فعجزوا وأقرُّوا بعجزهم وخضعت لكلام اللَّه أعناقهم .

*****

❑ ٣٣/٥٨ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطامًا ـ ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا :

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ الزمر: ٢١ .

وقال ﷻ فى موضع آخر:

- ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ الحديد: ٢٠ .

• استُعمل لفظ الجعل فى آية الزمر؛ لأن الفعل أُسْنِدَ إلى اللَّه ﷻ وكذا ما قبله ، وهو قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ . فاللَّه ﷻ هو الفاعل، فعبَّر

بالفعل الدال على قدرة اللَّه ﷻ، وهو (يجعل) .

• أما فى آية الحديد فاستُعمل لفظ الكَوْن؛ لأنَّ الفعل مُسنَد إلى النبات، وكذا ما قبله ، وهو قوله ﷻ: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ ، فاستُعمِل الفعل الدالُّ على اتصاف النبات بهذه الصفة، وهو ﴿يَكُونَ﴾ ؛ لأن المراد وصف النبات فى مرحلة من مراحل تكوُّنِهِ، والنبات لا يُكوِّن نفسه ولا يُحدِث النمو بذاته؛ لذلك ناسب استعمال الفعل ﴿يَكُونَ﴾ ، وليس (يجعل) .

*****

❑ ٣٣/ ٥٩ وبدا لهم سَيِّئاتُ ما كَسَبوا ـ وبدا لهم سَيِّئاتُ ما عَمِلوا :

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الزمر .

وفى موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الجاثية .

• هناك خلاف يسير بين لفظ الآيتين، ففى الزمر استُعمل لفظ ﴿كَسَبُوا۟﴾ ؛ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (ك س ب)، فقبله قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

وبعده قول اللَّه ﷻ:

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ .

• وفى آية الجاثية استُعمل الفعل ﴿عَمِلُوا۟﴾ ؛ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (ع م ل)، فقبله قول اللَّه ﷻ:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)﴾ .

وبعده قوله ﷻ:

- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ .

وهذا الأسلوب فى تجانس الألفاظ داخل السياق أو السورة خاصة من خصائص القرآن الكريم .

وقد عبَّرت سورة الزمر بألفاظ الكسب إشارة إلى نوعين من الكسب:

○ كسب حقيقى، وهو كسب الحسنات .

○ وكسب زائف، وهو كسب السيئات .

وكسب الحسنات يُراد به الإشارة إلى حُسن اختيارهم وحُسن عملهم، وعلى النقيض من ذلك استُعمل الكسب فى السيئات تبكيتًا وتقريعًا لهم، وكأنما قيل لهم: أردتم الكسب فماذا كسبتم لأنفسكم؟ والمراد: جنيتم على أنفسكم السيئات .

وهذا الأسلوب القرآنى من استعمال اللفظ الدال على الخير فى الدلالة على الشرِّ، يُراد به بيان المفارقة والتناقض فى موقف هؤلاء، نحو قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الانشقاق : ٢٤ .

وأما العمل فهو لفظ عام يتضمن الخير والشرَّ، فعُبِّر به عن الحسنات والسيئات؛ ولذلك جاء فى سياق ذكر أنواع مختلفة من عمل الخير والشر، لتقوم المقارنة فى ذهن المعتبر المتدبِّر المتأمِّل؛ فإن الإحساس بالخسارة يعظُم حينما يُقارَن عمل السوء بعمل الخير وما لهما من جزاء، فبضدِّها تتميز الأشياء .

*****

❑ ٣٣/ ٦٠ إنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الميعاد ـ إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعاد:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ آل عمران : ٩ .

وفى آخر السورة:

- ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ آل عمران : ١٩٤ .

- الأول خبر من اللَّه ﷻ بتحقُّق البعث والقيامة .
- والثانى فى سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أَدْعَى إلى الحصول .

*****

❑ ٣٣/ ٦١ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ ـ كَذَلِكَ نَطْبَعُ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠١ .
- ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يونس .

- آية الأعراف تقدَّم عليها قول اللَّه ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الأعراف ؛ فناسب التصريح باسم الجلالة .

- وآية يونس تقدَّم عليها عدَّة أفعال مبدوءة بالنون الدالَّة على تعظيم الذات الإلهية، فى قوله ﷻ:

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ ؛ فناسب ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون .

******

❑ ٣٣/ ٦٢ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ - يَسْتَمِعونَ إِلَيْكَ:

قول اللّٰه ﷻ:

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام: ٢٥ .

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يونس .

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يونس .

• آية الأنعام فى أبى جهل والنضر وأُبَىٍّ لما استعموا قراءة النبى ﷺ على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: أساطير الأولين، فلما قلَّ عددهم أُفْرِدَ الضمير مناسبةً للمُضْمَرين .

• وآية يونس عامَّة؛ لتقدُّم الآيات الدالة على ذلك، كقوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ يونس: ٤٠؛ فناسب ذلك ضمير الجمع، وأُفْرِد ﴿مَّن يَنظُرُ﴾ ؛ لأن المراد: نظر المستهزئين، فأُفرِدَ الضمير .

******

❑ ٣٣/ ٦٣ تَجْرى تَحْتَها الأنْهارُ - تَجْرى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ:

قول اللّٰه ﷻ فى سورة التوبة:

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ .

قال البقاعى:

● "نبَّه على عموم ريِّها وكثرة مائها بنزع الجار (مِنْ) على قراءة الجماعة[١]، فقال: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ ، أى هى كثيرة المياه . . . ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف (يعنى أنه الموضع الوحيد الذى خلا من حرف الجر)؛ لأنه يَخُصُّ هذه الأمّة، فلعلَّها تُخَصُّ بجنة هى أعظم الجنان ريًّا وحسنًا وزيًّا"[٢] .

******

❑ ٣٣/ ٦٤ مِنْ عِنْدِنا ـ مِن لَّدُنَّا :

قول اللَّه ﷻ فى سورة الكهف:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى:

● "عِنْدَ" فى لسان العرب لِما ظَهَرَ، و"لَدُنْ" لما بَطَنَ؛ فيكون المراد بالرحمة: ما ظهر من كراماته، وبالعلم: الباطنَ الخفىَّ المعلوم قطعًا أنَّه خاص بحضرته سبحانه، فأهل التصوف سمَّوا العلم بطريق المكاشفة: العلم اللدُنِّى، فإذا سعى العبد فى الرياضات يتزيَّن الظاهر بالعبادة، وتتخلَّى النَّفْس عن الأخلاق الرذيلة، وحينئذٍ تصير القوة العقلية قوة صافية، وربما كانت النفس بحسب أصل الفطرة نورانية إلهيَّة علوية قليلة التعلق بالحوادث البدنية، شديدة الاستعداد لقبول الأمور الإلهية، فتشرق فيها الأنوار الإلهية وتفيض عليها من عالم القدس على وجه الكمال، فتحصل المعارف والعلوم من غير تفكُّر وتأمُّل، فهذا هو العلم اللدُنىّ[٣] .

---

(١) قرأ ابن كثير: "تجرى من تحتها" .

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، للبقاعى .

(٣) تفسير النيسابورى ١٩٧/٥، ٢٠٤، تفسير أبى السعود، تفسير الخازن، تفسير النسفى .

• ورحمة من عندنا: هما الوحى والنُّبوَّة كما يشعر بذلك تنكير الرحمة واختصاصها بجانب الكبرياء: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، أى: علمًا خاصًّا لا يُكْتَنَه كُنْهُه ولا يُقْدَرُ قَدْرُه، وهو علم الغيوب .

******

❏ ٣٣/ ٦٥ يُحَرِّفون الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ - يُحَرِّفونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ النساء: ٤٦، المائدة: ١٣ .
- ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة: ٤١ .

• فى الآية الأولى جاءت (عن) لإفادة معنى المجاوزة؛ وذلك لأنها فى سياق ذكر اليهود الأوائل الذين كانوا يتجاوزون ما قال اللَّه لهم، نحو تحريفهم كلمة (حِطَّة) إلى (حنطة) ونحو ذلك من التجاوز .

• أما الآية الأخرى فجاء فيها حرف الجر (من) ثم الظرف (بعد)؛ للتعبير عن فعل اليهود المعاصرين للنبى ﷺ وتغييرهم ما ثبت فى التوراة وآمنوا به، كآية الرجم ونحوها، فجىء بالظرف (بعد)؛ للدلالة على البُعْد الزمنى، وسُبِق الظرف بحرف ابتداء الغاية؛ لإفادة معنى إسراعهم فى تغيير ما استقر عليه من نصوص التوراة بمجرد أن علموا ببعثة سيِّدنا محمد ﷺ .

******

❏ ٣٣/ ٦٦ يسومونكم سوء العذاب يُذَبِّحون أبناءكم - يسومونكم سوء العذاب ويُذَبِّحون أبناءكم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ البقرة: ٤٩ .

- ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ إبراهيم: ٦ .

• جملة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ فى آية البقرة بدل من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ؛ وخُصَّ الذبح بالذكر لعِظَم وقعه عند الأبوين، ولأنه أشد على النفوس .

• وفى إبراهيم تقدم قوله ﷻ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ إبراهيم: ٥؛ فناسب العطف على سوم العذاب، للدلالة على أنه نوع آخر، كأنه قال: يعذبونكم ويذبحون ، ففيه يعدِّد أنواع النِّعَم التى أُشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ؛ ليحصل نوع من تعدُّد النِّعَم بأنْ أنجاهم من محن متعدِّدة .

*****

❑ ٣٣/٦٧ ولو يؤاخذ اللَّهُ الناسَ بظلمهم ما ترك عليها ... ـ ولو يؤاخذ اللَّهُ الناسَ بما كسبوا ما ترك على ظهرها ...:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ النحل: ٦١ .

- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فاطر: ٤٥ .

• آية النحل جاءت بعد وصف الكفَّار بأنواع كفرهم، من اتخاذهم إلهين اثنين، وشركهم فى عبادة غير اللَّه ﷻ، وجَعْلهم للأصنام نصيبًا من مالهم، ووأد البنات، وغير ذلك، وكلُّ ظلم منهم ناسب قول اللَّه ﷻ: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ ، وأما ﴿عَلَيْهَا﴾ فى هذه الآية ـ والمراد الأرض ـ فإنه مستعمل شائع فى كلام العرب؛ لظهور العلم به بينهم، وأيضًا لكراهة أن يجتمع ظاءان فى جملتين

معًا؛ لأن الفصاحة تأباه .

● ولم يتقدم فى فاطر ما جاء فى النحل من أوصاف الكفار، فقال ﷻ:

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ ، للدلالة على العموم، وقد خلت هذه الآية من حرف الظاء، فقال ﷻ: ﴿ظَهْرِهَا﴾ ، مع ما فيه من تفنن الخطاب .

*****

❑ ٣٣/ ٦٨ وإنْ يَمْسَسْكَ بخيرٍ فهو على كل شىء قدير - وإنْ يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يونس: ١٠٧ .

فى آية الأنعام عُبِّر عن الخير بالفعل ﴿يَمْسَسْكَ﴾ ، وجواب الشرط فيها: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وفى آية يونس عُبِّر عن الخير بالفعل ﴿يُرِدْكَ﴾ ، وجواب الشرط فيها: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ .

واستوى الموضعان فى الضر؛ لأنَّ الضرَّ إذا وقع لا يكشفه إلاَّ اللَّه ﷻ .

وأمَّا الخير فقد يُراد قبل نَيْله بزمنٍ إمَّا من اللَّه ﷻ، ثم يُنيلُه بعد ذلك، أو من غيره، فهما حالتان: حالة إرادته قبل نَيْلِه، وحالة نَيْلِه، فذُكِرت الحالتان فى السورتين .

● فآية الأنعام تذكر الخير حالة نَيْله؛ فعبَّر عن ذلك بالمسِّ المُشْعِر بوجود الخير، ثم قال اللَّه ﷻ: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، أى: على ذلك وعلى

خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله .

• وآية يونس تذكر حالة إرادة الخير قبل نيله، فعبِّر عن ذلك بفعل الإرادة: ﴿يُرِدْكَ﴾ قال ﷻ: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ ، أى: إذا أراده قبل نَيْله؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ .

وفى الآيتين بشارة للنبى ﷺ بإرادة الخير ونَيْله إياه .

******

❑ ٦٩/٣٣ ولم يكن جبَّارًا عصيًّا . وسلامٌ عليه ـ ولم يجعلنى جبَّارًا شقيًّا . والسلام علَيَّ:

قول اللَّه ﷻ فى يحيى عليه السلام :

- ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ مريم .

وفى عيسى عليه السلام :

- ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ مريم .

• الآية الأولى إخبارٌ من اللَّه ﷻ ببركته وسلامه عليه، والآية الثانية إخبار عيسى عن نفسه؛ فناسب عدم التزكية لنفسه بنفى المعصية، أدبًا مع اللَّه ﷻ، وقال: ﴿شَقِيًّا﴾ : بعقوق أمِّى، أو بعيدًا من الخير . وقوله:

﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ معرَّفًا، أى: السلام المتقدم علَى يحيَى علَيَّ دائمًا .

******

❑ ٣٣/ ٧٠ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَث - ما يأتيهم من ذكر من الرحمن:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ الأنبياء.
- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ الشعراء.

• فى آية الأنبياء تقدَّم قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الأنبياء: ١، وذكر إعراضهم وغفلتهم، وهو وعيد وتخويف؛ فناسب ذكر الرب المالك ليوم القيامة، المتولِّى ذلك الحساب.

• وفى آية الشعراء تقدَّم قول اللَّه ﷻ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ الشعراء: ٤. لكن لم يفعل ذلك؛ لعموم رحمته للمؤمنين والكافرين، لم يَشَأ ذلك، ويقوِّى ذلك تكرير قوله ﷻ فى السورة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١].

******

❑ ٣٣/ ٧١ ولسليمان الريح عاصفة ـ فسخَّرنا له الريح تجرى بأمره رُخاءً:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ الأنبياء: ٨١.
- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ ص.

العاصفة: الشديدة، والرُّخاء: الرخوة. فكيف اجتمع له الضدَّان؟

• والجواب أنها كانت رخوة طيبة فى نفسها، عاصفة فى مرورها كما قال

ﷻ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ سبأ: ١٢، أو أنَّ ذلك كان باعتبار حالين على حسب ما يأمرها سليمان عليه السلام .

*****

❑ ٣٣/ ٧٢ فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا . . . يفسقون ـ فبدَّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم . . . يظلمون:

قول الله ﷻ:

- ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ البقرة .

- ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ الأعراف .

● لما سبق فى الأعراف تبعيض الهادين بقوله ﷻ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ؛ ناسب تبعيض الظالمين منهم بقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ ، ولم يتقدَّم مثل ذلك فى البقرة، وقوله ﷻ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفى البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا؛ لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشد وقعًا من الإنزال؛ فناسب سياق ذكر النعمة ذلك فى البقرة، وختم آية البقرة ﴿يَفْسُقُونَ﴾ ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق؛ فناسب كل لفظ سياقه .

*****

● تنوُّع أدوات الربط :

○ اللام ـ أنْ :

❑ ٧٣/٣٣ يريدون أن يطفئوا نور اللَّه ـ يريدون ليطفئوا نور الله :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ التوبة .

وقال ﷻ في موضع آخر :

- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الصف .

● استُعمِلت الأداة (أنْ) لربط الجملتين (يُريدون، يُطفئوا) في آية التوبة ؛ لأن (أنْ) وما بعدها في تأويل مصدر في موقع مفعول (يريدون) ، والتقدير : يريدون إطفاء نور اللَّه .

● بينما استُعمِلت اللام في آية الصف ؛ لأن المفعول محذوف تقديره : يريدون الافتراء ؛ لأجل إطفاء نور اللَّه بأفواههم ، واللام هي الحرف المناسب للدلالة على العِلِّية .

ويظهر هذا في ختام الآيتين ، فآية التوبة خُتمت بقول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ .

بينما خُتمت آية الصف بقوله ﷻ :

- ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ .

فلما أُظهِرت (أنْ) في بدء آية التوبة ؛ أُظْهِرت في ختامها ، وحيث لم تظهر في بدء آية الصف ؛ لم تُذكَر في ختامها . وهذا من بديع التناسق التركيبي والتوازن الرائع بين جمل القرآن الكريم .

*****

○ السين ـ سوف:

❑ ٣٣/ ٧٤ فسوف يأتيهم ـ فسيأتيهم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ الأنعام.

وفى موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ الشعراء.

• فى آية الأنعام جاء الحرف الدالُّ على الاستقبال (سوف) مع تفصيل المكذَّب به: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾؛ لأن المقام هنا مقام تفصيل لنبوة النبى ﷺ والمعجزات الدالة على صدقه، حيث لم يتقدَّم فى السورة تفصيل ذلك.

• بينما فى سورة الشعراء صُرِّح فى الآية السابقة بذكر القرآن الكريم، وهو أعظم معجزات النبى ﷺ، فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾.

وبناء آية الشعراء على الإيجاز؛ فناسب هذا الإيجاز حذف المكذَّب به المذكور من قبل: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وناسب أن يكون اللفظ الدالُّ على الاستقبال هو السين.

******

○ بين الخطاب بالنداء والخطاب بغير نداء:

❑ ٣٣/ ٧٥ يا قوم اذكروا نعمة اللَّه عليكم ـ اذكروا نعمة اللَّه عليكم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ٢٠.

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إبراهيم: ٦ .

● جاء النداء بـ (يا قوم) فى آية المائدة؛ لأنه أبلغ وأخَصُّ فى سياق التنبيه، وفيه إشارة إلى العناية بالمنادَى واختصاصه بالخطاب، فكان النداء مناسبًا هنا؛ لأن آية المائدة تذكر أعظم النعم وأشرفها على بنى إسرائيل: من إعطائهم النبوة، والملك، والمنِّ والسَّلوَى؛ ولذلك تكرر النداء أيضًا فى الآية التالية:

- ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

● أما آية إبراهيم فجاءت فى سياق ذكر إنقاذ اللّٰه لبنى إسرائيل من بطش فرعون، وقد مضى على ذلك زمان، فهى نِعَمٌ غائبة عن أذهانهم وليست حاضرة كنعم النبوَّة والملك والمنِّ والسَّلْوَى؛ فناسب هنا حذف النداء .

*****

○ بين التوكيد وعدمه:

❑ ٣٣/٧٦ فلا تكونَنَّ من المُمْتَرِين ـ فلا تَكُنْ من المُمْتَرِين:

قول اللّٰه ﷻ فى سورة البقرة:

- ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ .

وفى سورة آل عمران:

- ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ .

● أُكِّد الفعل بالنون فى آية البقرة ليناسب ما تقدم من كلام مؤكَّد بالنون ولام القسم، فى قول اللّٰه ﷻ:

- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

• ولم يتقدم ذلك فى آل عمران؛ فجاء الفعل خاليًا من نون التوكيد .

******

❑ ٣٣/ ٧٧ ويكون الدين للَّه ـ ويكون الدين كلُّه لله:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٣ .

- ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ الأنفال: ٣٩ .

• نزلت آية البقرة فى السنة الأولى من الهجرة، وآنئذٍ كان كبار المشركين وطغاتهم أحياءً، ولم يكن للمسلمين أملٌ فى إسلامهم على تلك الحال؛ فناسب ذلك قوله ﷻ: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ، أى: الدين الذى أنتم عليه .

• أمَّا آية الأنفال فقد نزلت بعد مقتل كبار المشركين فى غزوة بدر؛ فكان للمسلمين آنئذٍ أن يأملوا فى إسلام أهل مكة عامة، فأكّد الدين بلفظ ﴿كُلُّهُۥ﴾ ، أى: لا يُعْبَدُ سوى اللَّه ﷻ، ولا يكون هناك دين آخر سوى دين اللَّه .

******

❑ ٣٣/ ٧٨ قادر ـ بقادر:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ الإسراء: ٩٩ .

- ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ يس: ٨١

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الأحقاف: ٣٣ .

- في آية الإسراء ﴿قَادِرٌ﴾ خبر (أنَّ) المثبَتة؛ فلم تدخله الباء .
- وفي آية يس ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ خبر (ليس) النافية؛ فدخلت الباء في خبرها .
- وفي الأحقاف لما أكَّد النفي بنفي ثانٍ وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ؛ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ .

******

○ بين التوكيد بضمير الفصل وعدمه:

❑ ٣٣/ ٧٩ الذى خلقنى فهو يَهْدين . . . ـ والذى يميتنى ثُمَّ يُحْيِينِ:

في سورة الشعراء خمس آيات متوالية تذكر بعض نعم اللَّه على الإنسان، ثلاث منها جاءت مؤكَّدة بالضمير (هو)، والرابعة والخامسة خلتا من هذا التوكيد، وهي قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ .

- السرُّ في توكيد الآيات الثلاث الأولى هو أن الأفعال المذكورة فيها ممَّا يمكن للبشر أن يدَّعوه، أمَّا الموت والحياة وغفران الخطايا يوم القيامة فليس مما يمكن لأحد أن يدَّعيه، فلم يَحْتَجْ إلى توكيد وإعلام بأن هذا من اللَّه ﷻ لا من غيره .

******

❑ ٣٣/ ٨٠ ما يدعون من دونه هو الباطل ـ ما يدعون من دونه الباطل:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الحج:

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

وقال ﷻ فى سورة لقمان:

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ لقمان: ٣٠.

• أُكِّد الخبر فى الجملة الثانية من آية الحج بضمير الفصل (هو)؛ ليتَّسق البناء مع ما تقدَّم من أساليب التوكيد المختلفة باللام، وضمير الفصل (هو)، والنون، وإنَّ، فى قوله ﷻ:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾.

وأيضًا ليتَّسق مع ما تقدَّم من أساليب التوكيد المختلفة فى قوله ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾.

● أما آية لقمان فجاء الخبر فيها خاليًا من ضمير الفصل فى الجملة الثانية: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ؛ حيث لم يتقدَّمها مثل ذلك من أساليب التوكيد .

******

❑ ٣٣/ ٨١ وهم بالآخرة كافرون ـ وهم بالآخرة هم كافرون:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

وقال ﷻ فى سورة هود:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

● آية الأعراف جاءت مطابقة للقاعدة اللغوية والقياس التركيبى، والتقدير: وهم كافرون بالآخرة . لكن تقدم الجار والمجرور لإحداث تناسق بين فواصل الآيات المختومة بالواو والنون .

● أما فى آية هود فأُعيد الضمير ﴿هُمْ﴾ للتوكيد؛ لأنهم وُصفوا فى هذه السورة بالظلم والكذب على اللَّه ﷻ، وحلَّت عليهم اللعنة بظلمهم؛ فناسب ذلك توكيد أنهم ﴿هُمْ﴾ بالآخرة كافرون .

******

❑ ٣٣/ ٨٢ إنَّ اللَّه ربى وربكم ـ إنَّ اللَّه هو ربى وربكم:

قول اللَّه ﷻ فى سورة آل عمران:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ .

وقال ﷻ فى سورة الزخرف:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ .

• زِيدَ لفظ ﴿هُوَ﴾ فى آية الزخرف؛ لأنها لم تُسبَق بما يدل على توحيد اللَّه ﷻ وعبودية المسيح ﵇ للَّه، فجاء لفظ ﴿هُوَ﴾ لتوكيد انفراد اللَّه ﷻ بالربوبية وحده . أما آية آل عمران وكذا آية مريم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ فتقدمهما آيات دالة على توحيد اللَّه ﷻ وقدرته وعبودية المسيح له؛ مما أغنى عن التوكيد بالضمير .

******

❑ ٣٣/ ٨٣ وبنعمة اللَّه يكفرون ـ وبنعمة اللَّه هم يكفرون:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ النحل: ٧٢ .
- ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ العنكبوت: ٦٧ .

• أُثبت ضمير الغائب (هم) فى آية النحل؛ لأن سياقها للمخاطب وهو قول اللَّه ﷻ فى أول الآية: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ، ثم حدث التفات وانتقل من المخاطب إلى الغائب، فجاء الضمير الغائب هنا ـ بالإضافة لما فيه من التأكيد ـ إشارة إلى غياب وعيهم وفقدان القدرة على إدراك نعم اللَّه وإحساناته .

• أمَّا آية العنكبوت فاستمرت من أوَّلها إلى آخرها للغائب، ولا ضرورة إذن لذكر ضمير الغائب فى آخر الآية .

******

❑ ٣٣/ ٨٤ وإنَّ عليك اللعنة ـ وإنَّ عليك لعنتى:

قول اللَّه ﷻ:

-﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ الحجر .

- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ ص: ٧٨ .

• أُثبت ضمير المتكلم فى الآية الثانية؛ لما تقدم من قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥ .

فلما أضاف خلق آدم إليه ﷻ؛ تشريفًا له وتكريمًا، فلذلك أضاف لعنة إبليس، طردًا له وخذلانًا، وزيادة فى كرامة آدم؛ لأن طرد عدوِّه ولَعْنَهُ فيه مزيد من التكريم والتشريف لآدم عليه السلام .

• بينما خلت آية الحجر من الإضافة إلى الضمير، وجاء لفظ (اللعنة) على العموم؛ لأنه لم يذكر قبلها خلق آدم مضافًا إلى اللَّه ﷻ .

******

○ الجمع بين علامتين للمخاطب:

❑ ٨٥ /٣٣ أرأيتم - أرأيتكم:

من الظواهر الفريدة فى القرآن الكريم - على مستوى التركيب - الجمع بين علامتين للمخاطب، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الأنعام .

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الأنعام .

وليس لهذا التركيب فى العربيّة نظير؛ لأنه جمع بين علامتين للمخاطب هما التاء والكاف ، وفى سائر المواضع: (أرأيتم) كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ الأنعام .

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يونس .

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ يونس .

• وعلامة الخطاب للتنبيه، فالجمع بين علامتين يدلُّ على أن الأمر المنبَّه عليه شديد الخطر، ولا مزيد على خطره، وهو الإهلاك والعذاب المباغت .

• وليس فيما سوى هذين الموضعين ما يدل على هذا؛ فاكتفى فى سائر المواضع بضمير واحد للمخاطب هو التاء .

*****

○ **التوكيد باللام:**

❑ **٣٣/٨٦ إنَّ ربَّك سريع العقاب ـ إنَّ ربَّك لسريع العقاب:**

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأنعام:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ .

وفى الأعراف:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ .

• لم يُؤَكَّد خبر (إنَّ) باللام فى آية الأنعام؛ لأنه تقدم عليه قول اللَّه ﷻ:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ . وهذا يشير إلى الكرم والإحسان؛ فناسبه توكيد المغفرة وترك توكيد العقاب .

• أما آية الأعراف فقد تقدَّم عليها ذكر ارتكابهم ما يغضب اللَّه وعذابه (من استحلال السبت واتخاذهم العجل . . . إلخ)؛ فناسب هنا أن يُؤَكَّد العقاب باللام .

*****

❑ ٣٣/ ٨٧ إنَّ الساعة آتية ـ إنَّ الساعة لآتية :

قول اللَّه ﷻ فى سورة طه :

- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ .

وفى سورة غافر :

- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ .

● استُعملت أداتان للتوكيد فى آية غافر، هما (إنَّ)، واللام؛ وذلك لأن المخاطب بها هم الكفَّار، فاقتضى ذلك قوَّةَ تأكيدِ الخبر .

● أما آية طه فالمخاطب بها هو سيدنا موسى ﵇، وحاشاه أن يشكَّ فى خبرٍ أخبر به اللَّه ﷻ، فلم يقتضِ توكيد الخبر كما فى آية غافر .

*****

❑ ٣٣/ ٨٨ فبئس مثوَى المتكبِّرين ـ فلَبئس مثوَى المتكبِّرين :

قول اللَّه ﷻ فى سورة النحل :

- ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ .

وفى سورة الزمر :

- ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ .

● أُثبتت لام التوكيد فى آية النحل؛ لما تقدم عليها من ذكر شدة كفرهم وضلالهم وإضلالهم غيرَهم ، وكذلك جاء ذكر جزاء المتقين مؤكَّدًا باللام فى الآية التالية : ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ .

● أما آية الزمر فلم يتقدم عليها مثل ذلك؛ فلم يُؤَكَّد أسلوب الذمِّ باللام .

*****

● تنوع الاسم الموصول:

○ ما ـ ماذا:

❑ ٣٣/ ٨٩ ما تعبدون ـ ماذا تعبدون:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الشعراء:

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

وفى الصافات:

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ .

● الاستفهام بـ (ما) هو سؤال عن حقيقة معبوداتهم؛ ولذلك أجابوه :

- ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

● وأمَّا الاستفهام بـ (ماذا) فليس استفهامًا حقيقيًّا، وإنما هو استفهام إنكارى للتقريع والتوبيخ؛ ولذلك أتم كلامه بقوله:

- ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ .

وقد فهموا أنه قصد بسؤاله توبيخهم والإنكار عليهم، فلم يجيبوه فى آية الصافات .

*****

○ ما ـ الذى:

❑ ٣٣/ ٩٠ ما كانوا يعملون ـ الذى كانوا يعملون:

قول اللَّه ﷻ فى سورة النحل:

- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ .

وفى سورة الزمر:

- ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .

● خُصَّت آية الزمر بالاسم الموصول (الذى)؛ لموافقة ما قبله، وهو قول اللَّه ﷻ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ . وقوله ﷻ:

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

● وخُصَّت آية النحل بالاسم الموصول (ما)؛ لموافقة ما قبله، وهو قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ، وقوله ﷻ فى مطلع الآية رقم (٩٦): ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ .

*****

○ **ما ـ مَن:**

❑ ٩١/٣٣ من فى السماوات والأرض ـ ما فى السماوات وما فى الأرض:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ الرعد .

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ النحل .

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ الحج .

● عُبِّر عن فاعل السجود فى آيتى الرعد والحج بالاسم الموصول (مَنْ) الدال على العاقل؛ لأن الموضعين يختصان بالعاقل، فآية الرعد تقدمها قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ .

وقبله بقليل :

- ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ .

وآية الحج تقدمها قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ .

فبدأ بـ (مَنْ) الدالة على العاقل، ثم ذكر سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ . . . إلخ .

● أمَّا آية النحل فهى عامة فى العاقل وغيره؛ لذلك غُلِّب فيها غير العاقل - وهو الأكثر بين مخلوقات الله ﷻ - ، وقد تقدم عليها قول الله ﷻ :

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ .

وكذا قول الله ﷻ :

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يونس: ٥٥ .

وقال ﷻ بعده:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يونس: ٦٦ .

وبعده قوله ﷻ :

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يونس: ٦٨ .

● الآية الأولى تقدَّمها قوله ﷻ : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾. فأغنى لفظه عن إعادته مع العلم بالمعنى .

• والآية الثانية تقدَّمها قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، فقال: ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ ، إشارةً إلى أنَّهم لا يضرونك فيما لم يقدُره اللَّه ﷻ؛ لأنهم ملكه وعبيده وفى تصرفه .

• والآية الثالثة أوَّلها قوله ﷻ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى هو الغنى المطلق عن كل شىء من اتخاذ الأولاد للقوة والظفر وغير ذلك، فأكّد بزيادة (ما) لأن السياق يقتضيه .

******

❑ ٩٢/٣٣ بعد الذى جاءك ـ بعد ما جاءك ـ من بعد ما جاءك:

قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة البقرة:

- ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ .

- ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ .

وقال اللَّه ﷻ فى سورة الرعد:

- ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الرعد: ٣٧ .

• الاسم الموصول (الذى) أبلغ فى التعريف والوصف والاستغراق من الاسم الموصول (ما)، لذلك جاء فى الآية الأولى، لأنها تضمنت اتباع عموم أهوائهم فى كل ما كانوا عليه من الباطل، والآية تبدأ بقوله ﷻ: - ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ .

أى: تتبعهم فى كل أمرهم، فجاء فى عَجُز الآية أكثر الألفاظ عمومًا وشمولًا وتعريفًا وهو (الذى)، دون أن يُسبَق بحرف (مِنْ) الدالِّ على الابتداء .

• وجاء الاسم الموصول (ما) فى آية البقرة رقم (١٤٥)؛ لأنها لا تتضمن

العموم والشمول كالآية الأولى، بل أُريدَ بها اتباع بعض أهوائهم، وهو اتباع القبلة، والمراد: من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة اللَّه هى الكعبة، وهذا بعض من العلم؛ فناسبه (ما) . وجاءت (مِنْ) الدالة على ابتداء الغاية ؛ لأن تقدير الكلام: ولئن اتبعت أهواءهم (فى شأن القبلة) من الوقت الذى جاءك فيه العلم بها .

• وفى سورة الرعد جاء الاسم الموصول (ما) أيضًا؛ لأن المراد: بعد ما جاءك من العلم فى ذلك البعض الذى أنكروه، وقد تقدم فى الآية السابقة مباشرة قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ الرعد: ٣٦ .

ولم تُذْكَر (مِنْ) كما فى آية البقرة رقم (١٢٠)؛ لأنها ـ أيضًا ـ غير مؤقتة بزمن كما فى آية القبلة .

*****

○ الإيجاز أو الإطناب فى التراكيب القرآنية:

❑ ٩٣/٣٣ فمتاع الحياة الدنيا ـ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ القصص: ٦٠ .

- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الشورى .

• زاد فى آية القصص: ﴿وَزِينَتُهَا﴾ ؛ لأن هذه السورة فصَّلت أنواع الرزق تفصيلًا واستوعبتها، فجاء لفظ المتاع ليدل على كل ما يُنتفَع به من مأكل ومشرب وملبس ونكاح، وجاء لفظ الزينة للدلالة على كل ما يتجمل به

الإنسان وهو قادر على الاستغناء عنه .

• أما آية الشورى فاقتصر فيها على لفظ المتاع للدلالة على ما لا غنى عنه، دون ذكر الزينة؛ فكل ما طلبوه هو النجاة والأمن فى الحياة .

فناسبت كلتا الآيتين سياقها، وليس فى أىٍّ منهما زيادة فى اللفظ ولا نقص، فالتركيب القرآنى يتفق دائمًا مع مقتضيات المعنى .

******

❑ ٣٣/ ٩٤ كُتِبَ لهم - كُتِبَ لهم به عمل صالح:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ التوبة: ١٢٠ .

وقال ﷻ فى الآية التالية:

- ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ .

• بزيادة ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ فى الآية الأولى؛ وذلك لأن الآية الأولى تضمَّنت ما ليس من عملهم، فبيَّن بكرمه ﷻ أنه يُكتَب لهم بذلك عمل صالح، وإن لم يكن من عملهم .

• والآية الثانية تضمنت ما هو من عملهم القاصدين له، فقال ﷻ:

﴿كُتِبَ لَهُم﴾ أى: ثواب ذلك العمل .

******

❑ ٣٣/ ٩٥ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ـ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ العنكبوت: ٢٢ .

وفى موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الشورى: ٣١، دون ذكر السماء .

● جمعت آية العنكبوت بين الأرض والسماء؛ لأن المخاطب بها هم النمرود وقومه، وقد كان النمرود يظن أن بإمكانه أن يصل إلى السماء، فقيل لهم إنهم لا يُعْجِزون مَنْ فى الأرض وهم الإنس والجن، ولا يُعْجِزون مَنْ فى السماء وهم الملائكة .

● أما آية الشورى فاقتُصر فيها على ذكر الأرض؛ لأن المخاطب بها مؤمنون لا يعتقدون القدرة على الصعود فى السماء

*****

❑ ٣٣/ ٩٦ كُلَّما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍ أُعيدوا فيها - كُلَّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها:

وفى بعض الآيات نجد تراكيب زائدة على ما فى آيات أخرى نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ الحج: ٢٢ .

- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ السجدة: ٢٠ .

● وسر زيادة تركيب الجار والمجرور ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ فى آية الحج هو ما تقدم على هذه الآية من ذكر تفاصيل العذاب وألوانه كالثياب المقطَّعة لهم من

النار، وصَبّ الحميم من فوق رءوسهم . . . إلى آخره؛ فناسب ذكر الغم فى هذه الآية .

• بينما لم يتقدم فى السجدة سوى ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ ولم تُذكر ألوان العذاب؛ فناسب عدم ذكر الغم هنا .

وكذلك جاء وصف نعيم الجنة مفصَّلًا فى سورة الحج، ومجملًا فى سورة السجدة؛ ليقابل كلٌّ مُقابِلَهُ . وهذا التوازن من السمات الإعجازية فى القرآن الكريم .

******

❑ ٣٣/ ٩٧ يريد أن يخرجكم من أرضكم ـ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره:

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ .

وقال ﷻ فى سورة الشعراء:

- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ الشعراء: ٣٥ .

• الكلام فى آية الأعراف جاء على لسان الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدَّهم فى رد أمر موسى عليه السلام صرَّح بأنه سحر، ويؤيده قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ طه: ٥٧، قاصدًا بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام .

******

❑ ٣٣/ ٩٨ بلغ أشُدَّه ـ بلغ أشُدَّه واستوى:

قول اللَّه ﷻ فى يوسف عليه السلام:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يوسف: ٢٢ .

وفي موسى عليه السلام:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ القصص: ١٤ .

• وذلك لأن يوسف عليه السلام نُبِّه على ما يُراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤياه الكواكب، وبالوحي حين أُلقِيَ في الجبِّ، وإلهامه علم التعبير، وغير ذلك كان في زمان حداثته، وهو تعريض بما يُراد منه .

• أمَّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه ولا نُبِّه عليه قبل بلوغ الأربعين وقبل مفارقة شعيب؛ فناسب فيه قوله ﷻ: ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ ، لا سيما على قول الأكثر: إن الاستواء بلوغ الأربعين؛ لأنها كمال العقل والنظر .

******

❑ ٣٣/ ٩٩ وأنزل من السماء ماءً ـ وأنزل لكم من السماء ماءً:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٣٢ .

- ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ النمل: ٦٠ .

• جوابه: أنه لما قال هنا: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ ، وأقرن (لكم) بالرزق كان أبلغ في النعمة والمنَّة؛ لذا أغنى ذكرها آخرًا عن ذكرها أولًا .

• وفي النمل صدَّر ﴿لَكُمْ﴾ مع ﴿وَأَنزَلَ﴾ للمنَّة، وليس ثَمَّ ما يُغني عنها في المنة عليهم .

******

❑ ٣٣/ ١٠٠ رسولًا منهم ـ رسولًا من أنفسهم ـ رسولٌ من أنفسكم:

قول الله ﷻ:

- ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ البقرة: ١٢٩ .

- ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ آل عمران: ١٦٤ .

- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة .

● جاءت آية البقرة فى سياق دعاء إبراهيم عليه السلام أثناء بنائه الكعبة المشرفة .

● أما الآيتان الأخريان فهما فى سياق تعداد المِنَن والنعم الإلهية على عباده المؤمنين، فناسب ذلك ذكر الوصف (من أنفسهم ، من أنفسكم) لمزيد من الرحمة والحنوّ والإنعام عليهم .

*****

❑ ١٠١/٣٣ وما أُوتِىَ النبيُّون ـ والنبيُّون:

قول اللَّه عز وجل:

- ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ آل عمران .

● آية آل عمران تقدَّم عليها قول اللَّه عز وجل:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ آل عمران: ٨١

فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا .

• بينما لم يتقدَّم مثل ذلك فى البقرة، فصرّح فيه بإيتائهم ذلك .

*****

❑ ٣٣/ ١٠٢ جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اللَّه - جاهدوا فى سبيل اللَّه - جاهدوا معكم:

وفى سورة الأنفال ثلاث آيات تتحدث عن الجهاد، وهى:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ الأنفال: ٧٢ .

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ الأنفال: ٧٤ .

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ الأنفال: ٧٥ .

• تضمَّنت الآيات الثلاث ذكر الإيمان والهجرة والجهاد، إلا أن الجهاد فى الآية الأولى ذُكِر مقترنًا بتركيبين للجار والمجرور هما: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ ، ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ .

• وحُذف الأول منهما فى الآية الثانية، اكتفاءً بوروده فى الأولى .

• وحُذف كلا التركيبين فى الآية التالية اكتفاءً بما فى الآيتين اللتين قبلها .

وهذا سرٌّ من أسرار النظم القرآنى المعجز؛ لأنك لا تجد لفظًا ولا جملة ولا تركيبًا غير مفيد، فلا مجال لوجود الزوائد فى هذا الكتاب الحكيم .

*****

❑ ٣٣/ ١٠٣ فأردت ـ فأردنا ـ فأراد ربُّك:

فى سورة الكهف تنوعات كبيرة للضمائر، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ .

-﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ .

- ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ .

- فى الآية الأولى أَسنَدَ الخضرُ الفعلَ إلى نفسه فقال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ؛ تأدبًا مع ربه ﷻ، فأسند العيب إلى نفسه .

- أما فى الآية الثانية فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ مسندًا الفعل إلى (نا) الفاعلين، أى: أردت أنا قَتْلَ الغلام، وأراد اللَّه أن ينقذ والديه من الكفر ويبدلهما خيرًا منه .

- أمَّا الخير المحض فأسنده إلى اللَّه ﷻ، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ ؛ لأن ذلك خير محض، فنسبه إلى اللَّه ﷻ وهو وحده المتفضِّل بالإحسان والنعمة على عباده .

******

● التنوُّع فى أساليب العطف:

○ الواو ـ الفاء:

❑ ٣٣/ ١٠٤ ومن أظلم ـ فمن أظلم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ الأنعام: ٢١ .

وفى موضع آخرقال ﷻ:

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ يونس: ١٧ .

• استعُملت الواو فى آية الأنعام: ﴿وَمَنْ﴾ ؛ لأنَّ ما تقدمها من آيات عُطفت الجمل فيها بالواو: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ ، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ، كما أن آية الأنعام ليس ما قبلها سببًا لما بعدها؛ فجاءت بالواو المؤذنة بالاستئناف .

• واستُعملت الفاء فى آية يونس: ﴿فَمَنْ﴾ ؛ لأن الآيات المتقدمة عليها عُطِفَ بعضها على بعض بالفاء نحو قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

كما أن آية يونس ما قبلها سبب لما بعدها؛ فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية فبرأته من إشراكهم، وعِلْمهم بحاله سببٌ لكَوْنهم أظلم، فكأنَّما قيل: إذا صحَّ عندكم أنه صدق، فمن أظلمُ ممن افترى .

******

❑ ٣٣/ ١٠٥ وكُلا ـ فكُلا:

قول اللَّه ﷻ فى سورة البقرة:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ .

وفى سورة الأعراف:

- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

• استعملت الواو فى آية البقرة: ﴿وَكُلَا﴾ ؛ لأنَّ القول فيها مسنَدٌ إلى اللَّه ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ، فناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين

السكنى والأكل؛ ولذلك قال فى هذه الآية: ﴿رَغَدًا﴾ ، وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ؛ لأنه أعمُّ .

• واستُعمِلت الفاء فى الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ ؛ لأنَّه ليس فيها قول مُسْنَدٌ إلى اللَّه ﷻ، كما أن السكنى فيها: اتخاذ المسكن، فجاءت الفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها؛ لأن الأكل يكون بعد الاتخاذ، ولذلك لم يذكر فى هذه الآية: ﴿رَغَدًا﴾ ، وقوله ﷻ فى آية الأعراف: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لا يعطى عموم معنى ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ فى آية البقرة .

*****

❑ ٣٣/١٠٦ ولمَّا ـ فلمَّا :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ هود .

فهذه الآية كان العطف فيها بالواو، بينما كان العطف بالفاء فى قصة صالح ولوط ـ عليهما السلام ـ فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ هود: ٦٦، ٨٢ .

• الآية الأولى تقصُّ ما كان من أمر هود عليه السلام وقومه، وهود لم يحدِّد لعذابهم موعدًا ولم يتوعَّدهم بعذاب قريب، فجاءت الواو .

• أما الآيتان الأخريان فقد حدد النبيَّان صالح ولوطٌ ـ عليهما السلام ـ لقومهما موعدًا قريبًا للعذاب، فقال لهم صالح عليه السلام :

- ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ .

وأوحى اللَّه إلى لوط عليه السلام :

- ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ .

ولهذا جاءت الفاء الدالة على السرعة والتعقيب والسببية أيضًا .

*****

○ ثم ـ الفاء :

❑ ٣٣/ ١٠٧ ثم انظروا ـ فانظروا :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ الأنعام .

وفى مواضع أُخَر :

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ النمل : ٦٩، العنكبوت : ٢٠، الروم : ٤٢ .

• (ثم) تدل على التراخى وطول الزمن، واستُعمِلت فى آية الأنعام لكثرة ما ورد فى هذه السورة من الأمر بالنظر والتأمل للبلاد والآثار، وذلك كثير؛ فناسبه (ثم)، لأنه يحتاج إلى وقت طويل، ونظر متعمق زمانًا بعد زمان .

• ولم يتقدَّم مثل ذلك فى سائر المواضع الأخرى، فجاءت الفاء الدالة على التعقيب والسرعة فى حدوث المعطوفين؛ للإشارة إلى وجوب السير والنظر معًا .

❑ ٣٣/ ١٠٨ فأعرض عنها ـ ثم أعرض عنها :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ الكهف : ٥٧
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ السجدة : ٢٢ .

الإعراض إمَّا مصادمة وردٌّ من غير مهلة، وإما أن يكون عن مهلة ورويَّة.

• فلما تقدم فى الكهف قول اللَّه ﷻ : ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟

بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ ؛ ناسب ذلك الفاء المؤذنة بالتعقيب بالإعراض منهم عند مجادلتهم ودحضهم الحق .

● ولم يتقدم مثل ذلك فى السجدة، بل قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ السجدة: ٢٠، أى استمروا على فسقهم؛ فناسب ذلك: ﴿ثُمَّ﴾ المؤذنة بالتراخى .

******

○ **ثم - الواو:**

❑ **٣٣/ ١٠٩ ثم تُرَدُّون ـ وستُرَدُّون:**

قول اللَّه ﷻ فى موضعين من سورة التوبة:

- ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ .

- ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ .

● فى الآية الأولى كان العطف بالواو؛ لأنها عطف على ما قبلها: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ، وهى فى المنافقين، ولا يطَّلِع على ضمائرهم إلَّا اللَّه ﷻ، وما يُعْلِمُه لرسوله ﷺ؛ ولذلك اقتصر فيها على اللَّه ورسوله . وجاءت ﴿ثُمَّ﴾ فى آخر الآية؛ لأن المراد بها الوعيد بالعذاب الذى ينتظر المنافقين فى الآخرة، فاستُعمِلت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على البعد الزمنى والتراخى .

● بينما فى الآية الثانية استُعملت الفاء؛ لأنها فى شأن المؤمنين، فجاءت الفاء الدالة على السببية، أى: بسبب ما تعملون سيرى اللَّه عملكم . وعطف على الفاعل: ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ؛ لأن أعمال المؤمن ظاهرة لكل الناس . وجاءت الواو فى ختام الآية لأنها فى مقام الوعد لا الوعيد ، فالواو والسين تؤذنان بقرب الجزاء والثواب ، وبُعْدِ العقاب ؛ فالمنافقون يُؤخَّر جزاؤهم عن نفاقهم إلى

موتهم ، فناسب ﴿ثُمَّ﴾ والمؤمنون يثابون على العمل الصالح فى الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ النحل : ٩٧ .

*****

❑ ٣٣/ ١١٠ ثم مأواهم جهنَّم ـ ومأواهم جهنَّم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ آل عمران: ١٩٧ .

وفى مواضع أُخَر قال ﷻ:

- ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ التوبة: ٧٣، ٩٥، الرعد: ١٨، التحريم: ٩ .

● جاءت ﴿ثُمَّ﴾ فى آية آل عمران؛ لأن هذه الآية قد سُبِقَت بقوله ﷻ:

- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ .

وتقلبهم فى البلاد يستغرق وقتًا وإن كان قليلًا ، فذُكِرَ حرف العطف الدال على التراخى: (ثم) .

● أما الآيات الأخرى فقد عُطفت بالواو لأنها لم تتضمن ما يدل على التراخى أو وجود فاصل زمنىّ؛ فناسب ذلك العطف بالواو الدالة على الاشتراك فى الحكم دون الدلالة على التراخى . فمثلًا فى آية الرعد:

- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ .

وهذان فى الآخرة وليس بينهما فاصل زمنى . وفى الآيات الأخرى لم تُذكر الحياة الدنيا ومتاعها ، فجىء فيها بالواو دون (ثم)؛ لإفادة وقوع هذه الأحكام جميعها عليهم .

*****

● بين إثبات الواو وحذفها :

❑ ٣٣/ ١١١ نِعْمَ أَجْرُ العاملين ـ وَنِعْمَ أَجْرُ العاملين :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ آل عمران .

وفى موضع آخر قال ﷻ :

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ العنكبوت .

● زيدت الواو فى آية آل عمران؛ لاتصالها بما سبق من آيات تذكر صفات المؤمنين، نحو قول اللَّه ﷻ : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ ، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ ، ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ ، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ ، ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ .

فناسب ذلك ورود واو العطف؛ إشارة إلى التعدد والتفخيم . ولم يتقدم ذلك فى آية العنكبوت فجاء ختامها خاليًا من الواو .

******

❑ ٣٣/ ١١٢ لكل أمة ـ ولكل أمة :

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ الحج : ٣٤ .

وقال فى آخر السورة:

- ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ الحج: ٦٧ .

• الآية الأولى تقدَّمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحسُنَ فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدَّمها ما يناسبها؛ فجاءت ابتدائية، وبيان ذلك قوله ﷻ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الحج، ثم قال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ الحج .

******

❑ ١١٣/٣٣ ما أنت ـ وما أنت:

قول اللَّه ﷻ فى قصة صالح عليه السلام فى سورة الشعراء:

- ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ .

وفى قصة شعيب عليه السلام فى سورة الشعراء أيضًا:

- ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ .

• حُذفت الواو فى كلام قوم صالح؛ لأن قولهم: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ هو بدلٌ من قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، فلم يغلظوا له ولا اقترحوا عليه آية معينة .

• وأمَّا قوم شعيب ففى خطابهم غلظ عليه وشَطَط واقتراح ما اشتهوه من الآيات، فقولهم: ﴿وَمَا﴾ جملة ثانية معطوفة على ما قبلها، فعابوه بأنَّه من المسحَّرين، وبأنه بشر مثلهم، وأنه من الكاذبين، واقترحوا الآية عليه؛ فناسب أولُ كلامِ قوم صالح آخرَه، وأولُ كلامِ قوم شعيب آخرَه .

******

❑ ٣٣/ ١١٤ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات:

قول اللَّه ﷻ:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ النور: ٣٤ .

وقال ﷻ بعده:

- ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ النور: ٤٦ .

بحذف الواو، و(إليكم) .

• الآية الأولى جاءت بعد ما تقدَّم قبلها من المواعظ والآداب والأحكام؛ فناسب العطف عليه بالواو، وزيد فيها ﴿إِلَيْكُمْ﴾ ؛ لأنها عقب تأديب المؤمنين وإرشادهم، فكأنها خاصة بهم .

• والآية الثانية عامَّة؛ لأن آيات القدرة للكل غير خاصة، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

*****

❑ ٣٣/ ١١٥ فُتِحت أبوابها ـ وفُتِحت أبوابها:

في سورة الزمر نقرأ قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

وبعده قوله ﷻ:

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ .

• أُثبتت الواو فى سياق ذكر أهل الجنة؛ وهذه الواو للحال، أى : جاءوها وقد فُتحت أبوابها قبل وصولهم إليها؛ إكرامًا لهم وحفظًا من وقوفهم أمام أبواب مغلقة .

• أما أهل النار فلا تُفتح لهم الأبواب إلَّا بعد وصولهم ووقوفهم أمامها مُهانين أذلَّاء؛ فلم تُستعمل واو الحال لهذا المعنى .

ويؤيد هذا الفهم قول اللَّه ﷻ فى وصف الجنة :

- ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ ص.

******

❑ ٣٣/ ١١٦ سواءٌ عليهم ـ وسواءٌ عليهم:

قول اللَّه ﷻ فى سورة البقرة:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ .

وفى سورة يس:

- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ .

• جملة ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ فى آية البقرة خبر (إن)، فلم تُقترن بواو العطف .

• أما فى سورة يس فهى جملة مستقلة معطوفة على الجمل التى قبلها:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ .

******

❑ ٣٣/ ١١٧ لقد أرسلنا ـ ولقد أرسلنا:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ هود .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾ المؤمنون : ٢٣ .

● آية الأعراف لم يتقدمها دعوى نبوة ولا ردٌّ من قومِ مُدَّعِى ذلك عليه، فهو كلام مبتدأ .

● وفى هود والمؤمنون تقدَّم ما يُشعِر بذلك، وهو قوله ﷻ فى سورة هود: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ ، فحسن العطف عليه بالواو، وتسليةً للنبى ﷺ، وتخويفًا لقومه بقوله ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ هود: ١٢ ، وقوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ . وأما آية المؤمنون فتقدَّم عليها ذكر نعم اللَّه ﷻ على عباده بحملهم على الفلك الذى كان سببًا لوجودهم ونسلهم؛ فعُطف عليه بالواو بقوله ﷻ: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ؛ ولأنه تقدَّم قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ المؤمنون: ١٧؛ فناسب العطف عليه بالواو .

******

● **بين إثبات الفاء وحذفها :**

❑ **١١٨/٣٣ إنَّك من المنظرين ـ فإنَّك من المنظرين:**

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

وفى سورتى الحجر و ص:

- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الحجر، ص: ٨٠ .

○ سر إثبات الفاء فى آيتى الحجر وص: أن القول هنا جاء إجابة لسؤال عدو اللّه إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الحِجر، ص: ٧٩، فلما أُثبتت الفاء فى السؤال أُعيدت فى الإجابة؛ ليكون الكلام على نسق واحد .

● وسر حذفها فى آية الأعراف أن سؤال إبليس خلا من الفاء:

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ ؛ فناسب أن تخلو الإجابة من الفاء أيضًا . هذا على مستوى تناظر التراكيب .

وعلى مستوى الدلالة:

● لا وجه للفاء فى آية الأعراف؛ لأن جملة﴿أَنظِرْنِىٓ﴾ جملة مستأنفة غير مُسَبَّبة عمّا قبلها .

● أما فى آيتى الحجر وص، فجاءت الفاء؛ لأن الجملة مسبَّبة عما قبلها، والتقدير: إن أخَّرتنى فأنظرنى . فهو فى معنى الشرط، وجواب الشرط يقترن بالفاء إن كان فعل طلب .

******

❑ ١١٩/٣٣ لهم أجر غير ممنون ـ فلهم أجر غير ممنون:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ الانشقاق .

- ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ التين .

● الاستثناء فى سورة الانشقاق منقطع بمعنى (لكن)، ولننظر إلى الآيات السابقة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ ؛ فالانتقال هنا إلى صنف مغاير ؛ لذا فلم تحتج الجملة للفاء ؛ لأنها على معنى الاستدراك ، أما سورة التين فالاستثناء فيها متصل فتم الكلام به، فقد سبق قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ ؛ لأن المراد بـ ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ : هرمه وضعفه وضعف حواسه، وعدم قدرته على الأعمال، فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحًا، فإنا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم؛ كما ورد في الحديث: "إذا اشتكى العبد المسلم قيل للكاتب الذي يكتب عمله: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا، حتى أقبضه، أو أطلقه"(١) .

******

❑ ٣٣/ ١٢٠ سوف تعلمون ـ فسوف تعلمون:

قول الله ﷻ في سورة هود:

- ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ .

وفي سائر المواضع رُبطت الجملتان بالفاء (فسوف)، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الأنعام .

● آية الأنعام والمواضع الأخرى التي اقترنت فيها (سوف) بالفاء، كان الأمر فيها أمر وعيد وإنذار من الله بقوله ﷻ: ﴿قُلْ﴾ ؛ فناسب ذلك توكيد وقوع الوعيد بفاء السببية .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق عبد الله بن عمرو ، الحديث ٢/ ٢٠٥ .

• أمَّا آية هود فهى من كلام سيدنا شعيب عليه السلام، فلم يتقدَّمها الأمر الإلهى(قل)؛ لذا لم تُؤَكَّد كسائر المواضع الأخرى، وجاءت فى صورة جملة مستأنفة .

******

❑ ١٢١/٣٣ قال يا قوم ـ فقال يا قوم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ هود .

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ العنكبوت .

• جاءت آية العنكبوت مقترنةً بالفاء؛ لأن ما سبقها من آيات قد اقترن بالفاء، كما فى قوله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ﴾ : ٢٦ ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

• بينما خلت آية هود من الفاء؛ لتتناسب مع ما سبقها من الآيات قبلها، وهى خالية من الفاء .

وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن فى تناسب آياته وتراكيبها .

******

❑ ٣٣/ ١٢٢ أوَ لم يسيروا فى الأرض ـ أفَلم يسيروا فى الأرض:

تكرَّر فى عدة مواضع قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠ .

وفى مواضع أُخَر:

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الروم: ٩، فاطر: ٤٤، غافر: ٢١ .

● كل موضع جاء مقترنًا بالفاء فإن ما قبله سبب لما بعده؛ لدلالة الفاء على السببية. وكل ما جاء مقترنًا بالواو فليس فيه سببية، بل للعطف والدلالة على الاشتراك:

○ فآية الروم سبقها قول اللَّه ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ ، وتلاها قوله ﷻ: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ .

○ وآية فاطر سبقها قول اللَّه ﷻ: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ، وتلاها قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ .

○ وآية غافر (رقم ٢١) سبقها قول اللَّه ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ .

● أما الآيات التى جاء الاستفهام فيها مقترنًا بالفاء، فقد وافق التركيب ما قبله وما بعده، على النحو التالى:

○ فآية يوسف سبقها قول اللَّه ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ

تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾، وتلاها قوله ﷻ:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ .

○ وآية الحج سبقها قول الله ﷻ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ وتلاها قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ .

○ وآية غافر (رقم ٨٢) سبقها قول الله ﷻ: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ ، وتلاها قوله ﷻ: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ .

○ وفى سورة محمد ﷺ سبقها قول اللّه ﷻ: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ .

فجاء الاستفهام متوافقًا مع سياقه فى كل موضع من هذه المواضع .

*****

● بين إثبات (بل) وحذفها:

❑ ١٢٣/٣٣ قالوا وجدنا ـ قالوا بل وجدنا:

قول اللّه ﷻ فى سورة الأنبياء:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ .

وفى سورة الشعراء:

- ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ .

● بزيادة ﴿بَلْ﴾ فى الجواب فى آية الشعراء، وهو حرف إضراب يُراد به نفى الأول وإثبات الثانى؛ لأنه قال لهم :

- ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

وهو استفهام إنكارى يُراد به النفى ، فجاءت إجابتهم مُصَدَّرةً بحرف الإضراب، وكأنهم قالوا: لا، هم لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرون، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونهم .

• أما فى آية الأنبياء فلم تُصَدَّر الجملة بحرف الإضراب؛ لأنها إجابة مباشرة عن سؤال إبراهيم عليه السلام :

- ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ .

*****

• تنوع صور الاستفهام المنفى:

❑ ٣٣/ ١٢٤ ألَمْ ـ أوَ لَم ـ أفَلَمْ:

جاءت الاستفهامات القرآنية التى تشير إلى القدرة والعظمة الإلهية والاعتبار بذلك، على ثلاث صور:

○ بالهمزة فقط: ﴿أَلَمۡ﴾ ، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ الأنعام .

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ الأعراف: ١٤٨ .

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ النحل: ٧٩ .

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ النمل: ٨٦ .

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ يس .

○ **بالهمزة والواو** : ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ، كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ الرعد: ٤١ .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ النحل .

- ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ الإسراء .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ الشعراء .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ العنكبوت .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ العنكبوت .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الروم .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ السجدة .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ يس .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ﴾ الملك: ١٩ .

○ **بالهمزة والفاء:** ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ كما فى قول اللّٰه ﷻ:

- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ سبأ: ٩ .

● الآيات التى جاء الاستفهام فيها بالهمزة فقط سياقها يقتضى النظر والاعتبار والاستدلال .

● والآيات التى كان الاستفهام فيها بالهمزة والواو سياقها يقتضى الاعتبار

بالمُشاهَد الحاضر فقط . ومثلها الآيات التى جاء الاستفهام فيها مقرونًا بالفاء، إلا أن الفاء أوثق اتصالًا بما قبلها .

******

• بين إثبات حرف الجر وحذفه:

❑ ٣٣/ ١٢٥ وتنحتون من الجبال ـ وتنحتون الجبالَ:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ الأعراف: ٧٤ .
- ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ الحجر .
- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ الشعراء .

• الأصل فى هذا التركيب استعمال حرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية والتبعيض معًا، كما فى آيتى الحجر والشعراء .

• أما آية الأعراف فقد تقدَّم فيها حرف الجر (مِنْ) فى قوله ﷻ:

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ ، فاكتفى بذكرها فى الموضع الأول .

كما أن الآية أكَّدت تمكينهم واستخلافهم فى الأرض، وعُبِّر عن ذلك بقدرتهم على نحت الجبال لا بعض الجبال .

******

❑ ٣٣/ ١٢٦ بالبيِّنات والزُّبُر والكتاب المنير ـ بالبيِّنات وبالزُّبُر وبالكتاب المنير:

قول اللَّه ﷻ فى سورة آل عمران:

- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ .

وفى سورة فاطر:

- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ .

• فى آية آل عمرآن أُثبِتَت الباءُ فى أول الأسماء الثلاثة المعطوفة:

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فقط؛ وذلك لأنها فى سياق الاختصار والإيجاز، وكذا حُذِفَ فاعل ﴿كُذِّبَ﴾ وبُنِيَ الفعل للمجهول، كما جاء فعل الشرط ماضيًا . . وكل هذا من طرق بناء الكلام على الإيجاز والتخفيف؛ فناسب ذلك أن تُحذف الباء من المعطوفين ليكون نظم الجمل متناسبًا ومطبوعًا بسمة أسلوبية موحَّدة .

• أما فى آية فاطر فأُثبت الباء فى المعطوفات الثلاثة: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ ؛ لأن نظم الآية كلها مبنيٌّ على التفصيل والبسط، فقد ذُكِرَ الفاعلُ، كما جاء فعل الشرط فى صورة المضارع، وهذا من طرق البسط والتفصيل؛ فناسبه إثبات الباءات الثلاث ليكون الكلام على نسق أسلوبى واحد .

*****

☐ ١٢٧/٣٣ وذى القربى ـ وبذى القربى:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ البقرة: ٨٣ .

- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ النساء: ٣٦ .

• أُثبتت الباء فى آية النساء: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، وحذفت من آية البقرة: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ؛ وذلك لأن آية النساء فى سياق ذكر الأقارب وأحكامهم فى المواريث والوصايا؛ فناسبها أن تُؤَكَّد بالباء الدالة على الإلصاق المعنوى، إشارةً إلى ضرورة الإحسان بالوالدين وبذى القربى .

• أما آية البقرة فهى فى سياق العهد إلى بنى إسرائيل، ولا تتطلب من التوكيد ما تطلبه سياق آية النساء، فلم تُثْبَت الباء فى (ذى القربى) .

*****

❑ ١٢٨/٣٣ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم - فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ النساء: ٤٣ .

وفى موضع آخر:

- ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ المائدة: ٦ .

• كلتا الآيتين فى سياق ذكر حكم التيمم. إلا آن آية النساء لم يُثْبَت فيها حرف الجر (مِنْ)؛ لأنها فى سياق النهى عن أداء الصلاة فى حال اشتغال الذهن، فلا ضرورة هنا لتفصيل حكم التيمم .

• أما آية المائدة فقد تقدمها ذكر أحكام الوضوء وواجباته مفصلة؛ فناسب إثبات حرف الجر (مِنْ) فى حكم التيمم، للإشارة إلى ضرورة الأخذ من الصعيد الطيب ووصوله إلى البدن .

*****

❑ ٣٣/ ١٢٩ فمن يملك من اللَّه شيئًا ـ فمن يملك لكم من اللَّه شيئًا :

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المائدة: ١٧ .

- ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ الفتح: ١١ .

• أُثبت حرف الجر (اللام) الدال على الاختصاص فى آية الفتح؛ لأن المخاطَب بها قوم معينون هم الأعراب الذين تخلفوا عن رسول اللَّه ﷺ فى عمرة الحديبية .

• وخلت آية المائدة من اللام؛ لأن المخاطَب بها جميع الناس، فلا وجه فيها للاختصاص .

******

❑ ٣٣/ ١٣٠ يغفر لكم ذنوبكم ـ يغفر لكم من ذنوبكم:

هناك ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم خوطب بها الكافرون بشأن غفران ذنوبهم، وهى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ إبراهيم: ١٠ .

- ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ الأحقاف: ٣١، نوح: ٤ .

• (مِنْ) فى هذه الآيات مستعملة للدلالة على التبعيض؛ لأن الخطاب للكفار، فلم يُسَوِّ القرآن بينهم وبين المؤمنين، وإنما خاطب المؤمنين فى شأن غفران الذنوب فلم تُستعمل (مِنْ) كما فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ آل عمران .

*****

❑ ٣٣/ ١٣١ لكيلا يعلم بعد علم شيئًا ـ لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا :

قول اللّه ﷻ :

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ النحل .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ﴾ الحج: ٥ .

● حُذف حرف الجر (مِنْ) فى آية النحل؛ لأنها مجملة، حيث لم تُفصِّل مراحل الخلق؛ فناسب ذلك ألَّا تُثبَت (من) فيها .

● أما آية الحج فقد فصَّلت مراحل الخلق:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ .

فناسب ذلك إثبات (من) فى آخر الآية .

*****

❑ ٣٣/ ١٣٢ خلائف الأرض ـ خلائف فى الأرض:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٦٥ .

وفى موضعين آخرين:

- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يونس: ١٤ .
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فاطر: ٣٩ .

• الترابط فى آية الأنعام حدث من خلال الإضافة، فالمركب الإضافى ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتكون من: المضاف ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ ، والمضاف إليه ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ ، وهذا المركب يفيد الملكية، فهم مالكو الأرض المتمكِّنون منها المهيمنون عليها بما هيَّأ اللّه لهم ؛ وذلك لأن آية الأنعام تقدَّمها ذِكْرُ نعم اللّه عليهم، وتكرر ذكر المخاطبين عدة مرات؛ فناسب ذلك تعريفهم بالإضافة فى ذكر الاستخلاف .

• أما فى آيتى يونس وفاطر فالترابط بين اللفظين تم عن طريق حرف الجر (فى) الدال على الظرفية، وهو الأصل فى مثل هذا التركيب؛ لأن المخاطب فيها جاء على صورة النكرة، فلم يحسُن تعريفه بالإضافة، وإنما جاء ذكر الاستخلاف منكرًا؛ لأنه ليس فى هاتين الآيتين من التمكُّن والقدرة ما فى سياق آية الأنعام .

*****

• بين ذكر المخاطب بالقول وحذفه:

❑ ٣٣/ ١٣٣ ولا أقول إنِّى ملَك ـ ولا أقول لكم إنِّى ملَك:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ الأنعام: ٥٠ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ هود: ٣١ .

• فى آية الأنعام ذُكر المقول له فى صورة ضمير الخطاب (الكاف) مسبوقًا بلام التبليغ؛ لأنه لم يتقدم سوى مرة واحدة .

• أمَّا فى آية هود فحُذفت اللام والضمير لتقدمهما عدة مرات، فحذفت هنا تخفيفًا للَّفظ .

******

❑ ٣٣/ ١٣٤ ألم أقل إنَّك - ألم أقل لك إنَّك:

قول اللَّه ﷻ فى موضعين متقاربين من سورة الكهف:

- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ الكهف: ٧٢ .

- ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥﴾ الكهف: ٧٥ .

بزيادة (لك) فى الآية الثانية؛ لأنه لما تكرَّر إنكار موسى على الخضر - عليهما السلام - شدَّد عليه الخضر وأكَّد كلامه بلام التبليغ وضمير الخطاب (لك) فى المرة الثانية، أما فى المرة الأولى فلم يذكر لام التبليغ وكاف الخطاب تلطُّفًا وتأدُّبًا معه .

******

• بين إثبات نون الوقاية وحذفها:

❑ ٣٣/ ١٣٥ وإنَّا لَفِى شكٍّ ممَّا تدْعوننا إليه - وإنَّنا لَفِى شكٍّ ممَّا تدْعونا إليه:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ هود .

وفى موضع آخر:

- ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ إبراهيم .

• فى آية هود أُثبتت نون الوقاية مع (إنَّ)، وحُذفت من الفعل المضارع (تدعونا) ؛ على العكس فى آية إبراهيم ؛ حيث تجاورت الكلمتان فى القرآن كلَّما أُثبتت النون فى (إنَّنا) حُذفت من الفعل المضارع (تدعونا)، وكلَّما حُذفت من (إنَّا) أُثبتت فى الفعل المضارع (تدعوننا) .

*****

التقديم والتأخير

❑ ٣٣/ ١٣٦ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ـ وهذا ذكر مبارك أنزلناه:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الأنعام: ١٥٥ .

- ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ الأنبياء: ٥٠ .

• فى آية الأنعام قُدِّمت جملة ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ وصفًا لكتاب الله؛ لأنها فى سياق الرد على اليهود وادعائهم أن اللَّه ما أنزل على البشر من شيء، فكان تفنيد زعمهم أولًا للاهتمام به، ثم وصف كتاب اللَّه بالمبارك .

• أما آية الأنبياء فجاءت على وفق القاعدة الأصلية وهى: تقديم الصفة المفردة على الصفة الجملة؛ لأنها فى سياق وصف كتاب اللَّه لا الرد على من

زعم عدم إنزال اللَّه على بشرمن شىء .

******

❑ ٢٨/ ١٣٧ لا إله إلا هو خالق كل شيء - خالق كل شيء لا إله إلا هو :

قول اللَّه ﷻ فى سورة الأنعام:

- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ .

وفى سورة غافر:

- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾

- قُدِّمت كلمة التوحيد على وصف (الخالق) فى آية الأنعام؛ لتقدم ذكر الشريك وزَعْم المشركين للَّه البنات، فجاء نفى الشرك وإثبات التوحيد أولًا، ثم تلاه ذكر الخلق .

● وفى آية غافر قُدِّم وَصْفُ (الخالق)؛ لأنها سُبقت بذكر الخلق فى قول اللَّه ﷻ :

- ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

فجاء ذكر الخلق أولًا فى الآية رقم (٦٢)، ثم كلمة التوحيد .

فقُدِّم فى كل سورة ما تقتضيه الآيات السابقة وتناسق المعانى والتراكيب .

******

❑ ٣٣/ ١٣٨ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ـ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى:

قول اللَّه ﷻ فى سورة يس:

- ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

وفى سورة القصص:

- ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

• فى آية يس قُدِّم الجار والمجرور ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ ؛ لأن الرجل جاء ناصحًا لهم فى شأن مخالفة دينهم، فمجيئه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه؛ فقُدِّم ذِكْرُ البعد لذلك . وفى آية القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشق تركُه كالدِّين، بل لمجرد نصح موسى عليه السلام؛ فجاء على الأصل فى تقديم الفاعل على الجار والمجرور .

******

❏ ٣٣/ ١٣٩ لقد وُعِدْنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ـ لقد وُعِدْنا هذا نحن وآباؤنا من قبل:

قول اللَّه عز وجل فى سورة المؤمنون:

- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ .

وقال عز وجل فى سورة النمل:

- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ .

• قُدِّم الضمير ﴿نَحْنُ﴾ فى آية المؤمنون؛ لأنَّه قد تقدَّم عليها ذكر آبائهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ المؤمنون: ٨١ . وهم آباؤهم؛ فناسب ذلك تقديم المؤكَّد وهو ﴿نَحْنُ﴾ ، ليُعطف عليه الآباء المقدَّم ذكرهم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعًا، وهو المشار إليه بـ ﴿هَٰذَا﴾ .

• وأُخِّر الضمير فى آية النمل؛ لأنها لم يُذكر فيها ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بل قال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ؛ فناسب تقديم

المفعول الموعود ثم ذكر المؤكَّد ليُعطَف عليه، ثم لم يُذكَر أولًا، وحاصله أن تقديم مَنْ تقدَّم ذكره أهمُّ وأنسب، وتقديم المفعول الموعود وتأخير مَنْ لم يُذكر أهمُّ وأنسب .

******

❑ ٣٣/ ١٤٠ نرزقكم وإيَّاهم - نرزقهم وإيَّاكم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ الأنعام: ١٥١ .

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ الإسراء .

• قُدِّم ضمير المخاطب (الكاف) على ضمير الغائب (إيَّاهم) فى آية الأنعام؛ لأن الخطاب فيها للفقراء؛ فحَسُن أن يقال لهم: ﴿نَّرْزُقُكُمْ﴾ أولًا، كى يزول ما بكم من فقر، ثم عطف عليهم أولادهم لإفادة معنى: نرزقكم جميعًا .

• أمَّا فى آية الإسراء فقُدِّم ضمير الغائب: ﴿نَرْزُقُهُمْ﴾ ، وتلاه ضمير المخاطب: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ؛ لأن الخطاب فيها للأغنياء؛ ولذلك استُخدم فيها المفعول لأجله: ﴿خَشْيَةَ﴾ ، أى: بسبب خوفكم من احتمال تعرُّضكم للفقر فى المستقبل، فحَسُن أن يبدأ برزق الأولاد فقيل لهم: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ فلن يصيبكم فقر بسببهم، ثم تلا ذلك ذكر رزق المخاطبين: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ .

******

❑ ٣٣/ ١٤١ السارق والسارقة - الزانية والزانى:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨ .
- ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور: ٢ .

• قُدِّم السارق على السارقة فى آية المائدة؛ لأنَّ الرجال أقوَى وأشدُّ جرأة وإقدامًا على السرقة من النساء . بينما قُدِّمت الزانية على الزانى فى آيةالنور؛ لأن ابتداء الزنا هو من شأن النساء؛ لتجمُّلهن وتزيُّنهن، وهنَّ اللاتى يُمكِّنَّ الرجال من الوقوع فى معصية الزنا .

*****

❑ ٣٣/ ١٤٢ قوَّامين بالقسط شهداء للَّه ـ قوَّامين للَّه شهداء بالقسط:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ النساء: ١٣٥ .
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ المائدة: ٨ .

• آية النساء وردت فى سياق إعراض الرجال عن النساء، والإصلاح بين الزوجين، والإحسان إلى النساء واليتامى بالعدل؛ فناسب ذلك تقديم القيام بالقسط (أى العدل)، والمراد: قوموا بالعدل بين الأزواج وغيرهن، ثم تلا ذلك ذكرُ الشهادة للَّه .

• أمَّا آية المائدة فقد وردت بعد ذكر أحكام الدَّيْن والوفاء بالعهود والمواثيق وأوامر اللَّه ونواهيه؛ فناسب ذلك تقديم القيام لله، أى: قوموا بما أمركم اللَّه به أو نهاكم عنه، ثم جاء ذكر الشهادة بالعدل .

*****

❑ ١٤٣/٣٣ ضرًا ولا نفعًا ـ نفعًا ولا ضرًا:

من صور التقديم والتأخير فى القرآن الكريم تقديم أحد المعطوفين فى موضع، وتأخيره مرة أخرى، مع ثبات المعطوفين، نحو قول اللّه ﷻ:

- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ﴾ المائدة: ٧٦

قُدِّم الضرُّ على النفع فى هذه الآية، وفى مواضع أخرى قُدِّم النفعُ على الضرِّ، كما فى قول اللّه ﷻ:

- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

القرآن الكريم يقدِّم النفع على الضر فى سياقات الدعاء والعبادة؛ لأن النفع فى هذه الأحوال أهمُّ، بينما يقدِّم الضر على النفع فى سياق المُلك والقدرة؛ لأن دفع الضر فى هذه الحال أوجب وأولَى من جلب النفع .

والقاعدة الأصولية تُقرِّر أن "دفع الضرر مُقَدَّم على جلب النفع"، بل إن دفع الضرر هو فى ذاته وجه من وجوه النفع . ولكن من تمام البيان وفصاحة الكلام أن يُقدَّم النفع فى مقام السؤال والعبادة والضراعة، وأن يقدَّم الضر فى مقام ذكر القدرة والمُلك والعظمة .

وأكثر ما جاء فى القرآن من الجمع بين لفظى النفع والضُّرِّ، قُدِّم فيه الضر على النفع؛ وذلك لأن العابد يعبد ربه خوفًا من عقابه، ثم رجاء ثوابه .

• والمواضع التى قُدِّم فيها الضر جميعها، لمناسبةِ ما تقدَّمَ من لفظٍ يتضمن معنى الضر، ففى قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ البقرة: ١٠٢ .

قُدِّم الضرُّ هنا على النفع؛ لأن سياق الآية يذكر تعلمهم السحر، والسحر يضر أولًا، ثم لا يُرْجَى منه نفع .

وقوله ﷻ:

- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ المائدة: ٧٦ .

قُدِّم فيه الضر على النفع؛ لتقدم قول اللّه ﷻ:

- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المائدة .

وعبادتهم المسيح عليه السلام تضرُّهم أولًا ؛ لأنها تعرِّضهم لعذاب الله، ولا تنفعهم مع ذلك ؛ ولأنَّ دفع الضُّرِّ أهمُّ من جلب النفع وإن كانا مقصودين ؛ ولأنه يتضمنه أيضًا ، فإذا تقدَّم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضّرّ أهمّ ، وإذا كان السياق فى الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم ؛ لأنه المقصود غالبًا بالسؤال ولذلك قال فى سورة الحجّ : ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ أى يدعو بالنفع لمن ضرّه أقرب من نفعه المطلوب بالدعاء ، ومثله قول اللّه ﷻ:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ .

وقوله ﷻ:

- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ يونس: ١٨

قُدِّم الضرُّ هنا على النفع؛ لتقدُّم ذكر استعجال الكفار العذاب فى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فناسب تقديم الضُّرّ على النفع ولذلك قال تعالى بعده ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ وكذلك كل ما قدّم فيه النفع والضر فلتقدم ما يناسب ذلك التقديم أو تأخيره،

وذلك ظاهر لمن ينظر فيه .

● أما المواضع التى قُدِّم فيها النفع على الضر؛ فقد ناسبها ما يدل على النفع والرجاء أولًا ، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ :

- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الأعراف .

قُدِّم النفعُ فى هذه الآية ، وأُخِّرَ الضُّرُّ ، لأن هذه الآية تقدَّمها ذكر الساعة فى قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ ؛ فناسب فى حقِّه تقديم النفع الذى هو ثواب الآخرة ، وتأخير الضُّرّ الذى هو عذابها .

وقوله ﷻ :

- ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾ الرعد: ١٦ .

قدَّم النفع ؛ لأن النفس ترتاح إليه ولا تسأمه ، فقدَّمه لقوله تعالى : ﴿لِأَنفُسِهِمْ ۚ﴾ . هذا أمر ، وأمر آخر هو أنه لما قال تعالى: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ ، والولى دأبه نفع وليّه مطلقًا سواء أصابه ضراء أو لم يصبه ، وسواء قدر على دفع الضُّرِّ أم لا ؛ فناسب تقديم النفع على الضُّرِّ .

وقوله ﷻ :

- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ سبأ: ٤٢ .

سبقه قوله ﷻ :

- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ سبأ: ٣٦ .

فقُدِّم البسط على القدر؛ فناسب تقديم النفع على الضر بعده .

وقوله ﷻ :

- ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الأنعام: ٧١ .

لتقدُّم قوله ﷻ:

- ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

وقوله ﷻ:

- ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ﴾ يونس: ١٠٦ .

لتقدُّم قوله ﷻ:

- ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ يونس .

فلمَّا قدم هنا الأمر بالتزام الدين الحنيف والنهى عن الشرك؛ ناسب تقديم النفع على الضر فى الآية التالية .

وقول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ الفرقان: ٥٥ .

لتقدُّم قوله ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ .

ثم عدَّدت الآيات نعمًا كثيرة حتى الآية رقم (٥٤)؛ فناسب أن يتقدم النفع المذكور فى الآيات السابقة .

وهكذا يتجلَّى لنا بوضوح أن التقديم والتأخير فى الألفاظ القرآنية مرتبط بمعنى الآيات السابقة أو اللاحقة، فيُقَدَّم اللفظ الذى يقتضى المعنى تقديمه، ويُؤَخَّر ما يستحق التأخير .

*****

❑ ٣٣/ ١٤٤ لعب ولهو ـ لهو ولعب:

ذُكِر اللعب واللهو معطوفين فى عدة مواضع من القرآن الكريم، وقد تقدم اللعب فى أربعة مواضع، وتقدم اللهو مرتين، ومن شواهدهما:

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الأنعام: ٣٢ .

- ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ العنكبوت: ٦٤ .

• قُدِّم اللعب على اللهو فى أكثر المواضع؛ لأن اللعب يكون فى الصبا، واللهو فى زمن الشباب، وزمان الصبا مقدَّم على زمان الشباب .

• أمَّا فى الموضعين اللذَيْن تقدم فيهما اللهو على اللعب، فذلك فى القيامة، فذُكِر بترتيب ما مضى من زمان الدنيا بالرجوع وراءً. كما أن زمان الشباب (أى زمان اللهو) أطول من زمان الصبا (أى زمان اللعب)؛ فبدأت الآيتان الواردتان فى سياق الحديث عن القيامة باللهو الذى هو أطول زمانًا، وثنَّت باللعب، فى المقارنة بزمان الآخرة الأبدى؛ ولهذا خُتمت آية العنكبوت بقول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ .

*****

❑ ٣٣/ ١٤٥ خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ـ اختلاف الليل والنهار وما خلق اللَّه فى السماوات والأرض:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ آل عمران .

- ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ يونس .

• فى آية آل عمران قُدِّم خلق السماوات والأرض؛ ليناسب ما تقدم فى الآية السابقة من قوله ﷻ:

- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ .

فأُتْبِعَ مُلكُ السماوات والأرض بخلقهما، ثم اختلاف الليل والنهار .

• أما فى آية يونس فقُدِّم اختلاف الليل والنهار؛ ليناسب ما تقدم فى الآية السابقة من قوله ﷻ:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ .

والشمس والقمر آيتا الليل والنهار، وعدد السنين والحساب إنما يُعرف باختلاف الليل والنهار . ثم تلا ذلك ذكر ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٦.

******

❑ ٣٣/ ١٤٣ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء:

قول اللّه ﷻ:

- ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ البقرة: ٢٨٤ .

- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ المائدة: ٤٠ .

• قُدِّمت المغفرة وأُخِّر العذاب فى آية البقرة المذكورة - وكثير من الآيات - ترغيبًا فى المسارعة بطلب المغفرة، وإشارةً إلى سعة رحمة اللّه ومغفرته ﷻ .

• أما آية المائدة فهى الوحيدة التى قُدِّم فيها العذابُ وأُخِّرت المغفرة؛ لأنها

جاءت بعد ذكر حكم السارق والسارقة؛ فناسب ذلك تقديم العذاب؛ إشارة إلى عذابهم فى الدنيا .

******

❑ ١٤٧/٣٣ الملأ الذين كفروا من قومه ـ الملأ من قومه الذين كفروا :

قد يأتى التقديم والتأخير فى القرآن لأسباب نحوية مرتبطة باتصال الجملة بعضها ببعض، وهذا برهانٌ للقرآن الذى أُحكمت آياته من لدن حكيم خبير، ومن ذلك قول اللّه ﷻ فى موضعين من سورة المؤمنون:

- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

● فى الآية الأولى قُدِّمت الصفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على الجار والمجرور: ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾ ؛ لأن مقول القول وقع بعد الجار والمجرور بدون فصل، وقد تمت جملة الصلة فلا حاجة إلى تأخير الصفة .

● أما فى الآية الثانية فأُخِّرت الصفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾ ؛ لأن جملة الصلة طالت: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ؛ لكى لا يُفصَل بين الموصول وصلته بفاصل طويل، ولو جاءت هذه الآية على نسق الآية الأولى لكانت : وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة . . . إلخ . وهذا التفكك فى البناء التركيبى وإن كان مقبولًا فى كلام البشر، فهو غير لائق بكلام اللّه ﷻ .

******

❑ ٣٣/١٤٨ كفى بالله شهيدًا بينى وبينكم ـ كفى بالله بينى وبينكم شهيدًا :

قول الله ﷻ :

- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الرعد: ٤٣، الإسراء: ٩٦ .

- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ العنكبوت: ٥٢ .

● الأصل والقياس فى مثل هذا التركيب تقديم التمييز ﴿شَهِيدًا﴾ على الظروف ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ، وهو النسق التركيبى الذى بُنيت عليه الجملة فى آيتى الرعد والإسراء .

● أما آية العنكبوت فقد وُصف فيها التمييز ﴿شَهِيدًا﴾ بجملة : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ فتأخر التمييز عن الظرف، كى تتبعه جملة الوصف دون فاصل بين الصفة وموصوفها .

******

❑ ٣٣/ ١٤٩ بشيرًا ونذيرًا ـ نذير وبشير :

قُدِّم الإنذار على التبشير فى قول الله ﷻ :

- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ هود .

وفى سائر المواضع قُدِّم التبشير، كما فى قوله ﷻ :

- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ البقرة .

- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٥ ، الفتح: ٨ .

- ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ فصلت .

● قُدِّم الإنذار على البشارة فى آية هود؛ لأنه متصل بقول الله ﷻ : ﴿أَلَّا

تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ ، والخطاب فيه للناس ؛ فناسب ذلك تقديم الإنذار على البشارة .

• أمَّا فى آيات البقرة والأحزاب والفتح فقُدِّمت البشارة ؛ لمقام المخاطب ـ وهو النبى ﷺ ـ كرامة له . وفى آية فصلت قُدِّمت البشارة أيضًا لتقدم ذكر الرحمة، والبشارة رحمة؛ فناسب ذلك تقديم البشارة وتأخير الإنذار .

*****

❑ ٣٣/ ١٥٠ خلق السماوات والأرض ـ خلق الأرض والسماوات:

فى أكثر المواضع من كتاب اللَّه قُدِّم خلق السماوات على الأرض، من ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾ الأنعام .

وقُدِّم خلق الأرض على السماوات فى قول اللَّه ﷻ:

- ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾ طه .

ولتقديم الأرض هنا سببان:

١ - موافقة فواصل الآى المبنيَّة على المدِّ فى آخرها، نحو: (لتشقى ـ يخشى ـ العلى ـ استوَى ـ الثرى . . . إلخ) .

٢ - أنه تقدَّم ذكر إنزال القرآن تذكرةً لمن يخشى، وهم سكان الأرض؛ فقُدِّمت الأرض على السماء لتقدُّم ذكر مَنْ فيها .

*****

• تقديم الجار والمجرور وتأخيرهما:

❑ ٣٣/ ١٥١ ولتطمئنَّ قلوبكم به ـ ولتطمئنَّ به قلوبكم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ آل عمران: ١٢٦ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ الأنفال: ١٠ .

• فى آية آل عمران قُدِّم لفظ ﴿قُلُوبُكُم﴾ على متعلق الفعل؛ لإحداث تناسق وازدواج بين الجملتين: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ ، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ .

• أما آية الأنفال فلم يُذكر لفظ (لكم) ولا مجال ـ إذن ـ للازدواج، فجاء ترتيب الجملة على الأصل، وهو: الفعل، ثم الجار والمجرور المتعلقان به؛ لأن الفعل ومتعلقاته فى حكم وحدة لغوية واحدة، ثم جاء الفاعل .

*****

❑ ٣٣/ ١٥٢ وما أُهِلَّ به لغير اللَّه ـ وما أُهِلَّ لغير اللَّه به:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٧٣ .

وفى مواضع أُخَر:

- ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ المائدة: ٣، النحل: ١١٥ .

• فى آية البقرة تقدم الجار والمجرور (به) المتعلقان بالفعل: (أُهِلَّ)؛ لأنها فى سياق ذكر المحرَّم والمحلَّل من الطعام، فَقُدِّمَ المتعلق وضميره؛

لأنه المنصوص على حرمته .

• والآيات الأخرى فى سياق تعظيم شعائر اللَّه وأوامره وشكر نعمته؛ فكان تقديم اسم اللَّه ﷻ أليق فى هذه المواضع .

والقاعدة فى البلاغة أن الأهمَّ أَوْلَى بالتقديم، ولا شك أن المنصوص عليه فى السياق هو الأهم .

******

❑ ٣٣/ ١٥٣ لا يقدرون على شىء مما كسبوا ـ لا يقدرون مما كسبوا على شىء:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ البقرة: ٢٦٤ .

- ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ إبراهيم: ١٨ .

• المثل فى آية البقرة للعامل؛ فكان تقديم نفى قدرته والجار والمجرور المتعلِّقَيْن به أنسب؛ لأن ﴿عَلَىٰ﴾ هنا متصلة بالفعل (يقدرون) .

• وفى آية إبراهيم عليه السلام المثل للعمل؛ لقوله ﷻ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ، تقديره: مثل أعمال الذين كفروا، فكان تقديم ﴿مِمَّا﴾ أنسب؛ لأنَّه متعلِّق بـ ﴿شَيْءٍ﴾ ، وهو الكسب .

******

❑ ٣٣/ ١٥٤ فى الأرض ولا فى السماء ـ فى السماوات ولا فى الأرض:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا

أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ يونس .

- ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: ٣ .

• قُدِّمت الأرض على السماء فى آية يونس؛ لتقدُّم قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ ؛ وذلك لأن التلاوة والعمل فى الأرض ؛ فناسب ذلك تقديم الأرض .

• بينما قُدِّمت السماوات على الأرض فى آية سبأ؛ لتقدُّم قوله ﷻ:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ سبأ: ١ ؛ فناسب ذلك تقديم السماوت على الأرض .

*****

❑ ٣٣/ ١٥٥ جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ـ جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ الأنفال .

وفى موضع آخر:

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ التوبة .

• فى آية الأنفال قُدِّم الجار والمجرور والمعطوف عليها ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾

على الجار والمجرور الآخرَيْن ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ؛ لأنه تقدم عليها ذكر الغنائم والفداء؛ فناسب ذكر المال أولًا .

● أما آية التوبة فتقدَّم عليها ذكر الجهاد فى سبيل اللَّه ؛ وذلك فى قوله ﷻ:

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ التوبة .

فكان من المناسب تقدُّم الجار والمجرور ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس .

******

❑ ٣٣/ ١٥٦ صرَّفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل - صرَّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ الإسراء: ٨٩ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ﴾ الكهف: ٥٤

● قُدِّمَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ فى آية الإسراء؛ لتقدُّم ذكر الإنس والجن فى قوله ﷻ:

- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء .

لما كان الإنس والجن هم المقصودين بالتحدِّى القرآنى؛ قُدِّم ﴿لِلنَّاسِ﴾ فى الآية التالية؛ لأنهم المقصودون بإنزال القرآن الكريم وتصريف الأمثال فيه .

● أمَّا آية الكهف فقُدِّم فيها موضع تصريف الأمثال: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ ؛ لأن

القرآن هو المراد من الكلام، وذلك أن اليهود سألوا عن قصة أهل الكهف وذى القرنين، فأوحى اللَّه إلى نبيه ﷺ ما كان من أمرهما (فى القرآن) .

******

• تركيب الفعل مع حرف الجر:

❑ ٣٣/ ١٥٧ أنزل على ـ أنزل إلى:

ورد الفعل (أنزل) مركبًا مع حرف الجر (على) فى كثير من المواضع القرآنية، وكذا مع الحرف (إلى) . ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

- ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ البقرة: ١٣٦ .

- ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ آل عمران: ٨٤ .

• (إلى) تدل على انتهاء الغاية، والانتهاء يكون من جميع الجهات .

• أما (على) فهى حرف استعلاء، وتركيبها مع الفعل (أُنزل) يفيد النزول من جهة العلو دون سائر الجهات .

• والمتأمِّل للسياقات القرآنية التى ورد فيها التركيب (نزل/ أنزل ـ على) يجد أن الخطاب موجَّه للنبى ﷺ ، والقرآن أُنزل (عليه) من جهة العُلُوّ .

• أما التركيب (نزل/ أنزل ـ إلى) فسياقاته إمَّا فى خطاب الأمة كلها، أو خطاب للنبى ﷺ مقترنًا بالتبليغ، أى تبليغ آيات اللَّه ﷻ (إلى) الناس، ويكون ذلك من جميع الجهات، وهو ما يناسبه حرف انتهاء الغاية (إلى) .

******

❑ ٣٣/ ١٥٨ آمن له ـ آمن به:

قول اللَّه ﷻ :

- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ الأعراف: ١٢٣ .

- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ الشعراء: ٧١ .

• الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى رب العالمين، وفي ﴿لَهُۥ﴾ يجوز رجوعه إلى موسى أو إلى ما جاء به من الآيات، أي: آمنتم لأجل ما جاء به .

******

❑ ٣٣/ ١٥٩ كذَّبوا ـ كذَّبوا به:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الأعراف : ١٠١ .

- ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يونس : ٧٤.

• عُدِّى الفعل بالباء فى آية يونس عليه السلام؛ لتقدُّم قوله ﷻ فى قصة نوح عليه السلام: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يونس: ٧٣ ، فعَدَّى (كذَّبوا) بما عدَّاه أولًا .

• وأمَّا آية الأعراف فلم يتقدَّم عليها التكذيب متعديًا بالباء؛ كقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ الأعراف: ٩٦؛ فناسب كلُّ موضعٍ ما قبله .

******

❑ ٣٣/ ١٦٠ ثلاثة رابعهم ـ خمسة سادسهم ـ سبعة وثامنهم:

قول اللَّه ﷻ:

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢ .

زيدت الواو بعد السبعة، وهذه الواو سمَّاها بعض المفسرين والنحاة: واو الثمانية ، وهى مطَّردة بعد الرقم سبعة فى القرآن الكريم، ومن ذلك آية الكهف المذكورة، وقوله ﷻ:

- ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ التوبة .

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ التحريم .

والعرب تقول: إن الرقم سبعة هو نهاية العدد؛ ولذلك كثر ذكرها فى الأخبار فى التعبير عن الكثرة، واعتبروا ما بعدها بدءًا للعدِّ من جديد؛ لذلك عُطف بالواو .

والمتأمِّلُ فيما بعد الواو فى آيتى التحريم والتوبة، يجد أنَّ الواو لا مناص من ورودها ؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما شىءٌ واحدٌ مكوَّنٌ من صفتين، ففُصِل بينهما بواو العطف . وفى آية التحريم: الثيبات والأبكار نوعان مختلفان ؛ فوجب الفصل بينهما بالواو .

❊ ❊ ❊

ثَبت المراجع

١) الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي . ـ بيروت: دار الفكر، ١٣٦٨هـ.

٢) إحياء علوم الدين/ الغزالي. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.

٣) أدب الكاتب/ ابن قتيبة. ـ ط٢. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.

٤) أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية/ حسن طبل. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.

٥) الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية/ السيوطى. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣.

٦) الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم: دراسة إحصائية/ أحمد مختار عمر . ـ ط١ . ـ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣.

٧) إصلاح المنطق/ ابن السكيت. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦.

٨) الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية/ عائشة عبد الرحمن. ـ ط٢؛ مزيدة ومنقحة. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧.

٩) البحر المحيط/ أبو حيان النحوى. ـ القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٣.

١٠) البرهان فى علوم القرآن/ الزركشى. ـ ط٣. ـ القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٤.

١١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز/ الفيروزآبادى. ـ بيروت: المكتبة العلمية، [ـ ١٩].

١٢) بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب/ ابن التركمان . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

١٣) تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب/ أبو حيان النحوى. ـ ط١. ـ بيروت: المكتب الإسلامى، ١٩٨٣.

١٤) الترادف فى القرآن الكريم: بين النظرية والتطبيق/ محمد نور الدين المنجد. ـ ط١ . ـ بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧ .

١٥) تفسير ابن كثير/ ابن كثير القرشى. ـ ط٧، منقحة. ـ بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١ .

١٦) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل/ البغوى. ـ ط١ . ـ بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦ .

١٧) تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور. ـ القاهرة: الدار التونسية، [ـ ١٩].

١٨) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل/ الخازن. ـ ط٢ . ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٥٥ .

١٩) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ الفخر الرازى . ـ ط٢ . ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥ .

٢٠) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨ .

٢١) تفسير النسفى/ النسفى. ـ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٢ .

٢٢) تفسير النيسابورى الجامع للقرآن الكريم/ النيسابورى . ـ القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٩٣ .

٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوى. ـ ط٣. ـ القاهرة: دار الرسالة، ١٩٨٧ .

٢٤) تهذيب اللغة/ الأزهرى. ـ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٧٥ .

٢٥) التوقيف على مهمات التعاريف/ المناوى. ـ ط١ . ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠ .

٢٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم: تفسير القرطبى/ القرطبى. ـ القاهرة: دار الريان للتراث، [ـ ١٩].

٢٧) الخصائص/ ابن جنى . ـ ط٣ . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ .

٢٨) دراسات لغوية فى القرآن وقراءاته/ أحمد مختار عمر. ـ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١ .

٢٩) ديوان الأدب/ الفارابى. ـ ط١ . ـ القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥.

٣٠) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم وسبع المثانى/ الألوسى . ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣ .

٣١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ ابن عقيل. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠ .

٣٢) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى/ أبى العباس ثعلب. ـ القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٤ .

٣٣) شرح المفصل/ ابن يعيش. ـ بيروت: عالم الكتب [ـ ١٩].

٣٤) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهرى . ـ القاهرة: دار الكتاب العربى، ١٩٥٦ .

٣٥) صحيح مسلم بشرح النووى/ النووى. ـ القاهرة، بيروت: دار الفكر؛ دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .

٣٦) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ: معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم/ السمين شهاب الدين أبو العباس؛ تحقيق محمد باسل عيون السود. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .

٣٧) العمدة فى غريب القرآن/ مكى بن حموش؛ شرح وتعليق يوسف عبدالرحمن المرعشلى. ـ ط١ . ـ مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .

٣٨) فتح البارى شرح البخارى/ ابن رجب. ـ ط٢. ـ المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦ .

٣٩) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن/ الأنصارى. ـ ط١. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥.

٤٠) الفروق الدلالية بين النظرية والتطبيق/ عمر عبد المعطى أبو العينين. ـ الإسكندرية: منشأة المعارف، [ـ ١٩].

٤١) الفروق اللغوية/ أبو الهلال العسكرى؛ ضبطه وحققه حسام الدين القدسى . ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١.

٤٢) الفروق ومنع الترادف/ الترمذى؛ تحقيق ودراسة محمد إبراهيم الجيوشى. ـ ط١. ـ القاهرة: دار النهار، دار البيان العربى، ١٩٩٨.

٤٣) كتاب التعريفات/ الجرجانى. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

٤٤) كتاب جمهرة اللغة/ ابن دريد. ـ ط١. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٥١هـ.

٤٥) كتاب غريب القرآن/ ابن عباس؛ حققه أحمد بولوط . ـ ط١ . ـ القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٣.

٤٦) كتاب كشف الطره عن الغرة/ السيد محمود. ـ [د.م: د.ن]، ١٣٠١هـ.

٤٧) كتاب مبادئ اللغة مع شرح أبيات مبادىء اللغة/ الإسكافى. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.

٤٨) كتاب المقتضب/ المبرد . ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، ١٩٩٤.

٤٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل/ الزمخشرى . ـ ط١ . ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣.

٥٠) كشف المعانى فى متشابه المثانى/ ابن جماعة؛ تحقيق محمد محمد داود . ـ ط١ . ـ القاهرة: دار المنار، ١٩٩٨.

٥١) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق الدلالية/ أبو البقاء. ـ ط٢ . ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ .

٥٢) كمال اللغة القرآنية/ محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٧.

٥٣) لسان العرب/ ابن منظور. ـ ط٣. ـ بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .

٥٤) مجموعة فتاوى ابن تيمية/ ابن تيمية. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .

٥٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية. ـ ط١. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ١٩٩١ .

٥٦) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة/ ابن سيده. ـ ط١ . ـ القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٨ .

٥٧) المخصص/ ابن سيده. ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨ .

٥٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ السيوطي. ـ بيروت: منشورات المكتبة المصرية، ١٩٨٦ .

٥٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ابن حنبل. ـ ط١، جديدة ومصححة. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١ .

٦٠) معاني القرآن/ الفراء. ـ ط٢ . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ .

٦١) معاني الأبنية في العربية/ فاضل صالح السامرائي. ـ ط١. ـ عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ .

٦٢) معاني القرآن وإعرابه/ الزجاج؛ تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. ـ ط١. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤ .

٦٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن/ السيوطي. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، [ـ ١٩].

٦٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهانى . ـ بيروت . دار الفكر، [ـ ١٩].

٦٥) المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم/ الجواليقى. ـ ط٣ . ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٥ .

٦٦) مقاييس اللغة/ ابن فارس. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٩١ .

٦٧) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور/ البقاعى. ـ ط١ . ـ القاهرة: دار ابن تيمية، ١٩٨٤ .

٦٨) النهاية فى غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير المحدث . ـ بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٦٥ .

٦٩) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع/ السيوطى. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ .

كشاف تحليلي بكلمات المعجم

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(أ م ت)	أَمْت	٦٩	(ب ر ق)	برق	٥٠٥
(أ م ر)	إمر	٤٨	(ب ر هـ)	برهان	١٢٢
(أ م ل)	الأمل	٧١	(ب ز غ)	البزوغ	١٢٤
(أ م ل)	التأمل	٧٤	(ب س ر)	بسر	١٢٦
(أ م م)	الأمُّ	٧٨	(ب ش ر)	الاستبشار	١٢٧
(أ م ن)	الأمن	٨٠	(ب ش ر)	البشر	٨٣
(أ م ن)	الإيمان	٨٥	(ب ص ر)	الإبصار	١٣٣
(أ ن س)	آنس	٨٨	(ب ص ر)	الأبصار	٥٠١
(أ ن س)	الاستئناس	٥١	(ب ط ر)	البطر	٦٠
(ب ع ث)	بعث	١٣٦	(ج م م)	جم	١٨٨
(ب ع د)	بَعِد	٤١٧	(ج ن ح)	الجُناح	٣٢
(ب ع د)	بَعُد	٤١٧	(ج ن ن)	الجنة	٣٩١
(ب غ ض)	البغضاء	١٣٨	(ج ن ن)	جانّ	١٦٣
(ب غ ي)	البغي	١٤٣	(ج و ع)	الجوع	١٩٠
(ب ك ك)	بكة	١٤٩	(ح ب ب)	الحُبّ	١٩٣
(ب ل و)	الابتلاء	١٥١	(ح ب ر)	الحبور	١٢٧
(ب هـ ج)	البهجة	١٢٧	(ح ج ج)	الحجة	١٢٢
(ب هـ ل)	ابتهل	١٥٣	(ح ج ج)	المحاجة	١٧٨
(ت ب ع)	تبع	٤١٨	(ح ج ر)	حجرة	١٩٦
(ت ب ع)	اتبع	٤١٨	(ح د ث)	مُحدَث	١٧٦
(ت ح ح)	تحت	١٥٧	(ح ر ج)	الحرج	١٩٨
(ت ل و)	تلا	١٥٨	(ح ز ن)	الحزن	٥٢
(ت م م)	التمام	١٦٠	(ح س ر)	الحسرة	٥٢

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(ت و ب)	التوبة	٩٠	(ح س س)	أحسّ	٨٨
(ث ر ب)	تثريب	١٦٢	(ح س س)	التحسس	١٨١
(ث ع ب)	ثعبان	١٦٣	(ح س ن)	الحسن	١٨٤
(ث و ب)	الثواب	٤٦	(ح س ن)	الحسنى	٣٩٣
(ث و ب)	الثياب	١٦٧	(ح ظ ظ)	الحظ	١٩٩
(ج ب ب)	جُبّ	٩٧	(ح ف ظ)	الحفيظ	٢٠٢
(ج ب ل)	جبل	١٧٢	(ح ق ق)	الحاقة	٤٠٣
(ج ح د)	جحود	١٧٤	(ح ق ق)	حق اليقين	٣٤٨
(ج د د)	جديد	١٧٦	(ح ك م)	حاكمون	٤٧١
(ج د ل)	المجادلة	١٧٨	(ح ك م)	حُكّام	٤٧١
(ج ر ي)	جاريات	٤٧٠	(ح ل ف)	حلف	٦٦
(ج ر ي)	جوارٍ	٤٧٠	(ح ل ل)	الحلال	٢٠٩
(ج س د)	الجسد	١١٦	(ح ل م)	الحُلْم	٢٠٧
(ج س س)	التجسس	١٨١	(ح ل ي)	الحلية	٢١٠
(ج س م)	الجسم	١١٦	(ح م د)	الحمد	٢١٤
(ج ع ل)	جعل	١٨٢	(ح م ر)	حُمُر	٤٧٢
(ج م ل)	الجمال	١٨٤	(ح م ر)	حمير	٤٧٢
(ح و ب)	الحُوب	٣٢	(د ر ج)	درجة	٤٨٩
(ح و ر)	المحاورة	١٧٨	(د س س)	الدس	٢١٨
(ح ي و)	حية	١٦٣	(د ع و)	دعا	١٥٣
(ح ي و)	الحيوان	٢١٦	(د ل ل)	دلّ	٢٥١
(ح ي و)	الحياة	٢١٦	(د ل ل)	الدليل	١٢٢
(خ ب أ)	الخبء	٢١٨	(د م د م)	دمدم	٢٥٤

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(خ ب ت)	إخبات	٢٢٢	(د م ر)	دمر	٢٥٤
(خ ب ث)	الخبائث	٤٧٣	(د و ر)	دار	٤٨٩
(خ ب ث)	الخبيثات	٤٧٣	(د و ر)	دار السلام	٣٩٦
(خ ب ر)	الخبر	٢٢٩	(د و ر)	ديار	٤٨٩
(خ ت م)	ختم	٢٣٢	(ذ ك ر)	الذكر	٣٨٩
(خ د ع)	خدع	٢٣٤	(ذ ك ر)	ذُكْران	٤٧٧
(خ ز ن)	خازنون	٤٧٥	(ذ ك ر)	ذكور	٤٧٧
(خ ز ن)	خَزَنَة	٤٧٥	(ذ ل ل)	الذلّ	٢٦٠
(خ ش ع)	الخشوع	٢٢٢	(ذ ن ب)	الذنب	٣٢
(خ ش ع)	خاشعة	٢٣٦	(ر أ ف)	رءوف	٢٧٣
(خ ش ي)	الخشية	٢٣٧	(ر أ ي)	الرياء	٢٦٢
(خ ض ع)	الخضوع	٢٢٢	(ر أ ي)	الرؤية	١٣٣
(خ ط أ)	أخطأ	٢٤٥	(ر أ ي)	الرؤيا	٢٠٧
(خ ط أ)	خطايا	٤٧٦	(ر ج ف)	الراجفة	٤٠٥
(خ ط أ)	الخطيئة	٣٢	(ر ج و)	الرجاء	٧١
(خ ط أ)	خطيئات	٤٧٦	(ر ج و)	الرجاء	٢٦٤
(خ ف ي)	الإخفاء	٢١٨	(ر ح م)	الرحمن	٤٤٤
(خ ل ف)	خلف	٢٤٨	(ر ح م)	رحيم	٢٧٣
(خ ل ق)	خلق	١٢٠	(ر ح م)	الرحيم	٤٤٤
(خ ل ق)	خلق	١٨٢	(ر د ف)	الرادفة	٤٠٥
(خ ل ق)	الخالق	١١٠	(ر ز ق)	الرزاق	٤٤٦
(خ م ص)	المخمصة	١٩٠	(ر ز ق)	الرازق	٤٤٦
(خ و ف)	خوف	٢٣٧	(ر س ل)	أرسل	١٣٦

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(د ب ر)	التدبر	٧٤	(ر س و)	راسيات	٤٧٩
(د ر ج)	درجات	٤٨٩	(ر س و)	رواسٍ	٤٧٩
(ر ش د)	أرشد	٢٥١	(س خ ط)	السخط	٢٨٦
(ر ع ب)	الرعب	٢٣٧	(س د د)	سديد	٢٨٩
(ر ع د)	رعد	٥٠٥	(س د و)	سدى	٢٩١
(ر غ ب)	الرغبة	٢٦٧	(س ر ر)	السرّ	٢٩٢
(ر ق ب)	الرقيب	٢٠٢	(س ر ر)	السرور	١٢٧
(ر ك ع)	راكعون	٤٨٠	(س ر ف)	الإسراف	١١٩
(ر ك ع)	رُكَّع	٤٨٠	(س غ ب)	المسغبة	١٩٠
(ر هـ ب)	الرهبة	٢٣٧	(س ف ل)	أسفل	١٥٧
(ر هـ ط)	رهط	٢٦٩	(س ق ط)	سقط	٢٩٤
(ر و ح)	رياح	٥٠٠	(س ق م)	السقم	٢٩٦
(ر و ح)	ريح	٥٠٠	(س ك ت)	سكت	٢٩٨
(ر و ض)	روضة	٣٦٧	(س ك ن)	المسكين	٩٨
(ر و ع)	الروع	٢٣٧	(س ك ن)	السكينة	٨٠
(ر ي ب)	ريب	٢٧٥	(س ل م)	التسليم	٢٩٩
(ز ر ع)	زارعون	٤٨١	(س ل م)	السِّلْم	٤٢٨
(ز ر ع)	زُرَّاع	٤٨١	(س ل م)	السَّلْم	٤٢٨
(ز ل ل)	زل	٢٤٥	(س ل م)	السَّلَم	٤٢٨
(ز ل ل)	الزلل	٣٢	(س م ع)	استمع	٣٠١
(ز و ج)	زوج	٢٧٨	(س م ع)	السمع	٥٠١
(ز ي ن)	الزينة	٢١٠	(س و أ)	السيئة	٣٢
(س ب ل)	سبيل	٢٨١	(س و ر)	أسورة	٤٨٣

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(س ب ل)	سنبلات	٤٨٢	(س و ع)	الساعة	٤٠٦
(س ب ل)	سنابل	٤٨٢	(ش ب هـ)	متشابه	٤٤٧
(س ت ر)	الستر	٢١٨	(ش ب هـ)	مشتبه	٤٤٧
(س ج د)	سُجَّد	٤٨١	(ش ح ح)	الشح	١٠٥
(س ج د)	سجود	٤٨١	(ش د د)	أشداء	٤٨٤
(س ح ر)	ساحر	٤٤٦	(ش د د)	شداد	٤٨٤
(س ح ر)	سحار	٤٤٦	(ش ر ع)	شرعة	٣٠٣
(س خ ر)	سِخريا	٤٢٧	(ش ر ي)	اشترى	٤١٩
(س خ ر)	سُخريا	٤٢٧	(ش ر ي)	شرى	٤١٩
(س خ ر)	السخرية	٢٨٤	(ش ع ر)	شعر	٨٨
(ش ك ر)	الشكر	٢١٤	(ض ر ر)	ضرَّاء	٤٣٥
(ش ك ر)	شكور	٤٤٨	(ض ر ر)	ضَرّ	٤٣٥
(ش ك ك)	شكّ	٢٧٥	(ض ر ر)	ضرار	٤٣٥
(ش ن أ)	الشنآن	١٣٨	(ض ر ع)	التضرع	٢٢٢
(ش هـ ر)	أشهُر	٤٨٥	(ض غ ث)	أضغاث	٤٢٦
(ش هـ ر)	شهور	٤٨٥	(ض ل ل)	الضلال	٣٢٨
(ش هـ و)	شهوة	٣٠٤	(ض ل ل)	ضلالة	٤٤٢
(ش ي ع)	أشياع	٤٨٦	(ض ل ل)	ضلال	٤٤٢
(ش ي ع)	شِيَع	٤٨٦	(ض ي ق)	الضِّيق	١٩٨
(ص ب ر)	صبار	٤٤٨	(ض ي ق)	ضائق	٤٤٨
(ص ب و)	صبي	٣٠٨	(ض ي ق)	ضيِّق	٤٤٨
(ص خ خ)	الصاخة	٤٠٧	(ط ب ع)	طبع	٢٣٢
(ص د د)	صدّ	٤٣١	(ط ر ق)	طريق	٢٨١

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(ص د د)	صد	٣١٣	(ط غ ي)	الطغيان	١٤٣
(ص د د)	صدود	٤٣١	(ط ف ل)	أطفال	٤٨٧
(ص د ف)	صدف	٣١٣	(ط ف ل)	طفل	٤٨٧
(ص د ق)	التصديق	٨٥	(ط ل ع)	الطلوع	١٢٤
(ص ر ط)	صراط	٢٨١	(ط م أ ن)	الطمأنينة	٨٠
(ص ر ف)	صرف	٦٢	(ط م ع)	الطمع	٢٦٧
(ص غ ر)	الصَّغار	٢٦٠	(ط م ع)	الطمع	٧١
(ص غ و)	أصغى	٢٩٨	(ط م م)	الطامة	٤٨٠
(ص ف ح)	الصفح	٣١٧	(ط و د)	طود	١٧٢
(ص ن ع)	صنع	٣١٩	(ط و ع)	اسطاع	٤٢١
(ص ن م)	الصنم	٣٢١	(ط و ع)	استطاع	٤٢١
(ص هـ ر)	صهر	٣٢٣	(ط و ف)	طائفة	٣٣٣
(ص و ب)	صواب	٢٨٩	(ط ي ب)	الطيب	٢٠٩
(ص و ر)	المصور	١١٠	(ظ ل م)	الظلم	١٤٣
(ص و م)	صوم	٤٣٢	(ظ ل م)	الظلمات	٥٠٥
(ص و م)	صيام	٤٣٢	(ظ ل م)	ظلمات	٥٠٥
(ض ر ر)	ضُرّ	٤٣٥	(ظ هـ ر)	ظهر	١٠٧
(ض ر ر)	ضرر	٤٣٥	(ع ب ث)	عبث	٢٩١
(ع ب د)	عبد	٣٣٤	(ع م ي)	العمى	٣٥٠
(ع ب د)	عباد	٤٨٨	(ع هـ د)	العهد	٣٤٦
(ع ب د)	عبيد	٤٨٨	(ع و ج)	عوج	٦٩
(ع ب ر)	الاعتبار	٧٤	(ع ي ن)	عين اليقين	٣٤٨
(ع ب س)	عبس	١٢٦	(ع ي ن)	أعيُن	٤٨٩

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(ع ت د)	أعتد	٣٣٦	(غ ي ن)	عيون	٤٨٩
(ع ت و)	العتو	١٤٣	(غ ر ر)	غر	٢٣٤
(ع ج ب)	عُجَاب	٤٤٩	(غ ر ف)	غرفة	١٩٦
(ع ج ب)	عجيب	٤٤٩	(غ ر ف)	الغرفة (الغرف ـ الغرفات)	٣٩٩
(ع د د)	أعدّ	٣٣٦	(غ ر ف)	غُرَف	٤٩٠
(ع د ل)	عدل	٣٣٨	(غ ر ف)	غُرُفات	٤٩٠
(ع د ن)	عدن	٣٩٧	(غ ش و)	الغاشية	٤٠٩
(ع د و)	العدوان	١٤٣	(غ ض ب)	الغضب	٢٨٦
(ع ذ ب)	العذاب	٣٤١	(غ ف ر)	المغفرة	٣١٧
(ع ر ض)	أعرض	٣١٣	(غ ف ر)	أهل المغفرة	٤٥٤
(ع ر ف)	المعرفة	٣٤٣	(غ ف ر)	ذو المغفرة	٤٥٤
(ع ص ف)	عاصف	٤٥١	(غ ف ر)	الغافر	٤٥٤
(ع ص ف)	عاصفة	٤٥١	(غ ف ر)	الغفار	٤٥٤
(ع ط و)	أعطى	٢٧	(غ ف ر)	الغفور	٤٥٤
(ع ف و)	العفو	٣١٧	(غ ل م)	غلام	٣٠٨
(ع ق ب)	العقاب	٣٤١	(غ م م)	الغمّ	٥٢
(ع ق د)	العَقْد	٣٤٦	(غ و ي)	الغيّ	٣٢٨
(ع ل م)	عالم	٤٥١	(غ ي ث)	الغيث	٣٥٣
(ع ل م)	عَلَم	١٧٢	(غ ي ظ)	الغيظ	٢٨٦
(ع ل م)	علم اليقين	٣٤٨	(ف ت ن)	الفتنة	١٥١
(ع ل م)	العِلْم	٣٤٣	(ف ت و)	فتى	٣٠٨
(ع ل م)	العلامة	٣٠	(ف ت و)	فتيان	٤٩١
(ع ل م)	علّام	٤٥١	(ف ت و)	فتية	٤٩١

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(ع ل م)	عليم	٤٥١	(ف ج ر)	فُجَّار	٤٩٢
(ع م ل)	عمل	٣١٩	(ف ج ر)	فجرة	٤٩٢
(ع م هـ)	العمه	٣٥٠	(ف ج ر)	انفجر	١٠١
(ف ح ش)	الفاحشة	٣٢	(ق ص م)	قصم	٣٥٧
(ف ح ش)	الفحشاء	٣٢	(ق ع د)	قاعدون	٤٩٣
(ف ر ح)	الفرح	١٢٧	(ق ع د)	قعود	٤٩٣
(ف ر د س)	الفردوس	٤٠٠	(ق ل و)	القلى	١٣٨
(ف ر ر)	فرَّ	٢٢	(ق ن ت)	القنوت	٢٢٢
(ف ر ق)	التفرق	٣٥٥	(ق ن ط)	القنوط	٣٦٥
(ف ر ق)	الفَرَق	٢٣٧	(ق هـ ر)	القاهر	٤٥٨
(ف ر ق)	الفرقان	٣٨٧	(ق هـ ر)	القهَّار	٤٥٨
(ف ر ق)	فرقة	٣٣٣	(ق و م)	قوم	٢٦٩
(ف ز ع)	الفزع	٢٣٧	(ق و م)	القيامة	٤١٠
(ف س ح)	تفسح	٤٢١	(ك ب ر)	أكابر	٤٩٥
(ف س ح)	فسح	٤٢١	(ك ب ر)	كُبَّار	٤٦٠
(ف س ر)	التفسير	٩٤	(ك ب ر)	كبراء	٤٩٥
(ف ص م)	فصم	٣٥٧	(ك ب ر)	كبير	٤٦٠
(ف ض ل)	التفضيل	٣١	(ك ت ب)	الكتاب	٣٨٨
(ف ط ر)	الفاطر	١١٠	(ك ث ر)	كثير	١٨٨
(ف ق ر)	الفقير	٩٨	(ك ذ ب)	الكذب	٦٥
(ف ق هـ)	الفقه	٣٦٠	(ك ر هـ)	الكُره	١٣٨
(ف ك ر)	التفكر	٧٤	(ك ر هـ)	كُرْه	٤٣٢
(ف ل ح)	الفلاح	٣٦٢	(ك ر هـ)	كَرْه	٤٣٢

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(ف هـ م)	الفهم	٣٦٠	(ك س ب)	اكتسب	٤٢٢
(ف و ض)	التفويض	٢٩٩	(ك س ب)	كسب	٤٢٢
(ق د ر)	القادر	٤٥٧	(ك ف ر)	كفور	٤٦١
(ق د ر)	القدير	٤٥٧	(ك ف ر)	كفار	٤٦١
(ق د ر)	المقتدر	٤٥٧	(ك م ل)	الكمال	١٦٠
(ق ر ا)	قرأ	١٥٨	(ل ب س)	اللباس	١٦٧
(ق ر أ)	القرآن	٣٨٥	(ل ذ ذ)	اللذة	٣٠٤
(ق ر ع)	القارعة	٤١٠	(ل ع ب)	اللعب	٣٦٧
(ق س ط)	القسط	٣٣٨	(ل غ ب)	اللغوب	٣٧١
(ق س م)	أقسم	٦٦	(ل م ز)	اللمز	٣٧٣
(ق ص ف)	قصف	٣٥٧	(ل هـ و)	اللهو	٣٦٧
(ل و م)	لوم	١٦٢	(ن ص ح)	النصيحة	٣٧٦
(م ت ع)	متاع	٢٩	(ن ص ر)	أنصار	٤٩٧
(م ح ق)	محق	٢٥٤	(ن ص ر)	ناصرون	٤٩٧
(م ح و)	محا	٢٥٤	(ن ظ ر)	النظر	١٣٣
(م د د)	أمدّ	٤٢٤	(ن ع م)	أنعُم	٤٩٧
(م د د)	مدّ	٤٢٤	(ن ع م)	نِعَم	٤٩٧
(م ر أ)	امرأة	٢٧٨	(ن ع م)	النعيم	٤٤١
(م ر ض)	المرض	٢٩٦	(ن ع م)	النعمة	٤٤٠
(م ر ي)	مرية	٢٧٥	(ن ع م)	النعماء	٤٤٠
(م ش ج)	أمشاج	٣٢٦	(ن ع م)	النعمة	٤٤١
(م ط ر)	المطر	٣٥٣	(ن ف ر)	نفر	٢٦٩
(م ق ت)	المقت	١٣٨	(ن ف ق)	النفاق	٢٦٢

الجذر	الكلمة	الصفحة	الجذر	الكلمة	الصفحة
(م ك ك)	مكة	١٤٩	(ن ك ر)	الإنكار	١٧٤
(م ل ك)	مملوك	٣٣٤	(ن ك ر)	المنكر	٣٢
(م ن ي)	التمني	٢٦٤	(ن ك ر)	نُكر	٤٨
(م وت)	أموات	٤٩٦	(ن هـ ج)	منهاج	٣٠٣
(م وت)	موتى	٤٩٦	(ن و ب)	الإنابة	٩٠
(م وت)	مَيْت	٤٦٣	(ن و ر)	النور	٥٠٥
(م وت)	مَيِّت	٤٦٣	(ن و س)	الناس	٨٣
(م وت)	ميتون	٤٩٦	(هـ ب و)	هباء	٢٩١
(ن ب أ)	أنبأ	٤٢٤	(هـ د ي)	هدى	٢٥١
(ن ب أ)	نبَّأ	٤٢٤	(هـ ر ب)	هرب	٢٢
(ن ب أ)	النبأ	٢٢٩	(هـ ز أ)	الاستهزاء	٢٨٤
(ن ج ح)	النجاح	٣٦٢	(هـ ل ك)	أهلك	٢٥٤
(ن ج و)	النجوى	٢٩٢	(هـ م د)	هامدة	٢٣٦
(ن ز ع)	التنازع	٣٥٥	(هـ م ز)	الهمز	٣٧٣
(ن ز ل)	التنزيل	٣٨٩	(هـ و ي)	الهوى	٣٠٤
(ن س ب)	نسب	٣٢٣	(هـ ي م ن)	المهيمن	٢٠٢
(ن ص ب)	النصب	٣٧١	(و ث ق)	الميثاق	٣٤٦
(ن ص ب)	نصيب	١٩٩	(و ث ن)	الوثن	٣٢١
(ن ص ت)	أنصت	٣٠١	(و ج ل)	الوجل	٢٣٧
(و د د)	الودّ	١٩٣	(و ر ي)	وراء	٢٤٨
(و ر ي)	الموارة	٢١٨	(و ز ر)	الوزر	٣٢
(و ص ي)	الوصية	٣٧٦	(و ق ع)	الواقعة	٤١١
(و ق ع)	وقع	٢٩٤	(و ك ل)	التوكل	٢٩٩

المحتويات

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف النون

أسماء القرآن الكريم

أسماء الجنَّة

٣- اختلاف صيغ المشتقات

٤- اختلاف صيغ الجموع

٥- بين الإفراد والجمع

تمَّ بحمد الله

❋ ❋ ❋



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET